دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل - دبي

مجلّة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلّة علمية محكّمة - نصف سنويّة

(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد التاسع والستون

69

www.alwasl.ac.ae

awuj@alwasl.ac.ae

جمادى الأولى/ديسمبر
1446 هـ / 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مَجَلَّةُ جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد التاسع والستون

جمادى الأول ١٤٤٦ هـ - ديسمبر ٢٠٢٤ م

المشرف العام

أ. د. محمد أحمد عبدالرحمن

مدير الجامعة

رئيس التَّحرير

أ. د. زياد علي دايح الفهداوي

نائب رئيس التَّحرير

أ. د. خالد الطاهر

أمين التَّحرير

د. المزمل الشريف حامد

ردمد: ٢٩٣٠-٢٧٩١

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae

أعضاء هيئة التَّحرير

أ. د. جودة مبروك – مصر

أ. د. حسن عواد السريحي – السعودية

أ. د. سعيد يقطين – المغرب

أ. د. عماد حمدي– الإمارات

أ. د. فائزة القاسم – فرنسا

أ. د. مصطفى لهلال – بريطانيا

د. أحمد بشارات – الإمارات

د. لطيفة الحمادي – الإمارات

لجنة الترجمة: د. ريم اليوسف،

أ. مجدولين الحمد، أ. ريم المشاري،

أ. سامي الحذيفي

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلّة

أ. د. صالح بلعيد

رئيس المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر

أ. د. قطب الريسوني

جامعة الشارقة – دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. بن عيسى بطاهر

جامعة الشارقة – دولة الإمارات العربية المتحدة

أ. د. صالح بن محمد صالح الفوزان

جامعة الملك سعود – الرياض – المملكة العربية السعودية

أ. د. جميلة حيدة

جامعة وجدة – المملكة المغربية

جامعة الوصل في سطور

«جامعة الوصل» مؤسسة جامعية من مؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي في الدولة، وقد تحوّلت بموجب قرار وزاري رقم (١٠٧) لعام ٢٠١٩، من «كلية الدراسات الإسلامية والعربية» - الاسم السابق - إلى: جامعة الوصل.

وقد مرت الجامعة بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى:

نشأت النواة الأساسية للجامعة سنة ١٩٨٦-١٩٨٧م بمسمى «كلية الدراسات الإسلامية والعربية»، عند تأسيسها من السيد جمعة الماجد وتعهدها بالإشراف والرعاية مع فئة مخلصة من أبناء هذا البلد آمنت بفضل العلم وشرف التعليم.

- رعت حكومة دبي هذه الخطوة المباركة وجسّدها قرار مجلس الأمناء الصادر في عام ١٤٠٧هـ الموافق العام الجامعي ١٩٨٦ / ١٩٨٧م.
- وبتاريخ ٢ / ٤ / ١٤١٤هـ الموافق ١٨ / ٩ / ١٩٩٣م أصدر معالي سموّ الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم العالي والبحث العلمي في دولة الإمارات القرار رقم (٥٣) لسنة ١٩٩٣م بالترخيص لها بالعمل في مجال التعليم العالي.

١- برامج البكالوريوس:

- صدر القرار رقم (٧٧) لسنة ١٩٩٤م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في الدراسات الإسلامية والعربية بالدرجة الجامعية الأولى في الدراسات الإسلامية.
- ثم صدر القرار رقم (٥٥) لسنة ١٩٩٧م في شأن معادلة درجة البكالوريوس في اللغة العربية الممنوحة بالدرجة الجامعية الأولى في هذا التخصص.
- أُعتمد برنامج بكالوريوس علوم المكتبات والمعلومات عام ٢٠٢٠.
- احتفلت بتخريج الرعيل الأول من طلابها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٦ / ١٢ / ١٩٩٢م تحت رعاية صاحب السمو الشيخ مكتوم بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي رحمه الله.
- واحتفلت بتخريج الدفعة الثانية من طلابها والأولى من طالباتها في ٢٩ / ١٠ / ١٤١٣هـ الموافق ٢١ / ٤ / ١٩٩٣م.
- تخرج منذ تأسيسها في العام الجامعي الأول في ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ الموافق - ١٩٨٦ / ١٩٨٧م إلى نهاية عام ٢٠٢٣-٢٠٢٤ (١٣٦٩٦)؛ منهم (١٠٩٧٥) طالبة و (٢٧٢١) طالبًا.

برامج الدراسات العليا:

- أنشئ برنامج الدراسات العليا بها في العام الجامعي ١٩٩٥ / ١٩٩٦م يخوّل للملتحقين به الحصول على درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية واللغة العربية وآدابها، وشرع في برنامج الدكتوراه بدءًا من العام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥م.
- اعتمدت بدءاً من العام ٢٠٠٧ / ٢٠٠٨ برنامج الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في شعبتي الأدب والنقد واللغة والنحو.
- وفي ٢٤ / ٢ / ٢٠١٧، يعلن مركز محمد بن راشد العالمي لاستشارات الوقف والهبة، عن منحها علامة دبي للوقف.

أعيد اعتماد برامج الماجستير والدكتوراه؛ فصارت الجامعة تمنح:

- درجة الماجستير في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة الماجستير في الدراسات اللغوية.
- درجة الماجستير في الفقه وأصوله.
- درجة دكتوراه الفلسفة في الفقه وأصوله.
- درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات الأدبية والنقدية.
- درجة دكتوراه الفلسفة في الدراسات اللسانية.
- بلغ المجموع الكلي للخريجين والخريجات في الدراسات العليا إلي تاريخ صدور العدد، (٣٨١) طالبًا؛ منهم (٢٥٨) خريجا بشهادة الماجستير و (١٢٣) خريجا بشهادة الدكتوراه.

المرحلة الثانية: تطورت من (كلية الدراسات الإسلامية والعربية) بقرار وزاري رقم ١٠٧ لعام ٢٠١٩، إلى (جامعة الوصل)، لتحمل عدة مُسْتجدات في:

الرؤية:

تطمح جامعة الوصل إلى أن تكون لبرامجها وقدراتها البحثية الصدارة إقليميًّا ودوليًّا.

الرسالة:

تقديم برامج غير ربحية ذات جودة عالية في البكالوريوس والدراسات العليا؛ لتأهيل كوادر متخصصة لسوق العمل المحلي والإقليمي، وتعزيز القدرات البحثية وتطوير التفكير الإبداعي، وتنمية الشراكة المجتمعية في بيئة جامعية تتسم بالأصالة والحداثة والابتكار.

مجلس الأمناء:

يقوم مجلس الأمناء بالإشراف على الشؤون العامة للجامعة وتوجيهها لتحقيق أهدافها، ويضم المجلس إضافة إلى رئيسه (مؤسس الجامعة) عدداً من الشخصيات المتميزة التي تجمع بين العلم والمعرفة والرأي والخبرة، ممن يمثلون الفعاليات العلمية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية في دولة الإمارات العربية المتحدة.

كليات الجامعة: تشمل الجامعة الأتية:

- كلية الدراسات الإسلامية.
- كلية الآداب.
- كلية الإدارة.

نظام الدراسة:

- مدة الدراسة للحصول على درجة الإجازة (البكالوريوس) أربع سنوات لحاملي الشهادة الثانوية الشرعية أو الثانوية العامة بفرعيها: العلمي والأدبي أو ما يعادلهما.
- تقوم الدراسة في الجامعة على أساس النظام الفصلي الساعات المعتمدة.
- يلتزم الطالب بالحضور ومتابعة الدروس والبحوث المقرّرة.
- نظام الدراسة في الدراسات العليا: مدة برنامج الماجستير سنتان والدكتوراه ثلاث سنوات، مع سنة تمهيدية متضمنة في كليهما.

البحث العلمي والخدمة المجتمعية: يهتم البحث العلمي بعدد من المحاور منها:

١- المؤتمرات: تقيم الجامعة عددًا من المؤتمرات العلمية المحكمة سنويًّا منها:

- ندوة علمية دولية في الحديث الشريف كل سنتين، وقد كانت ندوتها الحادية عشرة في ٢٠٢٣.
- مؤتمر اللغة العربية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثالث في ٢٠٢٤.
- مؤتمر الدراسات الإسلامية الدولي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثاني في ٢٠٢٤.
- المؤتمر الدولي للدراسات العليا والبحث العلمي، ويقام كل سنتين. وعقد المؤتمر الثالث في ٢٠٢٣م.
- المؤتمر الدولي للسانيات، يعقد كل عامين، ويعقد المؤتمر الثاني في يونيو ٢٠٢٣.
- المؤتمر الدولي للسرديات، يعقد كل عامين، عقد المؤتمر الثاني في٢٠٢٤.

٢- المجلات المحكمة: تصدر جامعة الوصل ثلاث مجلات علمية محكمة، وهي:

- مجلة جامعة الوصل، تصدر مرتين كل عام.
- مجلة فكر ومعرفة، تصدر عن كلية الآداب مرة في العام.
- مجلة الموئل، تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية، مرة في العام.

٣- الكتاب العلمي: تصدر الجامعة الكتاب العلمي، وله فرعان:

- الأول: الكتاب العلمي (مرجع دراسي)، وصدر منه ٣٣ كتابًا.
- الثاني: الكتاب العلمي (غير المخصص لأغراض دراسية).

٤- مشروع طباعة الرسائل الجامعية، تسهر الجامعة على طباعة الرسائل العلمية الجامعية المتميزة وتوزيعها مجَّانًا.

٥- المكتبة الإلكترونية، مفتوحة الوصول (open access) على موقع الجامعة.

قسيمة اشتراك

أرجو قبول اشتراكي / اشتراكنا في مجلّة جامعة الوصل لمدّة (.....) سنة، ابتداء من:.....

– **الاسم الكامل:**.....

– **العنوان:**.....

– **الهاتف:**.....

– **البريد الإلكتروني:**.....

– **قيمة الاشتراك:**.....

رسوم الاشتراك

مصدر الاشتراك	نوع الاشتراك		قيمة الاشتراك		
	الفترة	الكمية	المؤسسات	الأفراد	الطلبة
داخل دولة الإمارات العربية المتحدة	سنة واحدة	٢	١٠٠ درهم إماراتي	٨٠ درهم إماراتي	٥٠ درهم إماراتي
	سنتان	٤	٢٠٠ درهم إماراتي	١٥٠ درهم إماراتي	١٠٠ درهم إماراتي
خارج دولة الإمارات العربية المتحدة	سنة واحدة	٢	٥٠ دولار أمريكي	٤٠ دولار أمريكي	٣٠ دولار أمريكي
	سنتان	٤	١٠٠ دولار أمريكي	٨٠ دولار أمريكي	٦٠ دولار أمريكي

طريقة الدفع:

- داخل دولة الإمارات العربية المتحدة: نقدًا (مكتب المجلّة بالحرم الجامعي)، أو حوالة مصرفية.
- خارج دولة الإمارات العربية المتحدة: تحويل مصرفي.
- البيانات: جامعة الوصل.

بنك دبي الإسلامي – دبي

رقم الآيبان: AE0302400015208164878O1

يُرسل وصل الإيداع على العنوان العادي: (رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة. هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٧)
أو العنوان الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae

قواعد النشر

أولًا:

تنشر المجلّة البحوث العلمية باللغات العربية، والإنجليزية والفرنسية؛ تحريرًا أو ترجمةً، على أن تكون بحوثاً أصيلة مبتكرة تتصف بالموضوعية والشمول والعمق، ولا تتعارض مع القيم الإسلامية، وذلك بعد عرضها على محكمين من خارج هيئة التحرير بحسب الأصول العلمية المتبعة.

ثانيًا:

١. يراعى في البحث أن يتميز بالأصالة وأن يضيف إضافة جديدة للعلم والمعرفة، وأن يكون مستوفياً للجوانب العلمية بما في ذلك عرض الأسس النظرية والأهداف الخاصة من إجراء البحث والإجراءات المستخدمة في استخلاص النتائج وعرض النتائج والمناقشة.

٢. تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر في المجلة للشروط الآتية:

٣. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو قدم للنشر إلى جهة أخرى، وألا يكون مستلاً من بحث أو من رسالة أكاديمية نال بها الباحث درجة علمية، وعلى الباحث أن يقدم تعهداً خطياً بذلك عند إرساله إلى المجلة.

٤. تقبل البحوث التي تكون جزءا من رسالة جامعية لم تناقش بعد.

٥. لا يجوز للباحث أن ينشر بحثه بعد قبوله في المجلة في مكان آخر إلا بإذن خطي من رئيس التحرير، وإلا تكفل الباحث بسداد التكلفة المالية لتحكيم بحثه خلال الدورة التحكيمية.

٦. يراعى ضبط الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة، إن استشهد بها في البحوث.

٧. يُكتب البحث بمسافات (مفردة)، على ألا يقل عدد صفحاتها عن (٢٠) صفحة بواقع (٥٠٠٠) خمسة آلاف كلمة، ولا يزيد عن (٣٠) صفحة في (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة، وحجم الخط (١٦) نوع (Simplified Arabic)، وإذا زاد البحث عن (٣٠) صفحة، فعلى الباحث دفع تكاليف الطباعة للصفحات الزائدة؛ وهي (٥) دولارات عن كل صفحة.

٨. ترسل من البحث نسخة إلكترونية، وفق برنامج "Word ٢٠١٠" وتكتب أسماء الباحثين

باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوينهم ووظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، بحسب كشف البيانات المرفق؛ وذلك (بغرض التوثيق الدولي).

٩. يُرفق مع البحث ملخص باللغة العربية (في حدود ١٢٠ كلمة) وآخر باللغة الإنجليزية (في حدود ١٥٠ كلمة)، ويتضمن على الأقل أهداف البحث وإشكاليته، ومنهجهُ وأهم نتائجه، وإسهامات البحث، وخمسة كلمات مفتاحية.

١٠. يُرفق بالبحث الترجمة الكاملة لقائمة المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية؛ وذلك بغرض التوثيق الدولي.

١١. ترقم الجداول والأشكال والصور التوضيحية وغيرها على التوالي بحسب ورودها في متن البحث، وتزود بعنوانات يشار إلى كل منها بالتسلسل نفسه، وتقدم بأوراق منفصلة.

١٢. يتبع المنهجية العلمية في توثيق البحوث على النحو الآتي:

- يشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة آليًّا توضع بين قوسين إلى الأعلى (هكذا:(١) (٢)) وتبين بالتفصيل في أسفل الصفحة وفق تسلسلها في المتن.
- تذكر ببوغرافيا(معلومات الكتاب) في أول ورد لها في البحث على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق (إن وجد) أو المترجم، دار النشر، بلد دار النشر، رقم الطبعة يشار إليها بـ (ط) إن وجدت، التاريخ إن وجد وإلا يشار إليه بـ (د.ت). أما بحوث الدوريات فتكون المعلومات على النحو الآتي: (اسم المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، جهة الإصدار، بلد الإصدار، رقم العدد، التاريخ، مكان البحث في المجلة ممثلاً بالصفحات (من...إلى...).
- إذا تكررت بعد أول إيراد له يُكْتفَى باسم المؤلف وعنوان المصدر، فإن تكرر مباشرة في الصفحة نفسها يكتب: (المرجع نفسه)، فإن تكرر مباشرة في الصفحة اللاحقة يكتب: (المرجع السابق).
- يشار إلى الشروح والملحوظات في متن البحث بنجمة (هكذا:×) أو أكثر.
- تثبت المصادر والمراجع في قائمة آخر البحث مرتبة ترتيباً هجائياً بحسب اسم المؤلف يليه الكتاب والمعلومات الأخرى.

١٣. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون على بحثه وفق التقارير المرسلة إليه، وموافاة المجلة بنسخة معدلة من البحث، وتقرير عن التعديلات التي قام بها.

١٤. يحرص الباحث على تدقيق بحثه لغويًّا، ولا تقبل المجلة بحوثًا غير مدققة لغويًّا.

ثالثاً: الشروط الإضافية على البحوث المترجمة:

١. أن ترفق مع الترجمة المادة المترجمة بلغتها الاصلية.

٢. يرفق مع الترجمة ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية أو الفرنسية، على ألا يتجاوز كل ملخص (١٢٠) كلمة، مع الكلمات المفتاحية.

٣. تكون المادة المترجمة محكمة، أو منشورة في إحدى المجلات المحكمة، أو قد تكون جزءًا من كتاب محكم.

٤. لا يتجاوز عدد صفحاتها / ٢٠ صفحة / من الحجم العادي (A٤) (٦٠٠٠ كلمة) ولا يقل عن / ٧ صفحات / .

٥. المحافظة على النص الأصيل وتفادي الاختزال ما لم يُشَرْ إلى ذلك وبهدف تحسين الترجمة.

٦. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة وتخدم المعنى المقصود في المادة الاصلية.

٧. يذكر في أول إحالة في الترجمة اسم المؤلف الأصلي مع نبذة عن إسهاماته.

٨. تشتمل الترجمة على مقدمة في سطور تبين الأهمية العلمية للمادة المترجمة، وأهم النتائج المتوقعة

رابعاً:

١. ما ينشر في المجلة من آراء يعبر عن فكر أصحابها، ولا يمثل رأي المجلة بالضرورة.

٢. البحوث المرسلة إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

٣. يخضع نشر البحوث وترتيبها لاعتبارات فنية، بحسب خطة النشر.

٤. يحق للمجلة – عند الضرورة – إجراء بعض التعديلات الشكلية على البحوث المقبولة للنشر دون المساس بمضمونها.

٥. يحق للمجلة نشر البحوث المقبولة إلكترونيا، والمشاركة بها في قواعد البيانات والمواقع الإلكترونية.

٦. يزود الباحث بعد نشر بحثه بنسخة إلكترونية (PDF) من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومستلة (PDF) لبحثه.

خامسًا: رسوم النشر:

- إسهامًا من مجلة جامعة الوصل في إثراء الحركة البحثية في دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل خاص، وكل الأقطار العربية والإسلامية بشكل عام، فإن المجلة لا تحمل الباحثين أية رسوم، إلا ما سبق الإشارة إليه في بند (٧) ثانياً.
- ترسل البحوث وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى:

رئيس تحرير مجلة جامعة الوصل
ص.ب. ٣٤٤١٤ دبـــي – دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٠٠٩٧١٤٤١٢٨٧١٧ – فاكس ٠٠٩٧١٤٣٩٦٤٣٨٨
أو البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير..... ١٩-٢٠

- **بحوث التخرج قيمةٌ مضافة**

المشرف العام..... ٢١-٢٢

- **البحوث**..... ٢٣

- **أثر الصوت في جلاء الصورة الشعرية**

د. محمود حسين أحمد الزهيري ٢٥-٦٤

- **بنيةُ التَّعريفِ الشكليّةِ والدلاليّةِ في النّصِ القاموسِيّ: جذر (س. ر. ر) في تاجِ العروسِ للزبيدي أنموذجًا**

أ. د. سرور اللحياني ٦٥-٩٤

- **الحدث في كتاب سيبويه - دراسة نحوية دلالية**

د. نياف بن رزقان بن هليل السلمي العنزي ٩٥-١٤٨

- **الزواحف والبرمائيات في القرآن الكريم - دراسة وصفية تحليلية**

أ.د. زياد علي دايح الفهداوي

أ. مُنِيْرَة حَيْدَرْ الزُّحَيْلِي ١٤٩-١٨٨

- **دور الوقف في علاج تحديات التعليم العام المتعلّقة بالتمويل - سّوريا نموذجًا**

أ. محمد أيمن زكريا بطحيش

أ. د. أحمد محمد الدّغشي ١٨٩-٢٥٠

- **العدول عن الأصل في أبنية اللغة العربية بين علم الصرف واللسانيات الحديثة الفعل الماضي المعتل نموذجًا**

د. منصور عقلة المنصور ٢٥١-٢٧٨

- **معَالِمُ منهجِ الإمامِ الفخر الرازيّ في أصولِ الفقهِ مِنْ خلالِ كتبِهِ**

د. علي بن محمد بن علي الشهري ٢٧٩-٣٥٤

- **منهجُ ابن دقيق العيد في مختلفِ الحديثِ في كتابِهِ «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» كتاب الصلاة نموذجًا**

د. محمد راغب جيطان

د. حسين عبد الحميد حسين النقيب ٣٥٥-٤٠٠

- **المِيثُولوجيا المصرية في الأعمال الرئيسة للروائية (جورج إليّوت)**

د. محمد مصطفى محمد عبد الرحمن ٤٠١-٤٤٠

- **إعادة بناء المناهج التعليمية في المؤسسات الأكاديمية العليا**

أ. خوله أحمد فوحان بجبوج ١٧-٤٤

الافتتاحية

أ.د. زياد علي دايح الفهداوي

رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين؛ سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه الطيبين، وبعد:

فإنّه يطيب لنا أن نُقدم للباحثين والمهتمين بالشأن الأكاديميّ والبحث العلميّ، العدد التاسع والستين، الذي يضم مجموعة من البحوث المتميّزة في مجالات معرفية مختلفة؛ منها ما يتبع اللغة العربية وآدابها أو الدراسات الإسلامية أو العلوم التربوية.

ومما يلاحظ أن مجلة جامعة الوصل تسعى لتصبح منبرًا علميًّا رائدًا ببيئة تنافسية عالمية، وبهذه المناسبة نزف للإخوة الباحثين المهتمين دخول المجلة معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية (أرسيف Arcif)، والذي يُشكل منعطفًا جديدًا في تاريخها. ومع هذا التحول تعمل إدارة المجلة على المحافظة على معايير الجودة والأصالة للأبحاث التي تنشرها، كما يُعد استمرار صدور المجلة العلمية المحكمة مؤشرًا على نجاحها وتأثيرها في المجتمع الأكاديميّ؛ لتقّدم إسهامات علمية قيّمة في مجال البحث العلمي؛ من خلال نشر المقالات العلمية التي تعالج قضايا الأمة لا سيما المعاصرة منها؛ لنشر المعرفة وتوسيع الأفق الأكاديميّ، برؤية جديدة وأسلوب متطور، وتعد رافدًا لحركة البحث العلمي والدراسات العلمية.

ويحتضنُ هذا العدد عشرة أبحاث رصينة في العلوم الإنسانية المختلفة كما يأتي:

البحث الأول: أثر الصوت في جلاء الصورة الشعرية، وقد جاء هذا البحث إسهامًا علميًّا في التركيز على الأثر الصوتيّ في إبراز الصورة وجلائها، فلوحظ أن الصوت وجرس الحروف أظهر الصورة زاهية.

البحث الثاني: بنيةُ التَّعريفِ الشكليّةِ في النّص القاموسيّ: جذر (س.ر.ر) في تاج العروس للزبيدي أنموذجًا. وقد وضَّحت الدراسة أن بنية التعريف اللغوية في القاموس اللغوي العام بنية لسانية منتظمة مرتبة خطيًّا، ومتقاربة كميًّا من مدخل إلى آخر.

البحث الثالث: الحدث في كتاب سيبويه دراسة نحوية دلالية، وتبرز أهمية البحث في استجلاء مفهوم الحدث عند سيبويه بوصفه ظاهرة تفسيرية مهمة لتفسير كثير من الظواهر التي تنتمي إلى مستويات مختلفة نحوية، ومعجمية، وتركيبية.

البحث الرابع: الزواحف والبرمائيات التي ذُكرت في القرآن الكريم دراسة وصفية تحليلية، وتهدف الدراسة إلى التعرف على ماهيتها، وأوصافها، وأهم الأحكام المتعلقة فيها، وأثرها في التوازن البيئي.

البحث الخامس: دور الوقف في علاج تحديات التعليم العام المتعلقة بالتمويل (سوريا نموذجًا)، بينت الدراسة معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام، ومجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام، ووسائل تعزيز دور الوقف على التعليم العام.

البحث السادس: العدول عن الأصل في أبنية اللغة العربية بين علم الصرف واللسانيات الحديثة- الفعل الماضي المعتل نموذجًا، وقد تناولت هذه الدراسة قضية الأصول الصرفية المفترضة للبنى اللغوية المُعلة، وآلية العدول عنها إلى صيغها المنطوقة بالفعل، وأسباب هذا العدول وطرائقه والقوانين الناظمة له.

البحث السابع: معالم منهج الإمام الفخر الرازيّ في أصول الفقه من خلال كتبه، وسعت الدراسة للإجابة عن عدة تساؤلات مفادها: هل كان للإمام الفخر الرازي إطار منهجيٌّ ثابت؟ وما الأطر النظرية الأصولية التي ينطلق منها الفخر الرازي؟ وما مدى تأثيرها على الدرس الأصولي عنده؟ وهل كان للإمام الفخر الرازي منهج مستقل في الدرس الأصولي.

البحث الثامن: منهج ابن دقيق العيد في مختلف الحديث في كتابه (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام) كتاب الصلاة نموذجًا، وجاءت الدراسة لبيان طريقته في حل الاختلاف الواقع بين الأحاديث وتحديدًا في (كتاب الصلاة)، وتمثلت في استخدام ابن دقيق مسلك الجمع في حل الاختلافِ في تسع عشرة مسألة، ومسلك الترجيح في أربع مسائل.

البحث التاسع: الميثولوجيا المصرية في الأعمال الرئيسة للروائية (جورج إليّوت)، وتهدف الدراسة إلى تتبع استخدام (جورج إليّوت) للأساطير المصرية في أعمالها الرئيسة، موضحة كيف أنها استُخدمت لتلعب دورًا مهمًّا في كتابة الخيال الواقعي.

البحث العاشر: إعادة بناء المناهج التعليمية في المؤسسات الأكاديمية العليا، وتهدف هذه الورقة البحثية لعرض قضايا أساسية أولية للحاجة إلى مناقشة بعض النظريات المتمحورة حوله أدوات تقنيات التعليم فيما يخص طرح اليات وطرق التواصل التعليمية من التعلم التقليدي إلى التعلم الافتراضي في مؤسسات التعليم العالي.

وتتقدَّم المجلة بأزكى آيات الشكر والتقدير للسادة الباحثين الذين أثروا المجلة ببحوثهم وللسادة العلماء الذين حكموا ودققوا بحوث العدد، ووجهوها توجيها سديدًا يتلاءم والمكانة العلمية لجامعة الوصل بوصفها واحدةً من أقدم روافد العلم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

بحوث التخرج قيمةٌ مضافة

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن

نؤمن في جامعة الوصل بأنّ البحث العلميّ يمثّل ركيزةً أساسية من ركائز التعليم العالي، لأنّه من الإنجاز ات العلمية التي تعتمدُ على استخدام الأسس المنهجية الرصينة، المؤدية إلى اكتشافِ الظواهر ودراستها، والتصدّي للمشكلات والتحديات، ومحاولة الوصول إلى فهم الحقائق، سعيًا إلى إنتاج معرفة جديدة، تقود إلى التطوير نحو الأفضل، بقصد الإسهام في بناء مقومات التنمية الوطنية وخدمة الإنسانية بشكل عام.

غير أنّ الإنجاز ات البحثية والعلمية ظلت في أوقات كثيرة وأماكن متعددة مقتصرةً على مراحل الدراسات العليا؛ الماجستير، والدكتوراه، وما يلحق بهما، على اعتبار أنّ هذه المراحل هي المسؤولة عن البحث العلمي بأشكاله المختلفة.

لقد أصبحنا اليوم في حاجة إلى إعادة النظر في المراحل التقليدية، التي كان يجري بها البحث العلمي، بعد أنْ غدت بحوث التخرج مساقا مُدرجًا في الخطط الدراسية لكثير من البرامج التعليمية الجديدة، التي هدفت إلى تطوير مخرجات التعلم، لتتواءم مع المنظومة الوطنية للمعايير، وذلك بأنْ نتقدم به خطوة إلى الأمام، من خلال بربطه بمرحلة البكالوريوس، التي يعدّ الطلبة في السنة الرابعة منها بحوث التخرج، وهم في مرحلة الشباب، بعد أنْ يكونوا قد تعرَّفوا على منهجية البحث، ونالوا التدريبَ على عمل التقارير البحثية القصيرة، التي قاموا بإعدادها في السنوات الثلاث الأولى من هذه المرحلة.

غير أننا لا نريد من بحوث التخرج أنْ تكون مجرّد مساقات تُدَرَّس ويجب إكمالها، باعتبارها من متطلبات التخرج في مرحلة البكالوريوس، وإنّما نوَدُّ أنْ تكون الخطوةَ الأولى في مجال البحث العلمي، كي نضمن للعملية التعليمية قيمةً مضافة لم تكن محسوبة من قبل.

إنّ فوائد الاهتمام ببحوث التخرج كثيرة ومتنوعة، منها تزويد الطلبة بالمعارف والمهارات اللازمة لمواكبة متطلبات سوق العمل من ناحية، ولسدِّ الفجوة بين ما هو أكاديمي وما هو عملي من ناحة أخرى، فعن طريقها يتعرّف الطلبة على مصادر معلومات جديدة، لم يتعرضوا لها في أثناء دراستهم خلال السنوات الثلاث الأولى، كما أنها تفتح أمامهم طُرقًا لمواجهةِ المشكلات البحثية، يتعلمون منها ما يمكن أنْ يساعدهم في إيجاد حلولٍ للتحديات التي تواجههم، حتى في حياتهم الشخصية أو العملية، فضلا عن تعزيز ثقافتهم العلمية، وثقتهم بأنفسهم، وإعدادهم لمرحلة الدراسات العليا، وتزويدهم بالخبرات الضرورية، ليواكبوا التطورات في مجال تخصصهم، وتنمّي هذه البحوث قدراتهم على التفكير الناقد،

ومهاراتهم التحليلية، وتُسهم في تطوير المعرفة من خلال إنتاجهم البحثي.

وهنا يبرز الدور الرائد للخبير الذي يكلِّفه البرنامج التعليمي بالإشراف على بحوث التخرج لمجموعة من الطلبة، إذ ليستْ مهمته أنْ يتسلّم البحوث في نهاية الفصل الدراسي فحسب، وإنّما عليه أنْ يلتقي بالطلبة المحالين إليه، ويتعرَّف على ميولهم البحثية، وأن يجتمع بهم في لقاءات دورية، فيقوم معهم بمراجعةِ منهجيات البحث العلمي ، وشروطه، وإجراءاته، ثم يُحوِّل هذه اللقاءات إلى جلساتٍ علمية نقاشية، يستثير خلالها الطلبة؛ ليستخرجَ ما عندهم من آراء، وما في أنفسهم من تساؤلات حول الظواهر المدروسة، وما في عقولهم من حلولٍ للتحديات المطروحة، بالإضافة إلى توعيتهم بضرورة الالتزام الكامل بالنزاهة العملية عند كتابة بحوثهم.

ومن الناحية الإجرائية فإنّ على إدارة البرنامج و الكلية أو الجامعة أنْ تعمل على تطوير لائحة بحوث التخرج ونُظُم تقويمها، وتوضّح كيفيةَ تسجيل هذه البحوث، وجلسات الإشراف، وآلية التعامل مع الطلبة ذوي البحوث المتميزة، بإجراء مناقشات علنية لهم، ونشر إصداراتهم البحثية في مجلات الجامعة، أو في مجلاتٍ أخرى رصينة، وتشجيعهم على المشاركة في المؤتمرات العلمية المتخصصة، وذلك في إطار عمليات التطوير الشامل للبرامج التعليمية؛ حتى نضمن تكاملَها الرأسي والأفقي،

ومن المفيد هنا أن نشير إلى بعض الإحصائيات الحديثة التي اعتنت ببحوث التخرج، فوَفقًا لبعضها، أنّ ٨٥٪ من الطلاب يجدون أنّ بحوث التخرج تُعزِّز مهاراتهم الأكاديمية والمهنية، وأظهرت إحدى الدراسات أنّ ٧٠٪ من الطلاب يرون أنّ البحوث التي يقومون بها تساعدهم في الحصول على فُرصِ عمل أفضل، وفي أخرى ٦٠٪ من الطلاب يواجهون تحدِّياتٍ كبيرة في جمْع البيانات وتحليلها، لكنّ بحوثهم تساعدهم على التغلب على تلك التحديات، وتشير إحصائيةٌ إلى إنّ ٩٠٪ من الطلبة المتخرِّجين يرون أنّ تجربةَ كتابة بحوث التخرج كانت مفيدةً للغاية.

إننا بهذا المنظور نسعَى إلى أن نرتقي ببحوث التخرج لدى طلبة البكالوريوس، ليغدوَ كلُّ واحدٍ منهم مُفكِّرًا، ومُبتكرًا، يتحلّى بالمهارات الضرورية اللازمة، التي تسهم في تكوينه العلمي والشخصي قبل الولوج إلى سوق العمل، وبذا نكون قد توَّجْنا العمليةَ التعليمية بقيمةٍ مضافة يصل نفعُها مباشرة للمجتمع الإماراتي، والعربي والإنساني.

البحـوث

أثر الصوت في جلاء الصورة الشعرية

The Effect of Sound in Showing the Poetic Image

د. محمود حسين أحمد الزهيري
جامعة العلوم الإسلامية العالمية – المملكة الأردنية الهاشمية

Dr. Mahmoud Hussein Ahmad Alzuheiri
The World Islamic Sciences and Education University
Hashemite Kingdom of Jordan

https: //doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.01

تاريخ تسلم البحث 2020/10/06 - وصدر خطاب القبول 2024/11/08

ملخص البحث

تحمل اللغة في ألفاظها أصواتًا معبرة عن أفكار وأغراض، وظفها الشعراء لجلاء صورهم الشعرية وإبراز ما لم تصل إليه اللغة بمعانيها القاموسية، فهدف البحث الكشف عن هذه الآثار في الشعر القديم، من الجاهلية إلى العصر العباسي، للإجابة عن: هل للصوت تأثير في المعنى؟ وهل عجز المعنى القاموسي عن إيصال الفكرة فوضحها الصوت؟ عرضت للبحث إشكالية الدراسات السابقة؛ إذ لم يفرد للموضوع بحث مستقل أو مصنف، استطاع البحث تجاوز هذه المشكلة بأن التقطها من بين لفتات متعددة في كتب الأدب واتخذ الشواهد الشعرية دليلًا على نظريته هل للصوت أثر تجاوز به المعنى وتفوق عليه، جاء هذا البحث إسهامًا علميًا في التركيز على الأثر الصوتي في إبراز الصورة وجلائها، فلحظ أن الصوت وجرس الحروف أظهر الصورة زاهية، بل إن الشاعر ليحشد أصواتًا محددة لتنوب عن كثير من المعاني، فجاءت الصورة أكثر إمتاعًا من غيرها.

الكلمات المفتاحية: أثر / الصوت / الجرس / الصورة / أصواتًا / الشعرية

Abstract

A language includes inspiring sounds in its expressions that contain ideas and aims, which have been employed by poets in order to clarify their poetic images and highlight what the language has not reached with its lexical meanings. The present paper aims at exploring such traces of the historical poetry, from Al-Jahiliya (Pre-Islamic period) to the Abbasid Era.This is to answer the questions: Does the sound have an effect on the meaning? And did the lexical meaning fail to convey the idea, therefore, the sound explained it? The study presented the research problem of literature review. It was found that there is no independent or classified research devoted to the topic. The researcher was able to overcome this problem by picking it from among various references in literature books and taking poetic evidence as evidence for his assumption, whether the sound has an effect that transcends the meaning and surpasses it. This research came as a scientific contribution to focus on the sound effect, in highlighting and clearing the image.It has been noticed that the sound and the rhythm of the letters showed the bright picture, and more, the poet mobilized specific sounds to represent many meanings, therefore, the picture was more interesting than others.

Keywords: Rhythm effect, Sound, Picture poetic sounds.

المقدمة

يتخذ هذا البحث طريقًا للكشف عن أهمية الصوت في رسم الصورة، وإتمام ألوانها وبعدها الحركي، إذ تكمن أهمية الصورة في جرس الحرف وصوت اللفظة أنه يعطي اللوحة بعدًا جديدًا بأفقه الصوتي، فيجعل المتلقي تحت سلطان النص وسطوته، فلولا الصوت ونبره لغمض كثير من الأبعاد في التواصل بين المتلقين.

ويستطيع المتحدث أن يجلل المتلقين بإيقاع مؤثر ليوصل إليهم ما يريد من أفكار، ولعل الشاعر وظف بعض الألفاظ والإيقاع لنقل الحدث كاملا بصورته وصوته مع ما يصحب ذلك من عنصر التطريب والإمتاع الصوتي كجزء من التأثير والسيطرة على أفكارهم وفهمهم، فيلون في مفرداته، ويختار ألفاظًا لها جرس مستفز أو مزعج أو مطرب لأجل هدف قصد من ورائه بعدًا نفسيًا موحيًا.

سلط هذا البحث الضوء على أهمية الصوت في إبراز الصورة مكتملة الأركان والأبعاد كما رسمها المنتج، فاتخذت شواهد الشعر القديم، وخلص إلى أن الصوت من العناصر المهمة في الصورة وآفاقها وتبلورها.

وينفتح النص على مفاجآت عديدة من صور ولوحات بألوانها وآفاقها وأبعادها، فكان الصوت أو الحركة أحد أهم أركانها، وكان من أهداف البحث الوقوف على أهمية الصورة الصوتية وأبعادها، وإبراز أهمية الصوت فاتخذ منهجًا وصفيًا تحليليًا، فليس من هدف البحث الوقوف على الأصوات وصفاتها ومخارجها وجرسها في اللغة إلا بالقدر الذي يخدم البحث.

ويمكننا تلمس أهمية صوت الحرف ودوره في إحياء المعنى وبث الحيوية والنشاط في الصورة؛ فهل أدت غرضها أم إنها جاءت اعتباطية؟ هل كان للصوت دور بارز في جلاء الصورة ركز عليه الشاعر؟

أثر الصوت في إظهار الصورة الشعرية

ينفتح الشاعر في ألفاظه على لغة لها أصواتها وحروفها التي تحمل صفات تساند المعنى وتوحي إليه في الوقت نفسه، فيكوِّن من تراكم الألفاظ والحروف بمجموعة من الأصوات تناسقًا مع الصورة، تبث فيها حياة وروحًا تتقافز بين جوانبها مؤدية غرضًا تصويريًا، يتراءى أمام المتلقين كأنهم يشهدونها بأعينهم حسًّا لا معنى، فاللغة في حدها الأول؛ مجموعة من الأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[١]، لذا تكمن فنية الشاعر ومهارته في توظيف ألفاظ تخدم صورته المبتغاة؛ كي تقترب غاية الاقتراب من المتلقين، مداعبة أحاسيسهم مستثيرة عواطفهم ووجدانهم.

فإذا التقى الصوت مع الصورة، وحرك جوانبها، فإنها تُرى بالعين متخيلة غير مقتصرة على الأذن، فالصورة الشعرية يرافقها الخيال، ويتحد معها في أحيان كثيرة، لأن «الخيال الإبداعي والصورة الشعرية تتضايفان، يتجلى كل منهما في الآخر، على نحو يسمح بتبادل دوري للجمل في سياق العلاقة بين الفعل والانفعال... ويتيح لنا هذا الوضع أن نتمثل الصور مطابقة للخيال»[٢].

جاءت هذه الدراسة نظرًا لأن أحدًا من الباحثين لم يخصص لأثر الصوت دراسة مستقلة إلا لفتات يسيرة كدراسة د. إبراهيم خليل، الصوت المنفرد، لكنه لم يخصصه للصوت والجرس في الحروف وأثرها في المعنى، بل كانت دراسة نقدية عن كيف يفهم النص ويقترب من المتلقي شعرًا أو نثرًا، ودراسة أحمد الخطيب، الشعرية المتحركة، نلمس فيها لفتات قصيرة جدًا عن الصوت وبعض

١- ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط(٤)، ص٣٤.

٢- نصر: عاطف جودة، الخيال مفهومه ووظائفه، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط(١)، ١٩٩٨م، ص٣٤٣.

أثره في المعنى، و د. الرباعي، في جماليات المعنى الشعري، أورد بعض النظرات اليسيرة حول الإيقاع والمعنى، غير أنها كانت قصيرة وغير مستقلة، أو مخصصة في أثر الصوت في المعنى، وعطف د. محمد مفتاح في تحليل الخطاب الشعري على لفتات صوتية إيقاعية، لكنه لم يخصص كتابه لأثر الصوت في الصورة، والصائغ في الصورة الفنية معيارًا نقديًا، تحدث عن تداعي الحروف وأصواتها لكنها لم تكن دراسة مستقلة وفق شواهد كهذه الدراسة.

وإبراهيم أنيس في كتابيه: موسيقى الشعر، ودلالة الألفاظ، تناول أثر الصوت والإيقاع والنبر والتنغيم، لكنه لم يعرج على أثر الصوت والصورة بنحو محدد وشواهد، ودراسة تمام حسان في كتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، تناول بعض الظواهر الصوتية، والأصوات، والنواحي الصرفية والنحوية ودلالة الصوت فيها، ولم تكن خاصة بالصورة الشعرية الصوتية، على أن البحث أفاد من تلك الدراسات، واتكأ على بعض جوانبها.

آثرت هذه الدراسة أن تبرز أثر الصوت في المعنى، فلحظت أن الصورة التي يكتنفها الصوت وجرس الحروف أكثر إمتاعًا، وأشد وضوحًا وجلاء من غيرها، حتى إنه يمكننا القول إن الصورة التي رافقها الصوت وأثر فيها تنبض بالحيوية والنشاط.

توظيف الألفاظ والحروف لجلاء الصورة:

اتخذت هذه الدراسة الشواهد الشعرية من الجاهلية إلى العصر العباسي دليلاً مؤثرًا على ما تصبو إليه وتطمح في إبرازه!

يحرص الشاعر كل الحرص أن تكون صورته قريبة أثيرة لدى المتلقين، فيتمم أجزاءها ويشكل ألوانها ويناسق بينها، فإذا تم له ذلك نظر إلى الألفاظ كيف يوظفها؛

لتؤول صوتًا حركيًا نابعًا من حركة الأبعاد في الصورة، ليأخذ كل صوت حقه في توظيف الألفاظ، وحين تكتمل تلك الأجزاء يلقي بها إلى المستمعين فيدهشهم، ويرى أثر المفاجأة على جباههم، فما الذي حمل عنترة إذًا على قوله[١]:

بَرَكتْ على ماءِ الرِّداع كأنّما بركَتْ على قَصَبٍ أَجشّ مُهضَّم

إلا أنه أراد نقل الصورة بصوتها الحقيقي فوظف تلك الألفاظ: بركت، قصب، أجش، مهضم، فحكاية الصوت تلمح من الصورة مؤدية غرضًا تصويريًا، فالصوت المسموع من الألفاظ تلك يخيل للمتلقي أنه يراها، وزيادة على ذلك يسمع صوت بروكها على ذلك القصب، والموضع الذي نضب ماؤه وجفّ أعلاه وعلته قشرة[٢]، لذا يسمع لها صوتًا إذا وطء كصوت القاف مع الصاد والباء، فإذا بركت واستقرت عليه أصدر صوتًا أشبه بصوت الجيم مع الشين تسبقها الهمزة، إن الشاعر لا يريد أن يرينا بروك الناقة فحسب، بل صوت بروكها والضجيج المنبعث من جراء ذلك، ظنًا بالمتلقي أن سيرى ما يرى الشاعر؛ اتحادًا بالرؤية والسمع جمعًا بينها.

إن الصوت الصادر من بروك الناقة أتم جزئيتها ولملم جوانبها ببعض ألفاظ، إذ إن صورة الناقة ماثلة في خيال كل متلقٍ للخطاب وعقله، فلا أحد يجهل صورتها وهيئتها، على حين أن بروكها كذلك قريب من التصور الذهني لدى المتلقين، لكن الصوت الصادر منه هو ما يكاد يغفل، ولا يلتفت إليه حتى نابت ألفاظه عنه، فأصبح المتلقي في مشهد حي من الحركة والصورة معًا، ولولا تردد صدى الصوت لبقيت الصورة ناقصة إن لم تكن ميتة لا يعلمها أحد قط.

١- القرشي: أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: على محمد البجاوي، ص٣٥٩.

٢- ينظر: جمهرة أشعار العرب، ص٣٥٩ الحاشية، وانظر تعليق المبرد في الكامل على الصوت في وصف الناقة حين بركت، وذكر حنينها وصوتها الشجي، المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢ / ٩٧.

إن دلالة الصوت على المعنى المراد، أو الهيئة التي يريدها المتكلم ذكرها السابقون واعتنوا بها لأثرها في المتلقي في إيصال الفكرة» وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله... وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته»[1]، وكأن الشاعر يجنح إلى اختيار الألفاظ التي ينبعث منها صوت يشبه صوت الفعل نفسه رغبة منه في تزيين كلامه، فيجد في ذلك متعة نفسية وهو يلقي بها إلى الناس، يريد بذلك أن يبقى أثرها يتردد وصداها يعلو ويهبط في تلقف الناقلين لها من زمن إلى آخر، فعندما يحس المنتج أن الصورة ربما داخلها شيء من الفتور، أو تشبع عقل المتلقي، فإن ألفاظها تؤدي غرضها وتثير عواطفه، ففي قول النابغة[2]:

مُجَرَّسٍ وَحِدٍ جَأْبٍ أَطاعَ له نباتُ غَيْثٍ من الوسْميِّ مِبْكار

وظّف الألفاظ حكاية لصوتها ليعطي الصورة بعدها ودلالتها كي تبقى كلما ذكر البيت عادت بالمشهد حافلًا بمجرياته الآن، فعمد الشاعر إلى لفظ مجرّس، بما في الراء من تكرار، وفي السين من همس وصفير، وكأنه أراد أن يرينا ثور الوحش، وهو يصوت مرة بعد مرة، بصوت فيه شحوبة حين كان وحيدًا، وشدد الراء على ما فيها من تكرير ليعطي الصورة بعدًا صوتيًا عاليًا، كيف تصرف هذا الثور حين أفرد عن القطيع، مما يثير نوعًا من الترقب والخوف، فناسب بحة في صوته ليكون أبلغ في تصور ذهني لدى المتلقي، فكلما ذكرت وقرئت كان الصوت يتردد عبر مسافات من الزمن، فبُعد الصوت نابع من حكاية حرفه وجرسه يظلل الصورة ويكسوها رونقًا مثيرًا، ويبث فيها الحياة والنشاط.

إن حكاية الصوت خير معين للمنتج في نقل الصورة كاملة الأجزاء، متدفقة بالحركة التصويرية حافلة بالمشهد، فما إن يلقيها حتى تلامس آذان المتلقين، فتنقلهم

١- الخصائص، ٢ / ٣٧٣.
٢- جمهرة أشعار العرب، ص١٩١.

إلى الحدث بأبعاده المتلونة المتعددة «فالتراكم الصوتي يكون اختياريًا في بعض الأحيان، وحينئذٍ فإنه نوع من اللعب اللغوي، وقد يكون اضطراريًا تحتمه طبيعة اللغة نفسها المحدودة الإمكانات»[١]، لكن الشاعر أو المنتج يعمد أحيانًا كثيرة إلى توظيف ألفاظ لها قرب ومساس بالصوت الذي يجري عليه صورته، فالأعشى ينقل صورة طريفة في قوله[٢]:

وقد غَدَوْتُ إلى الحانوتِ يَتْبَعُني شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

فتراكم الصورة يوحي بالحدث ويبرز الصورة، فالتراكم في الأصوات لم يكن لعبًا من الأعشى، ولم يكن حتمية لغوية كذلك، إنما هدف منه تماشيًا انسيابيًا مع الصورة يلاحقها الصوت، إذ إنه ذكر في البداية أنه يغدو، والغدو الذهاب فالصورة في أصلها متحركة، فلا بد للحركة من صوت يتبعها، أما الشاوي الذي يشوي اللحم، والمشل المستحث الجيد السوق يشل اللحم في السفود، والشلول الذي يأخذ اللحم من القدر أو مثل المشل، والشلشل خفيف اليد في العمل والحركة، والشول الذي عادته كذلك بمعنى اعتاد العمل، أو الذي يحمل الشيء[٣]، فالصورة حافلة بالحركة والنشاط، لكن الشاعر لم يردها لذاتها فهي مفهومة من جراء تركيزه على الذهاب إلى الحانوت الذي فيه خمر وشواء وغيره، بل عمد إلى إضفاء الصوت المنبعث من شواء اللحم وطشطشته حين يوضع على النار، فتلمح أنه وظف حرف الشين في خمسة ألفاظ متوالية متتابعة لما فيه من تفشي وانتشار[٤]، وحين رأى الحانوت وما فيه من شواء يسمع منه صوت للحم

١- مفتاح: محمد، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط(٤)، ٢٠٠٥م، ص٢٥.
٢- الشنقيطي: أحمد بن الأمين، شرح المعلقات العشر، تحقيق: أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، ط(١)، ٢٠٠٧م، ص١٨٢.
٣- انظر شرح الشنقيطي نفسه، ص١٨٣.
٤- الحمد: غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، ط(١)، ١٤٢٥-٢٠٠٤م، ص١٣٠.

وهو يعلق على النار، ومن ثم تنبعث منه صورة الدخان، وحركة العاملين روحة وجيئة متوالية متتابعة، حينها ينظر إلى الصورة كأنها رأي العين، وليست قابعة في ألفاظ مجردة جامدة.

ففي نبر شلْشل مقطعين ما يوحي بدقة العمل والحرفة في الصنعة، فنبر الكلمة يغير الدلالة باختلاف موقعه من الكلمة[١]، بينما شدد اللام مركزًا على لفظها وصوتها لتؤدي وظيفة الحركة مع الصوت؛ كيف يشل اللحم على السفود، واستخدم في الشطر الأول ألفاظًا تحوي امتدادًا في المقطع الكلامي، فنهاية كلمة سابقة إلى بداية كلمة لاحقة حسب مطالب السياق[٢]، فالغدو، الحانوت، يتبعني، وحرف الجر» إلى» تحمل امتدادًا صوتيًا وتريثًا في الأداء، لأنه استغرق مدة من الزمان ووقتًا في الغدو إلى أن وصل الحانوت! غير أنها في الشطر الثاني خلت منه تمامًا، ما يؤكد تركيزه على الصوت لجلاء الصورة من جراء صوتها المنبعث.

يقف الشاعر في تصويره على ألفاظ محددة، يُظن أنه عناها حكاية صوتية مؤدية غرضه، مشبعة رسمه لمراده، فحين عرض الجاحظ للشعر وأهمية الصورة، جعل الشعر صناعة ونسجًا وتصويرًا[٣]، فعندما صور كعب بن زهير أرجل ناقته تطأ الأرض في حركة متتالية وظف الصوت، فقال: [٤]

تَخْدِي على يَسَراتٍ وهي لاحقةٌ ذَوابِلٌ وقْعُهنَّ الأرْضَ تحْليلُ

سُمْرُ العُجَاياتِ يتْرُكْنَ الحَصَا زِيما ولا يَقِيها رُءوسَ الأَكْمِ تَنْعيلُ

إن الشاعر لم تشغله حركة القوائم بقدر ما شغله صوت وطئها الأرض، وما

١- أنيس: إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط(٣)، ١٩٧٦م، ص٤٦.
٢- حسان: تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م، ص٣٠٥.
٣- ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ت: عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط(١٩٦٩)، ٣/ ١٣١- ١٣٢.
٤- جمهرة أشعار العرب، ص٦٣٦.

يصدر منه من صوت يصحب الحركة ويثير السمع «فهناك جمالات مخبوءة لا تنكشف إلا لمن يترجمها إلى أصوات، فالأصوات تمنح الكلمات حياة جديدة، يغلفها صوت القارئ بشيء من النور، يجعلها أوضح للنظر»[١]، فسرعة الناقة، وصلابة قوائمها التي لاتكاد تمس الأرض من شدة تلاحق قوائمها في السير لم يكن شيئًا مدهشًا بقدر توظيف صوت الألفاظ في البيت الثاني، ليركز الصورة على صوت الحصى المتفتت من جراء وطء الناقة، لها فتلمح في جملة:»يتركن الحصا زيما» صوت وطءِ الأرض وزعيق الحصى من تحت قوائم الناقة، وهي أشبه ما تكون بنقل الحركة معَ صوتها متلاحقًا يتبع بعضه أثر بعض، لتتراءى الصورة والصوت معًا تلازمًا في الأداء، فلفظ يتركن؛ يسمع منه صوت الوطء أول ما تضرب بقوائمها الأرض، حينها يتفتت الحصا، فما أن تعتمد على القوائم لتنتقل إلى خطوة تابعة وقد تفتت الحصى، فإنه من تلامسه مع بعضه ينبعث صوت يشبه صوت الصاد مع الزاي، ويظللها صوت الميم ختامًا، فحكاية الصوت بعثت حيوية وحياة في الألفاظ نشطة لتؤدي غرضًا تصويريًا جليًا، فالشعر» لا يحقق موسيقية بالإيقاع العام من حيث البحر والقافية، بل يحققها بالإيقاع الخاص لكل كلمة؛ أي لكل وحدة لغوية لا تفعيلة عروضية للبيت، والثاني بالجرس الخاص لكل حرف هجائي وتوالي هذه الحروف في الكلمات»[٢].

كأن الشاعر يثير كوامن نفسه الصوت الصادر من وطء الأرض والحصا، ويحرك في نفسه ذلك الصوت شيئًا من أبعاد تلاطم الحياة ببعضها وضجيجها، فحين يخلو في الصحراء والهدوء، ويسمع ذلك الصوت من بين جوانب أرجل الناقة، أو الفرس، فإنه يدهشه، فيصر على تسجيله وتأكيده بجرس الحروف

١- فريس، إيمانويل، قضايا أدبية، آفاق جديدة في نظرية الأدب، ترجمة: لطيف زيتوني، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢٤- ٢٠٠٤، ص١٦٨.

٢- النويهي: محمد، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١ / ٣٩.

وتناسق الألفاظ، فيقول زياد بن حمل بن سعد بن حريث: [1]

فيفْزَعون إلى جُـرْدٍ مُسوَّمةٍ أفنى دوابرهُنَّ الرَّكْضُ والأكَمُ

يَرْضَخْنَ صُمَّ الحَصافي كلِّ هاجِرَةٍ كما تطايَحَ عَنْ مِرْضاخِهِ العَجَمُ

فصورة القوم حين يلجؤون إلى الجرد؛ والخيل قصيرة الشعر المعلمة، وقد أفنت حوافرها الآكام وركض الفوارس عليها[2]، كان على الشاعر أن يستوعب الصورة كاملة في البيت الثاني، ليعطي الحرف فرصة في الإبانة عن صوته ليتمم الصورة ويسجل الحدث كاملًا، فركز على لفظ الرضخ بصيغه، ومن ثم على صم الحصا، ثم كيف تطايح وتطاير من شدة وقع حوافر الفرس «فالحرف كوحدة نغمية قادرة على توليد صورة يحاكي بها الطبيعة في هيئة من هيئاتها»[3]، ولولا أنه صوب نظره وسمعه نحو الحدث فامتزجا؛ لبدت الصورة باهتة لا حركة فيها ولا حرارة، ففعل جرس الحرف ألقى بظلاله على الحدث فبرزت الصورة في أبعادها زاهية!

ويتخذ المرقش الأكبر من أصوات الحروف أجراسًا تقرع، حين يخيم الليل بهدوئه ويسمع فيه صوت البوم، فيقول[4]:

تركْتُ بها ليلًا طَويلًا ومنْزِلًا ومَوْقَدَ نارٍ لم ترُمْهُ القَوابِسُ

وتَسْمَعُ تَزْقاءً مِنَ البُوم حَوْلنا كما ضُربتْ بعدَ الهُدُوءِ النَّواقِسُ

إن جرس الحروف في لفظ تزقاء نابت عن صوتها المزمر؛ كأنه صوت نواقيس وأجراس خدم الصورة، ليصفيه من كل صوت آخر، ويختاره على من سواه

١- أبو تمام: حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، شرح التبريزي، دار القلم، بيروت، ط(١)، ٢ / ١٦٠.
٢- ينظر: السابق شرح التبريزي، ٢ / ١٦٠.
٣- الصائغ، عبدالإله، الصورة الفنية معيارًا نقديًا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط(١)، ١٩٨٧، ص٤٣٠.
٤- الضبي: المفضل بن محمد، المفضليات، ت: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط(٦)، بيروت، ص٢٢٥.

في هدوء سبقه ليل طويل، تركه وترك الموقد الذي لم يشاركه فيه أحد، ليجد أمامه صوت البوم يدوي في جنبات الوادي كأنه مثل صلصلة الأجراس، فالمشبه والمشبه به أعطت الصورة بعدًا حركيًا مجلجلًا بينهما، يجد المتلقي أثره حينما يقرأ البيت ويتصور الموقف، إضافة لما في الزاي مع القاف من دلالة صوتية، زعيق أو زمر، أيقظت في ذهن المتلقي صورة ما[١]، ليجد نفسه قريبًا من الدلالة الحقيقية للمعنى[٢]

ويكاد الشنفرى أن يجعل صوت الألفاظ والحروف تحكي تجربته الإنسانية التي عايشها منذ أن اتخذ العنف والثأر طريقًا للانتقام ممن قتلهم، فلا يكاد يطرب لشيء؛ طربه لصوت الثكلى المفزوعة من النساء حين يقتل لها عزيز، فيشبِّه صوت القوس بصوتها، فيقول[٣]:

هَتوفٍ من المُلْسِ الحِسان يَزينُها رَصائعُ قد نيطَتْ علَيْها ومِحْمَلُ

إذا زلَّ عنْها السَّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها مُـــرَزَّأة ثكْـلى تَـــرِنُّ وتُـعْـوِلُ

حكاية الصوت تصور السهم قد ركب في كبد القوس مشدودة لأقصى غاية ليصيب هدفًا، وقد زينت ورصعت في محملها، لكن الذي يشغل الصورة تلك الجزئية؛ تشبيه صوت انطلاق السهم بعد جذبه بشدة، بصوت المرأة الثكلى في الشطر الثاني من البيت الثاني، ولا يظن في أي متلق أنه يجهل صورة السهم في كبد القوس! غير أن صوتها هو الجزئية التي تحكي تجربة الشاعر النفسية الإنسانية، فما الذي حمله أن يختار من بين كل الصور؛ صورة المرأة الثكلى وهي تنوح وتعول فَقْد عزيز عليها، إلا ذلك الصوت المنبعث منها حين يغشى القوم،

١- ينظر: دلالة الألفاظ، ص٧٨.
٢- ينظر السابق، ص ٨٠.
٣- القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم: كتاب ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣/ ٢٠٤.

فيقتل منهم ويسلب ويولي مدبرًا راجعًا وقد ملأ أذنه أصوات العويل والبكاء والنياح! ليس هذا فحسب، بل إن الصوت المنبعث من القوس والوتر؛ أقوى وصف وصف به قوسه ومدحه بها، لأنه يمثل تجربة عايشها منذ زمن، فانطبعت في نفسه وعقله، وربما أطربت أذنه حين يشعر بنشوة الثأر والانتقام.

فمرزّأة، وثكلى، وترن، وتعول، حملت طاقة صوتية تصويرية بالغة تحاكي الصوت الصادر من القوس والوتر حين يشدّ بقوّة وتريّث، فحين وظف صوت الزاي المشددة مع صفيرها، ووليتها الهمزة وسبقتها الراء بصفة التكرير، فإنه يحكي صوت القوس والسهم والوتر حين يجذب إلى أقصى غاية استعداداً للانطلاق، على ما في معناها القاموسي من معنى يثير من جنباتها بعداً عميقاً في محاكاة الصورة مع معناها، والتي ترجع كلها إلى معنى النقص والمصيبة بالموت والمال وغيره[1]، «ذلك أن كل كلمة تشتمل على طاقة إيحائية لا تكشف سرها سوى السياقات المقامية والثقافية التي تتحقق داخلها»[2] فإن الطاقة الإيحائية في صوت اللفظة أعطاها عمقاً في تصوير الحدث صوتياً حركياً، فكل ذلك تصوير للصوت الصادر من الوتر وقد ركب عليه السهم، فالسهم لم ينطلق بعد، غير أنه بادر إلى لفظ ثكلى حاكياً بها أول لحظة زل بها السهم عن الوتر من جراء انبعاث صوت الثاء مع الكاف واللام، ولم يشبع روحه وعقله تلك الأصوات كلها، بل إنه تابع السهم في انطلاقه كيف انطلق مصوّتاً تاركًا الوتر خلفه يحكي رنينه! فجعل الصوت يحكي في اتجاهين منقسمًا لجزأين: صوت الوتر وقد زل عنها السهم، وصوت السهم وقد غاص في الفضاء والسكون! أما الوتر فكأنه حزن على فراق السهم، فرنّ، لذا استخدم لفظة «ترنّ»، التاء والراء والنون، وكلها

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(١)، باب الراء فصل الهمزة.

٢- بنكراد، سعيد، سيرورات التأويل، دار الأمان، الرباط، ط(١)، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص٣١٨.

حروف لسانية من طرف اللسان وظهر رأسه[١]، فجرسها وحكاية صوتها يشبه صوت رنين الوتر وقد فقد صاحبه، وفي الوقت نفسه، يشبه صوت المرأة التي فقدت عزيزاً عليها؛ فهي تنوح وتبكي بنحيب، حتى إن صوتها في حيزومه يشبه نطق تلك الحروف، واهتزاز الوتر في الهواء وهدوء الصحراء إنما يصوّت ويرنّ مصدراً ذلك الصوت، أما صوت السهم غائصاً في الفضاء منطلقاً في الهواء بكل ما أوتي من قوة، فإنه وظف له لفظ تعوِلُ بضمّ اللام وامتدادها الصوتي، وهو من ناحية عملية تطبيقية فإنه حقّاً يشبه صوت الجسم المنطلق في الهواء في هدوء المكان وخلوّه من الضوضاء، لذا وظف هذا اللفظ وهذه اللام الليّنة - رخوة، متوسطة -، شديدة[٢] لتؤدّي تلك الحكاية الصوتية بدقة، فالشاعر التفت معتنياً بالصوت لرسم الصورة ونقلها حركياً وإيقاعياً؛ أكثر من تصوير القوس والوتر والسهم «فليس الإيقاع إلا حركة المعنى وحياته وكفاءته واحتفاله بنفسه»[٣] وممّا يدل على ما نذهب إليه، أن القوس والوتر والسهم والرمي أشياء اعتاد عليها المتلقي، فليس في تصويرها كبير إبداع، فلم يبق حينها إلا الإبداع في التصوير الحركي الصوتي، فنهض الصوت بالصورة مجسدًا أحداثها ومجرياتها فنغمة الصوت، وسرعة الكلام، والتنوعات الملحوظة في مقام الصوت، وسرعة الأداء والإيقاع... ترتبط... باختلاف الوظائف في الأحداث[٤]، فالنبر الصوتي والتنغيم له مكانه في المعنى، يبرزه على نحو لا يتهيأ للمعنى القاموسي أحيانًا «إن وجود النبر والتنغيم بالذات...في الكلام المسموع دون المكتوب، يجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثاني... لكنها لن تعوض النبر

١- انظر: نصر، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ت: محمود الزهيري، دار الجنان، عمان، ط(١)، ٢٠٠٩م، ص٥٢- ٥٣، وانظر بشر: كمال محمد، علم اللغة العام والأصوات، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠، ص٩١-٩٢.

٢- ينظر: الحمد: غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، ط(١)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص١١٤.

٣- ناصف: مصطفى، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م، ص٣٥٦.

٤- ينظر: العبد: محمد، العبارة والإشارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م، ص٣٤.

بوسيلة أخرى»[1]، فالشاعر وظف النبر والصوت لينوب عما يريد التركيز عليه، وانظر إلى الشمّاخ، وهو يعطي الصوت مكانه، ليقيم المعنى ماثلًا أمام المتلقين في تشابه واضح مع صورة الشنفرى وصورته، فيقول: [2]

إذا أَنْبَضَ الرّامُون عنها ترنَّمَتْ تَـرنُّمَ ثكْلى أوْجعتْها الجنائزُ

فيلحظ تركيز الشاعر على صوت الترنم والثكلى باستخدام حرف الراء والنون والميم، وانظر كذلك إلى لفظ أَنْبَضَ كيف وظفها مصورًا صوت القوس والوتر.

الجرس الصوتي والصورة الشعرية:

يعمد الشاعر إلى الصوت والألفاظ التي تحوي جرسًا صوتيًا خاصًا؛ لتضخيم الحدث والصورة، لكونه لا يملك وسيلة سواها لإبراز الصورة بأصواتها وحركتها؛ فأبو ذؤيب الهذلي اعتمد على الصوت لتصوير الحدث، تمامًا كما يشاهد على الشاشة في الموسيقى التصويرية، فقال واصفًا الحمر بعد أن شربت ورويت[3]:

فَشَرِبْنَ ثم سمِعْنَ حِسّاً دونه شَرَفُ الحِجابِ ورَيْب قَرْع يُقرَعُ

وهَـمَـاهِـمًـا مِـنْ قـانِـصٍ متلبّبٍ في كَفِّه جَشْءٌ أجشُّ وأقطُعُ

ففي الشطر الأول من البيت الأول، ركز الشاعر على حروف لها وقع خاص متناسبًا ومتماشيًا مع الحدث، فالشين والراء والباء، يحكي صوت شرب الحمر وهي ترشف الماء بنهم، وصورة اختلاط الأصوات إذ كل منها شربت وحدها غير مكترثة بالأخرى؛ لشدة العطش والظمأ، فجاءت لفظ شربن صوتًا يحكي الفعل والحدث، ومعنى مسند إلى وصف نون جمع النسوة، هذا بداية وصولها

١- اللغة العربية معناها ومبناها، ص٤٧.
٢- جمهرة أشعار العرب، ص ٦٦٩.
٣- جمهرة أشعار العرب، ص٥٤٢.

الماء وتعشقها للشرب والري، غير أن الشاعر فصل هذا الفعل عمّا بعده بالعطف بثمّ للتراخي والتريّث، فكان السماع، لكنّ هذا السماع كان بعد هدوء عملية الشرب واختلاط الأقدام والتزاحم على الماء وشفيرها في الشرب، لذا فصل بثمّ، ووظّف بعدها ألفاظاً تدلّ في صوتها على الهمس، والتخافت في الصوت «حسّاً دونه شرف»، هدوء تامّ يُسمع فيه حتى النفْثة والهمسة، سمعت الحمر حسّاً خافتاً لا يكاد يُسمع ؛ سرعان ما تحوّل ذلك الحس إلى شيء مرعب؛ لذعرها من أي شيء على طبيعة الحيوانات غير الأليفة، فعمد الشاعر إلى إيقاع صوتي وموسيقى تصويرًا نابعًا من جرس الحروف والألفاظ فقال: «قرع يُقرع».

إن الشاعر مبدع في اختيار الألفاظ الصوتية تصويرًا فنّياً للحدث بالصوت أكثر من الصورة نفسها، فصورة الحمر وهي تشرب وتهرب وتذعر معلوم لدى المتلقّي، متصور بذهنه وعقله، لكنّ اختيار ألفاظ تحوي القاف والراء والعين له بعد إيقاعي تصويري من جراء اجتماع تلك الحروف وتلاحقها ببعضها، فوظّف المصدر والمضارع من الفعل ليزيد من الصوت قوة ورعباً، وليظهر انعكاس ذلك الصوت على نفوس الحمر وسمعها، فالصوت خافت خفي، غير أنه في أذن المرعوب قرع طبول «إذ تصوّرت الحس صوتاً مخيفاً مرعباً؛ لذا تراه قال في البداية «حسّاً» لكنه ما لبث أن أصبح «يُقرع»... تصويرًا لحالة الخائف»[١].

وإيثار صوت على آخر أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به له فضل في الفهم[٢]؛ لأنه يجلي الصورة بكل جزئياتها، وواضح أن الحرف بمفرده أدى غرضًا في تحريك جوانب الصورة ثم امتزج ببقية الحروف ليؤدي دلالة حركية أو صوتية يفهم منها معنىً أبعد من المعنى القاموسي، ولا

١- الزهيري: محمود حسين، الأدب الراشدي رؤية ومنهج، دار الفكر، عمان، ط(١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص١٧٩.

٢- ينظر: دلالة الألفاظ، ص٤٦.

يُظن أن الشاعر فرق بين جرس حرف وآخر على مستوى النبر، غير أنه اختار من مخزونه اللغوي ألفاظًا لها صوت إيقاعي نتج عن نبر اللفظة في داخلها تخدم صورته الصوتية، فالسياق خدم اللفظة في حين أن اللفظة بجرسها أولت عنايتها بأن تكون في نظام سياقي» ينم تنظيمها والربط بينها في نظام صوتي كامل تعرف فيه الظواهر الموقعية التي يتطلبها ورود هذه الأصوات المدروسة في السياق»[1].

لم تكن الصورة الصوتية وحكايتها بمعزل عن القانص، الذي طالما انتظر الحمر بفارغ الصبر؛ إذ يلمح أنه استدعى ألفاظاً تصويرية تناسب حالة الترقب في جانبه، فـ«هماهماً، متلبب» تعكس انتظار القانص في خفة وحركة خافتة باستخدام الهاء مع الميم، ثم الميم مع اللام والباء، وكلها حروف في جرسها خفوت؛ بمعنى أنها ليست مستعلية تقرع الأذن، بل أكثرها شفوية تناسب حركة القانص الخفيفة المترقبة بحذر، فـ«هماهماً» حروف جوفية + حروف شفوية، وكذلك «متلبب»غير حرف اللام، والهماهم إنما هو صوت لا يفهم؛ لأنه يخرج من جراء الحركة المترقبة الحذرة، وتركيزه على القانص المتلبب بتلك الحروف أعطى الصورة لوناً خاصاً وهو متحزم متريث الحركة، ويُروى أيضًا، متلطف[2]، شاهد على ما نذهب إليه، لا يصدر منها أي صوت إلا خافتاً جداً، لكنه في الشطر الثاني: «في كفه جشء أجش وأقطع» بدا الصوت منتشراً؛ لتركيزه على حرف الشين والجيم التي توحي بصوت شدِّ الوتر على القوس، فعندما شدّها صوّتت فأصدرت صوتاً منتشراً يناسب تفشي الشين، غير أنه ليس قوياً في جرسه وتصويته ليدل على حرص القانص على تسديد السهم بسرعة وإتقان.

تلك أصوات نهضت بالصورة إلى أن أوصلتها للمتلقي، يحس بحركتها ويسمع أصواتها كأن الحدث شاهد أمامه، في مشهد متحرك يسمع أصواته ويرى

١- اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٣.
٢- ينظر: جمهرة أشعار العرب، ص٥٤٢.

أحداثه بأم عينه، ولولا جرس الأصوات، وتبادل الألفاظ أدوارها في بلورة الصورة، وتسليط الضوء على أجزائها؛ لبدت الصورة باردة باهتة لا حرارة فيها.

تلمح صورة صوتية للحمر عند متمم بن نويرة، وقد أخذت في العدو والجري ذعراً من القانص، فأنفذ الشاعر من خلال صورته صوتاً يحكي اصطكاك حوافرها، فقال: [١]

أَهْوى ليحْمِيَ فَرْجها إذْ أدبرتْ زَجِلاً كما يَحْمي النَّجيدُ المُشْرِعُ

فَتَصُكُّ صكّاً بالسَّنابِكِ نَحْرَهُ وبـجَـنْـدلٍ صُـمٍّ ولا تـتـورّعُ

إن العرب تقابل الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث[٢] فحينما أراد الشاعر أن يثبت للمتلقي سرعة الحمر جريًا وذعراً من الصياد، وظّف هذه الألفاظ التي يحكي صوتُها صورتها، وينوب عن معناها، فتصكّ صكًّا، بتشديد الكاف بعد الصاد المهموسة المستعلية المطبقة المصفِّرة[٣]، يعطي الصورة حركتها وصوتها الموحي، كأن الحدث أمام المتلقي يسمعه بأذنه ويتبعه بعينه، إن ارتطام حوافر الحمر بالحجارة الصلبة، يصدر صوت الصاد مع الكاف، ولما شدد الكاف فإنه ألح على الصوت المنبعث منها حال جريها، ليجعل الصوت والصورة متلازمين لا ينفصل أحدهما عن الآخر، إلحاحًا على سرعة الجري والهلع الذي أصابها، نقلا للحدث بصوته الذي يملأ الأذن والسمع ! فالشاعر يحاول» أن تكون موسيقى ألفاظه حين يطرق المعنى العنيف غيرها في المعاني الهادئة»[٤]، جاعلًا الصوت ينوب عما في نفسه، فاختار هذه الألفاظ التي يلمح في حروفها قوة وعنفًا بين الصّك والجري.

١- المفضليات، ص٥١.
٢- انظر: الخصائص، ٢ / ١٥٩.
٣- ينظر: نهاية القول المفيد، ص١١٤.
٤- موسيقى الشعر، ص٤١.

إن الصوت من القضايا المعتبرة في دراسة الشعر، لما له من بعد في إبراز الحدث، وفنية التصوير والرسم «فللأصوات قيمة تعبيرية أحيانًا تأتيها من خصائصها الفيزيائية (الطبيعية) والأكوستكية (السمعية) ومن التداعيات بالمشابهة مثل تشبيه شيء بشيء كمحاكات بعض الأصوات الشفوية الاحتكاكية (ب، م) لصوت الريح» [1] فالشاعر أو المنتج يستخدم لغة ذات أصوات، وفي الوقت نفسه فإن الخيار مفتوح أمامه ينتقي ما يشاء من الألفاظ والكلمات، لكن الفنية تتجاوز كل ذلك حين تصل إلى توظيف لفظ غير سواه فيما يريد من تصوير، ولا يُظن أن ذلك يقع اعتباطًا إلا أن يكون الشاعر أو المنتج حرّكه وأثار في نفسه لفظًا غير آخر أو جرسًا لحرف يجد صداه يتردد في نفسه وروحه، حتى يغمر سمعه، فيعمد إليه ليعينه على إتمام صورته وإبراز ما يختلج في صدره، فالشنفرى عندما أراد وصف ليلة قاسية البرد، شديدة الظلمة، عمد إلى ألفاظ محددة عالجها بنفسه فخرجت بهذا النحو [2]:

وَلَيْلة نحْسٍ يَصْطَلي القوْسَ رَبُّها وأَقْطَعهُ اللَّلائي بها يتَنَبّلُ

دَعسْتُ على بغْشٍ وغَطْشٍ وصُحْبَتي سُعارٌ وإرْزِيزٌ وَوجْرٌ وأفْكَلُ

إنها صورة حافلة بالأصوات مزدحمة بالتوتر والقسوة، اختار الشاعر ألفاظها نائبة عن معانيها؛ فما أن تُقرأ حتى يحس المتلقي بتداخل الأصوات والضوضاء تنبعث من جنبات الألفاظ، حتى وإن لم يفهم من المفردات معناها، فإنه يحس أنها مختلطة تحمل حركة سمعية متتابعة تصم الأذن وتشغل الفكر، فيما دعت إليه هذه الألفاظ من شدة وصف تلك الليلة، وإن كان بدأها؛ بأنها ليلة نحس شديدة البرودة والزمهرير، فإنه قطعها وسار فيها، فالمتلقي لا يجهل مثل تلك الليالي قاسية البرد، وكذلك الشعراء عرّجوا في وصف رحلتهم على الليالي وما يلاقون فيها

١- تحليل الخطاب الشعري، ص٣٥.
٢- الأمالي، ٣/ ٢٠٦.

من برد وخوف وظلمة، إظهارًا لشدتهم ومضاء عزيمتهم، لذا يختلف الوصف من شاعر لآخر» فالشاعر الواحد نفسه يكون له معجم بحسب المقال والمقام»[١] فاختيار المفردات نابع من ذوق الشاعر وإحساسه بقيمة بعض المفردات في قدرتها على تأدية الغرض والصورة أكثر من غيرها وأدق، فإذا أراد الحركة الصوتية والتصوير، فإنه يعمد إلى جرس الحروف في اللفظ فيوظفه، ويخضع ذلك كله إلى مهارته وفنيته، بل مدى استعداد أذنه وإرهاف حسه، بأن يجعل الصوت نائبًا عن المعنى والحركة معًا» فـ «الحرف كوحدة نغمية قادرة على توليد صورة يحاكي بها الطبيعة في هيئة من هيئاتها»[٢]، فالشاعر حين وظف في صورته ألفاظًا لها وقعها وجرس حروفها ليثير المعنى في ذهن المتلقي ملحًا على حروف تشبه صوت ما هو عليه في حالته تلك لم يكن من قبيل المصادفة، وإنما قصدًا إلى تعليق الصورة بصوتها وحركتها فما دعست، بغش، غطش[٣] إلا انتقاء لصوت أراده وحمله عليه شدة حساسية أذنه بحالته تلك وليلته تلك، فالأحرف الرخوة كالسين والشين والزاي أسهل في النطق من الانفجارية الشديدة[٤]، ما يفسر اختيار الشاعر لهذه الحروف بحد ذاتها ونبره لها، فسكون الحرف المتوسط منها، السين في دعست، والغين في بغش، والطاء في غطش، فالصوت النا تج من النبر يوحي بالتتابع ، وهو يسير وسط وحل وماء وطين وظلمة، يخبط الأرض بقوائم فرسه يمنح تصويرًا صوتيًا يحاكي صوت وطء الأقدام في هذا الماء والوحل، وهو صوت ينبعث من جراء هذا الوطء، فيصدر صوتًا يشبه إلى حدٍّ كبيرٍ صوت الدال مع العين والسين (دعست)، ففي بداية الوطء يصدر مثل ذلك الصوت، لكن الشاعر لم يكفه ذلك، بل تابع مصورًا ظلمة على ظلمة على صوت يصدر من جراء نزع

١- تحليل الخطاب الشعري، ص٦٢.
٢- الصورة الفنية معيارًا نقديًا، ص٤٣٠.
٣- الغطش: الظلمة، البغش: المطر الخفيف، الفيروز أبادي: مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٣)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، باب الشين فصل الغين وفصل الباء.
٤- انظر: أنيس: إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الإنجلو مصرية، ط(٢)، ١٩٥٢م، ص٣٠.

القدم في الخطو إلى خطو آخر:» بغش وغطش» فحين تغوص القوائم في الوحل والطين ثم تنزع ينبعث ذلك الصوت، لذا ألح على الغين، والشين مع الطاء، والتكرار أحد العناصر التي يجري بوساطتها توقيع الموسيقى لأجل تقوية الدلالة وإيضاح المعنى[١]، فنفذ من الصوت إلى تصوير الزمان والمكان، فالمكان الوحل والطين، والزمان ليلة مظلمة ذات برد قارس، فالموسيقى تؤلف بين الأصوات، والرسم يؤلف بين المساحات في المكان، لذا جمع الشاعر بين التأليفين والمهمتين مندمجين معًا[٢].

فالشاعر رسم لنفسه صورة صوتية يحاكي بها الطبيعة، وما يصدر منها من أصوات معلنًا بكل جرأة، أن تلك من الليالي التي سرت فيها من غير تردد، على الرغم من أن صعوبتها كانت بالغة! فإذا به في الشطر الثاني يرينا صحبته ومن رافقه فيها، وربما ظن المتلقي أن صحبته غابوا عنه، أو أنهم أشخاص مثله، غير أنه يفاجئ المستمع أن صحبته من لون آخر وجنس آخر، إذ كانت الصحبة أشد وطئا من الظلمة والبرد؛ سعار وإرزيز ووجر وأفكل، وهي على التوالي جوع شديد جدًا، وبَرَد صغير، وخوف، ورعدة[٣]، تلك هي الصحبة التي رافقته في ليلته تلك، لم يفته توظيف الصوت إتمامًا لما بدأ برسمه وتصويره؛ فقرقرة المعدة لخلوها من الطعام وزعيقها يأخذ صوتًا فيه صفير وتكرير، جسد هذا في لفظ سعار من جراء السين والراء، أما صوت البرد الصغير وهو يسقط متطايرًا في اتجاهات مختلفة مع الريح، فإن له أزيزًا يشبه صوت الزاي مكررة في اللفظة، ناهيك عن الخوف والرعدة التي تصحب ذلك، فاكتفى بأن أثبت صوت البرد المتساقط مستغنيًا به عن غيره؛ إذ الخوف لا صوت له، تلك ليلة الشاعر، وذلك مسيره

١- ينظر: العيد: يمنى، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٣)، ١٩٨٥، ص٩٨.
٢- ينظر: إسماعيل: عزالدين، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط(٣)، ١٩٧٨م، ص٤٨.
٣- ابن منظور: أبوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، وهي على التوالي باب الراء فصل السين، وفصل الواو، باب الزاي فصل الراء، باب اللام، فصل الفاء.

فيها، فمرة يصف صوت قوائم الفرس غائصة نازعة في الوحل والطين، ومرة يصف صوت صحبته من جوع وبرد وخوف ورعدة، موزعًا الإيقاع الداخلي والخارجي للألفاظ والحروف» وأما الإيقاع فتتناغم فيه أصوات الحروف في الكلمات طولا وقصرًا، شدة ورخاوة، تقاربًا وتباعدًا، مع كل ما تحويه الصور وما توحي به من أفكار وانفعالات»[١].

فالشاعر عبر عن تجربة عميقة خاض غمارها وحده في ليلة قارسة شديدة، استعان بمفردات اللغة وحروفها وأصواتها؛ لينقل التجربة للمتلقين بحركتها وصورتها، فأفاد من الطاقة التعبيرية ليجسد عمق تجربته وصراعه مع الحياة والقيم ومع الخصوم[٢]، فعلى الرغم من تراكم الصورة وصفًا وصوتًا إلا أنه مشى تلك الليلة القاسية جائعًا خائفًا يحترق جوفه، والرعد يهز الدنيا، وهو غير مبال[٣] ولا مكترث.

وقد غمر البحتري طيف من الأحاسيس، وهو يقف على إيوان كسرى بعدما خرب وخلا من ساكنيه، واختلطت في أذنه وسمعه أصداء أصوات تراكمت من مشهد ذلك الإيوان منفردًا تتنازع في ذهنه ذكريات، وفي سمعه وأذنه أصوات منبعثة من المكان، فما كان منه إلا أن صدح قائلًا[٤]:

صُنْتُ نَفْسي عمَّا يُدَنِّس نفْسي وترفَّعْتُ عَنْ جَدَا كلِّ جِبْسِ
وتَماسكْتُ حينَ زعْزَعَني الدّهْـــ ـرُ التماسًا منه لتَعْسي ونَكْسي

١- الرباعي: عبد القادر، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، وزارة الثقافة، عمان، ط(١)، ١٩٩٩م، ص٣٣.
٢- ينظر: جماليات المعنى الشعري، ص٣٤.
٣- ينظر: الشنفرى: لامية العرب، نشيد الصحراء لشاعر الأزد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٦٧.
٤- ديوان البحتري، ت: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط(٣)، ص١١٥٢.

ذلك الوصف توزعت فيه الصورة بين جانبين: نفسية الشاعر، والإيوان، فوظف ضمير المتكلم سواء أكانت تاء الرفع ، أم ياء المتكلم هذا الأول؛ أما الثاني؛ فأصوات الصفير والهمس التي ملأت المكان ووسوست سمعه وأذنه، و«الإلحاح على جزء من العبارة بتكراره مثلا يؤدي إلى تسليط الضوء على نقطة حساسة منه ترتبط بدلالات نفسية وعميقة في آن»[1]، وليس الحرف بمعزل عن هذا التكرير، إذ إنه مظهر من مظاهر الأسلوب، يخدم غرضًا في نفس الشاعر، ويحس أحيانًا أنه لا يستغني عنه لعجزه عن البوح بكل ما لديه» فمن الشعراء من يكرر الحرف الواحد مرارًا، منتفعًا من الخصائص، والصفات الصوتية لذلك الحرف، إن كان مهموسًا مثلا أو مجهورًا»[2] ؛ فالبحتري في الجانبين، فضلا عن توظيف التاء وياء المتكلم، كرر حروف الصفير، وهي السين والصاد والزاي، فصفيرها وهمسها أبان عن مدى تأثره بموقفه ذاك، فتردد حرف السين... قد حسّن من موسيقى الشطر، لأنها وقعت في مواضع من الشطر موفقة[3]، ولنتصور الشاعر واقفًا على الإيوان في مكان خاوٍ خال موحش منفردًا في قمة جبل، والريح تتجاذب المكان شمالا ويمينًا، وصوتٌ حفيف أوراق الشجر، ناهيك عن صفير الحشرات وأزيز الريح، إنه بذاك جسد الموقف وحرك الصورة حكاية لها من جراء حروف وظفها وأفاد من صفاتها وجرسها، فنابت عن صورة أرادها من المتلقي ليدركها إمعانًا في المشاركة ما بين ثنائية الملقي / المتلقي، وتجاذبًا بين الاثنين، مجسدًا من تلك الأصوات أحاسيس اعتلجت في صدره، فآثر أن يجعل الصوت المنبعث من المكان والموقف خادمًا لها، لأن ذلك أعمق في بلوغ المراد، وأمتع في التصوير وتحريك النص وحيويته ونشاطه.

١- الملائكة: نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١٠)، ١٩٩٧، ص٢٧٦.

٢- خليل: إبراهيم، الصوت المنفرد من النص إلى المتلقي ومن المتلقي إلى النص، أمواج للطباع والنشر، عمان، ٢٠٠١، ص٨٤.

٣- ينظر: موسيقى الشعر، ص٣٩.

إن الشاعر حين يعمد إلى الصوت، إنما يطلب منه أن يجسد حالة عَجزَ عن نقلها للمتلقين كي تدركها أحاسيسهم، ربما لأن ما يعالجه في نفسه لا يشعر به أحد سواه، فيركز على الصوت لينقل تلك الأبعاد إليهم، لذا فـ: «لقد تجسم الصوت فغدا أمرًا ماديًا يلمس بالأيدي»[١]، فقد جسد مالك بن الريب صوتًا خافتًا متثاقلا بطيئًا ليصف حالته، فقال[٢]:

أَلَا ليْت شِعْري هلْ أَبيتنَّ ليْلةً بجنْبِ الغَضَا أُزْجي القِلاصَ النَّواجِيا
فليْت الغَضَا لم يَقطعِ الرَّكبُ عُرْضَهُ وليْت الغَضَا ماشى الرِّكابَ لياليا
ألمْ تَرَني بعْتُ الضَّلالة بالهُدى وأَصْبَحْتُ في جيْش ابن عفَّان غازِيا

ينبعث الصوت من الأبيات مجسدًا ومجسمًا نفسًا تجاذب الحياة وتتجاذب مع الموت والهلاك، وذلك ما أشار إليه ابن قتيبة في تعليقه على الأبيات، أنه قالها حين أشرف على الهلاك والموت، فتكاد تلمس تلك الحالة من جراء«امتداد الصوت يوحي بالحسرة والألم المنبعث من نفس توشك على الهلاك، إذ في حروفها امتداد صوتي واضح»[٣] يكاد يلمس بالأيدي من توظيفه لأحرف المد في الأبيات، والتثاقل في الصوت والبطء في نطقها، وهو صوت يرسم صورة رجل ينازع الموت، فثقل لسانه وارتخت بعض أعضاء النطق، فأخذ في نطقها وقتًا وتريثًا من جراء الإنهاك والتعب، وربما الغيبوبة التي ترافق سكرات الموت[٤]! بهذا نقل الشاعر الحالة وجسدها مفيدًا من طاقة اللغة وجرس حروفها، ورافدًا ذلك

١- رومية: وهب، الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا، عالم المعرفة، الكويت، رجب ١٤٢٧هـ، سبتمبر٢٠٠٦م، ص٣١٦.
٢- ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٣٥٤.
٣- الأدب الراشدي رؤية ومنهج، ص٢١.
٤- انظر في مقدار المدة التي تستغرقها حركة حرف المد الألف والواو والياء، اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٠٦.

بأصواتها وامتدادها، وكأنه يركز على حركة الشفاه واللسان وشحوب الوجه.

«يبقى الرسم والموسيقى والشعر من الفنون التي تحظى بنوع من الخصوصية الجمالية، التي تجعل التواصل الفني يصطبغ بصبغة إيحائية متعالية، تستند إلى أبجدية سمعية بصرية خاصة تقوم على تماهي الأصوات والكلمات والألوان، وعلى تتابع الإيقاعات وترددها وتدرجها وتداخلها، أو تنافرها واستقلال بعضها عن بعض، حيث تتحول هذه الفنون من خلال نزعتها الفائقة للابتكار والإبداع إلى متحف للرسوم وقاعة نغم وفضاء شعري»[1]، استطاع الشماخ أن ينقل تماهي الأصوات وترددها، فجسد في حروف صوت حركة الأمعاء وهي خاوية من الطعام شديدة العطش، فقال: [2]

لـهُـنَّ صَليلٌ يـنْـتَـظِـرْنَ قَـضـاءَهُ بِضاحِي غَـذاةٍ أَمْـره فهو ضامِزُ

إن جزئية «صليل ينتظرن» تشبه في جرس حروفها صوت المعدة والأمعاء، وهي تقرقر من شدة العطش والجوع، فاستخدم الصاد واللام، ثم النون والتاء مع الراء في هذا التركيب؛ ليحدث لدى المستمع صوتًا وهي ساكنة: «ضامزة»؛ فجمالية توظيف الشاعر أنه بدأ البيت بأصوات الأمعاء، ثم أنهى البيت بصورة صوتية قد سكنت، فلا يكاد يسمع صوتها إلا في جزئيات من الأمعاء فوظف «ضامز» بجرس الزاي؛ لتؤدي حركة النهاية التي لا يسمع صوتها لخفوتها، وتضاؤل الهمس فيها!

غير أن الشاعر بدأ الصورة بالصليل وجرسها، ثم ما لبث أن اتخذ من حركة الأمعاء وصوتها اضطرابًا واضحًا؛ ليجعل من تماهي الأصوات والكلمات صورة ماثلة أمام سمع المتلقي ونظره، فوظف حينها الظاء والراء والقاف والضاد في

١- راوينيه: الطاهر، سيميائيات التواصل الفني، عالم الفكر، عدد(٣)، يناير- مارس، ٢٠٠٧م، ص٢٧٩.
٢- جمهرة أشعار العرب، ص٦٦٣.

تناسق ما بينها في لفظ (ينتظرن) ولفظ (قضاءه) لتشكل اختلاطًا ما بين أصواتها ثم ختمها بالصوت الخافت الذي لا يكاد يسمع، كي تأخذ الحروف وجرسها حقها من التصوير وإثارة الأذن والسمع [١]!

يأخذ الصوت مكانه في السياق الشعري، كي يحدد الهدف الذي أراده الشاعر من دقة التصوير مرادة لهدفها، وكأنه يختزل اللفظ بإثارة الصوت ليفسح الطريق للمعنى كي يتجلى الفهم وتبرز صورته على أتم هيئة «وتتمكن الأصوات في شعرية الاختزال من دمج النبر الصوتي بالمعنى اللفظي المنسحب على تدافع المعنى، وهي بذلك تحقق ما تسعى إليه الرؤية من دوالّ تتصل اتصالاً مباشراً بالصوت» [٢].

لذا عمد الشماخ إلى تصوير الحمر عند وصولها الماء، فقال: [٣]

توجّسْنَ واسْتيْقنَّ أنْ ليس حاضراً على الماءِ إلا المُقْعدات القواقِزُ

يَلِهْنَ بِمُـدْرانٍ مِنَ الَّليل مَوْهِناً على عَجَلٍ وللْفريصِ هزاهِزُ

نلحظ أن «الاعتبار الإيقاعي في نبر السياق الاستعمالي أوضح منه في نبر النظام الصوتي»[٤]، ما بين الكلمة المفردة والصيغة، فسكون بعض الحروف المهموسة زاد الصورة وضوحًا.

فحين أراد الشاعر أن تنوب الحروف عن المعنى اللفظي، أو تدمج فيه في بداية البيت الأول، ركز على حرف السين الساكن لما فيه من همس وصفير، ليشير إلى الهدوء كي يبرز الصوت ويظهر الهمس، فالصورة أن الحمر وصلت للماء في

١- وانظر قول الراعي في وصف الإبل: "فسقوا صوادي يسمعون عشية للماء في أجوافهنَّ صليلًا"، كيف وظف كذلك الصوت في صوادي وصليلًا، ص٧٣٣، الجمهرة.
٢- الخطيب: أحمد، الشعرية المتحركة، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٧م، ص١٩٩.
٣- جمهرة أشعار العرب، ص٦٧١.
٤- اللغة العربية معناها ومبناها، ص٣٠٧.

وقت هدوء وسكون، حتى الهمسة تظهر على الرغم من أن جوّاً كهذا يثير الترقب والحذر، ويبعث نوعاً من الحيطة في الحركة، فوظّف تلك الحروف بما فيها من سين وجيم وياء ونون، وكلها حروف ليس لها وقع قوي في النطق ليجعل المتلقي يعيش هذه الظلال، وحينها لم يكن على الماء من صوت إلا صوت الضفادع تنقنق وتصدر صوتاً، فأعطاها حروفها المتناسبة مع صوتها من القاف مع العين والدال، ففي بداية البيت صوت خافت، فما أن وصلت الماء حتى لم تجد أحداً سوى صوت الضفادع في نقيقه المتتابع ، فتمكنت الأصوات من الهدوء ومن جو شريعة الماء، حتى ليلحظ المتلقي أن صوت الضفادع هو الذي أثارها قليلاً، فلمّا اطمأنت أنه صوت ضفادع كأنها سكنت قليلاً، فأخذت في الشرب فأصابها الوله، والماء يسيل من جوانب الوادي، وهي ترتعد فرائصها خوفاً وتوجّساً ممّا سيحدث أو يفاجئها في موقفها مفاجئ !

على أن المستمع ما أن يسمع البيتين حتى يحس أن مفاجأة وتربّصًا في الموقف، فجعل الجو العام التوجّس، فالشاعر دمج الأحداث بالمعاني باستعمال هذه الألفاظ ليجعل من التصوير فنية في أداء المعنى وتظليل الجو بظلالها التي أرادها من جراء أصواتها.

ينتقي الشاعر ألفاظاً لها دلالتها الإيحائية، كي يتمكن من إبراز صورته المنشودة؛ ليتحقق ما يصبو إليه من غير أن يسهب في تصويره اختزالاً لبعض المعاني، واتّكاءً على فهم القارئ وقدرته على التذوق، ويعلق بألفاظ كي يفيد من جرسها واختلاط حروفها، ويلحظ أن ذلك مقصود مراد، إذ بإمكانه الاستعاضة عنها بألفاظ أسهل، أو أقل اختلاطًا وتنافرًا «يرتبط توزيع الأصوات داخل الكلمة الواحدة بانسجام هذه الأصوات وتآلفها، بمقتضى مقاييس هذا الانسجام في

أذهان أبناء الجماعة اللغوية»[١]، وربما يكون ثقل النطق باللفظة مقصود الشاعر لتصف ثقل الصورة، كما عند امرئ القيس، في وصف شعر محبوبته: [٢]

غدائِرهُ مُسْتشْزِراتٌ إلى العُلا تَضِلُّ العِقاصُ في مُثنّى ومُرْسلِ

إن اللفظة في البيت ظاهرة للعيان يلمسها كل متلقّ وقارئ «مُستشْزِراتٌ»، لما لها من ثقل في حركة اللسان ما بين حرف وحرف، وصوت وآخر، وهذه الأصوات إنما عمد الشاعر إلى توظيفها ليلقي في أذن المتلقي أصواتها كي تحرّك فكره إلى الصورة من اختلاط أصواتها، فهو يصف شعر محبوبته وقد غزر وأصبح متشابكاً ملتفّاً على بعضه، حتى إن المشط وهو العقاص تغيب فيه لشدّة كثافته، فمن جراء نطق اللفظة وأصواتها ومخارج حروفها نلمح الصورة ماثلة أمام ناظريّ المتلقي؛ لأن الصوت أعطى الصورة بعداً في كثافة الشعر وتشابكه، ولعلّ المتلقي يلمح ذلك حين يسمع تلك الأصوات التي تشبه إلى حدٍّ بعيدٍ صوت تسريح الشعر، ودخول المشط وخروجه في الشعر الكثيف، وإن كان الصوت أحياناً يخفت وأحياناً يظهر[٣]، إلا أن الشاعر ركّز الصوت على هذه الكلمة لتؤدي غرضاً بيّناً في أن الصوت يرسم الصورة ويجلّيها.

فإذا كانت العناصر اللغوية تشكل طبقتين تحتيتين، الطبقة الصوتية، وطبقة وحدات المعاني، ويخرج من هاتين الطبقتين عالم من المواقف والشخصيات والأحداث، لا يمكن أن تتساوى بأي عنصر لغوي بمفرده[٤]، فإن لبيدًا وازن بين

١- استيتية: سمير شريف، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، ط(١)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، ص٩٠.
٢- شرح المعلقات العشر للشنقيطي، ص٢٧.
٣- فمجاورة السين للتاء مع مجاورة الشين للزاي في الكلمة الواحدة وهو ما ندر في اللغة العربية، موسيقى الشعر، ص٢٤، ولعل ذلك ما قصد إليه الشاعر لهدف أراده.
٤- ينظر: ويليك: رينيه، مفاهيم نقدية، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ - فبراير شباط ١٩٨٧م، ص٣٧٣.

وحدة الصوت ووحدة المعنى، حين قال: [1]

حتّى إذا يئِستْ وأسْحقَ حالِقٌ لمْ يُبْلِه إرْضاعُها وفِطامُها

وتسمَّعتْ رِزّ الأنِيسِ فراعَها عَنْ ظَهْر غَيْبٍ والأنيسُ سِقامُها

يصور الشاعر بقرة الوحش حين فقدت ولدها بعد أن افترسته الوحوش، فترك ضرعها فضمر بعد أن كان ممتلئًا باللبن، جسد هذه الصورة في البيت الأول كمعنى أراده تأسيسًا لما بعده، لكنه وظف الصوت في حالتها بعد يأسها من العثور عليه، كيف أخذت تلتقط الأصوات تستمع لما حولها، فجعل الصوت مشاركًا في تتميم الصورة، فوظف الفعل المضارع ثم شدّد الميم «تسمّعت»، ولما كان السمع والتوجس والترقب مما يحاكي صورة المنتظر الحاذر في مثل حالة البقرة تلك، جاء بألفاظ حشد فيها أصوات الهمس والصفير: تسمعت، رز، الأنيس، ليجعل الصورة متخيلة مليئة بالترقب والهمس، وتركيز الحواس بالأذن، فشدد الزاي من» رز» ليعطي الصوت بعده في إيقاظ الحس والشعور لدى المتلقي، وليجلي صورة البقرة المترقبة، التي تنتظر أي صوت أو جزء من صوت يدلها على ولدها، على أن هذه الأصوات هي التي كان فيها حتفها وهلاكها، ومن أجل تصوير الترقب بدت مهارة الشاعر في نبر الأصوات وإيقاعها من تشديد وتسكين ليزيد «صوتيًا» من فعل الترقب والحذر.

إن الصوت حين يتبع المعنى ويشكل معه وحدة شاملة في إبراز الصورة، فإنه في الوقت نفسه يحرص على أن يوزع الصوت على الصورة لتبدو جلية، فلقد استشهد المبرد في الكامل حين عرّج على التشبيه فقال: [2]» أنشدتني أم الهيثم في صفة جمل:

١- جمهرة أشعار العرب، ص٢٥٦.
٢- الكامل: ٢ / ٩٥.

كـــأنَّ صَـــوْتَ نـابِـه بـنـابِـه صَـرِيـرُ خُـطّـافٍ عـلى كُـلّابِـهِ

فصوَّرَتْ البعير، وهو يحك أحد نابيه بالآخر، مثل صوت بكرة البئر حين ينزع منه الماء، فحين يصطدم الناب بالناب يصدر زعيقًا مثل جرس حروف (صرير) لما فيه من صوت حاد تمامًا كما هي البكرة وقد أخذ منها الصدأ، فأصدرت زعيقًا يشبه صوت الأسنان وصرصرتها حين تصطك ببعضها، بما يشبه صوت الصاد والراء، فأخذ الإيقاع والنبر دوره في جلاء الصورة؛ إذ إن قولها: نابه بنابه، أوحت بدلالة تتابعية تلاحقية لامتداد الصوت، ثم لفظ «خطاف وكلاب» بتشديد الطاء واللام أفادت شيئًا من التوقف والامتداد في اللفظ والنطق يتناسب مع حركة بكرة البئر، شدًّا وجذبًا، ثم أكمل حديثه عن مثل ذلك الصوت ببيت للنابغة، فقال: [1]

مَقذوفةٍ بدَخِيسِ النَّحْض بازِلُها له صريفٌ صرِيفَ القَعْوِ بالمسدِ

وكلها تدور حول تشبيه صوت الأسنان حين تصطك، كصوت البكرة سواء أكانت من خشب أم حديد، حين تدور حاملة الدلو الممتلئ بالماء صاعدة من قعر البئر، فينبعث صوتها بشيء من زعيق، يشبه إلى حد بعيد صوت الصاد مع الراء بتكريرها.

لذا يلمح أثر الصوت في الصورة، وأثره في المعنى، وتقريبه لأذهان المتلقين، فالصورة التي حوت ألفاظًا يسمع لحروفها جرسًا يحاكي الحدث، كانت أكثر إمتاعًا وأقرب واقعية، فكأن المتلقي يشهدها ويراها بعينه ماثلة متحركة.

١- الكامل: ٢ / ٩٥.

الخاتمة

توصل البحث في نهايته إلى:

أن الشاعر حين فقد آلة التسجيل والتصوير للحدث استعاض عنه بأصوات اللغة؛ إذ إنها أعانته على رسم الصورة بجلاء، وإيضاحها بكل أبعادها، لذا حشد الشاعر ألفاظه بحروفها وجرسها، ليصل إلى أذن المتلقي كي يعيش الظرف الذي عاينه وشاهده، فكانت الألفاظ وأصواتها محركاً للصورة باعثة الحياة في جنباتها، فتلمح أن كثيراً من الصور التي لم تعتمد على الصوت بقيت جامدة نوعاً ما، فركز بعض الشعراء على أصوات ارتبطت بحياتهم الاجتماعية، كالشنفرى، وأبي ذؤيب، فضخموا الحدث أو قللوه من جراء جرس الألفاظ، فنهضت تلك الألفاظ بالصورة فلمسها المتلقي بأم عينه كأنه يراها ماثلة أمامه، لا سيما أن في لغة العرب مقابلة ومشاكلة ما بين أصوات اللفظة ومعانيها المعبر بها عنها، فيلح الشاعر على الألفاظ ذات الأصوات المناسبة للصورة بل يقصدها عمدًا مفيدًا من طاقتها التعبيرية، لتنوب عن كثير من الشرح والجمل، وكأنه يرسم لوحة تُغني ألوانها وجزئياتها عن تفصيل أجزائها، فالصورة الصوتية وأثرها من أمتع الصور وأكثرها حيوية ونشاطًا، فطيف الأحاسيس يغمر وجدان الشاعر، فيكثف الصورة من جراء انغماس روحه ونفسه فيها فيعبر عنها بأصوات تراها تتلألأ زاهية بألوانها، فربما عجز عن بعض جوانبها فجعل الصوت نائبًا عمّا فاته.

المراجع

- استيتية: سمير شريف، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد، ط(١)، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م
- إسماعيل: عزالدين، الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط(٣)، ١٩٧٨م.
- أنيس: إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، ط(٣)، ١٩٧٦م.
- أنيس: إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الإنجلو مصرية، ط(٢)، ١٩٥٢م.
- البحتري، ، ت: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط(٣).
- بشر: كمال محمد، علم اللغة العام والأصوات، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.
- بنكراد، سعيد، سيرورات التأويل، دار الأمان، الرباط، ط(١)، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- أبو تمام: حبيب بن أوس، ديوان الحماسة، شرح: التبريزي، دار القلم، بيروت، ط(١).
- الجاحظ، عمرو بن بحر، الحيوان، ت: عبدالسلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط(١٩٦٩).
- ابن جني: أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد على النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط(٤).
- حسان: تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، ١٩٩٤م.
- الحمد: غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، عمان، ط(١)، ١٤٢٥-٢٠٠٤م.
- الخطيب: أحمد، الشعرية المتحركة، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠٧م
- خليل: إبراهيم، الصوت المنفرد من النص إلى المتلقي ومن المتلقي إلى النص، أمواج للطباع والنشر، عمان، ٢٠٠١م.
- راوينيه: الطاهر، سيميائيات التواصل الفني، عالم الفكر، عدد(٣)، يناير- مارس، ٢٠٠٧م.
- الرباعي: عبد القادر، جماليات المعنى الشعري التشكيل والتأويل، وزارة الثقافة، عمان، ط(١)، ١٩٩٩م.

- رومية: وهب، الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا، عالم المعرفة، الكويت، رجب ١٤٢٧هـ - سبتمبر٢٠٠٦م.
- الزهيري: محمود حسين، الأدب الراشدي رؤية ومنهج، دار الفكر، عمان، ط(١)، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- الشنفرى: لامية العرب، نشيد الصحراء لشاعر الأزد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
- الشنقيطي: أحمد بن الأمين، شرح المعلقات العشر، تحقيق: أحمد شتيوي، دار الغد الجديد، ط(١)، ٢٠٠٧م.
- الصائغ، عبدالإله، الصورة الفنية معيارًا نقديًا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط(١)، ١٩٨٧.
- الضبي: المفضل بن محمد، المفضليات، ت: أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، ط(٦)، بيروت.
- العبد: محمد، العبارة والإشارة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٦هـ -١٩٩٥م.
- العيد: يمنى، في معرفة النص، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط(٣)، ١٩٨٥.
- فريس، إيمانويل، قضايا أدبية، آفاق جديدة في نظرية الأدب، ترجمة: نظيف زيتوني، عالم المعرفة، الكويت، ١٤٢٤- ٢٠٠٤.
- الفيروز أبادي: مجدالدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٣)، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- القالي: أبو علي إسماعيل بن القاسم: كتاب ذيل الأماني والنوادر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن قتيبة: أبومحمد عبدالله بن مسلم، الشعر والشعراء، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- القرشي: أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، تحقيق: على محمد البجاوي.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت.

- مفتاح: محمد، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط(٤)، ٢٠٠٥م.
- الملائكة: نازك، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط(١٠)، ١٩٩٧،
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط(١).
- ناصف: مصطفى، محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة، الكويت، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.
- نصر: عاطف جودة، الخيال مفهومه ووظائفه، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مصر، ط(١)، ١٩٩٨م.
- نصر، محمد مكي، نهاية القول المفيد في علم التجويد، ت: محمود الزهيري، دار الجنان، عمان، ط(١)، ٢٠٠٩م.
- النويهي: محمد، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، منشورات الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.
- ويليك: رينيه، مفاهيم نقدية، ت: محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، جمادي الآخرة ١٤٠٧هـ - فبراير شباط ١٩٨٧م.

Sources:

- Al-Abd: Muhammad, The Phrase and the Sign, House of Arab Thought, Cairo, 1416 AH -1995 AD.
- The-Angels: Nazik, Issues of Contemporary Poetry, House of Science for the Millions, Beirut, Edition (10), 1997,
- Anis: Ibrahim, The Significance of Words, The Anglo-Egyptian Library, vol (3), 1976 AD.
- Anis: Ibrahim, Music of Poetry, The Anglo-Egyptian Library, ed. (2), 1952 AD.
- Astatiya: Samir Sharif, Linguistics, Field, Function and Method, Modern Book World, Irbid, (1) Edition, 1425 AH - 2005 AD
- Bishr: Kamal Muhammad, General Linguistics and Voices, Dar Al Ma›arif, Egypt, 1980.
- Al-Buhtry, T.: Hassan Kamel Al-Serafi, Dar Al-Maarif, Egypt, ed (3).
- Al-Dhbi: Al-Mukhaidil Bin Muhammad, Al-Mufdliyat, T: Ahmad Shaker and Abd Al-Salam Haroun, ed. (6), Beirut.
- The Eid: Yomna, In Knowing the Text, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda, Beirut, Edition (3), 1985.
- Al-Fayrouzabadi: Majd al-Din, Al-Qamoos Al Muheet, Foundation for the Message, Beirut, Edition (3), 1413 AH - 1993 AD.
- Fries, Emmanuel, Literary Issues, New Horizons in Literary Theory, translation: Nazif Zaitouni, The World of Knowledge, Kuwait, 1424-2004.
- Al-Hamad: Ghanem Qadouri, Introduction to Arabic Phonology, Dar Ammar, Amman, ed. (1), 1425-2004 AD.
- Hassan: Tamam, the Arabic language, its meaning and its structure, House of Culture, Morocco, 1994 AD.
- Ismail: Izz al-Din, Contemporary Arabic Poetry, House of Arab Thought, ed. (3), 1978 AD.
- Al-Jahiz, Amr Ibn Bahr, Al-Animal, T: Abd Al-Salam Haroun, The Arab and Islamic Scientific Academy, Beirut, T (1969).
- Ibn-Jani: Abu Al-Fath Othman, Characteristics, edited by: Muhammad Ali Al-Najjar, House of General Cultural Affairs, Baghdad, (ed. 4).

- Khalil: Ibrahim, the single voice from text to the recipient and from the receiver to the text, Amwaj for Printing and Publishing, Amman, 2001 AD.
- Al-Khatib: Ahmad, The Animated Poetry, Ministry of Culture, Amman, 2007
- IbnManzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, ed (1).
- Moftah: Muhammad, Analysis of Poetic Discourse, Arab Cultural Center, Casablanca, ed. (4), 2005 AD.
- Al-Mubrid, Abu Al-Abbas Muhammad Bin Yazid, Al-Kamil in Language and Literature, Al Maarif Foundation, Beirut.
- Rawynyh: Al-Taher, Semiotics of Artistic Communication, The World of Thought, No. (3), January - March, 2007 AD.
- Nasif: Mustafa, Conversations with Arabic Prose, The World of Knowledge, Kuwait, 1417-1997AD.
- Nasr, Muhammad Makki, The End of the Useful Saying in the Science of Tajweed, T: Mahmoud Al-Zuhairi, Dar Al-Jinan, Amman, T (1), 2009 AD.
- Nasr: Atef Gouda, Imagination, Its Concept and Functions, The Egyptian International Publishing Company, Longman, Egypt, ed (1), 1998 AD.
- Al-Noihi: Muhammad, Pre-Islamic Poetry is a Approach to its Study and Evaluation, Publications of the National Publishing House in Cairo.
- Pinkrad, Said, Processes of Interpretation, Dar Al-Aman, Rabat, ed. (1), 1433 AH - 2012 AD.
- Al-Qali: Abu Ali Ismail bin al-Qasim: The Book of Tails of Wishes and Anecdotes, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Qurashi: Abu Zaid, The Collections of Arab Poetry, edited by: Ali Muhammad Al-Bedjaoui.
- Ibn Qutaybah: Abu Muhammad Abdullah bin Muslim, poetry and poets, T.: Mufid Qumaiha, Dar Al-Kutub Al-Ulmiyyah, Beirut, ed (2), 1405 AH-1985.
- Roumieh: Wahb, Poetry and Criticism from Formation to Vision, The World of Knowledge, Kuwait, Rajab 1427 AH - September 2006 AD.
- Al-Rubai: Abd al-Qadir, Aesthetics of the Poetic Meaning, Formation and Interpretation, Ministry of Culture, Amman, i (1), 1999 AD.
- Al-Sayegh, Abdul-Ilah, The Artistic Image as a Critical Standard, General Cultural Affairs House, Baghdad, i (1), 1987.

- Al-Shanfari: lamyt Alarab, Anthem of the Desert by the Poet of Al-Azd, Publications of the Library of Life House, Beirut.
- Al-Shanqeeti: Ahmed bin Al-Amin, Explanation of the Ten Muallaqaat, edited by: Ahmad Shteiwi, Dar Al-Ghad Al-Jadid, Edition (1), 2007 AD
- Abu Tamam: Habib Ibn Aws, Divan al-Hamasa, Explanation: Al-Tabrizi, Dar Al-Qalam, Beirut, i (1).
- Willik: Renee, Critical Concepts, T: Muhammad Asfour, The World of Knowledge, Kuwait, Jumada al-Akhirah 1407 AH - February 1987 AD.
- Al-Zuhairi: Mahmoud Hussein, Al-Rashidi Literature, a Vision and Methodology, Dar Al-Fikr, Amman, Edition (1), 1436 AH - 2015 AD.

بنيةُ التَّعريفِ الشكليّةِ والدلاليّةِ في النّصِ القاموسِيّ:

جـذر (س. ر. ر) فِي تاجِ العروسِ للزبيدي أنموذجًا

The formal and semantic structure in the lexicographic text:

The root (s.r.r) as a model in Tāj al-Ārūs by Al-Zubaidi

أ. د. سرور اللحياني

كلية الآداب والفنون والإنسانيات – جامعة منوبة – تونس

Prof. Sorour Al-Lahyani

Faculty of Arts, Humanities, and Social Sciences
University of Manouba – Tunisia

https: //doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.02

تاريخ تسلم البحث 2022/11/09 - وصدر خطاب القبول 2023/03/21

ملخص البحث

قاربنا في هذا البحثِ الموسوم بـ«بنية التّعريف الشكليّة والدلاليّة في النّص القاموسيّ، جذر(س.ر.ر) في «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي أنموذجًا» مبحثًا لسانيًّا حديثًا يعتبر أنّ مداخل القاموس المجمّعة في مدوّنة هي نصوص قاموسيّة. وافترضنا في دراسته أنّه بنية نظاميّة تقوم على علاقات شكليّة ودلاليّة ناقلة للمعاني وسياقاتها، ودرسنا من خلالها خصائص هذه البنية لبيان أشكال تراتبها ومظاهر انتظامها.

عرّفنا بمفهوم النّص القاموسيّ، وحدّدنا مدوّنة البحث وعيّنة الدّراسة، ثمّ درسنا خصائصها الشكليّة والدلاليّة. وبيّنا أنّ بنية التّعريف اللّغويّة في القاموس اللّغوي العامّ بنية لسانيّة منتظمة مرتّبة ترتيبا خطيّا، ومتفاوتة كميّا من مدخل إلى آخر. وهي تتشكّل من بنيتين: الأولى بنية تعريف شكليّة تتفرّع إلى تأليفٍ صوتيّ، وبنية صرفيّة، وبنية تركيبيّة؛ والثانية، بنية تعريف دلاليّة تقوم على أصناف متنوّعة من التّعريفات مثّلتها في عيّنة البحث التّعريف بالمجاز، والتّعريف بالمغايرة، والتّعريف بالمشابهة، والتّعريف بالشاهد. وانتهينا إلى أنَّ هذه الخصائص الشكليّة والدلاليّة تمكّن من حوسبة اللّسان العربي واقتراح معايير لتوسيم المدوّنة العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة: النّص القاموسيّ – النّص المعجميّ – البنية الشكليّة – البنية الدلاليّة – البنية اللّسانيّة – الانتظام.

Abstract

We studied, in this paper titled “The formal and semantic structure in the lexicographic text: The root (s.r.r) as a model in Al -Zubaidi dictionary - Tāj al-Ārūs min Jawāhir al-Qāmūs” a modern linguistic research field which consider the lexical entries lexicographic texts. We assumed that this text has a regular structure based on formal and semantic relations transmitting meanings and its contexts. Through which, we analyze the characteristics of this structure and explain its regular forms.

We introduced, accordingly, the concept of the dictionary text, and we identified the research examples. Then we studied its formal and semantic characteristics.

We deduced that the linguistic structure of the lexicographic text is a regular linguistic structure, arranged linearly, and varied quantitatively from a lexical entry to another. It consists of two structures: The first one is a formal structure formed by a phonological, morphological, and syntactical constituents. The second one is a semantical structure based on varied varieties of definitions, such as metaphor definition, opposites, similarities, and citations.

We concluded that these formal and semantic characteristics enable computing the Arabic language and suggests parameters of tagging the Arabic Corpus.

Keywords: Lexicographic text - Lexical text - Formal structure - Semantic structure - Linguistic structure - Regularity.

المقدمة

تعترضُ دارسُ بنية النّص القاموسيّ صعوبات التّحديد والتّعريف لأنَّ هذا المبحث، وإن امتدّت جذوره إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ-٧٨٦م) في «معجم العين» وابن فارس (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م) في «مقاييس اللّغة» وابن سيده في «المحكم والمحيط الأعظم» (ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، فإن التأسيس الحقيقيّ له، حديث النشأة، اقترن بأعلام لسانيين عرب معاصرين شغلتهم المسائل المعجميّة فدرسوها وأصّلوا جهازها المفهوميّ[١].

انتبه هؤلاء الأعلام إلى أنّ النّصَ القاموسيّ في المدوّنة القاموسيّة العربيّة[٢] نصّ ذو بنية مخصوصة تحتاج إلى الدّراسة والبحث فخصّوه بأعمال فرديّة وجماعيّة متنوعة[٣]. وبيّنت بحوثهم النّظريّة والتطبيقيّة أنه مجال بكر يحتاج إلى التأصيل والبحث المعمّق.

١- نخصّ بالذكر من الأعلام اللّسانيين العرب المعاصرين الذين خصّوا المعجم بالدّراسة محمد رشاد الحمزاوي، وإبراهيم بن مراد، وزكيّة السائح دحماني، وتمام حسان، وعبد القادر الفاسي الفهري، وعلي القاسمي، وعبد الغني أبو العزم، وحسن حمزة، ورشيد بن مالك، وآخرون.

٢- تميّز العلوم المعجميّة بين المعجميّة العامّة والمعجميّة المختصّة. وتنقسم المعجميّة العامّة إلى قسمين: القسم الأوّل تمثّله المعجميّة (Lexicology)، وهي العلم الذي يبحث في خصائص الوحدة المعجميّة، فيدرس أصولها وطرق تكوّنها الصوتيّة والصرفيّة والدلاليّة. والقسم الثاني هو القاموسيّة (Lexicography) - مجال اهتمامنا في هذا البحث- ويدرس خصائص المداخل المعجميّة، وقضايا الجمع والوضع والمسائل المتعلقة بها. والجمع هو تكوين المدوّنة المعجميّة، وتوجهه مسألة المصادر ومسألة المستويات اللغويّة. والوضع هو المنهج الذي يعتمده المؤلف المعجمي في تخريج المدوّنة، ويقوم على ركن الترتيب وركن التعريف.
أمّا المعجميّة المختصّة، وتسمّى المصطلحيّة (Terminology)، فتبحث في خصائص المصطلحات العلميّة، وهي قسمان: القسم الأوّل تمثله المصطلحيّة النظريّة، وهو يبحث في مكونات المصطلحات ومفاهيمها وقواعد تولدها. والقسم الثاني تمثّله المصطلحيّة التطبيقيّة، ويختص بالبحث في مناهج جمع المصطلحات ووضعها وتكنيزها (للتوسع ينظر: ابن مراد، المعجم العربي، ٢٠١٦).

٣- من أبرز جهود المعجميين العرب المحدثين عن المعجم - فيما نعلم - الملتقى العلميّ الذي نظّمه مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربيّة بمساهمة جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس ووحدة بحث مفردات العربيّة بين المعجم والقاموس بجامعة منوبة، والجمعيّة المغربيّة للدّراسات المعجميّة، ومركز البحث في المصطلحيّة والترجمة بجامعة ليون٢. ونشرت هذه الأشغال في مجلة اللّسانيات بالجزائر، في الملتقى العلمي الدولي الثامن للقاموسية، المنعقد يومي ٢٧ و٢٨ نوفمبر ٢٠١١، في العددين التاسع عشر والعشرين لسنتي ٢٠١٣ و٢٠١٤ (٤٣٧ص).

وجّه وعينا بأهميّة هذا المبحث في الدّرس اللّسانيّ الحديث، اهتمامنا إلى دراسة خصائص بنيته. واستندنا في مقاربته إلى فرضيّة أساسيّة تعدّ بنية التّعريف في النّص القاموسي بنية نظاميّة تقوم على علاقات شكليّة ودلاليّة ناقلة للمعاني وسياقاتها. واشتققنا هذه الفرضيّة من فرضيّة ثانية مفادها أنّ البنية في المدوّنة القاموسيّة العربيّة العامّة بنى، بنية نصيّة صغرى تمثّلها الصّلة الجامعة بين المدخل والتّعريف، وبنية نصيّة كبرى تمثّلها مجموع المداخل التي تشكّل بنى صغرى متفرّعة عن المدخل الرّئيسيّ.

واتخذنا لاختبار فرضيّة البحث، عيّنة إجرائيّة موضوعا للنّظر والتأمّل من «تاج العروس من جواهر القاموس» لمرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م). مثّل هذه العينة، لضخامة هذه المدوّنة القاموسيّة واتّساعها، جذر(س.ر.ر) من فصل السّين في باب الرّاء في المجلّد الثاني عشر (ص ص ٥-٢٣). واعتمدنا في دراسة هذا الأنموذج على مقدمة المصنّف التي عرّف فيها بمنهج المؤلف في الجمع والوضع في المجلّد الأول.

١- النّص القاموسي

النّص القاموسي مفهوم حديث في الدّرس اللّساني العربي ظهر في بداية القرن الحادي والعشرين، ويطلق على بنية مداخل القاموس المجمّعة في مدوّنة نصيّة ورقيّة أو إلكترونيّة.. ويستثنى من هذا التّعريف القاموس ذاته، وهو مدونة المفردات المعجميّة من اللّغة، وبنيته النّصيّة العامّة القائمة على طريقة مخصوصة في التّرتيب والتّعريف.

اقترن هذا المصطلح بمصطلح آخر مواز له في المعنى سبقه زمنيّا في الدّرس المعجمي العربي الحديث هو النّص المعجمي وأوّل من دعا إلى الاهتمام به اللّساني التونسي محمد رشاد الحمزاوي في نهاية القرن العشرين وبداية القرن

الحادي والعشرين، معتبرا أنّ النّص المعجمي والتّعريف مفهومان يحتاجان إلى التّأصيل في الأذهان لأهميتهما[١]. وبيّن أنّ النّص المعجمي: «يستوجب عنوانا، وهو مدخله» [٢]، ويمثّل «محتواه»: «تعريفاته وشروحه وشواهده»[٣]. وتواصل الاهتمام بهذا المفهوم ليتجلّى خاصّة في أعمال الملتقى العلمي الدولي الثامن للقاموسيّة حول بنية النّص القاموسي الذي انعقد بالجزائر يومي ٢٧ و٢٨ نوفمبر من سنة ٢٠١١ لدراسة قضايا المعجم الصناعي في اللّغة العربيّة[٤].

ومردّ هذا الاهتمام يعود إلى أنّ بنية النّص القاموسي ليست بنية بسيطة تتكوّن من مداخل رئيسيّة ومداخل فرعيّة مقترنة بتعريفات[٥]، بل هي بنية معقّدة مستفادة من تطبيق المقاربة الاشتقاقيّة في القاموسيّة الأوروبيّة الحديثة، وتتعلّق بالأصول الجذعيّة[٦]. وقد عرّفها ابن مراد بقوله: «هي المقاربة القائمة على تفريع المدخل الرّئيسي الذي يتصدّر النّص القاموسي إلى مداخل فرعيّة هي مشتقاته، سواء كان فعلا تتفرّع عنه بالاشتقاق أفعال وأسماء وصفات، أو كان اسما تتفرّع عنه أفعال وأسماء وصفات، أو كان صفة يشتق منها الفعل والاسم والصفة، بل قد يكون المدخل ظرفا-في العربيّة مثلًا- فتشتقّ منه الصفة، ويكون أداة فيشتق منها الفعل والاسم والصفة»[٧].

١- ينظر: الحمزاوي، المعجم العربي المعاصر في نظر المعجمية الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، المجلد ٧٨، الجزء الرابع ، ٢٠٠٣، ص ١٠١٩-١٠٥٨.

٢- الحمزاوي، المعجم العربي المعاصر في نظر المعجميّة الحديثة، ٢٠٠٣، ص٢٥.

٣- المرجع نفسه، ص٣١.

٤- نظّم هذا الملتقى مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللّغة العربيّة بمساهمة جمعيّة المعجميّة العربيّة بتونس ووحدة بحث مفردات العربيّة بين المعجم والقاموس بجامعة منوبة، والجمعيّة المغربيّة للدّراسات المعجميّة، ومركز البحث في المصطلحيّة والترجمة بجامعة ليون٢. ونشرت هذه الأشغال في مجلة اللّسانيات بالجزائر، في العددين التاسع عشر والعشرين لسنتي ٢٠١٣ و٢٠١٤.

٥- ينظر: ابن مراد، إبراهيم: المقاربة الاشتقاقيّة في معالجة المداخل القاموسيّة وأثرها في بنية النّص القاموسي، مجلة اللسانيات، العدد المزدوج ١٩ و٢٠، ٢٠١٣ و٢٠١٤ (ص ص ٣١- ٥٣)، ص٣١.

٦- ينظر: ابن مراد، إبراهيم: المقاربة الاشتقاقيّة في معالجة المداخل القاموسيّة وأثرها في بنية النّص القاموسي، ٢٠١٣و٢٠١٤، ص ص٣١- ٣٧.

٧- المرجع نفسه، ص ٣٥.

لا شكَ أنّ دارس خصائص النّص القاموسيّ في المدوّنة التراثيّة العربيّة ينتبه إلى وجود بنية محكمة السّبك في كلّ مدخل من مداخل القاموس اللّغوي العام مركّبة من بنية كبرى وبنى صغرى. ويختصّ كلّ نصّ في البنية النّصيّة الكبرى بخصائص تمييزيّة ممثّلة لخصائص الرّصيد اللّغوي العامّ المكوّن للغة الجماعة اللّغوية الواحدة لكونها دخلت القاموس من المعجم اللّغوي المستعمل في الخطاب لضبط الاستعمال وتحديده.

وتتشكّل كلّ بنية صغرى بدورها من نصّين. النصّ الأوّل يمثله مدخل معجميّ أساسيّ يسمّى عنوان النّص؛ وهو يوافق المادّة في اصطلاح اللّغويين القدامى، ويوافق المدخل في اصطلاح المحدثين[١]. وهو أساس من معجم مستعمل آني لأنّه عناصر صوتيّة قابلة للنّظم في سلاسل معبّرة عن سياقات لغويّة مختلفة[٢]. ويشتق من هذه العناصر الصوتيّة في العربيّة -باعتبارها لغةساميّة ذات بنية غير سلسليّة -جذع رئيس قابل بدوره للتّفريع إلى بنى اشتقاقيّة، ممثّلة لجذوع فرعيّة، يتحكّم في تشكّلها نظامها الصيغيّ.

ترتّب بنية المدخل في القاموس اللّغوي العربي العامّ حسب نظام مخصوص، وهو ثلاثة أصناف. الصّنف الأوّل يرتّب فيه المدخل ترتيبا صوتيّا بحسب مخارج الحروف؛ والصنف الثاني يرتّب فيه المدخل ترتيبا ألفبائيّا بآخر الكلمة أو بأوّلها؛ أمّا الثالث فيرتّب ترتيبا موضوعيّا. ويوافق هذا العنوان في المعاجم اللّغويّة العامّة الجذر، والمداخل المتفرّعة عنه أساسيّة وفرعيّة. وهي تتوفّر على منطق في التّسلسل يقترن بنوع القاموس وخصوصيّته.

النّص الثاني يمثّل التّعريف الذي يقترن بالمادّة أو المدخل في المدونة القاموسيّة

١- الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي، المؤسسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٩١ (٤٤٢ص)، ص١١.

٢- الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي، المؤسسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدّراسات، ١٩٩١، ص ٢٠٣-٢٠٥.

العربيّة، ويسميه الحمزاوي النصّ المحض[1]، وهو شرح له يخصّص دلالاته وينقل المعنى المستفاد منه. ولا يخرج هذا النّص حسب هذا الباحث عن ثمانية أصناف قابلة للتّفريع والتّقسيم هي التّعريف الصّوتي، والتّعريف النّحوي، والتّعريف الصّرفي، والتّعريف الدّلالي، والتّعريف المجازي، والتّعريف بالشّاهد، والتّعريف الأسلوبي، والتعريف بالصورة[2].

تشبه علاقة عنوان المدخل بالتّعريف علاقة وجه الورقة بقفاها التي مثّل بها فرديناند دي سوسير علاقة التّرابط بين الدّال بالمدلول، فلا وجود لمادّة في القاموس دون تعريف. لذلك نبحث في القسم التطبيقي في أنواع التّعريفات الواردة في تاج العروس للزبيدي من خلال جذر (س. ر.ر). فندرس خصائص النّص القاموسي باعتباره بنية لسانيّة نظاميّة تضطلع بوظيفة الفهم والإفهام. وتربط بين مكوّناتها روابط شكليّة ودلاليّة تحكمها معايير الاتّساق والانسجام. أمّا الاتّساق، فيتجلّى في البنية الشكليّة ومكوّناتها؛ وأمّا الانسجام فيتحقّق بتحقّق الانسجام بين الرّوابط الشكليّة والقصد.

٢– مدوّنة البحث وعيّنة الدّراسة

اخترنا لمقاربة مبحث النّص القاموسي «تاج العروس من جواهر القاموس» لأبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق مرتضى الحسيني الزبيدي المؤلف من أربعة عشر مجلدا بين ١١٧٤ و١١٨٨هـ. وقد صدرت طبعته الأولى بالهند سنة ١٣٢٥هـ، ثم تعدّدت طبعاته؛ واعتمدنا، في بحثنا، طبعة الكويت المشتملة على أربعين مجلدا المنشورة بين سنة ١٩٦٥م وسنة٢٠٠١م.

١- ينظر: النّص المعجمي في المولّدات والأعجميّات، حرف التاء من المعجم الوسيط نموذجًا، ضمن تمام حسان رائدا لغويا، بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه، عالم الكتب، ٢٠٠٢ (ص ٣٣٣-٣٤٤)، ص٣٣٩.

٢- ينظر: النّص المعجمي في المولّدات والأعجميّات، حرف التاء من المعجم الوسيط نموذجًا، ٢٠٠٢، ص٣٣٤.

و«التاج»، هو أحد أهمّ شروح «القاموس المحيط» لمجد الدين الفيروزآبادي (ت١٣٢٩هـ/ ١٤١٥م)، صدّر بمقدمة وعشرة مقاصد. تعلّق المقصد الأوّل ببيان «هل اللّغة توقيفيّة أو اصطلاحيّة؟»، والثّاني بـ «سعة لغة العرب»، والثّالث بـ «عدة أبنية الكلام»، والرّابع بـ«المتواتر من اللّغة والآحاد»، والخامس بـ «بيان الأفصح»، والسّادس بـ «بيان المطّرد والشّاذ والحقيقة والمجاز والمشترك والأضداد والمترادف والمعرّب والمولّد»، والسّابع بـ«معرفة آداب اللّغوي»، والثّامن بـ «بيان مراتب اللّغويين، وبيان أوّل من صنّف اللّغة، وأنواع أخرى»، والتّاسع بـ «ترجمة المؤلف»، والعاشر بـ«أسانيد المؤلف»، ثم أبواب القاموس المختلفة.

تأخذ مواد هذه الأبواب بأواخر الكلمات كـ«القاموس المحيط»، ويقصد بذلك أنّ التّرتيب الألفبائي يعتمد الحرف الأخير من مصدر الكلمة ثم الحرف الأوّل ثم الثّاني. وجمعت مادّة أبواب هذا القاموس من مصادر كثيرة أهمّها «لسان العرب» لمحمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م)، و«تّهذيب اللّغة» لأبي منصور محمد بن الأزهر الملقب بالأزهري (ت٣٧٠هـ/ ٩٨١م)، و«حواشي وأمالي» أبي محمد بن عبد الله بن بري (ت٥٨٢هـ/ ١١٨٧م)، و «النّهاية في غريب الحديث والأثر» لمجد الدين أبي السعادات المبارك محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م). وهو اختيار يعبّر عن سعي المؤلف أن يكون ناقلا جامعا لبلوغ الموسوعيّة.

والنّاظر في القاموس اللّغوي العام عموما، يدرك أنّ الجذر هو النّص الأوّل، وهو مدخل رئيسيّ ممثّل لأصل لغويّ افتراضي متكوّن من مجموعة من الحروف الأصول ثنائيّة أو ثلاثيّة أو رباعيّة أو خماسيّة. ويتفرّع الجذر إلى جذع رئيس وجذوع فرعيّة، ويختصّ كلّ جذع بأربع خصائص هي التأليف الصوتي والبنية

الصرفيّة والمغزى المعجمي والانتماء المقولي[1]، ويحقق انتظام هذه المكوّنات الفهم.

اخترنا الجذر(س.ر.ر) عيّنة لدراسة منهج الزّبيدي في ترتيب جذوع مداخله وبيان الكيفيّة التي استقى بها المعرفة اللّغويّة من رصيد المصادر المعتمد في الجمع ، وكيفيّة تصنيفه لتلك المادّة التي تمثّل منبعا لغويّا خصبا متعدّد المقولات يتميّز بالثّراء لقدرته الاشتقاقيّة وتعدّد تفريعاته.

وقد شكّل هذا الجذر الثلاثي المتكوّن من «السين» و «الرّاء» مضاعفة في «التاج»، ائتلافا بين صوت أسنانيّ مهموس رقيق يخرج بين طرفي اللّسان وفويق الثنايا مثله «السّين» [2]، وصوت ذولقي انحباسيّ مجهور تكريريّ يخرج من ظهر اللّسان كأنّه مكرّر هو «الرّاء» [3]. وبما أنّ الجذر كرّرت عينه ولامه، كان النّطق بتكرير الرّاء مضاعفا مرّتين.

وقد أحصينا ٦٤ مدخلا في عينة الدّراسة، فرّعها الزّبيدي إلى جذع اسمي رئيس هو «السِّرُّ»، أتبعه بجذوع فرعيّة هي «سَرَّ» (يسُرُّ)، و«أَسَرّ» (يُسِرُّ)، و«سَرِيرة»، و«أَسْرار»، و«سَرائر»، و«سِرّي»، و«أَسِرّة»، و«سَرَار»، و«سَرَارَة»، «سَرَر»، و«سِرَار»، و«أَسِرَّة»، و«أَسَارِير»، و«سَرِير»، و«أَسْرَا»، و«سُرُور»، و«سُرّ»، و«سُرَّ»، و«مَسْرُور»، و«سُرُور»، و«سَرُور»، و«سَرّ»، و«سُرٌّ»، و«سُرَّة»، و«سِرَر»، و«سُرَر»، و«سَرَر»، و«سُرّات»، و«سَرَّ» (يَسَرُّ)، و«سَرَارَة»، و«سَرَار»، و«سَرَائِ»، و«سُرِيَّة»، و«تَسَرَّرَ»، و«تَسَرّى»، و«سُرِيَّة»، و«سِرَاري»، و«سُرُر»، و«سُرَر»، و«سُرَيْر»، و«سَرَّة»، و«مَسَرَّة»، و«سَرَّاء»، و«إِسْرَار»، و«سُرَّة»، و«سَارَّة»، و«سُرْسُور»، و«سُرْسُورَة»، و«سَرَّرَ» (يُسَرِّرُ)،

١- ينظر: ابن مراد، إبراهيم: المعجم العربي بين اللّغة والخطاب، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغو العربيّة، الرياض، ٢٠١٦، ص٧٩.

٢- ينظر: إبراهيم، عبد الفتاح: مدخل في الصوتيّات، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٥، ص٨٦.

٣- ينظر: إبراهيم، عبد الفتاح: مدخل في الصوتيات، ١٩٩٥، ص ٨٩-٩١.

و«تَسْرير»، و«سَارّ»، و«مَسَارَّة»، و«تَسَارَّ» (يَتَسَارَّ)، و«اسْتَسَرَّ» (يَسْتَسِرُّ)، و«تَسَرْسُر»، و«سَرْسَرَ» (يُسَرْسِرُ)، و«أَسَرّ»، و«مَسّار»، و«سَرَّى»، و«سِرِّين»، و«سَرَاوَة»، و«مَسَرّ»، و«تَسْرِير»، و«سِرْسِر».

مثّلت هذه الجذوع مداخل فرعيّة للمقولات الصرفيّة المتفرّعة عن الجذر(س.ر.ر)، واقترنت بمداخل ثانويّة ممثّلة للاستعمالات المختلفة للمدخل الفرعي الواحد. وهي مرّتبة وفق توالد دلالي تدرّج فيه الواضع من المجرّد إلى المزيد، ومن المتفق عليه إلى ما انبنى على أكثر من معنى واقترن بأكثر من دلالة. وحرص في جمعها على بلوغ الشموليّة إذ كثيرًا ما كان يعود إلى الجذع الواحد في أكثر من موضع ليضيف تعريفات أخرى نقلها عن رواة آخرين.

عيّن الزبيدي، في مواضع كثيرة من جذوع هذا الجذر، الأصول المنهجيّة المعتمدة في جمع مدوّنته، ومن أمثلة ذلك ما نقله عن الأزهري: «وهكذا سماعي من العرب. سَرَّ البَعيرُ يَسُرُّ سَرَرًا عن ابن الأعرابيّ، وقد شَدَّ اللّيث حيث فَسَّرَ السَّرَرَ بْوَجَع يأخُذُ في السُّرّةْ، وغَلَّطَه الأزهري وغيره»[١]، وقوله: «فاسْتَسَرَّني» أي اتّخذني سُرِّيَّةً، والقياس أن يقول: تَسَرَّرَني، أي تَسَرّاني، فأمّا استَسَرَّني فمعناه ألقى إلى سِرِّه، قال ابن الأثير: قال أبو موسى: لا فرقَ بينه وبين حديث عائشةَ في الجواز. كذا في اللّسان»[٢]. لقد بيّن الزبيدي، في هذين الأنموذجين وفي غيرهما من النماذج، أنّ المدوّنة قامت على أصلين أساسيين هما السّماع والقياس لما بينهما من تواصل واسترسال[٣]، وهو المنهج المتّبع في جمع المدوّنة القاموسيّة والنّحويّة العربيّة بشكل عام.

١- الزبيدي، أبو الفيض مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، ٤٠ مجلدًا، (١٩٦٥-٢٠٠١)، جذر (س.ر.ر) مجلد ١٢، (ص ص٥-٢٣)، ص١٦.

٢- الزبيدي، تاج العروس، ١٢ / ١٤.

٣- ينظر: عاشور، المنصف: دروس في الأصول النظريّة النحويّة العربيّة، من السّمات إلى المقولات أو لولبيّة الوسم الموضعي، مركز النشر الجامعي، جامعة منوبة، ٢٠٠٥ (٤٢٥ص)، ص ص٧-٨.

٣–بنية النّص القاموسي

اقترنَ النّص القاموسي بركنين من أركان وضع القاموس الأساسيّة هما التّرتيب والتّعريف. يدرس ركن التّرتيب كيفية جمع مداخل المعجم في القاموس داخليّا وخارجيّا. والتّرتيب الدّاخلي يرتبط بحسب درجة تركّب المدخل، وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي المداخل البسيطة والمداخل المركّبة والمداخل المعقّدة؛ أمّا التّرتيب الخارجي، فهو التّرتيب الصّوتيّ والألفبائيّ للمداخل.

ويختصُّ ركن التّعريف بشرح المدخل وتفسيره وفق بنية مخصوصة لها مقوّماتها الشكليّة والدّلاليّة، فهو «عمليّة لسانيّة تُجرى على المدخل المعجمي ليس باعتباره وحدة معجميّة غامضة تتطلب التّعريف بمعناها بل باعتبارها دليلا لغويّا له وجهاه المكوّنان له. وهما الوجه الدّالي المتمثّل في التأليف الصوتي والبنية الصرفيّة والوجه المدلوليّ المتمثّل في المحتوى الدلالي» [١].

يعرض التّعريف أوجه استعمال الجذع الرئيس والجذوع المشتقة منه من حيث عددها وصيغها وضروب إنجازها ودلالاتها. وينبني على أصناف متنوعة من النّصوص اعتمد فيها مؤلف القاموس بدوره على نصوص من أزمنة مختلفة وشواهد وأمثلة لا تخضع إلى ترتيب واحد لتعدّد مدلولاتها وسياقات استعمالها.

لذلك، ندرس مميّزات هذه البنى المتعدّدة في «التّاج» قصد التّعريف بخصائص البنية الدّاخليّة الشكليّة والدلاليّة للنّص القاموسي وبالنّظام الذي ائتلفت على أساسه مكوّناتهما. ونظرا إلى أنّ العلاقة بين البنية الشكليّة والبنية الدلاليّة وثيقة، لم يفصل الزبيدي بينهما بل كثيرا ما وظّف المكوّنات الشكليّة لتفسير المكوّن الدّلالي وقرنها بطبيعة المدخل المعرّف. وفصْلُنا بين هذين المكوّنين في عملنا هو فصل منهجيّ غايته التعرّف على خصائص كلّ مكوّن.

١– ينظر: ابن مراد، إبراهيم: المعجم العربي بين اللّغة والخطاب، ٢٠١٦، ص٨٧.

٣–١–بنية التّعريف الشكليّة

بنية التعريف الشكليّة هي المكوّن الشّكلي للتّعريف[١]، وقد اشتملت هذه البنية المتفرّعة عن الجذع الرّئيس في تاج العروس على معلومات تتعلّق ببنيته الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة حدّد بمقتضاها المؤلف انتماءها إلى مقولة الفعليّة لتتشكّل في مشتقات فعليّة أو انتماءها إلى مقولة الاسميّة لتتشكّل في مشتقات اسميّة.

٣–١–١– التّأليف الصوتي

تتعلّق بالتّأليف الصوتي خصائص صوتيّة ممثّلة للدّال المتكوّن من عناصر صوتيّة متمايزة. وقد أولى الزّبيدي هذا الرّكن أهميّة فائقة تجلّت بالخصوص في حرصه على التّمييز بين حركات الجذر، فنصّص على كيفية رسم حركات حرفي الفاء والعين لكون (س.ر.ر) جذرًا مضاعفًا عينه ولامه من الجنس نفسه ولاحتمال وروده على وجوه مختلفة؛ وميّز، تبعا لذلك، بين حركتي فاء الجذع وعينه. وبيّن أنّ فاء الجذع تحتمل ثلاثة تقليبات هي الضمّة والفتحة والكسرة. ومن أمثلة ما كانت فاؤه ضمّة «سُرّ» [٢]، و«سُرُور» [٣]، و«سُرِيَّة»[٤]، و«سُرْسُور»[٥]. ومن أمثلة ماكانت فاؤه فتحة «سَرَارَة» [٦]، و«سَرَّ» [٧]، و «سَرَّاء» [٨]، و«سَرَر»[٩].

١- ينظر: النصراوي، الحبيب: التعريف القاموسيّ، بنيته الشكليّة وعلاقاته الدّلاليّة، مركز النشر الجامعي، منوبة، ٢٠٠٩ (٣٢٢ص)، ص١٢٨.
٢- ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ١٢ / ٩-١٠.
٣- المصدر نفسه، ١٢ / ٩، ١٠، ١٥، ١٨.
٤- المصدر نفسه، ١٢ / ١٣.
٥- المصدر نفسه، ١٢ / ١٩.
٦- المصدر نفسه، ١٢ / ١٢.
٧- المصدر نفسه، ١٢ / ١٠.
٨- المصدر نفسه، ١٢ / ١٦.
٩- المصدر نفسه، ١٢ / ١٠.

ومن أمثلة ماكانت فاؤه كسرة «سِرّ» [١]، و«سِرِّيٌّ»[٢]، و«سِرَر» [٣].

ويشمل عين الجذع ولامه تقليبان، الأوّل ما كانت عينه ولامه ضمّة مثل «سُرُور»[٤]، و«سَرٌّ» [٥]، والثاني ما كانت عينه ولامه فتحة مثل «سَرَارَةُ الوادي» [٦]، و«سَرَّ»[٧]، و«سَرَّة»[٨]، و«المَسَرَّةُ»[٩].

وتعلّق التّأليف الصوتي، كذلك، بظاهرة القلب الذي يراد به الانسجام الصوتي، فتجلّت في إبدال «الواو» «ياء» وإدغامها في قوله: «وسُميت الجارية سُرِّيَةً لأنها موضع سرور الرّجل. وقيل: هي فُعُّولَةٌ من السَرْوِ، وقُلِبَت الواو الأخيرة ياءً طَلَبَ الخِفَّةَ، ثمّ أدغِمَت الواو فيها فصارت ياءً مثلها» [١٠]. وترتّب على القلب إبدال حركة الضمّ بكسرة لمجاورة الياء[١١]. وتعلّقت، كذلك، بقلب «الراء» «ياء» لصعوبة النّطق بصامت متتابع ثلاث مرات في قوله: «وقال اللّيثُ: السُّرِّيَّةُ فُعْلِيَّةٌ من قولك: تَسَرَّرْتُ، ومن قال تَسَرَّيتُ فإنّه غلط، قال الأزهريّ: هو الصواب، والأَصْلُ تَسَرَّرْتُ، ولكن لمّا توالت ثلاث رااآت أَبْدَلُوا إحداهنّ ياءَ، كما قالوا: تَظَنّـَيتُ من الظَّنِّ، وقَصَّيْتُ أظفَاري، والأصل قَصَصْتُ» [١٢]. وهما ظاهرتان صوتيّتان تفسّران العلاقات الصوتيّة المتسبّبة في قلب الصوائت أو الصوامت، وتبرران علاقة الإبدال بين الصوت الأصلي والصوت البديل.

١- المصدر نفسه، ١٢ / ٧، ١٣، ١٧، ٢١.
٢- المصدر نفسه، ١٢ / ٢٠.
٣- المصدر نفسه، ١٢ / ١٠.
٤- المصدر نفسه، ١٢ / ١٠-١١.
٥- المصدر نفسه، ١٢ / ١١.
٦- المصدر نفسه، ١٢ / ١٢.
٧- المصدر نفسه، ١٢ / ٩، ١٠.
٨- المصدر نفسه، ١٢ / ١٠.
٩- المصدر نفسه، ١٢ / ١٥.
١٠- المصدر السابق، ١٢ / ١٣.
١١- المصدر السابق، ١٢ / ١٣.
١٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٣.

ويعزو الزّبيدي هذه الظاهرة الصوتيّة إلى «التخفيف» قصد التيسير.

٣-١-٢- البنية الصرفيّة

تتعلّق بالبنية الصرفيّة خصائص صيغيّة واشتقاقيّة وتصريفيّة. وقد تجلّى اهتمام مؤلف التّاج بالخصائص الصيغيّة عند تمييزه بين صيغة المدخل ودلالته في قوله مثلا: «قال بعضهم: (اسْتَسَرَّ) الرَّجُلُ جاريته، بمعنى تَسَرّاها، أي اتَّخَذَها سُرِّيَّةً (...)، والقياس أن يقول: تَسَرَّرَني، أي تَسَرّاني، فأمّا استَسَرَّني فمعناه ألقى إلى سِرِّه، قال ابن الأثير: قال أبو موسى: لا فرق بينه وبين حديث عائشةَ في الجواز. كذا في اللّسان» [١]. وبيّن، كذلك، العلاقة بين صيغة «استفعل» و«تفعّل» و«تفعلل» والدّلالات المستفادة منها. وهي، أساسا علاقة مستفادة من دلالة حروف الزّيادة المقترنة بالجذع الثلاثي الأصلي.

وحدّد الزبيدي، إضافة إلى ما سبق ذكره، أنواع المشتقات ودلالاتها، فبيّن أنّ «المِسَرَّة» هي «الآلَةُ» التي (يُسَارُّ فيها، كالطُّومار) وغيرِه» [٢]، وأنّ «سَرَارَة الوادي» «أفضَلُ مواضعه وأكْرَمُها وأطيَبُها» [٣]. فالـ«المِسرّة» على وزن «مِفعلة» و«السَّرارة» على وزن «فَعالة» علامتان دلّتا على المكان، اختلفت صيغتهما، وإن اشتركتا في الحروف الأصول، فاختلفت دلالتهما. والأمثلة، في هذا السياق كثيرة، فالـ«مَسَارّ»: حِصْنٌ باليَمَن، وتخفيفُ الرّاء لَحْنٌ»[٤]، و«السِّرَرُ»: «ع، قرب مكّة، على أربعة أَميالٍ منها، قال أبو ذُؤيب:

بـآيـة مـا وقَـفـت والـرُّكـا ... بُ بينَ الحَـجُونِ وبين السَّرَر[٥].

١- المصدر السابق، ١٢ / ١٣-١٤.
٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٦.
٣- المصدر السابق، ١٢ / ١٢.
٤- المصدر السابق، ١٢ / ١٩.
٥- المصدر السابق، ١٢ / ١٢.

والـ «سِرَارٌ، كَكِتَاب: «ع بالحِجَازِ في دِيَارِ عَبْدِ الله بن غَطَفانَ» [١]. والـ «سُرَيْر» كزبير: واد بالحجاز»[٢]. والـ «سِرِّين»: ، «كـ سِجّين: ع. بمكّة» [٣]، والـ «سُرَّاءُ»: «مَمْدُودَةً مُشَدَّدَةَ وتُفْتَحُ: ماءٌ عندَ وادِي سَلْمَى، يُقال لأَعْلاهُ: ذُو الأَعْشَاشِ، ولأَسْفَلِه: وَادي الحَفَائِرِ»[٤].

قرن مؤلف التّاج المداخل الاسميّة بخصائص تتعلّق بمقولة العدد، فعيّن سمة الإفراد في قوله: «السِرُّ، بالكَسر: واحد أَسْرَارِ الكَفِّ، لِخُطُوطِها من بَاطِنها»[٥]، وميّز بين المفرد والجمع وجمع الجمع في «الأَسَارير»، وهي: «الخُطُوطُ التي في الجَبْهَة من التّكَسُّر فيها، واحدُها سِرَرٌ، قال شَمِر: سَمِعْتُ ابن الأعرابيّ يقول - في قَوله: تَبْرُقَ أَسَاريرُ وَجْهِهِ قال: خُطُوطُ وجهِهْ» [٦]. فالـ«سِرُّ» مفرد جمعه «أَسْرَارٌ». و«الأَسَاريرُ» جمع الجمع، وهي: «مَحَاسِنُ الوَجْهِ، والخَدّانِ، والوَجْنَتَانِ، وهي شَآبِيبُ الوَجْه أيضًا». [٧]

وعيّن صيغة المثنى في «رَتْقَة السِّرَّيْن»، فهي: «مثنّى السِّرُّ: ة على السّاحل)، أي سَاحِلِ بَحْر اليَمَن (بينَ حَلْي وجُدَّة)، منها يَخْرُجُ من يَحُجُّ من اليَمَن في البحر، بينها وبين مَكَّةَ أربَعُ مَراحلَ، وقد ذَكَرَها أبو ذُؤَيْب في شعره، وهي مَسْكَنُ الأَشْرَاف اليوم من بني جَعْفَرٍ المُصَدَّقِ» [٨] كما عيّن صيغة الجمع في مدخل«السرّ» بقوله: «ج: أَسْرارٌ، وسَرائرُ، وفيه اللّف والنّشرُ المُرتّبُ» [٩].

١- المصدر السابق، ١٢ / ٨.
٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٥.
٣- المصدر السابق، ١٢ / ٢٠.
٤- المصدر السابق، ١٢ / ٨.
٥- المصدر السابق، ١٢ / ٧.
٦- المصدر السابق، ١٢ / ٧.
٧- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٨- المصدر السابق، ١٢ / ٢٠.
٩- المصدر السابق، ١٢ / ٥.

وأشار الزبيدي إلى حركة عين الفعل في الماضي والمضارع في قوله: «سَرَّ» الرّجُلُ «يَسَرُّ»، سَرَرًا (بفتحهما)، أي الماضي والمضارع: اشتَكاها، أي السُّرَّةُ»[١]، وإلى صلة الجذع بوزن المصدر ودلالته في قوله: «سَرَّ الزَّنْدَ يَسُرُّهُ سَرًّا، بالفتح: جعل في طَرَفِهِ أو جَوْفِهِ عُودًا إذا كان أَجْوَف، ليَقْدَحَ به»[٢].

وقرن التّرتيب الدّاخلي للجذوع، بمعلومات اشتقاقيّة رتّب من خلالها المشتقات الفعليّة وفق توالد قوامه التّرابط بين صيغة الماضي والمضارع نحو «سرَرته»[٣] و«تَسُرُّكَ»[٤]، والبناء إلى المعلوم والبناء إلى المجهول نحو «سَرَّ»[٥] و«سُرَّ»[٦].

فرّع واضع التّاج، الجذوع الفعليّة إلى مجرّدة ومزيدة نحو «سرّ» و«أسرّ»[٧]، و«استسرّ» و«تَسَرَّرَ» و«تَسَرَّى»[٨]، و«سَرَّرَ» و«سّارَّ» و«تَسَارَّ»[٩]؛ وثلاثيّة ورباعيّة نحو «سَرَّ» و«سَرْسَرَ»[١٠]. وميّز بين دلالة المشتقات الاسميّة المتفرّعة عن هذه الجذوع نحو «سِرٌّ»[١١]، و«سُرٌّ»[١٢]، و«سَريرة»[١٣]، و«سِرَار»[١٤]،

١- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
٣- المصدر السابق، ١٢ / ٥.
٤- المصدر السابق، ١٢ / ١٨.
٥- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٦- المصدر السابق، ١٢ / ١١-١٢.
٧- المصدر السابق، ١٢ / ٥.
٨- المصدر السابق، ١٢ / ١٣.
٩- المصدر السابق، ١٢ / ١٩.
١٠- المصدر السابق، ١٢ / ١٩.
١١- المصدر السابق، ١٢ / ٥.
١٢- المصدر السابق، ١٢ / ٨.
١٣- المصدر السابق، ١٢ / ٥.
١٤- المصدر السابق، ١٢ / ٧-٨.

و«سَرَارَة» [١]، و«سُرَّاء» [٢]، و«سَرّاء» [٣]، و«سَرير» [٤]، و«سُرَ»[٥]، و«سُرَيْر» [٦]، و«أَسَاريرُ»[٧]، و«سُرُور» [٨]، و«مَسَرَّة» [٩]، و«مِسَرَّة»[١٠]، و«سُرَّة»[١١]، و«سَرَّةُ» [١٢]، و«سَرَر» [١٣]، و«سِرَر» [١٤]، و«سُرَر»[١٥]، و«أَسرَّة» [١٦]، و«سُّرَّة»، و«سُرُورٌ» [١٧]، و«سَارَّة» [١٨]، و«تَسِرَّةً»، وَمَسَرَّةً [١٩]، و«سَرُور»[٢٠]، و«سُرُور»[٢١]، و«سُرْسُور» [٢٢]، و«سَرْسُورة»[٢٣]، و«سُرَيرة» [٢٤]، وغير ذلك من المشتقات.

٣–١–٣– البنية التركيبيّة

لقد أولى الزّبيدي البنية التركيبيّة أهميّة بالغة بعرضه لأنواعها. وممّا لاشكّ فيه

١- المصدر السابق، ١٢ / ٧.
٢- المصدر السابق، ١٢ / ٨.
٣- المصدر السابق، ١٢ / ٨.
٤- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٥- المصدر السابق، ١٢ / ١٤.
٦- المصدر السابق، ١٢ / ١٥.
٧- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٨- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٩- المصدر السابق، ١٢ / ١٥.
١٠- المصدر السابق، ١٢ / ١٦.
١١- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
١٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٥.
١٣- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
١٤- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
١٥- المصدر السابق، ١٢ / ١١.
١٦- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
١٧- المصدر السابق، ١٢ / ١٢.
١٨- المصدر السابق، ١٢ / ١٨.
١٩- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٢٠- المصدر السابق، ١٢ / ٩.
٢١- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
٢٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٩.
٢٣- المصدر السابق، ١٢ / ١٩.
٢٤- المصدر السابق، ١٢ / ٢٠.

أنّه كان على وعي بأنّ المدخل الفعلي في القاموس بنية نحويّة[١] تتشكّل من «فعل لازم» نحو «استَسَرَّ الأَمْرُ» [٢]، أو «فعل متعدّ» نحو «اسْتَسَرَّ الرَّجُلُ جاريته»[٣]، كما تتشكّل من فعل متعدّ إلى مفعول نحو «اسْتَسَرَّهُ» [٤] أو فعل متعد إلى مفعولين نحو «سَرَّتِ النّاظِرَ إليها» [٥].

وقد تتعدّى مكوّنات هذه البنية إلى المفعول تعدّيا مباشرا أو تعدّيا غير مباشر، ومن أمثلة التعدّي المباشر إلى المفعول «سَرَّهُ» [٦]، و«امرأة تَسُرُّكَ»[٧]، و«أَسَرَّ ما كانت، تَطَؤُهُ بأَخْفَافِها»[٨]، و«اسْتَسَرَّني»، و«تَسَرَّرَني»، أي «تَسَرّاني»[٩]. ومن أمثلة التعدّي إلى المفعول تعدّيا غير مباشر قوله: «وقال الليث: السرّ: ما أسرَرْتَ به» [١٠]، و«يَسْتَسِرُ الهِلالُ بنور الشمس (كَسِرَارِه)، بالكَسْرِ» [١١].

وميّز بمقتضى ذلك بين «استسرّ» اللازم الذي يفيد «خفي واستتر»، و«استسرّ» المتعدي الذي يفيد «ألقى إليه سرّه» أو «اتخذ سُرِّيّة». كما ميّز بين «أَسَرَّهُ، وأَسَرّوا النَّدامَةَ»[١٢] بمعنى كتم وأخفى، و«أَسَرَّ إليه حَديثا: أَفضَى به إليه في خُفْيَة» [١٣]. ويستفاد من ذلك أنّ التعدّي بأداة يقابل التعدّي دون أداة، وأنّ أداة التعدية تغيّر المعنى. ويتجلّى من خلالها التقابل بين «أسّرّ» التي تفيد «أخفى»

١- ينظر: اللحياني، سرور: خصائص الرّأس الفعليّ وظواهر من انتظام المعجم، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، ٢٠١٠ (٤٠٠ص)، ص ص ٢١-٢٢.
٢- الزبيدي، تاج العروس، ١٢ / ١٩.
٣- المصدر نفسه، ١٢ / ١٣.
٤- المصدر نفسه، ١٢ / ٢٣.
٥- المصدر نفسه، ١٢ / ٢٢.
٦- المصدر نفسه، ١٢ / ٩.
٧- المصدر نفسه، ١٢ / ١٨.
٨- المصدر نفسه، ١٢ / ٢١.
٩- المصدر نفسه، ١٢ / ١٤.
١٠- المصدر نفسه، ١٢ / ٥.
١١- المصدر نفسه، ١٢ / ١٦.
١٢- المصدر نفسه، ١٢ / ١٧.
١٣- المصدر نفسه، ١٢ / ١٨.

و «أسرّ إليه» التي تفيد «أظهر». ويفهم، تبعا لذلك، الفرق بين «سَارَّهُ في أُذُنِه» التي تفيد «أعلَمَهُ بسِرِّه»[١]، و«تَسَارُّوا» التي تفيد «تَنَاجَوْا»[٢].

وقد يحمل المدخل ذاته المعنى وضدّه، وتتجلّى علاقة التّضاد في «سَرَرْتُه» التي تفيد «كتمتُه»، و«أعْلَنْتُه»[٣]. تساهم، تبعا لذلك، العلاقات التركيبيّة في بيان التقابل الدّلالي بين بنيتين صدرتا بمدخل واحد. وهو ضرب من ضروب التّعريف الشكليّة الهامّة في التّعريف الدّلالي. وقد تجلّت هذه الأهميّة، خاصّة، من خلال قدرتها على ضبط سمات المكوّن المعجميّ الدّلاليّ انطلاقا من سماته التركيبيّة.

٣–٢–بنية التّعريف الدلاليّة

بنية التّعريف الدلاليّة هي المكوّن الدّلالي للتّعريف[٤]، ويختلف المدى الكمّي لهذا النّص من مدخل إلى آخر لتعلّقه بالعلاقات المعنويّة المميّزة بين الوحدات المعجميّة. وتشتمل هذه البنية، عادة، على معلومات لغويّة عامّة تعرّف المدخل بعنصر مقابل له مفيد لمعناه. ثمّ يتمّ الانتقال الدّلالي في التّعريفات بحسب مقتضيات سياق المدخل فتقوم هذه السيرورة اللّسانيّة على التّرادف أو التّماثل أو المشابهة أو المغايرة أو التّقابل أو التّضاد أو غير ذلك من السياقات الدلاليّة. ومن خلاله تتحدّد مختلف دلالات المدخل، كما ترفق بعناصر مساعدة كالشواهد أو الأمثلة للتّوضيح والتّفسير.

وقد لاحظنا أنّ مؤلف القاموس أقام منطق نصوصه الفرعيّة على التّدرج، إذ عرض المعنى القاعدي أولا[٥]، وهو الممثّل للمعنى النواة؛ وأرفقه بالمعاني الثواني

١- المصدر نفسه، ١٢ / ١٩.
٢- المصدر نفسه، ١٢ / ١٩.
٣- المصدر السابق، ١٢ / ٥.
٤- ينظر: النصراوي، الحبيب: التعريف القاموسيّ، بنيته الشكليّة وعلاقاته الدّلاليّة، ٢٠٠٩، ص١٥٩.
٥- ينظر: صولة، عبد الله: المعنى القاعدي في المشترك، مبادئ تحديده وطرائق انتشاره، دراسة في نظريّة الطراز، مجلة المعجميّة، عدد١٨ و١٩، ٢٠٠٣ (ص ص١٩-٣٤)، ص ص٢٤-٣٢.

وسياقات استعمالها، وكأنّه يميّز بين المعنى الأكثر استعمالا المعبّر عن الدّلالة الأصليّة والدّلالات المتفرّعة عنه. وهو ما سنبيّنه في الفقرة الموالية.

٣–٢–١– التّعريف بالمجاز

تجلّى التّعريف بالمجاز في بنية التّعريف الدلاليّة في «التّاج» في مواضع كثيرة، وهي طريقة في التّعريف اللّغوي الوصفي تشير إلى تعدّد دلالات العنصر المعجمي. ومن أمثلة ذلك قول الزبيدي: «ومن المجاز: السِرُّ: الجماعُ، عن أبي الهيثم»[١]. قام هذا الأنموذج على علاقة بناها على التقابل بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، وهي طريقة شائعة في توليد الرّصيد المعجمي اللّغوي العامّ وتطويره. وقد تولّد في هذا المثال من المعنى الأصلي لـ«السرّ»، وهو ما يخفى ويكتم، بواسطة المجاز معنى جمع بين سمات دلاليّة لمرجعين مختلفين هو «الجماع». وقرنه الواضع بدلالات متفرّعة عنه، في قوله: «ومن الكناية أيضا: السِرُّ: (الإفصاحُ به)، والإكثارُ منه، وهو أن يَصِفَ أَحَدُهم نَفْسَه للمرأَةِ في عدّتها في النّكاح، وبه فسّرَ الفرّاءُ قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾[٢].

ولم يقتصر مؤلف القاموس على بيان العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المتفرّع عنه، بل كثيرا ما عدّد دلالات المدخل ودعمها بشواهد مثل دلالة «سرير»، وهو المضطجع، مجازا على: «مُسْتَقَرُّ الرّأس»[٣]، وعلى «المُلْك» في:

«وفَــارَقَ منها عيشَةً غَبْدَقِيَّةً ولم يخشَ يومًا أن يزُول سريرُها»[٤]

ودلالته على «النِّعْمَة والعزّ وخفض العيْشِ ودَعَته، وما اطمأَنَّ واستَقرَّ عليه»

١- الزبيدي، تاج العروس، ١٢ / ٥.
٢- المصدر نفسه، ١٢ / ٦.
٣- المصدر نفسه، ١٢ / ١٤.
٤- المصدر نفسه، ١٢ / ١٤.

[1]. ودلالة «الأسِرّةُ» مجازا على «طَرَائِق النَّبَاتِ» [2].

أسّسَ التّعريف بالمجاز، إذن، علاقة جديدة بين الدّال والمدلول، وأكسبه معنى أو معاني جديدة مضافة إلى معناه اللّغوي الأصلي القاعدي. ويستفاد من ذلك، أنّ هذا الرّكن من أركان التّعريف أسهم بشكل جليّ في تطوير الرّصيد اللّغوي العربي، وأكسب القاموس خاصيّة الشموليّة.

٣-٢-٢- التّعريف بالمغايرة

التّعريف بالمغايرة هي طريقة تعريف لغوي وصفي لا تقوم على التّوافق بين المدخل وتعريفه بل تقوم على علاقة تقابل أو تضادّ تغيب فيها الخصائص التمييزيّة المتوازيّة، فيتسّم الدّالان بالاختلاف شكلا ومعنى. وقد استعمل المؤلف في بيان العلاقات الدلاليّة بين المكوّنات المعجميّة المميّزة لبنية التّعريف هذا الضرب من التّعريفات التي تقوم على المغايرة في مواضع كثيرة. ومن أمثلة ذلك «السَّرّاءُ» خلاف «الضَّرَاءِ»[3]، و«السُّرُورُ» خلاف «الحُزْن»[4]، و«أَسَرَّ» ضدّ «أظهر» [5].

وقد يتحوّل التّعريف بالمغايرة، في بعض المواضع، إلى تقابل فيفيد المدخل المعنى ومقابله، نحو «سَرَرْتُه» التي تفيد «كتمتُه»، و«سَرَرته» التي تفيد «أَعْلَنْتُه» [6]. وقد فسّرت هذه العلاقة: «قوله تعالى في [الآية الثالثة من سورة التحريم]: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ وقوله تعالى [في الآية الأولى من سورة الممتحنة]: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ أي تَطَّلِعُون على ما تُسِرّون من مَوَدّتهم، وقد فُسّرَ بأنّ معناه تُظهِرون، قال المصنّف في البصائر: وهذا صحيحٌ، فإنّ الإسْرَارَ إلى الغير يقتضي

١- المصدر نفسه، ١٢ / ١٤.
٢- المصدر نفسه، ١٢ / ٢١.
٣- المصدر السابق، ١٢ / ١٦.
٤- المصدر السابق، ١٢ / ١٠.
٥- المصدر السابق، ١٢ / ٧.
٦- المصدر السابق، ١٢ / ٥.

إِظْهارَ ذلك لمن يُفْضي إليه بالسّرّر، وإن كان يَقْتَضي إخْفَاءَهُ من غَيْرِه، فإذا قولُكَ: أَسَرَّ إلى فلان، يقتضي من وجه الإظهار، ومن وجه الإخفاء» [١].

٣–٢–٣– التّعريف بالمشابهة

التّعريف بالمشابهة هو تعريف لغوي وصفي يقوم على التّوافق والتّقارب الدّلالي بين المدخل وتعريفه. ولعلّه ينضوي ضمن التّعريف بالترادف الذي يتّسم بالاختلاف الشكليّ والتّقارب المعنويّ، ولم نعثر في مدوّنة البحث إلا على نموذج واحد تجلّت فيه المشابهة بوضوح باستعمال أداة التشبيه الكاف في قوله: «مَسَرّة»، وهي: «أطرافُ الرَّياحين كالسُرور»[٢].

٣–٢–٤– التّعريف بالشاهد

التّعريف بالشاهد هو ضرب من ضروب التّعريف التي توضّح المعنى بإضافة شواهد أو أمثلة. واعتبره الدّريسي نصّا إخباريّا: «يؤسّس المفهوم ويثبت قيمته اللّغويّة لما بين الاستعمال والشّاهد من رابطة متينة في فهم النّص ومن أهميّة بالغة في تحديد المعاني»[٣]. وقد وظّف الزبيدي في مداخل جذر (س.ر.ر) شواهد متنوعة، وكان حضور هذا الضرب من النّصوص بارزًا كميّا وعدديّا في ثنايا هذه المداخل، وكثيرا ما كانت توازي التّعريف اللّغوي فتقوم بوظيفة التّحديد والتّفسير. ومن أمثلة هذا الضرب من النّصوص الشواهد القرآنيّة نحو مدخل «أَسَرَّ»، الذي استشهد فيه بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ وقوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، ليبيّن أن القصد هو «أظهر»، وهو قول «لمن يُفْضى إليه بالسّرّر، وإن كان يَقْتَضي إخْفَاءَهُ من غَيْرِه»[٤].

١- المصدر السابق، ١٢ / ١٨.
٢- المصدر السابق، ١٢ / ١٥.
٣- ينظر: الدريسي، فرحات: في بنية النّص المعجميّ، مجلّة المعجميّة، ع٧/ ١٩٩١(ص ٤٣-٥٥)، ص ٤٦-٤٧.
٤- الزبيدي، تاج العروس،١٢ / ١٨.

واستشهد بالحديث وبأعلام سبقوه، من ذلك قوله: «وفي الحديث: «فاسْتَسَرَّني»، أي اتّخذني سُرِّيَّةً، والقياس أن يقول: تَسَرَّرَني، أي تَسَرّاني، فأمّا استَسَرَّني فمعناه ألقى إلى سِرِّه، قال ابن الأثير: قال أبو موسى: لا فرق بينه وبين حديث عائشةَ في الجواز. كذا في اللّسان» [1].

ووظّف الشعر لبيان المعاني في مثل قوله: «والسِّرَارُ ككِتَاب، فهي خَمْسُ لغَات، قال الأعشى:

فانْظُر إلى كَفٍّ وأَسْرَارِها هل أنت أَوْعَذْتَني ضائِري»[2].

وأضاف: «وقد يطلَق السِّرُّ على خَطِّ الوَجْهِ والجَبْهَةِ، وفي كلّ شيءٍ، وجَمْعُهُ أَسِرَّةٌ، قال عنترةُ:

بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْبِأَزْهَرَفي الشّمَالِمُقدَّمِ»[3].

وبيّن أنّ «أسِرَّة» جمع «السَّرَار»، كَقَذَالٍ وأَقْذِلَةٍ، واستشهد بقول لبيد يرثي قومًا:

«فشَاعَهُمُ حَمْدٌ وزَانَتْ قُبُورُهم أَسِرَّةُ رَيْحَانٍ بقَاعٍ مُنَوَّرِ»[4].

رمى مؤلف التّاج باستعماله لهذا الضرب من التّعريف إلى بلوغ الإقناع بوصف الشواهد حجّجًا موثوقًا بها روايةً وقولًا، وهي كلام على كلام، يكاد لا يخلو قاموسٌ لغويٌّ منه، يدعم التّعريف اللّغوي ويثبته.

١- المصدر السابق، ١٢/ ١٤.
٢- المصدر السابق، ١٢/ ٧.
٣- المصدر السابق، ١٢/ ٧.
٤- المصدر السابق، ١٢/ ١٢.

الخاتمة

النّصُ القاموسيّ بنيةٌ لسانيّةٌ منتظمةٌ مرتّبةٌ ترتيبًا خطيًّا، استلزم فهمها وتفسيرها دراستها وفق علاقة «شكل- دلالة»، لكونها تربط بين المكوّن الدّالي والمكوّن المدلوليّ وتؤلف بين خصائصه. وهي علاقة بين اللّغة والعالم الخارجي نتجت عنها درجات من الدّلالة صيغت من المعنى الأصلي القاعدي الممثّل للمعنى النّواة، وتفرّعت عنه معان ثوان معبّرة عن سياقات الاستعمال. فانتظم هذا النّص، وهو ركن أساسيّ من أركان التأليف القاموسي، في صنفين من البنى هما بنية التّعريف الشكليّة وبنية التّعريف الدلالية.

وانتهينا في هذا البحث إلى النتائج المختصرة الآتية:

- تتشكّل بنية التّعريف الشكليّة من تأليف صوتيّ، وبنية صرفيّة، وبنية تركيبيّة.
- تقوم سيرورة بنية التّعريف الدلاليّة اللّسانيّة على أصناف متنوّعة من التّعريفات مثّلتها في عيّنة البحث السّياقات العامّة للجذع والتّعريفات المتعلّقة بها كالتّعريف بالمجاز، والتّعريف بالمغايرة، والتّعريف بالمشابهة. ورفدتها بنية رابعة لا تقلّ قيمة عن سابقاتها هي التّعريف بالشاهد.
- تتفاوتُ النّصوصُ القاموسيّة تفاوتًا كميّا، فتتّسم تارةً بالاختصار وطورًا بالطول. وتلوحُ في مواضع كثيرة نصوص متنامية متعدّدة السّياقات والشّواهد، وتكتسب في مواضع أخرى خاصيّة التّكرار قصد البيان والإيضاح.
- تقوم جذوع (س.ر.ر) على مكوّنات لغويّة نظاميّة تحدّد العلاقات المعنويّة وتميّز بين سياقات الاستعمال، تمثّلها السّمات الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة والدّلاليّة.

- تنقل العلاقات الشكليّة والدلاليّة في بنية النّص القاموسيّ معاني المفردات وسياقاتها. وتمكّن هذه العلاقات النّظاميّة من حوسبة اللّسان العربي واقتراح معايير لتوسيم المدوّنة العربيّة. هي، إذن، مقاييس نظم نحويّة، وصوتيّة، وصرفيّة، وتركيبيّة، ودلاليّة، توجّه اللّساني في وضع المحلّلات اللّغويّة لمعالجة اللّسان العربيّ.

- يعبّرُ «النّص القاموسي» في القاموس العربي، ككل إنتاج فكري، بوصفه بنيةً لسانيّةً، عن فكر الجماعيّة اللّغوية الصادر عنها، وهو امتداد للبيئة الثقافية والاجتماعيّة التي نشأ فيها.

المصادر والمراجع

١–المصدر:

- الزبيدي، أبو الفيض مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت، ٤٠ مج (١٩٦٥-٢٠٠١)، جذر (س.ر.ر) مجلد ١٢، ص ٥-٢٣.

٢–المراجع:

- إبراهيم، عبد الفتاح: مدخل في الصوتيات، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٥، ص١٩٨.
- إبراهيم مراد: المعجم العربي بين اللّغة والخطاب، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغو العربيّة، الرياض، ٢٠١٦، ص ١٠٥.
- ــــــــــــــــ: المقاربة الاشتقاقيّة في معالجة المداخل القاموسيّة وأثرها في بنية النّص القاموسي، مجلة اللسانيات، العدد المزدوج ١٩ و٢٠، ٢٠١٣ و٢٠١٤، ٤٣٧ ص، ص ٣١- ٥٣.
- الحمزاوي، محمد رشاد: المعجم العربي المعاصر في نظر المعجمية الحديثة، مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق، المجلد ٧٨، الجزء الرابع ، ٢٠٠٣، ص ص ١٠١٩-١٠٥٨.
- ــــــــــــــــــــــــ: النص المعجمي في المولدات والأعجميّات، حرف التاء من المعجم الوسيط نموذجا، ضمن تمام حسان رائدًا لغويًّا، بحوث ودراسات مهداة من تلامذته وأصدقائه، عالم الكتب، ٢٠٠٢، ص ص ٣٣٣-٣٤٤.
- ــــــــــــــــــــــــ: المعجم العربي، المؤسسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدّراسات، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٩١، ٤٤٢ص.
- الدريسي، فرحات: في بنية النّص المعجميّ، مجلّة المعجميّة، ع٧/ ١٩٩١، ص ص ٤٣-٥٥.
- صولة، عبد الله: المعنى القاعدي في المشترك، مبادئ تحديده وطرائق انتشاره، دراسة في نظريّة الطراز، مجلة المعجميّة، عدد١٨ و١٩، ٢٠٠٣، ص ص١٩-٣٤.
- عاشور، المنصف: دروس في الأصول النظريّة النحويّة العربيّة، من السّمات إلى المقولات أو لولبيّة الوسم الموضعي، مركز النشر الجامعي، جامعة منوبة، ٢٠٠٥، ٤٢٥ص.

- اللحياني، سرور: خصائص الرّأس الفعليّ وظواهر من انتظام المعجم، منشورات كليّة الآداب والفنون والإنسانيات، منوبة، ٢٠١٠، ٤٠٠ص.
- النصراوي، الحبيب: التعريف القاموسيّ، بنيته الشكليّة وعلاقاته الدّلاليّة، مركز النشر الجامعي، منوبة، ٢٠٠٩، ٣٢٢ص.

References and Sources:

1-Source:

- Al Zubaidi, Abu Al -Fayda Murtada Al -Husseini: Tāj al-Ārūs min Jawāhir al-Qāmūs ,40v(1965-2001),root (s.r.r),v12,pp5-23.

2-Reference:

- Achour, Al Moncef: Lessons in the Arab grammar theoretical origins, from the features to the categories or the topical tag, the university publishing center, University of Manouba, 2005, 425 p.
- Brahim, Abdel Fattah: Introduction to phonetics, Dar Al -Janoub, Tunisia, 198p.
- Drissi, Farhat: In the structure of the lexical text, journal of lexicology, 7/1991, pp. 43-55.
- Hamzawy, Muhammad Rashad: The contemporary Arabic dictionary in the eyes of the modern lexicology, the Arabic Language Academy journal in Damascus,V. 78, Part IV, 2003, pp. 1019-1058.
- Hamzawy, Muhammad Rashad: The lexical text in the neologism and borrowing, the letter 'T' as a modal in Al wasit dictionary, within Tammam Hassan, a linguistic leader, the world of books, 2002, pp. 333-344.
- Hamzawy, Muhammad Rashad: The Arab lexicon, The National establishment for Translation, Investigation and Studies, Bayt Alhikma, Carthage, 1991, 442 p.
- Ibn Mrad, Ibrahim: The Arabic Lexicon between language and discourse, publications of the King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service, Riyadh, 2016, 105 p.
- Ibn Mrad, Ibrahim: The derivative approach dealing with the dictionary entrances and its impact on the structure of the dictionary text, Linguistic Journal,N. 19 and 20, 2013 -2014, 437p. pp. 31-53.
- Lahyani, Sourour: The properties of the head of the verb and some phenomena of lexicon regularities , College of Letters, Arts and Humanities, University of Manouba, Tunis, 2010, 400 p.
- Nasrawi, Al Habib: Dictionary definition, its formal structure and its semantic relations, the university publishing center, Manouba, 2009, 322 p.
- Sula, Abdullah: The common meaning in the homonymy, its identification principles and its spreading methods, a study in the theory of prototype, journal of lexicology, N. 18 and 19, 2003, pp. 19-34.

الحدث في كتاب سيبويه
دراسة نحوية دلالية

Action in Sibawayh's Book:
A Semantic Grammatical Study

د. نياف بن رزقان بن هليل السلمي العنزي
أستاذ مشارك في جامعة الملك سعود بن عبد العزيز للعلوم الصحية
المملكة العربية السعودية

Dr. Nayyaf Bin Rizqan Bin Hillel Alsalami Alanazi
Associate Professor at King Saud bin Abdulaziz University for Health Sciences,
Saudi Arabia

https: //doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.03

تاريخ تسلم البحث 2022/08/22 - وصدر خطاب القبول 2023/01/06

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان أثر معنى الحدث في كتاب سيبويه على المعاني الوظيفية والقضايا التركيبية، وكذلك بيان دوره في الكشف عن الوظائف النحوية للكلمات، إذ إن كثيراً ما يُنسب إلى سيبويه اعتماده على نظرية العامل المختزلة في معنى الفعل الصوري عند تفسيره للعلاقات النحوية بين الفعل ومكوّناته الأولية في الجملة، واقتصاره على نظرية التأثر والتأثير، بكون الفعل مؤثرا وبقية الكلمات متأثرة، دون التنبيه إلى عنايته الدقيقة بتفسير معنى حدثه وما يتضّمنه من سمات دلالية ذات أثر كبير في تحديد دوره الوظيفي في اختيار موضوعاته واستنباط معانيه الوظيفية ومصطلحاته النحوية، وما إلى ذلك ممّا له صلة بالحدث.

وقد اتبع الباحث في دراسته المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي في تتبع مفهوم الحدث في كتاب سيبويه، وجمع الموضوعات النحوية والظواهر اللغوية التي انعقدت مباحثها عليه، محلّلا ومفسّرا لها، ومستنبطاً المعاني الوظيفية التي انبثقت من أحداثها، وقد اشتمل البحث على مقدمة توضح إشكالية البحث وأهميته وأهدافه ومنهجه، والدراسات السابقة، واشتمل على أربعة مباحث موزعة على النحو الآتي: المبحث الأول بعنوان مفهوم الحدث عند سيبويه واللسانيين، والمبحث الثاني بعنوان المعاني الوظيفية للحدث، تلاهما المبحث الثالث بعنوان القضايا النحوية المتعلقة بالحدث، ثم المبحث الرابع بعنوان القضايا المعجمية

Abstract

This research papers aims to show the impact of the meaning of action in Sibawayh's book on functional meanings and syntactic issues, as well as to show its role in revealing the grammatical functions of words, as it is often attributed to Sibawayh relying on the theory of the reducing factor in the meaning of the formal action when interpreting the grammatical relationships between the action and its initial components in the sentence, and limited to the theory of influence, being influential and the rest of the words affected. He paid careful attention to the interpretation of the meaning of action and the semantic features it contains that have a great impact on determining its functional role in choosing its topics and deducing its functional meanings, grammatical terms, etc.

The researcher has followed in his study the inductive, analytical, and deductive approach in tracking the concept of action in Sibawayh›s book, and the collection of grammatical topics and linguistic phenomena that held its investigations, analyzing and interpreting them, and deriving the functional meanings that emerged from their actions. The paper includes an introduction that illustrates the problem of research, its importance, objectives, methodology, and previous studies. It includes four sections distributed as follows: the first section entitled the concept of action for Sibawayh and linguists, and the second section entitled functional meanings of action, followed by the third section entitled grammatical issues related to action, and then the fourth

للحدث وأثرها النحوي. وتبرز أهمية هذا البحث في استجلاء مفهوم الحدث عند سيبويه بوصفه ظاهرة تفسيرية مهمة لتفسير كثير من الظواهر التي تنتمي إلى مستويات مختلفة نحوية ومعجمية وتركيبية.

الكلمات المفتاحية: حدث، سيبويه، تركيب، دلالة، نحو.

section entitled lexical issues of the action and its grammatical impact. The importance of this study is highlighted in clarifying the concept of action for Sibawayh is an important explanatory phenomenon to explain many phenomena that belong to different grammatical, lexical, and syntactic levels.

Keywords: action, Sibawayh, structure, semantics, grammar.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فتبرز إشكالية هذا البحث بأنني لم أجد دراسة قد عُنيت بتتبع مفهوم الحدث في كتاب سيبويه، وكشفت عن أثر سماته الدلالية في تحليله للبنى النحوية والتراكيب، وتشكل الظواهر اللغوية، وتعدد المعاني الوظيفية والمصطلحات، فعند النظر في كتاب سيبويه نجد أنّه تناول الحدث من منظورين هامين: الأول الحدث بكونه أحد مكونات الفعل التي تحدد وظيفته وموضوعاته، والآخر: الحدث الموسوم بـ (المصدر)، ومعلوم أنّ جل مسائل النحو في كتاب سيبويه قائمة على النوع الأول الذي سيكون موضوع هذا البحث وهو الحدث المكوّن لمعنى الفعل.

أهمية الموضوع

١- تكمن أهمية الموضوع بأنّه يسهم في تطوير الجانب المعرفي لفهم كثير من القضايا النحوية والظواهر اللغوية في إطار معنى الحدث وسماته الدلالية.

٢- يسهم هذا الموضوع في ترسيخ العلاقة بين القضايا النحوية والدلالية.

أهداف الموضوع

١- يبين أثر معنى الحدث عند سيبويه في التركيب النحوي والظواهر اللغوية والمعاني الوظيفية.

٢- يكشف عن العلاقة بين المعنى الدلالي والمعنى الوظيفي.

٣- يسهم في الكشف عن خصائص الفعل التي تتجاوز نظرية العمل إلى التنبؤ بعدد المحلات التي يقتضيها.

منهج البحث

اتّبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والمنهجي التحليل والمنهج الاستنباطي، وذلك من خلال:

١- تتبع سيرة مصطلح الحدث في كتاب سيبويه بدءا بحديثه عن معنى الفعل وأقسامه وانتهاء بالموضوعات والمسائل النحوية التي كان للحدث دور فيها.

٢- تحليل كثير من الظواهر النحوية والمعاني الوظيفية التي انبثقت من السمات الدلالية لطبيعة معنى الحدث.

٣- إيراد بعض الأمثلة والشواهد التي كشفت عن العلاقة بين المعنى النحوي والقضايا المعجمية.

الدراسات السابقة: الدراسات السابقة التي تيسر للباحث الوقوف عليها:

١- طبيعة معنى الحدث في العربية، د. عبد الرحمن حسن البارقي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.

تناولت هذه الدراسة طبيعة معنى الحدث من حيث الصيغ الصرفية، حيث تناول الباحث وظائف الصيغ المجرّدة، ووظائف الصيغ الفعلية ذات اللواصق، دون الحديث عن علاقتها بالموضوعات النحوية والقضايا التركيبية، فهي دراسة محددة مختلفة عمّا نحن بصدده في دراستنا.

٢- قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة، د. شكري السعدي، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط١، ٢٠١٦م.

كانت هذه الدراسة دراسة عامة لطبيعة معنى الحدث في اللسانيات، إذ تتبع الباحث سيرة مصطلح الحدث عند الفلاسفة واللسانيين الغربيين في أعمالهم

النحوية، ثم تناول الحدث في كتب التراث في موضوعات متفرقة جاءت عرضا في حديثه عن معنى التعدية والفاعلية، وحديثه عن التصور الإسنادي تحت مبحث يسير عقده آخر الكتاب بعنوان (الإسناد في التراث النحوي والبلاغي) ومما يميز دراستنا عن هذه الدراسة أنّ دراستنا للحدث اتخذت كتاب سيبويه مدوّنة لها في الحديث عن القضايا النحوية والتركيبية والمعاني الوظيفية والدلالية.

خطة البحث

اشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة موزعة على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع وأهدافه ومنهج البحث وخطته.

المبحث الأول: مفهوم الحدث عند سيبويه واللسانيين.

المبحث الثاني: المعاني الوظيفية للحدث.

المبحث الثالث: القضايا النحوية المتعلقة بالحدث.

المبحث الرابع: القضايا المعجمية للحدث وأثرها النحوي.

المبحث الأول: مفهوم الحدث عند سيبويه واللسانيين

أ– مفهوم الحدث عند سيبويه

الحَدث في اللغة: هو كونُ الشيء لم يكن في الوجود، ثم يحدثُ، فيصبح حدثاً قال ابنُ فارس في مقاييس اللغة: «الحاء والدال والثاء أصلٌ واحدٌ، وهو كونُ الشيء لم يكُن، يُقال حَدَثَ أَمرٌ بَعدَ أن لم يكُن».[١] وجاء عن ابن منظور: حدَثَ الشيءُ يحدُثُ حُدُوثًا وحداثةً... والحُدُوثُ كونُ شيءٍ لم يَكُن، وأَحدثَه اللهُ فحَدثَ، وحَدَثَ أمرٌ أي: وَقَع.[٢]

والحدث أول ما ورد في كتاب سيبويه كان بمعنى المصدر، جاء هذا عند قسمته للأفعال في مقدمة (بابُ علم ما الكلم من العربية): «وأما الفعل فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولّما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع ... فهذه الأمثلة التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة سنبينها إن شاء الله. والأحداث نحو الضَّرب والحمد والقتل».[٣] وقال أيضا: «وإنّما جُعل في الزمان أقوى؛ لأنّ الفعل بُني لما مضى منه وما لم يمضِ، ففيه بيان متى وقع، كما أنّ فيه بيانا أنّه وقع المصدرُ وهو (الحدث)».[٤] وجرت هذه التسمية عند معظم النحويين الخالفين لسيبويه، فقد جاء عن ابن السّراج: «وجميع الأفعال مشتقة من الأسماء التي تُسمّى مصادر كالضّرب والقَتل والحمد... وإنما لقّب النحويون هذه الأحداث مصادر؛ لأنّ الأفعال صدرت عنها».[٥] ويقول

١- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م: ٢: ٣٦.
٢- ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ٤: ٥٢.
٣- سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١: ١: ١٢.
٤- سيبويه، الكتاب، مرجع سابق: ١: ٣٦.
٥- ابن السراج، محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.: ١: ٤٠.

الزَّجَاجِيُّ: «والحدث المصدر».[١] وجاء عن ابن الحاجب: «المصدر اسم الحدث الجاري على الفعل».[٢] ويقول العُكْبَريّ: «المصدر يدلّ على الحدث فقط».[٣]

ونُسب إلى سيبويه أنّه يُسمي المصدر فِعْلاً وحَدَثاً وحِدْثاناً[٤] من التّعبير عن الشيء بلفظ مدلوله كما صرّح الزّمخشري والرضيّ، قال الزّمخشريّ: «المصدر سُمِّي بذلك؛ لأنّ الفعل يصدر عنه. ويُسمّيه سيبويه الحَدَث والحَدَثان، وربما سمّاه الفعل».[٥] وقال الرَّضِي: «وسيبويه يُسمّي المصدر فِعلاً وحَدَثاً وحَدثاناً؛ لأنّ المصدر يعمل عمل فعله».[٦] وذكر ابن مالك هذه التسمية دون نسبة بقوله: «المصدر اسم دالٌّ بالأصالة على معنى قائم بفاعل، أو صادر عنه حقيقة أو مجازاً أو واقع على مفعول. وقد يُسمى فِعْلاً وحَدثاً وحِدْثانا».[٧] ويُعلّل ابن يَعِيْش سبب تسمية المصدر(الحدث) بالفعل بأنها جاءت من حركة الفاعِل[٨] ويعزو ابنُ الحاجب سبب تسميته بالفعل إلى مذهب الكوفيين بقوله: «ومقتضى مذهب الكوفيين أن يُسمّى المصدرُ صادراً والفعل مصدراً؛ لأنّ المصدرَ محلُّ الصدور، وهو عندهم الفعلُ، والصادر من حصل له الصدور، وهو المصدرُ عندهم».[٩]

١- أبو القاسم الزجاجي الإيضاح في علل النحو، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.: ٥٣.

٢- الرضي محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب، القسم الثاني، دراسة وتحقيق: د. يحيى بشير مصري، مطابع جامعة الإمام، ط١، ١٩٩٦م / ١: ٧٠٣.

٣- أبو البقاء العكبري عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.: ٢٦٠.

٤- ينظر: سيبويه، مرجع سابق: ١: ٣٤.

٥- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.: ٥٦.

٦- الرضي محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب: القسم الأول، دراسة وتحقيق: د. حسن بن محمد الحفظي، مطابع جامعة الإمام، ط١، ١٩٩٣م / ٢: ٧٠٤.

٧- ابن مالك محمد بن عبد الله جمال الدين الأندلسي، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختوم، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٠م.: ٢: ١٧٨.

٨- ينظر: ابن يعيش يعيش بن علي، شرح المفصل لابن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت: ١: ١١٠.

٩- ابن الحاجب عثمان بن عمر، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٨٣م: ١: ٢١٨: ٢١٩.

والذي يَظهر لي أنّ تسمية المصدر بالفعل جاءت عند سيبويه بسبب تضمّنه لمعنى الحدث أو عمله عمل الفعل في بعض مواضعه، وهذا ما أكده بقوله: «هذا باب من الفعل سُمّي الفعلُ فيه بأسماء مضافة ليست من أمثلة الفعل الحادث... نحو رويد وحيهل.. وكذلك (حَذرَكَ) يدلّك على أنّ (حذرك) بمنزلة عليك قولُك: تحذيري إياك؛ إذا أردت حذّرني زيداً. فالمصدر وغيره في هذا الباب سواء».[١] ويقول في موضع آخر: «وهي مثل حذَرَكَ سواءٌ إذا جعلته مصدراً؛ لأنّ الحذر مصدرٌ وهو مضاف إلى الكاف».[٢] ويقول مبيّنا عمل المصدر عمل فعله: «فإنّما جاء تحذيري زيداً؛ لأن المصدر يتصرّف مع الفعل، فيصير (حَذَرَكَ) في موضع (اِحْذَرْ) و(تَحذيري) في موضع (حَذِّرني)؛ فالمصدر أبداً في موضع فعله».[٣]

ومن المصطلحات الشائعة المتعلقة بالمصدر مصطلح المفعول المطلق، قال الرّضي: «وسيبويه يُسمي المصدر فعلاً وحدثاً وحدثانا، فإذا انتصب بفعله سُمّي مفعولا مطلقا».[٤] وسبب هذه التسمية «أنّ معنى المفعول المطلق هو الذي فُعِل على الحقيقة من غير تقييد».[٥] وزاد بعضهم من غير تقييد بحرف الجر.[٦] وقد جرت العادة أن يدرس المفعول المطلق في أبواب المنصوبات كما جاء عند الزّمخشريّ في المفصل حيث ذكر أنّ من المنصوبات المفعول المطلق، ويَقصد به المصدر.[٧] و جاء عن ابن عُصفور في باب المنصوبات التي يطلبها الفعل على اللزوم، وهي

١- سيبويه، الكتاب: ١: ٢٤٨: ٢٥١.
٢- المرجع نفسه: ١: ٢٥١.
٣- المرجع نفسه: ١: ٢٥٢.
٤- الرضي محمد بن الحسن، شرح كافية ابن الحاجب: ٢ / ١: ٧٠٤.
٥- ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل: ١: ٢١٨.
٦- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.: ٢: ٧٢.
٧- ينظر: الزمخشري، المفصل في علم العربية: ٥٦.

التي يطلبها الفعل على جهة المعنى: الحال، والمفعول المطلق.[1] وأما المعنى الآخر الذي قامت عليه معظم موضوعات الكتاب ومسائله فهو الحدث الذي يعدّ أحد مدلولي الفعل الأساسية قسيماً بذلك للزمن ويتّضح هذا من قول سيبويه السابق: «فهذه الأمثلة أي الأفعال التي أخذت من لفظ أحداث الأسماء».[2] و قوله: «وإنّما جُعل في الزمان أقوى؛ لأنّ الفعل بُني لما مضى منه وما لم يمض، ففيه بيان متى وقع ، كما أنّ فيه بيانا أنّه وقع المصدرُ وهو (الحدث)».[3] وهو ما سنتحدث عنه في المباحث القادمة.

تعريف ابن الخَبّاز للحدث:

انفرد ابن الخباز في شرحه للُمَع ابن جني بتعريف للحدث قائلا: «الحدث اسم لجميع الأعراض القائمة بالجواهر إما قياماً ذهنياً كالإضافيّاتِ، وإمّا قياماً خارجياً كالألوان. وسُميّت بذلك؛ لأنّها حَادثةٌ مُتجدّدة».[4]

يظهر أنّ تعريف ابن الخبّاز لا يتوافق مع أقوال النحاة السابقة، فهو حدّ قد غلب عليه الطابع الفلسفي والنظرة المنطقية، وقد جاء عن النحويين بعض الحدود المنطقية والمصطلحات الفلسفية، فهذا الزّجاجيّ يقول في حدّ الاسم: «الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا أو مفعولا... وإنما قلنا في كلام العرب؛ لأنّا له نقصد، وعليه نتكلم، ولأنّ المنطقيين وبعض النحويين قد حدوه خارجاً عن أوضاع النحو، فقالوا: الاسم صوت موضوع دال باتفاق على معنى غير مقرون بزمان. وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أوضاعهم، وإنما هو من كلام المنطقيين».[5]

١- ينظر: ابن عصفور علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: د. أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.: ١٦٠.

٢- سيبويه، الكتاب: ١: ١٢.

٣- المرجع نفسه: ١: ٣٦.

٤- أحمد بن الحسين بن الخباز، توجيه اللمع شرح كتاب اللمع لأبي الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق فايز زكي محمد دياب، دار السلام، مصر، ط١ ٢٠٠٢م.: ١٦٦.

٥- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، مرجع سابق: ٤٨.

وقد يرد على لسان النحويين بعضُ العبارات المنطقية ثم يرد تفسيرها بما هو معروف في عُرفهم النّحوي، فالأعراض القائمة بالجواهر عند ابن الخباز فسّرها النحويون بالمصادر أو المعاني، وهذا ما بينه ابن يَعيش بقوله: «اعلم أنّ الأسماء على ضربين جواهر ومعانٍ، والمراد بالجواهر في عُرف النحويين الشخوص والأجسام المتشخصة، والمعاني هي المصادر كالعلم والقدرة».[١]

وعليه يبقى مفهوم الحدث عند القدماء مختزلا في الفعل والمصدر، وإن كان ابن الخباز يعدّ من متأخري النحاة فإن من تبعه من أصحاب الحدود النحوية لم يقتفوا أثره، ولم يتأثروا في حدودهم بالفكر الفلسفي بل كانت حدودهم منتزعة من طبيعة الدرس النحوي، فقد جاء عن جمال الدين الفاكهي(٩٧٢ت) في الحدود النحوية: «المصدر هو (اسم دالّ بالأصالة) بفتح الهمزة أي بالوضع على معنى هو (الحدث)».[٢]

فهذا يدلّ على أن النحويين القدماء وعلى رأسهم سيبويه لم يفصلوا في كتبهم بين معنى الحدث والمصدر، ولم تشتمل كتبهم كذلك على الموازنة بين الحدث والفعل، فقد ذكر قريرة في كتابه (المصطلح النحوي) أن المدونات النحوية افتقرت إلى المقارنة بين (الحدث) و(الفعل) دلالياً لبيان اختصاص كل منها بالاصطلاح، بينما أشار إلى أنّه توجد مقارنة بين مصطلح الفعل وغيره من العبارات كمصلح (العمل) مستندا إلى ما جاء عن ابن الخشّاب في كتابه المُرتجل «وسمّوه فعلاً ولم يسمّوه عملاً؛ لأنّ الفعل أعم من العمل. ألا ترى أنّك إذا أمرت مأموراً بالبناء مثلا فقلت: (ابْنِ دَاراً) فائْتَمر جاز أن يقول: (قد عَملتُ مَا أردتَ) وجاز أن يقول: (قد فَعلتُ) ولَو قلت: (تكلّم) مثلاً ففعل لم يقل إلا (قد

١- ابن يعيش، شرح المفصل: ١: ١٢٣.
٢- الفاكهي جمال الدين عبد الله بن أحمد، شرح الحدود النحوية، تحقيق: د. صالح بن حسين العايد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٩٩٠م: ٣٣٠.

فَعَلتُ) ولم يحسن أن يقول(قد عَمَلتُ) فالفعل على ما أريتك أعمّ من العمل؛ ولذلك لقبوا هذا القسم فعلا ولم يلقبوه عملا».[١] فالفعل على هذا أعم من العمل، وشمول لفظ الفعل على كل الأحداث والأعمال هو الذي جعل النحويين يقدمونه في التسمية والاصطلاح على غيره من الألفاظ الدالة على معنى الحدوث الزماني.[٢]

ومهما يكن من شيء فإنّ مصطلحَ (الحدث) في المرحلة الأولى من نشوء النحو العربي لم يطرأ عليه أي إضافات خارجية أو تفصيلات عميقة كما هو الحال عند اللسانيين الغربيين، ويجمع أغلب الباحثين على أنّ المرحلة الأولى من نشوء العربي كانت صافية خالية من كل علم دخيل، ولم تمتزج بمؤثرات فكرية إغريقية أو سريانية، إنما بقي فيها النحو على حالة من الأصالة والثبات على لغة الأعراب، فلم تصغ النحو صياغة فلسفية إنما صياغة بيانية طبيعية تتماشى مع الموضوعات النحوية والتركيبات الصرفية، ويُمثلها كتاب سيبويه أصدق تمثيل.[٣]

ب– مفهوم الحدث عند اللسانيين

قبل أن نتحدث عن مصطلح الحدث عند اللسانين نشير إشارة سريعة إلى وجوده في المدوّنات المنطقية، مدونة أرسطو والفارابي، حيث ظهر في مدوّنة أرسطو ما يُسند إلى الموجود ويقال عن الجَوْهَر ويُحْمل على الموضوع، كمقولات الفعل والانفعال والكيف والوضع والملك والإضافة، حيث جاء مفهوم الحدث ضمن نصوص الفعل والانفعال،[٤] وتحديدا في ثنائية الفعل والحركة في مصنفات

١- ابن الخشاب أبو محمد عبد الله بن أحمد، المرتجل في شرح الجمل، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ط٢، ١٩٧٢م.: ١٥.

٢- ينظر: توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، نشر كلية الآداب / دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠٠٣م: ٢٧: ٢٨.

٣- ينظر: جيرار جهامي، الإشكاليات اللغوية في الفلسفة العربية، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤م.: ١١٥.

٤- ينظر: شكري السعدي، قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط١، ٢٠١٦م: ١٩.

عديدة من كتب أرسطو منها كتاب ما وراء الطبيعة. حيث «ميّز بين الفعل والحركة على أساس اكتمال الأول وكونه غير محدود، ونقصان الثانية وكونها مؤقتة محدودة، وهو تميّز واضح في حدود النص الذي اعتُبر مؤسساً لمبحث الحدث».[١]

والناظر في كتاب الفاَرَابِي (الحروف) الذي يُعدّ تفسيراً لكتاب أرسطو (ما بعد الطبيعة) يلاحظ أنّ مفهوم الحدث في مقولات الألفاظ المتفقة والمتواطئة التي يفرّق فيها بين المشتق والمعنى جاء بمعنى المصدر وعبّر عنه بالمثال الأول غير المشتق، إذ يقول: «ومنه (أي اللفظ) ما شكله شكل مثال أوّل ومعناه معنى مشتق، كقولنا(الرجلُ كَرْمٌ) أي كريم، ومنه ما شكله فعل ومصدر، ومعناه معنى مفعول كقولنا(خَلْقُ الله) أي مخلوقة».[٢] فالفارابي المنطقي لم يكن مفسراً فحسب بل كان مقارباً بين مصطلحات المناطقة ومصطلحات النحاة من خلال التفسير العقلي الموافق لما تقتضيه طبيعة التفكير العربي، فقد نسب الأحداث، كالقيام والقعود والضّرب إلى العقل، وأنّه هو المتفرّد بها دون الحس، وأنّها أسبق إلى المعرفة والمثالات الأول التي تشتق منها الأسماء معلِّلاً ذلك بقوله: «إنّ الألفاظَ إنمّا أُحدثت بعد أن عُقلت الأشياء، وأنّ الألفاظ إنما تدلّ أولا على ما عليه الأمور في العقل من حيث هي معقولة، ومتى حدث للعقل فيها فعل خاص... قد كان يدلّ عليها إما بإشارات وإما بحروف وإما بأصوات وزعقات، أو ألفاظ... هي مفردة مثالات أول، وباقيها مشتقة منها، مثل(الضّرب) فإنّه مثال أوّل، و(الضّارب) و(يَضْرب) و(ضَربَ) و(سيَضْربُ) و(مَضْروب) وأشباه ذلك مشتقة».[٣] والغريب أن الفاَرَابِي أطلق على المصادر في موضع آخر الكَلِم حيث قال:

١- المرجع نفسه: ٤٥.
٢- الفارابي أبو نصر محمد بن محمد، كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م: ٧١.
٣- الفارابي كتاب الحروف، مرجع سابق: ٧٤.

«فإنّها من حيث هي صفات المشار إليه والمُشار إليه موصوف بها أحرى بأن تكون موجودة خارج النفس منها كَلِم وهذي تُسمى عن نحويّي العرب (مصادر) وهي تُصرّف في الأزمان الثلاثة».[1] ولعله يقصد ب(الكَلِم) الأفعال؛ لأنّه قال في كتابه الألفاظ المستعملة في المنطق: «إن الألفاظ الدالة، منها ما هو اسم ومنها ما هو كَلِم، والكَلِم هي التي يسميها أهل العلم باللسان العربي الأفعال، ومنها ما هو مركّب من الأسماء والكلم... والكَلِم هي الأفعال مثل مشى ويمشي وسيمشي... فبعض الكلم يدلّ على زمان سالف مثل كتب وضرب، وبعضها على المستأنف مثل سيضرب وبعضها على الحاضر مثل قولنا يضرب الآن».[2]

وقد انطلق اللسانيون من نصوص أرسطو المتعلقة بثنائية الفعل والحركة فقسموا الأحداث إلى تقسيمات ثلاثية ورباعية، كالعالم رايل وكني وفندلر، فكان رايل أول من جدّد النظر في التمييز الأرسطي بين الفعل والحركة، وأول من سبق إلى تصنيف الأحداث إلى حوادث وحدثانات وهيئات، وتبعه في ذلك وكني وفندلر.[3]

فوكني ميّز بين الأفعال الدالة على نشاط التي يرادفها في أدبيات الحدث مصطلح الحَدَثَان. وهو ما يناسب الفعل عند أرسطو، والأفعال الدّالة على الإنجاز، وهو ما يناسب الحركة، وزاد نوعاً ثالثاً استنتجه من بعض مواضع نصوص أرسطو، وهو الأفعال الدّالة على الهيئة، فمن أمثلة أفعال النشاط: اسْتَمَعَ، وضَحِكَ، ومن أمثلة أفعال الإنجاز: اكْتَشفَ، وتعلّم، ومن أفعال الهيئة: يعرف، يُوجَد. ولعلّ أكثرهم شهرة تقسيم فندلير الرباعي: حيث أبقى على قسمي وكني الهيئات والنشاط، وفرّع الإنجازات إلى أفعالِ الأداءِ وأفعالِ الإتمام، وفرّق بينهما حيث إنّ

١- ينظر: شكري السعدي، قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة: ٧٧: ٧٨.
٢- الفارابي أبو نصر محمد بن محمد، الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق، محسن مهدي، دار المشرق، بيروت،، ط١، ١٩٩١م.: ٤١: ٤٢.
٣- ينظر: شكري السعدي، قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة: ٩٩.

مدلولات أفعال الأداء محدودة مؤقتة تجري إلى غاية معلومة، وهي أشبه ما يكون بالحركة عند أرسطو، مثل: بَنى بَيْتاً، وصنع كُرسياً بينما مدلول الإتمامات يُشير إلى أحداث آنية لا تمتدّ بل يكون وقت بدئها هو نفسه وقت انتهائها فهي بمثابة النقطة على خط الزمن، كفاز المتسابق.[١] ولقد توسّع العلماء اللسانيون في دراسة الحدث فأصبحت الأحداث موضوعات نحوية من منظورات دلالية وتركيبية، كما فعل العالم تانيار وهاليداي حيث قسم تانيار الحدث إلى مستويين: مستوى علم الإعراب السكوني المقولي ومستوى علم الإعراب الحركي الوظيفي.[٢] «وأودع في نظريته التركيبية بعض المفاهيم التي تُميّز بين الأفعال على أساس ما يتطلّبه مقوّم الحدث فيها من أطراف تشارك بدرجات متفاوتة في منظومة بنائه».[٣] وأما هاليداي فقد كانت عنايته بتفصيل أنواع الحدث في باب دراسة الوظائف الدلالية المقترنة بالبُنى النحوية، وهي وظائف وبُنًى غالباً ما تتوقف في عددها ونوعها على دلالة الفعل المعجمية ومظهره الموضوعي، مميّزاً بين ثلاثة أنواع أساسية من الأحداث هي: الحدثانات المادية التي يسميها حدثانات الفعل والعمل، والحدثانات الذهنية المسماة بحدثانات الشعور، وحدثانات النسبة المسماة بحدثانات الكينونة.[٤] ومن اللسانيين أيضا كروبر وفيلمور وجاكندوف حيث قدموا أعمالا ذات أهمية في ربط الحدث بالتركيب والدلالة فيما عرف لاحقاً بنحو الحالات أو الأدوار الدلالية، فقد قسم كروبر الحدث إلى: أفعال حركة وأفعال حلول، وجعل الدور الأساسي في كل منها هو المحور، وهو موضوع الحركة والحلول، فجعلوا الطبقة الأول تأخذ أدواراً أخرى مثل: المصدر والهدف، والطبقة الثانية تأخذ دور المحل. بينما جعل فيلمور الفعل(الحدث) حالة الموضوع الحي القائم بالعمل الذي يدلّ

١- ينظر: شكري السعدي، قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة: ١٠٠-١٠١.
٢- ينظر: المرجع نفسه: ٣٥٠.
٣- شكري الشريف، مظاهر من انتظام المعجم، مجمع الأطرش، تونس، ط١، ٢٠١٥م.: ١٧٨.
٤- ينظر: شكري السعدي، قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة: ٣٦١: ٣٦٢.

عليه الفعل.[١] فالحدث بهذه الحالة ينحصر عند العالمين بالعمل والحالة. وقد استفاد كاجندوف كثيرا من أفكار غروبر، حيث جاء مفهوم الحدث عنده ضمن أقسام الكلام الكلية: (شَيء، حَدَث، حَالَة، مَكَان، مَسَار).[٢] إلا أنّه جعل ما ينتمي إلى مقولة الحدث يضم ثلاثة محمولات أساسية: ذَهَبَ وَمَكَثَ ووَجدَ، فالأول يتضمن أفعال الحركة، والثاني لثبوت الحلول، والثالث لتعيين الحلول، فـ(ذهب)و(مكث) أحداث بينما وجد حالة.[٣]

وعلى ضوء هذه النظريات جرى ما يُعرف بالتفكيك الدلالي لبنية الحدث باستعمال عدد محدود من السمات، كسمات الحركة والدينامية والسكون والمراقبة والإرادة والاستمرار.[٤] كما فعل دفدسن حيث ميّز بين القضايا التي تتضمن أعمالاً (actions) والتي تتضمن أحداثا (events).[٥] ولقد شهدت الأبحاث اللسانية تطورا ملحوظا في معالجتها للأحداث» بوصفها وحدات ذرية لا تقبل الانشطار فقط، بل واعترفت بوجود أحداث معقدة لها بنية داخلية(هذا له علاقة بما تحدث عنه فندلر) وتمحورت العديد من الأبحاث حول فكرة أن الأحداث المعقدة مبنية في إطار حدث داخلي وحدث خارجي».[٦]

وإذا نظرنا إلى اللسانيين العرب نجد أن لديهم تعددا في المصطلحات تشير إلى الحدث، فقد أطلقوا عليه مصطلح الجهة، ومصطلح الفعل و الحدث، وأضاف بعضهم طبيعة الحدث، ومعنى الحدث. فالدكتور عبد القادر الفاسي الفهري عالج كثيرا من القضايا المتعلقة بالفعل تحت مصطلح الجهة (Aspect) بقوله: «إن الجذع الفعلي في العربية يكون دائما متصرفاً محتويا على الزمن(Tense)

١- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، المعجم العربي،، دار توبقال، المغرب، ط٢، ١٩٩٩م: ٣٤: ٣٥.
٢- ينظر: عبد المجيد جحفة، دراسات دلالية في اللغة العربية، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠١٨م.: ٥٠.
٣- ينظر: المرجع نفسه: ٤٢.
٤- ينظر: المرجع نفسه: ٤٠.
٥- ينظر: المرجع نفسه: ١١٧.
٦- المرجع نفسه: ١١٨.

والجهة(Aspect) وكذلك البناء(Voice)».[١] ويعرّف الجهة بأنّها: «مجموعة من سمات الحدث التي تُمكّن من قياسه ووصفه زمنيا. فهو ممتدّ أو غير ممتد لحظي، وهو محدود وغير محدود، وهو تام وغير تام».[٢] وميّز بين جهة الحدث وجهة البناء في الفعل بقوله: «وقد نفرّق بين جهة الوضع أو الحدث التي تدّعى (aktionsart) وهي لازمة للفعل(قبل تصرفه) وجهة البناء أو التصرف، وهي ما يدعى عادة بالجهة (Aspect) في دلالتها الضيقة، وهذه الجهة ليست ممعجمة، وإنما يرثها الحمل المتصرف(الفعل أو الصفة) عندما يدخل التركيب».[٣] وقد فُهم مما أورده الفاسي أنّ لحدث الفعل معنيين معنى سياقي وهو ما عبّر عنه بقوله خارج التركيب، ومعنى لازم ممعجم، وهو الحدث المستفاد من دلالته خارج السياق، ومن هنا التبس مفهوم الجهة في الدرس اللساني كثيراً بمفهوم الحدث، فبعضهم يرى أنّ مصطلح الجهة مقولة نحوية سياقية، المتكلم والزمن هما الأساس فيها، مخصصة للزمن الذي تشير إليه كالصيغة البسيطة الدالة على الاستمرار والتمام واللاتمام. بينما طبيعة معنى الحدث مقولة معجمية تصف طريقة وقوعه.[٤]

وقد تبع د. عبد المجيد جحفة أستاذه الفاسي الفهري في إطلاق مصطلح الجهة(Aspect) إلا أنّه جعل الجهة تتضمن الحدث، وهذا ما أكده بعد طرحه لتعريف كمبري للجهة «بكونها الطرق المختلفة الي يُنظر بها إلى التكوين الزمني الداخلي للأوضاع التي تصفها الجمل».[٥] حيث قال: «تتضمن الجهة شيئين بحسب هذا التعريف: أولا: الطبقة الجهية للأوضاع (the aspectual class) وهي ما

١- عبد القادر الفاسي الفهري البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة، دار كنوز، عمان، ط١، ٢٠١٨م.: ٤٩.
٢- المرجع نفسه: ٩٠.
٣- عبد القادر الفاسي الفهري البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة، مرجع سابق: ٩٠.
٤- ينظر: عبد الرحمن حسن البارقي، طبيعة معنى الحدث في العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٤م: ٣٢: ٣٣.
٥- نقلا عن جحفة في كتابه دراسات دلالية في اللغة: ٦١.

يقصد بالتكوين الزمني الداخلي للأوضاع، وثانيا الأشكال الجهية(aspectual forms) وهي الطرق المختلفة للنظر في الوضع. الطبقة الجهية هي ما عُرف في الأدبيات بالمعنى الملازم للأفعال (وهو ما يُسمّى عند البعض(نمط الحدث) أو (aktionsart)».[١] وقد تناول الدكتور الحدث كثيراً في أبحاثه بمعنى الفعل كقوله: «إن معنى الفعل يمكن تحليله بوصفه تمثيلاً مبنيناً للحدث الذي يحيل عليه الفعل».[٢] وقد انصرفت معظم دراساته للحدث إلى دراسة تكوينه الزمني والموضوعات التي تساوقه بقوله: «إن بنية الحدث يمكن أن يتم تناولها من الوجهين التاليين: أ التكوين الزمني الداخلي للحدث. ب البنية الموضوعاتية: العلاقة بين الحدث المكونات التي تساوقه».[٣] ويطلق الدكتور فالح العجمي الحدث في أبحاثه التي تتعلق بـ(مصطلح الحدث) طبيعة الفعل أو طبيعة المعنى[٤] فقد قال عن طبيعة المعنى: «وفي هذا المجال يتحدد بدء الحدث أو نهايته أو قوته أو ضعفه...».[٥] أو طبيعة معنى الحدث[٦] وقد اختار الدكتور حسن البارقي في بحثه الموسوم بـ(طبيعة معنى الحدث في العربية) هذه التسمية لاشتمالها على جانبين مهمين هما:[٧]

أ- نوع الحدث من حيث كونه سكونياً أو حركياً والحركي، فينقسم بناء على ما يُعرف بالزمن الداخلي إلى أنشطة وإنجازات وإتمامات.

ب-الكيفية التي يقع عليها الحدث، فيبحث في كيفية وقوع الحدث أو تكراره وديمومته أو لحظيته.

١- عبد المجيد جحفة، دراسات دلالية في اللغة العربية: ٩١.
٢- المرجع نفسه: ١١٧.
٣- عبد المجيد جحفة، دراسات دلالية في اللغة العربية، مرجع سابق: ٩١: ٩٢.
٤- ينظر: فالح العجمي، أبعاد العربية، دراسة في فقه اللغة العربية وتاريخ تطورها وعلاقتها ببقية اللغات السامية، مطابع الناشر العربي، الرياض، ط١، ١٩٩٤م.: ٥١.
٥- المرجع نفسه: ١١٠.
٦- ينظر: فالح العجمي، أسس اللغة العربية الفصحى، مطابع التقنية، الرياض، ط١، ٢٠٠١م: ٢٩٢.
٧- ينظر: طبيعة معنى الحدث في العربية: ٢٧: ٢٨.

وقد آثر بعض اللسانيين مصطلح الجهة على طبيعة الحدث على أساس الجهة الشكلية والمعجمية، كالحاج موسى في كتابه (مفهوم الجهة في الدراسات اللسانية الحديثة) إذ يقول: «وبعد الوقوف على كثير من آراء الباحثين حول الجهة وطبيعة الحدث وطرق التعبير عنهما كما يرى كل باحث، وما يصنفونه تحت المفهومين، آثرت أن يكون تحليلي لمظاهرهما في هذا البحث على أساس الجهة الشكلية والجهة المعجمية بعيداً عن استخدام مصطلح طبيعة الحدث».[١]

وفرّق توفيق قريرة في كتابه المصطلح النحوي بين مفهوم الحدث مطلقاً و مقيدا، فذكر أنّ معنى الحدوث مطلق مجرد من أي اقتران يتعلّق بمُحدِثه أو زمنه أو إطار حدوثه. أما الحدث في الفعل فهو حدوث زماني، كون الشيء مسبوقاً بالعدم سبقا زمانياً، ففي الفعل(ضرب) يتحدد الماضي فيه تحديدا نسبيا انطلاقا من علاقته بزمانين زمن التلفظ وهو الحاضر أبدا، وزمن الحدث وهو زمن سابق لزمن التلفظ، وليس كذلك المصدر.[٢]

وخلص توفيق قريره في دراسته لمصطلح الحدث إلى أنه إنشاء واعتقاد ومظهر بناء على عمل المتكلم بقوله: «سنحاول، ونحن نعرض مختلف مصطلحات الفعل المؤسسة على الاعتبار الحدثي، أن نجمعها في الدلالة على عمل المتكلم بعد ذلك إلى إنشاء واعتقاد ومظهر».[٣] ولعله يقصد بدلالته على المظهر مصطلح الجهة(Aspect) ويعني به «انقضاء الفعل أو عدم انقضائه لا من جهة إحالته على الزمن بل من جهة إحالته على الحدث؛ لأنّ المظهر نقيض الزمان ليس صنفاً إشارياً يقتضي سمة تربطه إلى زمن التلفظ، ونحن نجد في مصطلح الفعل العربي ما يدل

١- الحاج موسى ثالث، مفهوم الجهة في اللسانيات الحديثة: دراسة نظرية و تطبيقية على اللغة العربية المعاصرة، إشراف محمد لطفي الزليطني، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٦م.: ١١٦.
٢- ينظر: توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، نشر كلية الآداب / دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠٠٣م.: ٢٧.
٣- المرجع نفسه: ٢٨.

على هذا الاعتبار وذلك في اصطلاح النحاة على بعض الأفعال بـ(المقاربة) وعلى بعضها الآخر بـ(الشروع)».[1]

وإذا انتقلنا إلى اللغويين المحدثين وجدنا منهم من يجعل الحدث جزءا من مفهوم الجهة، كالدكتور تمام حسان الذي يعرّف مصطلح الجهة بأنها: «تخصيص لدلالة الفعل ونحوه، إما من حيث الزمن وإما من حيث الحدث».[2] ومنهم من صار على نهج القدماء فدرس الحدث دراسة مستفيضة في أبحاثه المتعلقة بالدلالة على أنه مضمن ببنية الفعل فمن هؤلاء الدكتور إبراهيم الدسوقي، فقد عرّف الحدث بأنّه: «ما ضُمِّن في جذر الفعل، كما في: الكتابة في كتب، والمرض في (مَرِض) ويمكن النظر إليه وفق الزوايا التالية: طبيعة الحدث، علاقة الحدث بالزمان والمكان، علاقة الحدث بالفاعل النحوي».[3] ومنهم عباس حسن الذي عرّفه بأنّه المصدر أو المعنى المجرد الذي نفهمه بالعقل كالرجوع والإسراع.[4]

المبحث الثاني: المعاني الوظيفية للحدث

تحدث سيبويه عن سمات حدث الفعل الداخلية من منظورات دلالية وسياقية، أصبحت فيما بعد معاني وظيفية تصف الفعل وتحدد مساره الوظيفي في عملية التركيب النحوي، ولم يزد على هذه السمات الدلالية مزيداً من السمات المعجمية أو التفكيكية كما هو الحال عند اللسانيين إلا ما جاء عرضاً في بعض موضوعات الكتاب ومسائله. ويظهر لي أن عدم خوض سيبويه في تفصيل القول عن السمات المعجمية يرجع إلى اهتمامه بتفسير العلامة الإعرابية تفسيراً جامعاً مانعاً بأوصاف يسيرة منتزعة من طبيعة معنى الحدث، كالتعدية واللزوم،

١- المرجع نفسه: ٣٢.
٢- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م: ٢٥٧.
٣- إبراهم الدسوقي، التحليل التكويني ودراسة المعنى في العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٥م.: ١٤٤.
٤- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، ٢٠٠٤م.: ٢: ٢٠٤.

والاشتغال والإفراغ والقوة والضعف... تفرضها نظرية العامل؛ وذلك حتى لا تغيب عنه المبادئ العامة لتفسير العلاقات النحوية، ومن أهم هذه المعاني والأوصاف التي استخرجها من طبيعة معنى الحدث ما يلي:

أ– القوة والضعف

من أهم المعاني التي تتعلّق بحدث الفعل عند سيبويه معنى القوة والضعف، ويعني بالقوة دلالة الحدث على العمل النحوي رفعا ونصباً، ويعني بالضعف قصور الحدث عن العمل، فالحدث الذي يحتاج في معناه إلى فاعل ومفعول يعدّ حدثاً قوياً مؤثراً. فالفعل (ضرب) مثلاً يعدّ أقوى في العمل من الفعل(نظر) والفعل (نظر) أقوى من الفعل (مرض)؛ لأن الأول يصل إلى مفعوله مباشرة، والثاني بواسطة والثالث لا يحتاج إلى مفعول، وهكذا تتفاوت الأفعال في القوة والضعف حتى نصل إلى الأفعال التي تنصب مفعولين وثلاثة، وهذا التحليل يلفت الانتباه إلى عناية سيبويه بسمات الحدث الداخلي، الذي أصبح أيضا محل اهتمام المحدثين، حيث استطاع «علم اللغة الحديث أن يجد في قوّة عمل الفعل تفسيراً مقبولاً، فهو حدث، ومن البديهي أن ترتبط بها مجموعة من المتعلّقات، كالمُحدِث، والمُحدَث، والغاية، والهيئة، والزمان، والمكان. إنه كالمحور وحوله تلتف هذه المجموعة من المتعلّقات، وإنها لترجع في معانيها إليه، ولا بدّ من أن يكون هناك ما يميز بعضها من بعض فكان الإعراب رمزا صوتيا يؤدي هذه الغاية».[١]

وتتبع الأسماء الأفعال في القوة والضعف بناء على مقاربتها لمعنى الفعل، قال سيبويه: «وما يعمل من أسماء الفاعلين والمفعولين عمل الفعل الذي يتعدى إلى مفعول، وما يعمل من المصادر ذلك العمل... وما أُجري مجرى الفعل وليس

١- محمد خير الدين الحلواني، أصول النحو العربي: ١٤٩: ١٥٠.

بفعل ولم يَقو قوّته».[1] فجعل سبب عمل الأسماء والمصادر عمل الفعل هو عامل الشبه أو المضارعة، حيث قال عن اسم الفاعل: «هذا باب من اسم الفاعل (الذي) جرى مَجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه المعنى ما أردت في (يَفعلُ) كان نكرةً منوناً، وذلك قولك: هذا ضابٌ زيداً غداً. فمعناه وعملُه مثلُ: هذا يَضْرِبُ زيداً غداً. فإذا حدّثت عن فعلٍ في حين وقوعِه غيرِ منقطع كان كذلك. وتقول: هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعة، فمعناه وعملُه مثل: هذا يضرب زيداً الساعة. وكان زيدٌ ضارباً أباك، فإنما تُحدّث أيضاً عن اتّصال فعل في حال وقوعه. وكان موافقاً زيداً، فمعناه وعملُه كقولك: كان يضرب أباك، ويوافق زيداً. فهذا جرى مجرى الفعل المضارع في العمل والمعنى منوناً».[2] يُفهم من كلام سيبويه السابق أن عامل القوة في عمل اسم الفاعل يرتكز على مقوّمات يمكن ترتيبها على النحو الآتي:

١- الحدث، ويظهر في قوله: (فمعناه وعمله مثل: هذا يَضرِب زيداً غداً) وقوله (فإذا أردت فيه المعنى ما أردت في يفعل).

٢- العامل الزمني، ويظهر في قوله (حدّثت عن فَعْلٍ في حينِ وقوعه غير منقطع) وقوله (هذا ضاربٌ عبدَ الله الساعة).

٣- دلالة اسم الفاعل عن التنكير بقوله (فإذا أردت فيه المعنى ما أردت في (يَفعلُ) كان نكرةً منوناً).

فدلالة الحدث تعدّ الركيزة الأهم لعمل الأسماء، إذ تجعلها تتصرف في موضوعاتها كما يتصرف الفعل، من تقديم أو تأخير، ثم تتبعها دلالة التنكير ثم الزمن، وقد جرى أثر هذه الدلالات في كثير من الأمثلة، كقوله: «فإذا نوّنت

١- سيبويه، الكتاب: ١: ٣٣.
٢- المرجع نفسه: ١: ١٦٤.

فقلت: هذا مُعطٍ زيداً درهماً لا تبالي أيهما قدّمت، لأنّه يعمل عمل الفعل. وإن لم تنون لم يجز هذ معطي درهماً زيدا؛ لأنّك لا تفصل بين الجار والمجرور؛ لأنّه داخل في الاسم فإذا نوّنت انفصل كانفصاله في الفعل».[١]

وقد أدرك النحويون أنّ الأفعال أقوى القرائن اللفظية؛ لأنّ «معمولاتها كثيرة متنوعة، فهي ترفع الفاعل، وتنصب المفعولات جميعا، كما تنصب الحال، وتمييز النسبة، وتعمل في الجمل، ولا يقف أمرها عند هذا الحد. بل إنها تعمل فيما تقدم عليها وفيما تأخر عنها».[٢]

فعاملوا الأسماء معاملة الأفعال على ضوء هذه القرائن، وهي دلالتها على الحدث والتنوين والزمن، وأي اسم يخلو من هذه القرائن لا يعمل عمل الفعل ولا يتصرف تصرّفه في الأسماء وهذا ما أكده سيبويه معقباً على الفصل بين المضاف والمضاف بالظرف في قول أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيُّ:

كَمَا خُطّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمَاً يَهودِيٍّ يُقَارِبُ أو يزيلُ[٣]

«وهذا لا يكون فيه إلا هذا؛ لأنّه(كفّ) ليس في معنى فِعْلٍ(حدث) ولا اسم الفاعل الذي جرى مَجرى الفعل».[٤]

وقد ألحقوا بعامل القوة والضعف الحروف، والسبب هو تضمّنها معنى الحدث، فهي تعمل عمل الأفعال وإن لم تكن بمنزلتها في كل شيء، كالحروف الناسخة، قال سيبويه: «وزعم الخليل أنّها عملت عملين: الرفع والنصب، كما عملت (كان) الرفع والنصب حين قلت: كان أخاك زيدٌ، إلا أنّه ليس لك أن تقول:

١- سيبويه، مرجع سابق: ١: ١٧٥.
٢- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، أفريقيا الشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١١م: ١٤٩.
٣- البيت من الوافر في ديوانه جمع وتحقيق د: يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٧٥م: ٥٦.
٤- المرجع نفسه: ١: ١٧٩.

كأنّ أخوك عبدَ الله، تريد: كأنّ عبدَ الله أخوك؛ لأنّها لا تصّرف تصرّف الأفعال».[1] وقد منع تقديم اسم (إنّ) على خبرها من بناء على القوة والضعف في شبه الفعل، فقال: «لا يجوز أن تقول: إنّ أخوك عبدَ الله... لأنّها ليست بفعل... ولم تقو قوته».[2] وقد تجلّى فيها معنى الحدث بصورة جلية عند انتصاب ما بعدها على الحال، كقولهم: ليتَ هذا زيدٌ قائماً، ولعلّ هذا زيدٌ ذاهباً، وكأنّ هذا بشرٌ منطلقاً، حيث قال سيبويه: «إنّ معنى (إنّ) و (لكنّ) لأنهما واجبتان كمعنى هذا عبدُ الله منطلقاً، وأنت في (ليتَ) تمنّاه في الحال، وفي (كأنّ) تشبِّهه إنساناً في حال ذهابه كما تمنّيته إنسانا في حال قيامه. وإذا قلت (لعلّ) فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهابه... ثم قلت: أليس هذا زيداً منطلقاً فانتصب (المنطلق)؛ لأنّه حال وقع فيها الأمر، فانتصب كما انتصب في (إنّ) وصار بمنزلة المفعول الذي تعدّى إليه فعل الفاعل بعدما تعدّى إلى مفعول قبله، وصار كقولك: ضرب عبدُ الله زيداً قائماً، فهو مثله في التقدير وليس مثله في المعنى».[3]

وقد يوصف الفعل بالضعف عند قصوره عن تعديته إلى المفعول بسبب معنى في حدثه الدّاخلي كالفعل (مَلَأَ) حيث قال عنه: «وقد جاء من الفعل ما قد أُنفذ إلى مفعول ولم يَقْوَ قوةَ غيره مما قد تعدّى إلى مفعول، وذلك قولك: امتلأتُ ماءً وتفقأتُ شحماً، ولا تقول: امتلأته ولا تفقأته، ولا يعمل في غيره من المعارف... وذلك لأنّه فعلٌ لا يتعدّى إلى مفعول، وإنّما هو بمنزلة الانفعال لا يتعدّى إلى مفعول، نحو: كسرته فانكسر، ودفعته فاندفع، فهذا النحو إنما يكون في نفسه ولا يقع على شيء، فصار امتلأت من هذا الضرب، كأنك قلت: ملأني فامتلأت. ومثله: دحرجته فتدحرج».[4]

١- سيبويه، الكتاب: ٢: ١٣١.
٢- المرجع نفسه: ١: ٥٩.
٣- المرجع نفسه: ٢: ١٤٨.
٤- المرجع نفسه: ١: ٢٠٤: ٢٠٥.

يظهر لي أنّ سبب قصور الفعل عن التعدية كان بسبب أنّ حدثه غير ممتدّ إلى الخارج، وهذا ما أشار إليه سيبويه بقوله (فهذا النحو إنما يكون في نفسه ولا يقع على شيء) أي أنّ مفعوله مختزل في حدثه كما بيّنه بقوله (مَلَأني فامْتَلأتُ) لكن مفعوله بقي مبهما محتاجاً إلى ما يزيل إبهامه فجاء بكلمة (ماءَ) لتَزيل هذا الإبهام.

ب– الاشتغال والتعدية

جاء هذان الوصفان في إطار نظرية العامل وتفسير العلامة الإعرابية، فهما وصفان منتزعان من حدث الفعل، قد غلب عليها الطابع الوظيفي لا الدلالي، فإذا كانت الأحداث تتضمن عملاً وحركةً ونشاطا فالاشتغال عند سيبويه يعد عملاً ذهنيا يجعل الفعل يشتغل بالفاعل ويتفرغ له دون غيره، قال سيبويه: «هذا باب الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعول، وذلك قولك: ضربَ عبد اللهُ زيداً. فعبد اللهُ ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب، وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب».[١] ويمكن القول أنّ سيبويه يقصد بالاشتغال اكتفاء حدث الفعل بفاعل واحد، أو تفرّغ حدث الفعل للفاعل في أول أمره، حيث قال: «فإذا بنيت الاسم عليه قلت: ضربتُ زيداً؛ لأنّك تريد أن تُعمله وتحمل عليه الاسم، كما كان الحدُّ ضرب زيدٌ عمراً، حيث كان (زيدٌ) أول ما تشغل به الفعل».[٢]

وقد جعل الاشتغال دليلا على رفع الفاعل ونائبه بقوله: «والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل؛ لأنّك لم تَشْغل الفعل بغيره وفرّغته، كما فعلت بالفاعل».[٣] ومن هنا جاءت علّة تفسير رفع الفاعل حيث ذهب بعضهم إلى اشتغال الفعل بالفاعل وتفرغه له كما ذهب سيبويه، ومنهم من

١- سيبويه، الكتاب: ١: ٣٤.
٢- المرجع نفسه: ١: ٨٠.
٣- المرجع نفسه: ١: ٣٣ وكذلك المبرد أبو العباس محمد ين يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، د.ت: ١: ١٤٧.

ذهب إلى الحديث عن الفاعل، ومنهم ذهب إلى الإسناد، أي إسناد الفعل إليه.[١]

وإذا انتقلنا إلى التعدية التي تعني في الأصل التجاوز، فإن التجاوز يتطلب حركة ووصولا وتأثيراً يصدرهما حدث الفعل حقيقة أو مجازاً، قال ابنُ السّراج: «الأفعال على ضربين: ضربٌ فيها يلاقي شيئا ويؤثر فيه. وضربٌ منه لا يلاقي شيئا ولا يؤثر فيه، فسمي الفعل الملاقي متعدياً، وما لا يلاقي غير متعدٍّ».[٢] ومنا هنا جاء مصطلح التعدية في كتاب سيبويه حيث تجاوز أو تعدّى على حدّ تعبيره حدثُ الفعل الفاعلَ إلى المفعول فأحدث فيه أثراً، كما في: (ضربَ عبدُ الله زيداً) قال سيبويه: «وانتصب زيدٌ؛ لأنّه مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل».[٣] وإذا لم يكن هناك وصول أو وقوع لم يكن ثمّة تعدية، فعندها يكتفي الفعل بفاعله فيصبح لازماً، وينتصب ما بعده على الزمان والمكان وفق ما تقتضيه طبيعة معنى الحدث، قال سيبويه: «واعلم أنّ الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدّى إلى اسم الحَدثان الذي أخذ منه... ويتعدى إلى الزمان، نحو قولك: ذهبَ... ويتعدى إلى ما اشتقّ من لفظة اسماً للمكان وإلى المكان».[٤] ويقول في موضع آخر: «فإذا قلت ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان... كما أنّ فيه استدلالا على وقوع الحدث».[٥]

و قال ابن السراج موضحا كلام سيبويه الآنف الذكر: «واعلم أن هذا إنما قيل له مفعول به؛ لأنّه لما قال القائل: ضَرَبَ وقَتَل، قيل له: هذا الفعل بمَنْ وقع؟ فقال بزيد أو بعمرٍو فهذا إنما يكون في المتعدي نحو ما ذكرنا، ولا يُقال فيما لا يتعدى نحو: قام، وقعد، لا يقال هذا القيام بمن وقع؟ ولا هذا القعود بمن حل، إنا

١- ينظر: أبو علي الشلوبين، عمر بن محمد، شرح المقدمة الجزولية الكبير، تحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م: ١: ٢٣٣- ٢٣٥.
٢- ابن السراج، الأصول في النحو: ١: ١٦٩.
٣- سيبويه، الكتاب: ١: ٤٣.
٤- المرجع نفسه: ١: ٣٤: ٣٥.
٥- المرجع نفسه: ١: ٣٥.

يقال: متى كان هذا القيام؟ وفي أي وقت وأين كان؟ وفي أي موضع».[١]

وقد صنف سيبويه الأفعال وظيفياً بحسب معاني أحداثها، ويتضح هذا جلياً في الأفعال اللازمة، حيث وصف الأفعال التي تدلّ أحداثها على الأمراض والخِصال بأنها أفعال لازمة، كوجِع يوَجَع وجَعَا، ومَرِض يمرَضُ وهو مريض، وسَقِمَ يَسْقَمُ وهو سقيم.[٢] قال سيبويه: «وجاء ما كان من الذُّعر والخوف على هذا المثال (أي وزن الأمراض المتعلقة بالبدن نحو وجع ومرض) لأنّه داء قد وصل إلى فؤاده كما وصل ما ذكرنا إلى بدنه، وذلك قولك: فَزِعْتُ فَزَعاً وهو فَزِعٌ، وفرِق يفْرَقُ فَرَقاً، ووجِل يوْجَل وَجَلاً وهو وَجِلٌ».[٣] وصرح سيبويه بلزومها بقوله: «وقالوا: نضَر وجهُه ينضُرُ، فبنوه على فَعَلَ يَفعُل مثل خرج يخرج؛ لأنّ هذا فعل لا يتعدّاك إلى غيرك كما أن هذا فعل لا يتعداك إلا غيرك».[٤] وألحق بها أفعال الحلول والحركة بقوله: «وقال بعضُهم: مكُث، شبّهوه بظرُف؛ لأنّه فِعْل لا يتعدّى كما أنّ هذا فعلٌ لا يتعدّى، وقالوا: المُكْث، كما قالوا: الشغل، وكما قالوا: القُبْح، إذ كان بناء الفعل واحدا».[٥] فواضح من كلام سيبويه أنّه يشير إلى قضية مهمة هي تصنيف الأفعال وفق سماتها الداخلية المتمثلة بالألوان والأعراض، وسماتها الخارجية المتمثلة بأفعال الانتقال والحركة، وهذا ما أكده ابن السراج بقوله: «والأفعال التي لا تتعدى هي ما كان منها خلقةً أو حركة للجسم في ذاته أو فعلاً من أفعال النفس غير متشبث بشيء خارج عنها. أما الذي هو خلقة فنحو: أسودّ وأحمرّ... وأمّا حركة الجسم بغير ملاقاة لشيء آخر فنحو: قام وقعد، وسار وغار، ألا ترى أنّ هذه الأفعال مصوغة لحركة الجسم وهيئته في ذاته... وأما أفعال

١- ابن السراج، الأصول في النحو: ١: ١٧١.
٢- ينظر: سيبويه، الكتاب: ٢: ١٧.
٣- المرجع نفسه: ٤: ٨.
٤- المرجع نفسه: ٤: ٢٨.
٥- المرجع نفسه: ٤: ١٠.

النفس التي لا تتعداها فنحو: كرُم، وظَرُف، وفكر، وغَضِب... وأمّا الفعل الذي يتعدّى فكل حركة للجسم كانت ملاقية لغيرها وما أشبه ذلك من أفعال النفس، وأفعال الحواس من الخمس كلها متعدية ملاقية نحو: نظرت وشممت، وسمعت، وذقت ولمست، وجميع ما كان في معانيهن فهو متعد، وكذلك حركة الجسم إذا لاقت شيئا كان الفعل من ذلك متعديا نحو أتيت زيداً، ووطئت بلدك ودارك». [1]

ج- الإلغاء والتعليق

من المصطلحات ذات الصلة بحدث الفعل مصطلحا الإلغاء والتعليق ويتضحان جلياً في الأفعال التي تنصب مفعولين، قال سيبويه: «هذا باب الأفعال التي تستعمل وتُلغى فهي: ظَننْتُ، حَسِبتُ، خِلتُ... فإذا جاءت مستعملة فهي بمنزلة: رأيتُ وضربتُ وأعطيت في الإعمال والبناء على الأول، في الخبر والاستفهام وفي كل شيء. وذلك قولك: أظُنُّ زيداً منطلقاً». [2]

فواضح من كلام سيبويه السابق أنّه يقصد بالاستعمال عملها النحوي أي تعديتها إلى مفعولين كالفعل رأيت وأعطيت، والإلغاء إبطال عملها حيث قال: «فإن ألغيتَ قلت: عبدُ الله أظنُّ ذاهبٌ، وهذا إخال أخوك، وفيها أرى أبوك. وكلّما أردت الإلغاء فالتأخير أقوى». [3] وقد فسّر عملهما بناء على معنى الحدث، فإذا كان الحدث (الشك) مبنياً ابتداءً على ما في صاحبه من نية الشك أعمل الفعل النصب في الاسمين مقدماً أم مؤخراً، قال سيبويه: «فإذا ابتدأ كلامه على ما فيه نيته من الشك أعملَ الفعل قدّم أو أخر». [4] وإن جيء بالحدث(الشك) بعدما ما يمضي الكلام على اليقين أو بعدما يبتدئ كلامه وهو يريد الحدث(اليقين) ثم

١- ابن السراج، الأصول في النحو: ١: ١٦٩: ١٧٠.
٢- سيبويه، الكتاب: ١: ١١٨: ١١٩.
٣- المرجع نفسه: ١: ١١٩.
٤- المرجع نفسه: ١: ١٢٠.

يدركه الشك أخّر الفعل ولم يعمل في الاسمين النصب، بل يُلغى عمله، حيث قال: «وإنما كان التأخير أقوى(أي إبطال العمل)؛ لأنّه إنما يجيء بالشك بعدما يمضي كلامُه على اليقين، أو بعد ما يبتدئ وهو يريد اليقين ثم يُدركُه الشك، كما تقول: عبدُ الله صاحبُ ذاك بلغني، وكما قال: من يقول: ذاك تدري، فأخّر ما لم يعملْ في أول كلامه. وإنما جعل ذلك فيما بلغه بعد ما مضى كلامُه على اليقين، وفيما يدري».[١]

وممّا يلحق بالإلغاء ما عُرف عند النحويين بالتعليق، ويعنون به: «إبطال العمل لفظا لا محلاً على سبيل الوجوب».[٢] وقد تناوله سيبويه بعيداً عن معنى طبيعة الحدث، حيث جعله معنى وظيفياً خالصاً يتعلق بالأدوات التي تمنع من وصول أثر الفعل على الموضوعات، كدخول أدوات الاستفهام ولام الابتداء على المعمول، حيث قال: «هذا باب ما لا يعملُ فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول ولا غيره؛ لأنّه كلام قد عَمِل بعضه في بعض، فلا يكون إلا مبتدأ لا يعمل فيه شيء قبله؛ لأنّ ألف الاستفهام تمنعه من ذلك. وهو قولك: قد علمتُ أعبدُ الله ثمَّ أم زيدٌ، وقد عرفتُ أبو مَن زيدٌ... ومن ذلك قد علمتُ لعبدُ الله خيرٌ منك. فهذه اللام تمنع العمل، كما تمنع ألفُ الاستفهام؛ لأنّ إنما هي لام الابتداء».[٣]

ومع أهمية سمات الحدث في تحديد الدور الوظيفي للفعل إلا أنّ سيبويه لم يهمل ما يتعلق بمقاصد المتكلم، فقد جعل من طرق التعدية أنّ لا يقتصر المتكلم على أحد المفاعيل إذا أراد معنى ما في نفسه، حيث قال عن أفعال الشك واليقين: «وإنما منعك أن تقتصر على أحد المفعولين أنّك إنما أردْتَ أن تُبيّن ما استقرّ عندك من حال المفعول الأول، يقيناً كان أو شكاً، وذكرت الأول لتُعلِم الذي تُضيفُ إليه

١- المرجع نفسه: ١: ١٢٠.
٢- ابن مالك، شرح التسهيل: ٢: ٨٨.
٣- سيبويه، الكتاب: ١: ٢٣.

ما استقرّ له عندكَ من هو. فإنما ذكرتَ ظننتَ ونحوَه لتجعل خبر المفعول الأول يقيناَ أو شكّاً، ولم ترد أن تجعل الأول فيه الشك أو تقيم عليه اليقين».[1]

المبحث الثالث: القضايا النحوية المتعلقة بالحدث

أ- الإخبار عن الحدث

من القضايا المسلّم بها عند النحاة عند الإسناد وجود الفائدة في الكلام، فلا يصح الإخبار إلا بما تتمّ به الفائدة، ومن خصائص الحدث أنّه يخبر عنه بما تتم به الفائدة كما في: القتالُ يومَ الجمعة، والحمدُ لله؛ لأنّ المعنى: القتالُ مستقرٌ يومَ الجمعة، والحمدُ كائنٌ لله.[2] ويوافق الحدث الجثث في الإخبار عنهما بظرف المكان، فيقال: زيدٌ في الدار، ويُخالفه بالزمن فلا يقال: زيدٌ يومَ الجمعة قال ابن السراج معللا ذلك: «وإنما يجوز في الأحداث، نحو: الضرب والحمد، وما أشبه ذلك، وعلة ذلك أنك لو قلت: زيدٌ اليومَ، لم تكن فيه فائدة؛ لأنّه لا يخلو أحد من أهل عصرك من اليوم، إذ كان الزمان لا يتضمّن واحداً دون الآخر».[3] ويصح الإخبار بمسماه مُعبِّراً عنه بلفظ الفعل، فلو قلنا: قام زيد، كان الكلام تامّاً، كأننا قلنا: القيام في الزمن الماضي ثابتُ لزيد.[4]

ونظراً لتضمّن الفعل معنى الحدث صح الإخبار به، وعومل معاملة الأوصاف المشتقة، قال سيبويه: «فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت: زيدٌ ضربته، فلزمته الهاء. وإنما تريد بقولك مبنيٌ عليه الفعل أنّه في موضع (منطلقٍ) إذا قلت: عبدُ الله منطلق».[5]

١- المرجع نفسه: ١: ٤٠.
٢- ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو: ١: ٦٣.
٣- المرجع نفسه: ١: ٦٣.
٤- ينظر: القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس كتاب الخصائص، تحقيق: د. طه محسن عبد الرحمن، و د. كيان أحمد حازم يحيى، المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.: ١١٠.
٥- المرجع نفسه: ١: ٨١.

ويمتنع الإخبار عن الحدث بالجثة وإن ورد ما ظاهره ذلك فإن سيبويه يخرجه إما على سبيل المبالغة أو على سبيل تقدير محذوف في الكلام، ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١٧٧) حيث قال: «وإنّما هو: ولكنّ البرّ برُّ مَنْ آمن بالله واليوم الآخر».[١]

ومن صور المبالغة أن يُخبر بالجثة عن الحدث(المصدر) لكثرة تعاطي صاحبه له، حيث يصح وصفه به، وذلك مبالغة في حدوثه منه، سواء على سبيل المجاز أو على سبيل الاتساع كما صرّح سيبويه في قول الخَنْسَاء:

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتّى إِذَا ادّكَرتْ فَإنّما هيَ إقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[٢]

«وإن شئت رفعت هذا كله فجعلت الآخر هو الأول، فجاز على سعة الكلام. ومن ذلك قول الخنساء... فجعلها الإقبالَ والإدبارَ، فجاز على سعة الكلام».[٣] وفسّر ابن جني سعة الكلام لكثرة وقوع الحدث من الشخص وتعاطيه له، كما في بيت الخنساء السابق، ومنه قوله تعالى﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ قال ابن جني: «إنما انصرفت العرب عنه(أي الأصل) في بعض الأحوال... لأنّه إذا وُصِف بالمصدر صار الموصوف كأنّه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه».[٤]

ب– التجرّد من الحدث

ذكرنا آنفاً أنّ دلالة الفعل على الحدث من أهم مقوّمات عمله النحوي، وأنّ الأحداث عند سيبويه تتفاوت في عملها قوّة وضعفاً، وقد وردت عنده أفعال عاملة رغم تجرّدها من الحدث، وهي(كان) وأخواتها، حيث قال سيبويه: «وذلك

١- سيبويه، الكتاب: ١: ٢١٢.
٢- من البسيط، في ديوانها بتحقيق كرم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م: ٦٩.
٣- المرجع نفسه: ١: ٣٣٦: ٣٣٧.
٤- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط٢: ٣: ٢٥٩.

قولك: كان ويكون، وصار، وما دام، وليس، وما كان نحوهن من الفعل، مما لا يستغنى عن الخبر، تقول: كان عبدُ الله أخاك، فإنما أردت أن تُخبر عن الأخوة، وأدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى».[1] فالذي يظهر من كلام سيبويه أنّ الجملة الاسمية قد تمت بمعناها الحاصل بالعملية الإسنادية، وهو الإخبار عن الأخوة، وأنّ دخول (كان) لمجرد الإعلام بأنّ الأخوة كانت بالزمن الماضي، وإلى هذا ذهب بعض النحويين كابن السراج وابن يعيش، فعلى سبيل المثال يقول ابن السّراج: «والضرب الثاني: أفعال في اللفظ وليست بأفعال حقيقة، وإنما تدل على الزمان فقط، وذلك قولك: كان عبد الله أخاك، وأصبح عبدُ الله عاقلاً، لست تُخبر بفعل فعله إنما تُخبر أن عبدَ الله أخوك فيما مضى، وأنّ الصباح أتى عليه وهو عاقل».[2] والذي يظهر لي أنّ (كان) باقية على معنى الحدث المتأصل في بنيتها وهو الكينونة التي هي نقيض العدم، و(صار) الصيرورة التي يفهم منها التحوّل من حال إلى حال، و(ما زال) الاستمرارية التي يفهم منها استمرار زمن الحدث دون انقطاعه، وهكذا بقية أخواتها. والدليل الآخر أنّ سيبويه قد صرّح بدلالتها على الحدث عند تمامها وخروجها عن معنى النقصان، حيث تكتفي بمرفوعها: «وقد يكون لـ(كان) موضعٌ آخر يقتصرُ على الفاعل فيه: تقول: قد كانَ عبدُ الله، أي: خُلق عبدُ الله. وقد كان الأمرُ، أي وقع الأمرُ. وقد دام فلانٌ، أي ثبت».[3]

ج- تضمين بعض التراكيب معنى الحدث

ضمّن سيبويه أسماء الإشارة والضمائر معنى الحدث في حالات تركيبية معينة، فمن الأسماء قوله: «فأمّا المبنيّ على الأسماء المبهمة فقولك: هذا عبدُ الله منطلقاً، وهؤلاء قومُك منطلقين... ولم يكن ليكون هذا كلاما حتى يُبنى عليه أو

١- المرجع نفسه: ١: ٤٥.
٢- الأصول في النحو لابن السراج: ١: ٧٤ وينظر رأي ابن يعيش في شرح المفصل: ٧: ٨٩.
٣- سيبويه، الكتاب: ١: ٤٦.

يُبنى ما قبله عليه. فالمبتدأ مُسندٌ والمبنيُّ عليه مُسندٌ إليه، فقد عَمِلَ هذا فيما بعده كما يَعمل الجارُّ والفعل فيما بعده. والمعنى أنك تريد أن تُنبِّهه له منطلقاً... فكأنك قلت: (انظر) إليه منطلقا، فـ(منطلق) حال».[١]

ومن التراكيب الواردة مع الضمائر بمعنى الحدث قوله سيبويه: «وذلك قولك: هو زيدٌ معروفاً، فصار (المعروف) حالا. وذلك أنّك ذكرت للمخاطَب إنساناً كان يجهله أو ظننت أنّه يجهله، فكأنك قلت: (أُثبتْه أو الزَمْهُ معروفاً، كما كان المنطلقُ حالاً حين قلت: هذا زيدٌ منطلقاً. والمعنى أنّك أردت أن توضِّح أن المذكور زيدٌ حين قلت معروفا».[٢] وقد نبّه سيبويه إلى أنّ هذا الموضع خاص بما هو معروف أو ما أشبه المعروف حتى يخرج الكلام مخرج التأكيد، حيث قال: «و لا يجوز أن تَذكر في هذا الموضع إلا ما أشبه المعروف؛ لأنّه يُعرِّف ويؤكِّد، فلو ذكر هنا الانطلاق كان غير جائز؛ لأنّ الانطلاق لا يوضِّح أنّه زيدٌ ولا يؤكده. ومعنى قوله معروفا: لاشك. وليس ذلك في منطلق».[٣] وقد يُستخلص الحدث من المعنى العام للتركيب أو مجموع الكلمتين، نحو قول سيبويه: «ومثل قولك: فيها عبدُ الله قائماً: هو لك خالصاً، وهو لك خالصٌ، كأنّ قولك: (هو لك) بمنزلة (أهَبُه لك) ثم قلت: خالصا».[٤]

د– اختزال الحدث

لاشك أن الحدث هو المكوّن لمعنى الفعل وباختزاله يختزل الفعل، والاختزال عند سيبويه يعني الحذف[٥] وهو ضرب من الإيجاز والاختصار، قال سيبويه عن

١- المرجع نفسه: ٢: ٧٨.
٢- المرجع نفسه: ٢: ٧٨: ٧٩.
٣- المرجع نفسه: ٢: ٧٩.
٤- المرجع السابق: ٢: ٩٠.
٥- وقد ورد الاختزال عند سيبويه في الكلام بمعنى الحذف فقد جاء عن ابن منظور: «والاختزال الحذف استعمله سيبويه كثيراً» لسان العرب: ٥: ٦٢ وقد دارت معاني الخزل والاختزال بمعن القطع والانقطاع، يقال: اختزل فلان المال أي: اقتَطعهُ، وانْخَزَل في كلامه: انقطع. المرجع نفسه: ٥: ٦٢.

المصادر المنصوبة هنيئاً ومريئاً: «كأنك قلت ثبت ذلك هنيئًا مريئاً أو هنأه ذلك هنيئاً فاخْتُزِل الفعلُ؛ لأنّه صار بدلاً من اللفظ بقولك: هنّأك... فكل واحد منهما يدل على صاحبه فلذلك اختزلوا الفعل هنا، كما اختزلوه في قولهم: الحَذَرَ».[1]

وقد يستعان بالسياق أو الحال أو الخُلْف في الكلام كما عبّر سيبويه لمعرفة الأحداث المختزلة في الكلام بقوله: «ومثله بيْعَ المَلَطَى لا عهدَ ولا عقْدَ... فتدع (أبايُعك) استغناء لما فيه من الحال، ومثله: مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاه بيثرب، كأنّه قال: واعدتْني مواعيدَ عرقوب أخاه، ولكن ترك (واعدتني) استغناء بما هو فيه من ذكر الخُلْف، واكتفاء بعلم من يعني بما كان بينهما قبل ذلك».[2] ومما له صلة باختزال الحدث ظاهرة الاستغناء استغناؤهم عن أحداث غير مستعملة في كلام العرب لوجود ما ينوب عنها، قال سيبويه: «ولم يقولوا نازعني فنازعته لأنهم استغنوا عنه بغالبني فغالبته». ومنه أيضا قوله: «وقالوا: وضُع ضِعَةً وهو وضيع. والضَّعة مثل الكثرة، والضَّعة مثل الرِّفعة. وقالوا: رفيع ولم نسمعهم قالوا: رفُع، وعليه جاء رَفيع وإن لم يتكلموا به، واستغنوا بارْتفع».[3]

ومن أهم القضايا المتعلقة بالاختزال اختزال معاني الجعل والصيرورة في صيغ محددة، فقد جاء عن سيبويه: «تقول: دَخَل وخرجَ وجلَس. فإذا أخبرت أنَّ غيره صيّره إلى شيء من هذا قلت: أخْرجَه وأدْخلَه وأجْلسَه... وتقول: فزِع وأفزعته وخاف وأخفته وجال وأجلته وجاء وأجأته؛ فأكثر ما يكون على فعُل إذا أردت أنّ غيره أدخله في ذلك يُبنى الفعل منه على أفعلته».[4] حيث اخُتزلت هذه المعاني بصيغة (أفعل) على النحو الآتي:

١- سيبويه، الكتاب: ١: ٣١٧ وينظر: ١: ٣١٩، ٣٢٢.
٢- المرجع نفسه: ١: ٢٧٢.
٣- المرجع السابق: ٤: ٣٣.
٤- المرجع السابق: ٤: ٥٥ .

أخرجته = جعلته، صيرّته خارجاً (اختزال حركي، من حالة استقرار إلى حالة خروج).

أخفته= جعلته أو صيرّته خائفاً (اختزال حالة، من حالة سكون إلى حالة خوف).

ويجري هذا الاختزال في الغالب على صيغة أفعل من الأفعال الثلاثية المجردة، وأما «الذي ليس له ثلاثي مستخدم في العربية المعاصرة فاستُخدمت صيغةُ أفعل فيه بدلاً من فَعَل؛ إذ ليس له ثمة فعلٌ مثل: عَطِي ولا عَلَنَ ولا مَلَو. وربما كانت في فترة أقدم ثم زالت مع التطور اللغوي فأغنت أَفْعَلَ عنها مع احتفاظها بمعنى الجعل الذي يفيده الوزن. فأعطى جَعَل لأحد أعطيةً وأعْلَن جعل له أعلاناً، وأملى جعل تَوْسِعةً ومُهلةً»[١].

ويُسمى الاختزال عند المحدثين البُنية المشارطة حيث تقتضي دلالة التركيب أدوارا لا تبرز إلا عند التحويل الذي يكون بتوسيع عدد موضوعاتها وأدوارها الدلالية نحو الأمثلة الآتية:

- أنحفه المرض جعله نحيفاً هزيلاً

البنية الأصلية الإعرابية [أنحف(فا، مف)]

الدلالية [أنحف (قائم بالحدث، متحمّل للحدث)]

البنية المشارطة الإعرابية [جعل (فا، مف١، مف٢)]

الدلالية [جعل (قائم بالحدث، متحمل للحدث، حال)]

١- حسين ياغي وزميلاه، منهج جديد في علم الدلالة الصرفي، الأفعال المزيدة نموذجاً، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد، ٧: ٢٣٣ وفي استقراء للمعجم الوسيط وجد بعض الباحثين أن عددها بلغ ٢٥٠٨ وجلّ معانيها تختزل في الجعل والصيرورة. ينظر المرجعة نفسه: ٢٣٣.

وتنطبق البنية المشارطة على صيغة الأفعال الأخرى التي يختزل فيها معنى الجعلية كالتضعيف في وحّد الشيء، أي: جعله واحداً.[1] ومن صور الاختزال ما يأتي مختزلاً في (فعلتُه) والمعنى: جعلت فيه معنى لم يكن فيه من قبل، وهي بخلاف التغيير أو الانتقال من حال إلى حال الحاصل بصيغة (أفعل) وقد فرّق بينهما الخليل نقلاً عن سيبويه بقوله: «وتقول فَتَن الرجُلُ وفتنْهُ، وحزنَ وحزنْته، ورجَع ورجَعْته. وزعم الخليل أنّك حيثُ قلت: فَتنته وحزنته، لم ترَدْ أن تقول: جعلتُه حزيناً وجعلته فاتناً، كما أنك حيث قلت: أدْخلْتُه أردت جعلته داخلاً، ولكنّك أردت أن تقول: جعلتُ فيه حُزْناً وفتنةً، فقلت: فتنتُه، كما قلت: كحلتُه، أي: جعلت فيه كحلاً، ودهنته، جعلت فيه دُهناً، فجئتَ بفعلتُه على حدة، ولم ترد بفعلته ههنا تغيير قوله: حزِن وفَتِن. ولو أردت ذلك لقلت: أحزنتُه وأَفتنتُه».[2]

فالحدث المختزل عند سيبويه في (فتنتُه) يختلف عن (أفتنته) ففتنته: جعلت فيه فتنةً، فالمفعول هنا مستقبل أو مستجيب والفاعل هو المصدر الذي يصدر الحدث، بينما (أفتنته) المفعول هنا قائم مقام الفاعل حيث أصبح مصدرا للحدث وبقي دور الفاعل جاعلاً أو مغيراً من حال إلى حال. ومعنى الاختزال هنا: أي جعلته فاتناً كما صرّح بذلك سيبويه بقوله: «وقال بعض العرب: أفتنتُ الرجلَ، وأحزنتُه، وأرجعتُه، وأعورتُ عينَه، أرادوا: جعلتُه حزيناً وفاتناً فغيّروا».[3]

ومن الاختزال ما جاء لغرض الدعاء كصيغة (فعّلته) «حيَّيْته أي استقبلتُه بحيّاك الله، كقولك: سقّيته ورعّيته، أي قلت له: سقاك الله ورعاك الله».[4]

١- ينظر: شكري الشريف، مظاهر من انتظام المعجم، منشورات مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، ط١، ٢٠١٥: ٢٦٠.
٢- المرجع السابق: ٤: ٥٦.
٣- سيبويه، الكتاب،: ٤: ٥٧.
٤- المرجع نفسه: ٤: ٢٣٥.

ومما له صلة باختزال حدث الفعل داخلياً اختزال معنى المفعول بالفعل، قال سيبويه: «اشتوى القوم، أي: اتخذوا شواء، وأما: شويت فكقولك: أنضجتُ».[١]

فالحدث في (اشتوى القوم) اختزل معنى المفعول، حيث حُذف المفعول وبقي معناه في الفعل، فكأنّ الفضلة هنا هي المقصودة في المعنى العام، والتقدير: اتّخذوا شواءً، بينما في (شويت) الحدث اختزل القائم بالفعل مثل(أنضجت)، ومرجع هذا الاختزال إلى كثرة تعاطي المفعول، قال سيبويه: «وإنما كان هذا أكثر؛ لأنهم يُدخلون المفعول في الفعل ويشغلونه به، كما يفعلون ذلك بالفاعل، فكما لم يكن للفعل بُدٌّ من فاعل يعمل فيه، كذلك أرادوا أن يكثر المفعول الذي يعمل فيه... كما قالوا: احلولى ذلك فذلك في موضع المفعول».[٢] ومن صور الاختزال أن تتفق بعض الصيغة في اختزالها للأحداث، ومنه قول سيبويه: «وقد يجيء فعّلت وأفعلت في معنى واحد مشتركين كما جاء فيما صيّرته فاعلا ونحوه؛ وذلك وعّزت إليه وأوعزتً إليه، وخبّرت وأخبرتُ، وسمّيت وأسميتً. وقد يجيئان مفترقين، مثل علّمته وأعلمته، فعلّمتُ: أدّبتُ، وأعلمتُ: آذنتُ، وآذنت: أعلمتُ؛ وأذنتُ: النداء والتصويت بإعلان».[٣] وقد تختلف باختلاف البنية كقوله: «أمرضْته، أي جعلتُه مريضاً، ومرّضته، أي قمت عليه ووليته».[٤]

المبحث الرابع: القضايا المعجمية للحدث وأثرها النحوي

أ- المشترك اللفظي

يُعرّف المشترك اللفظي بأنه دلالة الكلمة الواحدة على أكثر من معنى[٥]، وقد تحدث سيبويه عن هذه الظاهرة بصورة موجزة في مقدمة كتابه مبينا معناها

١- المرجع نفسه: ٤: ٧٣: ٧٤.
٢- المرجع نفسه: ٤: ٧٨ ومنه اخشوشن واعشوشبت الأرض.
٣- سيبويه، الكتاب: ٤: ٦٢.
٤- المرجع نفسه: ٤: ٦٢.
٥- ينظر: أحمد بن فارس، الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.: ٣٢٧.

بقوله: «هذا باب اللفظ للمعاني، اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين. وسترى ذلك إن شاء الله تعالى. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جَلَس وذَهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدث عليه من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وِجدان الضالة. وأشباه هذا كثير».[1] ثم تحدث عنها في بعض مسائل الكتاب؛ لإيمانه بأثرها على الوظائف النحوية، فقد لاحظ أنّ لتعدد دلالات الفعل أثراً في تعدد الوظائف النحوية، وأول ما يطالعنا ذلك الأثر حديثه عن الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين بقوله: «هذا باب الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعولين... وذلك قولك: أعطى عبدُ الله زيداً درهما... ودعوته زيداً إذا أردت دعوته التي تجري مجرى (سميته) وإن عنيت الدعاء إلى أمر لم يجاوز مفعولا واحدا».[2] فقد لاحظ أنّ الفعل (دعا) يحمل دلالة مشتركة في حدثه، وكل دلالة تنتقي موضوعات محددة، فإذا كان بمعنى (التسمية) أصبح متعدياً إلى مفعولين، وإذا كان بمعنى (النداء) أصبح متعدياً إلى مفعول واحد، ومنه أيضا دلالة حدث الفعل(كان) على التمام بمعنى (وقع) أو (ثبت) أو (خُلِقَ) قال سيبويه: «وقد يكون لكان موضعٌ آخرُ يُقتصَرُ على الفاعل فيه تقول: قد كان عبدُالله، أي: قد خُلِق عبدُ الله. وقد كان الأمرُ، أي وقَعَ الأمرُ. وقد دام فلانٌ، أي ثبتَ. كما تقول رأيتُ زيداً تريد رؤية العين، وكما تقول: أنا وجدتُه تريد وجدان الضالة».[3] وقد جاء عن سيبويه أن لـ(رأى) حدثين مشتركين. قال: «وإن قلت رأيتُ فأردت رؤية العين، أو وجدتُ فأردْتَ وِجدان الضالة فهو بمنزلة ضربتُ، (أي لا يتعدى إلا لمفعول واحد)، ولكن إنما تريد بوجدتُ علمتُ، وبرأيت ذلك أيضاً، ألا ترى أنّه

١- المرجع نفسه: ١: ٢٤.
٢- المرجع نفسه: ١: ٣٧ .
٣- سيبويه، الكتاب: ١: ٤٦.

يجوز للأعمى أن يقول: رأيتُ زيداً الصالحَ».[١] ثم قال: «وقد يكون علمتُ بمنزلة عرفتُ لا تريد إلا عِلْمَ الأول فمن ذلك قوله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ [البقرة: ٦٥] وقال سبحانه ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾[الأنفال: ٦٠] فهي بمنزلة عرفتُ، كما كانت رأيت على وجهين».[٢]

ب– الترادف

من القضايا المعجمية التي لها صلة بحدث الفعل ظاهرة الترادف، اختلاف اللفظ واتفاق المعنى،[٣] وقد صرّح بها سيبويه في نصه السابق بقوله: «واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من المَوْجِدة، ووجدت إذا أردت وِجدان الضالة. وأشباه هذا كثير».[٤] وعلى ضوء هذه الظاهرة اللغوية وجّه كثيراً من التراكيب النحوية، ففي ظاهرة الاستغناء وجّه بأن يحمل الفعل على غيره أو يستغنى به عن غيره عند تقارب دلالة حدثه من حدث فعل من آخر، كاستغناء العرب عن ماضي الفعل (وذر) وودع) بمرادفهما (ترك) قال سيبويه: «وإنما جاءت هذه الحروف على جَنَنْتُه وسلَلْتُه، وإن لم يُستعمل في الكلام، كما أنّ يدعُ على ودعتُ، ويَذَرُ على وذَرْتُ، وإن لم يُستعملا، استُغني عنهما بتركْتُ».[٥] وقد استعان بظاهرة الترادف في تقدير فعل من معنى الفعل المذكور في باب الاشتغال، كما في: زيداً مررت به، ومررت بعمرو وزيداً، فقد نصب الاسم بتقدير فعل من معنى (مررتُ) والمعنى: جاوزت زيداً.[٦] ومثله ما جاء عنه في توجيه قول العجَّاج:

١- المرجع نفسه: ١: ٤٠.
٢- المرجع نفسه: ١: ٤٠.
٣- ينظر: ابن فارس، الصاحبي: ٣٢٧.
٤- المرجع نفسه: ١: ٢٤.
٥- سيبويه، الكتاب: ٤: ٦٧.
٦- ينظر: المرجع نفسه: ١: ٨٣: ٩٤.

يَذْهَبْنَ فيْ نَجْدٍ وَغَوْراً غَائِراً[1]

«كأنّه قال: ويسلكن غوراً غائراً؛ لأنّ معنى (يَذْهبْن) فيه (يسلُكْن)».[2]

وقد بيّن سيبويه أن حمل حدث الفعل على حدث فعل مقارب له في المعنى لم يكن لأجل المعنى فحسب، بل لغرض وظيفي هو قصور الفعل(مررت) عن تعديته المباشرة إلى المنصوب بقوله: «ولا يجوز أن تُضمر فعلاً لا يصلُ إلا بحرف الجر؛ لأنّ حرف الجر لا يُضمر، وسترى بيان ذلك. ولو جاز ذلك لقلت: زيدٍ، تريد مُرّ بزيدٍ».[3]

ج– الحقيقة والمجاز

جاء هذان الوصفان عند سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة بقوله: «فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتُكَ أمسِ، وسآتيك غداً. وأما المحال فأن تنقُض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتُكَ غداً، وسآتيك أمسِ. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملتُ الجبل، وشربتُ ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيتُ، وكي زيدُ يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشربُ ماءَ البحر أمس».[4]

إذا كانت الحقيقة عند اللغويين تعني: «الكلام الموضوع موضِعَه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، و لا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل: أحمد الله على نعمه وإحسانه، وهذا أكثر الكلام».[5] فالمتأمل لنص سيبويه السابق يلاحظ عنايته

١- هذا بيت من مشطور الرجز في ديوان العجاج برواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلى، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٧١م: ٢: ٢٨٨ والشطر الثاني: فَوَاسِقَاً عَنْ قَصْدِها جَوائِرُ.
٢- المرجع نفسه: ١: ٩٤.
٣- المرجع نفسه: ١: ٩٤.
٤- سيبويه، الكتاب: ١: ٢٥: ٢٦ .
٥- ابن فارس، الصاحبي: ٣٢١.

بالدلالة المنطقية، وهي تقسيم الكلام بما يقتضيه العقل، بحيث تنتقي الأحداث في الكلام الموضوعات التي تتوافق مع خصائصها وسماتها الدلالية، فإذا صحت العلاقة منطقياً بين حدث الفعل وموضوعاته التي تتعلق به وصف الكلام بالمستقيم نحوياً ودلالياً، نحو: أتيتك أمس، وحملتُ الجبل. وإذا انتفت العلاقة بأن استحال الكلام إلى شيء من التناقض وصِفَ بالمحال أو المحال الكذب نحو: أتيتك غداً، وسآتيك أمس، وسوف أشرب ماء البحر أمس.

وقد نبّه سيبويه إلى أنّ الكلام قد يحمل على المجاز، وهو ضرب من الاتساع اللغوي بين حدث الفعل وموضوعاته، حيث يتدخل المجاز في توسعة معنى الحدث عند إسناده إلى موضوعات لا تتناسب مع طبيعة معناه في أصل وضعه اللغوي، ومن الأمثلة قوله: «ومن ذلك قولهم: أكلتُ أرضَ كذا وكذا، وأكلتُ بلدةَ كذا وكذا، إنّما أراد أصاب من خيرها وأكلَ من ذلك وشرب. وهذا الكلام كثير».[١] والمجاز في اللغة خروج الكلام عن الحقيقة لقرينة مانعة قال الجُرْجَانيّ: «كلّ كلمة أريدت بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز».[٢] وخروج الكلام يكون لأغراض لا تتوافر معانيها في معنى الحدث الأصل، كالتشبيه والاستعارة: «أي: أن الكلام الحقيقي يمضي لسننه لا يُعترض عليه، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقربه منه. إلا أن فيه من تشبيهٍ واستعارةٍ وكف ما ليس في الأول، وذلك كقولك: عطاء فلان مزن. هذا تشبيه، وقد جاز مجاز قوله: عطاؤه كثير وافٍ».[٣]

وقد اهتم سيبويه بدراسة حدث الفعل دلاليا في ضوء تشكل بنية المصادر

١- سيبويه، الكتاب: ١: ٢١٤.
٢- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.: ٣٥٢.
٣- مرجع سابق: ٣٢٢.

واختلافها[1] ولسنا بصدد تفصيل القول فيها؛ لأنّ البحث خُصِّص لدراسة ما له صلة بالجانب النحوي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله: «ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني: النزوان والنقزان؛ وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع... ومثل هذا الغليان؛ لأنّه زعزعة وتحرُّك. ومثله الغثيان؛ لأنّه تجيُّشُ نفسه وتثور».[2] ومنه قوله: «ومما تقاربت معانيه فجاءوا به على مثال واحد نحو: الفِرار والشِّراد والشّماس والنِّفار والطّماح، وهذا كله مباعدة».[3] وقال في موضعٍ آخر: «ونظير هذا فيما تقاربت معانيه قولهم: جعلتُهُ رُفاتاً وجُذَاذا. ومثله الحطام والفُضاض والفُتات».[4] وقد تحدث عن كيفية صياغة مصادر الأفعال الثلاثية والرباعية والخماسية بناء على اختلاف معاني أحداثها فعقد لها أبوابا في كتابه.

١- ينظر: المرجع نفسه: ٤: ١٧-٢٨.
٢- المرجع نفسه: ٤: ١٤.
٣- المرجع نفسه: ٢: ١٢.
٤- المرجع نفسه: ٤: ١٣.

الخاتمة

يمكن أن نجمل أهم النتائج التي اُستخلصت من البحث على النحو الآتي:

١- أن سيبويه لم يتحدث عن سمات الحدث وفق ما تقتضيه نظرية العامل فحسب، بل جاء حديثه عن سمات الحدث في مواضع متفرقة من كتابه، كحديثه عن معاني الأفعال اللازمة والمتعدية، وحديثه عن الكلام المستقيم والمحال، وحديثه عن الظواهر المعجمية في باب اللفظ للمعاني، وكذلك حديثه عنه في كثير من التعليلات والتفسيرات للمسائل النحوية والتراكيب اللغوية.

٢- أن من أهم العوامل النحوية التي استقرت عند سيبويه أن تتضمّن الأفعال والأسماء والحروف معنى الحدث، حيث تتدرج العوامل قوّة وضعفا في عملها بحسب طبيعة معنى الحدث، فالفعل المتعدي يكون أقوى تأثيراً من حدث الفعل غير المتعدي، والمتعدّي بواسطة حرف الجر يكون أقوى تأثيرا من اللازم أو القاصر، وهكذا حتى نصل إلى الأسماء والحروف.

٣- من أهم النتائج التي ظهرت في هذا البحث أنّ سيبويه استخرج من الحدث بعض المعاني الوظيفية والمصطلحات النحوية، كالعمل والقوة، والإلغاء والتفرغ، والتعدية واللزوم والاشتغال والتمام وعبره عنه باقتصار الفعل على فاعله.

٤- أنّ سيبويه لم يهمل ما يتصل بالحدث من قضايا معجمية مما له صلة بالتركيب النحوي، كظاهرتي المشترك اللفظي والترادف، فقد لاحظ في ظاهرة المشترك اللفظي أن الكلمات تتعدد وظائفها في التركيب الواحد بسب اختلاف معاني أحداثها، كالفعل رأيت وعلمت ووجدت، كما لاحظ أنّ ظاهرة الترادف تسهم في عملية الاتساع اللغوي والاستغناء، فكلما تقاربت

دلالة حدث الفعل من حدث آخر جاز أن يحمل على غيره أو يستغنى به، كاستغنائهم بالفعل (تركت) عن الفعلين: وذرت و ودعت.

٥- من النتائج المتعلقة بالحدث هو تصنيف الكلام بحسب العلاقة المنطقية والمجازية، حيث صنّف سيبويه الكلام بناء على العلاقات المنطقية بين الحدث وموضوعاته إلى كلام مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. وقد نبّه إلى أنّ الكلام قد يحمل على المجاز، بأن يخرج الحدث من معناه المتبادر إلى الذهن إلى معان أخرى لغرض من الاتساع اللغوي والمبالغة في الكلام.

٦- لقد تبيّن في هذا البحث تعدد المصطلحات اللغوية التي تُشير إلى الحدث عند اللسانيين، فمنهم من يطلق عليه مصطلح الجهة، ومنهم من يطلق عليه طبيعة معنى الحدث، ومنهم من يطلق عليه معنى الفعل أو طبيعة معنى الفعل.

٧- من أهم النتائج التي ظهرت في الدراسة والمتعلقة بحدث الفعل ظاهرة الاختزال، إما بحذف الفعل لضرب من الاختصار والإيجاز، كحذف الأفعال العاملة في المصادر المنصوبة هنيئاً ومريئاً حيث اُخْتزِل الفعلُ؛ لأنّه صار بدلاً من اللفظ بقولك: هنّأك. أو يكون الاختزال بالاستغناء عن أحداث غير مستعملة في كلام العرب لوجود ما ينوب عنها، كقول سيبويه: «ولم يقولوا نازعني فنازعته لأنهم استغنوا عنه بغالبني فغالبته». أو الاختزال الحاصل عن طريق الصيغ، كاختزال معنى الصيرورة والجعلية في صيغ (أفعل) نحو: أخْرجَه وأدْخلَه وأجْلسَه، أي: أنَّ غيره صيّره إلى شيء من هذا. واختزال معنى المفعول في صيغ (افتعل)، كما في: اشتوى القوم، أي: اتخذوه شواءً. ويمكن أن يقاس على هذا الاختزال اختزال كثير من التعابير الحديثة.

وإن كان من ثمّة توصية في ختام هذه الدراسة فإنني أوصي بأن تكون هناك دراسات موسّعة للحدث في كتاب سيبويه تشتمل على دراسة الجوانب الصرفية والمعجمية والأسلوبية؛ نظرا لأهميتها في تطوير المهارات المعرفية والإدراكية لفهم معاني مفردات اللغة وعلاقاتها الوظيفية والدلالية في الكلام.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم الدسوقي، التحليل التكويني ودراسة المعنى في العربية، دار غريب، القاهرة، ٢٠١٥م.
- أحمد بن إدريس القرافي، كتاب الخصائص، تحقيق: د. طه محسن عبد الرحمن، و د. كيان أحمد حازم يحيى، المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- أحمد بن فارس بن زكريا.
- الصاحبي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
- أحمد بن الحسين بن الخباز، توجيه اللمع شرح كتاب اللمع لأبي الفتح عثمان بن جنى، دراسة وتحقيق: فايز زكي محمد دياب، دار السلام، مصر، ط١ ٢٠٠٢م.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.
- توفيق قريرة، المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، نشر كلية الآداب، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠٠٣م.
- جمال الدين الفاكهي، شرح الحدود النحوية، تحقيق: د. صالح بن حسين العايد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٩٩٠م.
- جيرار جهامي، الإشكاليات اللغوية في الفلسفة العربية، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤م.
- الحاج موسى ثالث، مفهوم الجهة في اللسانيات الحديثة: دراسة نظرية وتطبيقية على اللغة العربية المعاصرة، اشراف محمد لطفي الزليطني، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٦م.
- الحسن بن عبد الله السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م.
- الخنساء، تماضر بنت عمرو، شعره بتحقيق: كريم البستاني، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م.
- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

- شكري السعدي، قضايا الحدث في اللسانيات وفلسفة اللغة، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط١، ٢٠١٦م.
- شكري الشريف، مظاهر من انتظام المعجم، مجمع الأطرش، تونس، ط١، ٢٠١٥م.
- عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط١٥، ٢٠٠٤م.
- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٧٤م.
- عبد الرحمن بن حسن البارقي، طبيعة معنى الحدث في العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
- عبد القادر الفاسي الفهري.
- البناء الموازي الموسع نظرية توليدية جديدة، دار كنوز، عمان، ط١، ٢٠١٨م.
- المعجم العربي، دار توبقال، المغرب، ط٢، ١٩٩٩م.
- عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
- عبد الله بن أحمد بن الخشاب، المرتجل في شرح الجمل، تحقيق: علي حيدر، دمشق، ط٢، ١٩٧٢م.
- عبد الله بن الحسين العكبري.
- التبيين على مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: د. عبد الرحمن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠١م.
- عبد المجيد جحفة، دراسات دلالية في اللغة العربية، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠١٨م.

- عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، ط٢، (ب.ت).
- عثمان بن عمر بن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٨٣م.
- العجّاج عبد الله بن رؤبة، ديوانه برواية الأصمعي أبي سعيد عبد الملك بن قريب، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلى، دمشق، ١٩٧١م.
- علي بن مؤمن بن عصفور.
- شرح جمل الزجاجي، تحقيق: فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- المقرب، تحقيق: د. أحمد الجواري وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٦م.
- فالح العجمي، أبعاد العربية، دراسة في فقه اللغة العربية وتاريخ تطورها وعلاقتها ببقية اللغات السامية، مطابع الناشر العربي، الرياض، ط١، ١٩٩٤م.
- محمد بن الحسن الرضي، شرح كافية بن الحاجب، دراسة وتحقيق: د. يحيى بشير مصري، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد خير الحلواني، أصول النحو العربي، أفريقيا الشر، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١١م.
- محمد بن عبد الله بن مالك، شرح التسهيل، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. حمد بدوي المختوم، هجر للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٠م.
- محمد بن سهل السراج، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد المحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- محمد الفارابي.
- الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق، محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- كتاب الحروف، تحقيق: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط٣، ٢٠٠٤م.
- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

- محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.
- محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم العربية، تحقيق: د. فخر صالح قدارة، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.
- النُّميري، أبو حيّة الهيثم بن الربيع ، شعره بتحقيق: د. يحيى الجبوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٥م.
- يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت. (د.ت).
- مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، العدد ٧، منهج جديد في علم الدلالة الصرفي: الأفعال المزيدة نموذجا للدكتور د. حسين ياغي وزميليه.

References:

- Ibrahim El-Desouky. Formative Analysis and the Study of Meaning in Arabic. Dar Gharib: Cairo, 2015.
- Ahmed bin Idris Al-Qarafi, Book of Characteristics. Revised by: Dr. Taha Mohsen Abdel Rahman & Dr. Kayan Ahmed Hazem Yahya. Al-Madar Al-Islami. Beirut, 1st ed., 2013.
- Ahmed bin Faris bin Zakaria.
- Al-Sahbi. Revised by: Al-Sayyid Ahmed Saqr. House of Revival of Arabic Books. Cairo.
- A Dictionary of Language Measures. Revised by: Abd al-Salam Haroun. Dar al-Fikr, 1979.
- Ahmed bin Al-Hussein bin Al-Khabbaz. Book Guiding Luminosity Explanation Of Luminosity Book by Abu Al-Fath Othman Bin Jana. Studied and revised by: Fayez Zaki Muhammad Diab. Dar Al-Salaam: Egypt, 1st Edition. 2002.
- Tammam Hassan. The Arabic language, its meaning and structure. Alam Al Kotob, Cairo, 4th edition, 2004.
- Tawfiq Qurira. Grammatical Terminology and the Thinking of Arab Grammarians. Published by: the Faculty of Arts, Dar Muhammad Ali, Tunisia. 1st ed., 2003.
- Jamal Al-Din Al-Fakihi. Explanation of the Grammatical Borders. Revised by: Dr. Saleh bin Hussein Al-Ayed. Published by: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh, 1st ed., 1990.
- Gerard Jahami. Linguistic Problems in Arabic Philosophy. Dar Al-Mashreq: Beirut, 1994.
- Al-Hajj Musa Thaleth. The Concept of region in Modern Linguistics: A heoretical and Applied Study on the Contemporary Arabic Language. Supervised by: Muhammad Lutfi Al-Zulaitni. Master Thesis. King Saud University, 2006.
- Al-Hasan bin Abdullah Al-Sirafi. Explanation of Sibawayh's Book. Revised by: Dr. Ramadan Abdel-Tawwab. Dar Al-Kutub Press, Cairo, 2nd Edition, 2008.
- Al-Khansa, Tamader Bint Amr, her poetry, edited by: Karim Al-Bustani, Sader Library, Beirut, 1951.
- Sibawayh Amr bin Othman bin Qanbar, the book. Revised by: Abdel Salam Haroun, Dar Al-Jeel, Beirut, n.d.

- Shukri Al-Saadi. Event Issues in Linguistics and Language Philosophy. Tunisian Book House, Tunisia, 1st Edition, 2016.
- Shukri Al-Sharif. Manifestations of the regularity of the lexicon. Majma Al-Atrash, Tunisia, 1st edition, 2015.
- Abbas Hassan. Adequate Grammar. Dar Al Maaref: Cairo, 15th Edition, 2004.
- Abd al-Rahman ibn Abi Bakr al-Suyuti. Ham' al-Hawami' fi Sharh Jam' al-Jawami'. Revised by: Ahmad Shams al-Din. Dar al-Kutub al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1998.
- Abd al-Rahman ibn Ishaq al-Zajji. Clarification of the Reasons' for Grammar. Revised by: Dr. Mazen Al-Mubarak. Dar Al-Nafaes: Beirut, 1st ed., 1974.
- Abdul Rahman Hassan Al-Barqi. The Nature of the Meaning of the Phenomenon in Arabic. Dar Alkitab Aljadeed: Beirut, 1st ed., 2014.
- Abdelkader Fassi Fihri.
- Expanded Parallel Construction: A New Generative Theory. Dar Kunouz: Amman, 1st Edition, 2018.
- The Arabic Dictionary. Dar Toubkal: Morocco. 2nd Edition, 1999.
- Abd al-Qaher bin Abd al-Rahman al-Jurjani. Asrar al-Balagha. Revised by: Mahmoud Muhammad Shaker. al-Khanji Library: Cairo, 1st ed., 1991.
- Abdullah bin Ahmed bin Al-Khashab. The Improvised in Explaining Sentences. Revised by: Ali Haider. Damascus. 2nd edition, 1972.
- Abdullah bin Al-Hussein Al-Akbri.
- Clarification of the doctrines of the Basri and Kufic grammarians. Revised by: Dr. Abdul Rahman Suleiman Al-Othaimeen. Al-Obaikan Library: Riyadh, 1st ed., 2000.
- A booklet in Syntax. Revised by: Dr. Abdul Ilah Nabhan. Dar Al-Fikr: Damascus, 1st ed., 2001.
- Abdel Majid Jahfa. Semantic Studies in the Arabic Language. Dar Toubkal: Morocco. 1st Edition, 2018.
- Othman bin Jinni. The Characteristics. Revised by: Muhammad Ali Al-Najjar. Dar Al-Kutub Al-Masryah, 2nd Edition, (n.d).
- Othman bin Omar bin Al-Hajib. The clarification in Sharh Al-Mofassal. Revised by: Dr. Musa Bnai Al-Alili. Al-Ani Press: Baghdad, 1st ed, 1983.

- Al-Ajaj Abdullah bin Ruba, his collection of works according to the narration of Al-Asma'i Abi Saeed Abdul Malik bin Qareeb,: Dr. Revised by: Abdul Hafeez Al-Satli, Damascus, 1971.
- Ali bin Moamen bin Asfour.
- Explanation of Al-Zajji's Sentences. Revised by: Fawaz Al-Shaar. Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut, 1st ed., 1998.
- Al-Mokarrab. Revised by: Dr. Ahmed Al-Jawari & Abdullah Al-Jubouri. Al-Ani Press: Baghdad, 1986.
- Faleh Al-Ajmi. Dimensions of Arabic: A Study in the Philology of Arabic Language and the History of Its Development and its Relationship with the Rest of the Semitic Languages. Al-Nasher Al-Arabi Press: Riyadh, 1st ed., 1994.
- Muhammad Khair Al-Halawani. The Origins of Arabic Grammar. Afrique Orient: Casablanca, 1st ed., 2011.
- Muhammad Bin Al-Hassan Al-Radi. Explanation of the Sufficiency of Ibn Al Hajeb. Studied and revised by: Dr. Yahya Bashir Masri. Published by: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Deanship of Scientific Research, 1st ed., 1996.
- Muhammad bin Abdullah bin Malik. Explanation of the facilitation. Revised by: Dr. Abdul Rahman Al-Sayed & Dr. Hamad Badawi Al-Makhtoum. Hajar for Printing and Publishing: Egypt. 1st ed., 1990.
- Muhammad bin Sahl Al-Sarraj. Origins in Grammar. Revised by: Dr. Abdul Mohsen Al-Fatli. Al-Resala Foundation: Beirut, 3rd edition, 1996.
- Mohammed Al-Farabi.
- Words used in logic. Revised by: Mohsen Mahdi. Dar Al-Mashreq: Beirut. 1st ed., 1991.
- Book of Letters. Revised by: Mohsen Mahdi, Dar Al-Mashreq, Beirut, 3rd edition, 2004.
- Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari. The Book Detailed In Arabic Science. Revised by: Dr. Fakhr Saleh Qadara. Dar Ammar: Amman. 1st ed., 2004.
- Muhammad bin Makram bin Manzoor. Lisan Al Arab: Dar Sader: Beirut. 1st ed., 2000.
- Muhammad bin Yazid Al-Mubarrad. Al-Muqtab. Revised by: Muhammad Abdul-Khaleq Udaymah. Alam Al Kotob.

- Al-Numeiri, Abu Hayyaa Al -Hayham bin Al- Rabee his poetry, Revised by: Dr. Yahya al-Jubouri, Publications of the Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, 1975.
- Yaish bin Ali bin Yaish. Sharh al-Mofasal. Alam Al Kotob, Beirut. (n.d).
- Journal of Arabic Linguistics. King Abdullah bin Abdulaziz International Center for Arabic Language Service. Issue 7. A new approach in morphological semantics: Additive verbs as a model by Dr. Hussein Yaghi & et. al.

الزواحف والبرمائيات في القرآن الكريم
دراسة وصفية تحليلية

Reptiles and amphibians in the Holy Qur'an
Descriptive analytical study

أ.د. زياد علي دايح الفهداوي
جامعة الوصل – دبي – الإمارات العربية المتحدة
أ. مُنيْرَة حَيْدَرْ الزُحَيْلِي
جامعة الوصل – دبي – الإمارات العربية المتحدة

Dr. Ziyad Ali Al-Fahdawi
Al Wasl University - Dubai - United Arab Emirates
Muneera Al-Zohaily
Al Wasl University - Dubai - United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.04

تاريخ تسلم البحث 2023/08/24 - وصدر خطاب القبول 2024/07/13

ملخص البحث

التنوع والاختلاف بين الكائنات الحية أمر تكويني، وهي سنة الله في خلقه، فالله خلق الكائنات متباينة ليكمل بعضها البعض وليكون بعضها مسخراً للآخر.

وتكمن مشكلة الدراسة في الحاجة إلى بيان جملة من الأحكام والأوصاف والخصائص المتعلقة بالبرمائيات والزواحف التي اختصها الله تعالى بالذكر في القرآن الكريم.

وتهدف الدراسة إلى: التعرف على ماهيتها وأوصافها وأهم الأحكام المتعلقة فيها.

اقتضى موضوع الدراسة أن يُسلك فيه المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، وذلك باستقراء الزواحف والبرمائيات التي ذكرت في القرآن الكريم، وبيان أقوال المفسرين فيها، وذكر ماهيتها وأوصافها، وأهم الأحكام المتعلقة فيها بمنهجية وصفية تحليلية.

ومن أهم ما توصلت له هذه الدراسة: أنه يحرم على المسلم أكل الأفاعي والثعابين والانتفاع بجلودها.

كما أظهرت الدراسة أنّ الحيوانات البرمائية والزواحف عامل مهم من عوامل التوازن البيئي، والتي تعود بالنفع على الإنسان والبيئة.

الكلمات المفتاحية: زواحف – برمائيات – ضفادع – حيّات – جلود.

Abstract

Diversity and difference among living organisms is a formative matter, and it is the law of God in His creation. God created diverse organisms to complement each other and to make some of them subservient to others.

The problem of the study lies in the need to state a set of rulings, descriptions, and characteristics related to amphibians and reptiles that God has designated God Almighty mentions it in the Holy Qur'an.

The study aims to: identify its nature, descriptions, and the most important provisions related to it.

The subject of the study required that the inductive, descriptive and analytical approach be followed, by extrapolating the reptiles and amphibians mentioned in the Holy Qur'an, explaining the commentators' sayings about them, mentioning their nature and descriptions, and the most important rulings related to them using a descriptive methodology to analyze them.

One of the most important findings of this study is that it is forbidden. A Muslim must not eat snakes and benefit from their skins.

The study also showed that amphibians and reptiles are an important factor in environmental balance, which benefits humans and the environment.

Keywords: reptiles - amphibians - frogs - snakes - skins.

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق كل بما يناسبه ويناسب طبيعته، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور: ٤٥]، اشتركت الدواب في الأصل والنشأة، فالدواب جميعًا خلقت من ماء، ولكنها اختلفت في ماهيتها وصفاتها وخصائصها، فكل منها يعيش وفقًا لظروف معينه قد وهبها الله لها، وما يتحمله حيوان لا يمكن أن يتحمله حيوان آخر والعكس صحيح.

ونلحظ أنّ القرآن الكريم تحدث عن (٢٧) صنفًا من هذه الحيوانات، جاءت الثدييات في المركز الأول بـ(١٣) نوعًا، تلتها الحشرات بـ(٨) أنواع، ثم الطيور بـ(٣) أنواع، ثم نوع واحد لكل من الأسماك والزواحف والبرمائيات.

وجاء ذكر الحيوانات في القرآن الكريم لعدة علل، فمنها لبيان حكم التحريم (كالخنزير)، ومنها للتحذير من خلق ذميم ينتهجه بعض البشر (كالكلب)، ومنها للتدبر في صنع الله ومحكم خلقه (كالإبل)، أو تشريف حيوان بعينه وبيان فضله (كالخيل)، إضافة لهذا، سميت سور كاملة بأسماء الحيوانات، مثل: النمل، والعنكبوت، والنحل، والفيل.

ولا يتسع الحديث عن تلك الحيوانات في هذا الموضع، نظرًا للحكم الإلهية المتعددة في خلقها، وماهيتها وصفاتها، ودورها في إعمار الكون والتوازن البيئي، ولهذا جاء بحثنا في الزواحف والبرمائيات التي ذكرت في القرآن الكريم،

متناولين في ذلك التعريف بها وإبداع الله في خلقها، وماهيتها، وصفاتها، وأهم الأحكام المتعلقة بها.

أهمية الدراسة:

١- إلقاء الضوء على هذه المخلوقات التي ذكرت في القرآن.

٢- محاولة توضيح بعضٍ من هذه الآيات فيها.

٣- لفت النظر إلى حقائق علمية عن طبيعة تكوين وخصائص ونمط حياة العديد من البرمائيات والزواحف التي تعيش من حولنا.

٤- تقديم إحصاء شامل للآيات التي وردت فيها تلك الكائنات، وبيان آراء العلماء فيها.

إشكالية الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الحاجة إلى بيان جملة من الأحكام والأوصاف والخصائص المتعلقة بالبرمائيات والزواحف التي اختصها الله تعالى بالذكر في القرآن الكريم.

ويتوقع أن تجيب هذه الدراسة عن التساؤلات الآتية:

١- التعريف بالزواحف والبرمائيات التي ذكرت في القرآن الكريم.

٢- حصر الآيات التي ذكرت فيها.

٣- التعرف على خصائصها وأوصافها وأهم الأحكام المتعلقة فيها.

تهدف الدراسة إلى:

١- التعريف بالزواحف والبرمائيات، وأنواعها.

٢- جمع الآيات القرآنية التي ذكرت فيها وبيان الحكم الإلهية في خلقها.

٣- التعرف على ماهيتها وأوصافها وأهم الأحكام المتعلقة فيها.

الدراسات السابقة:

بعد اطلاعنا على المكتبة الإسلامية الخاصة بعلوم القرآن، وبعد البحث والاستقصاء في الدراسات السابقة لموضوعنا لم نقف على دراسة سابقة بذات العنوان تحديدًا - بحدود علمنا -، غير أنّ هناك دراسات تقترب من هذه الدراسة، ولكنها تفترق عنها، وهي:

١- رسالة ماجستير، بكلية النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين، بعنوان: (اللحوم المحرمة والمختلف فيها في الفقه الإسلامي) للباحثة: كفاح سامي محمد إسماعيل يونس، نوقشت الرسالة وأجيزت سنة ٢٠١٤.

وقد بينت الباحثة فيها أحكام اللحوم المحرمة لذاتها في القرآن الكريم وعلى ما تشتمل، ثم تحدثت عن اللحوم المختلف فيها لذاتها في السنة النبوية وعلى ما تشتمل، ثم بعد ذلك انتقلت إلى اللحوم المحرمة لغيرها في كل من القرآن والسنة، وأخيرًا ناقشت أحكام اللحوم حسب صفاتها، من برية وبحرية وبرمائية، واللحوم المستوردة والمجمدة.

وتفترق هذه الدراسة عن الدراسة السابقة بأنها دراسة وصفية تحليلية للزواحف والبرمائيات التي ذكرت في القرآن الكريم، وليست دراسة فقهية.

٢- رسالة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض - السعودية، بعنوان: (أحكام الجلود في الفقه الإسلامي) للباحثة: فاطمة بنت صالح بن علي العريني.

وقد تناولت الباحثة في دراستها حقيقة الجلود، وأحكامها في العبادات؛

كبيان حكم ما يوضع على جلد الصائم من أدوية، وأحكامها في المعاملات؛ كحكم بيع الجلود، وأحكامها في النكاح والطلاق؛ كحكم التفريق لعيب جلدي، وأحكامها في الجنايات والحدود والكفارات والأطعمة، وأحكام تجميل الجلد.

أما دراستنا فلم تكن متخصصة في هذا المجال، بل كل ما فيها جاء لتوضيح حكم الانتفاع بجلد الحية، أما الباحثة فاطمة فقد توسعت في ذلك.

منهج الدراسة:

اقتضى موضوع الدراسة أن يُسلك فيه المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، وذلك باستقراء الزواحف والبرمائيات التي ذكرت في القرآن الكريم، وبيان أقوال المفسرين فيها، وذكر ماهيتها وأوصافها، وأهم الأحكام المتعلقة فيها بمنهجية وصفية تحليلية.

وقد أملى علينا هذا الموضوع أن نقسمه إلى أربعة مطالب، أسبقناها بمقدمة وأعقبناها بخاتمة ضمنَّاها أهم النتائج:

المقدمة: التي اشتملت على أهمية الدراسة، إشكالية الدراسة، أهداف الدراسة، الدراسات السابقة، منهج الدراسة.

المطلب الأول: الضفدع، وفيه أربعة فروع:

الفرع الأول: التعريف بالضفادع.

الفرع الثاني: صفات وماهية الضفادع.

الفرع الثالث: مواضع ذكر الضفدع في القرآن الكريم، والمعنى العام لها.

الفرع الرابع: حكم تشريح الضفدع للأغراض العلمية.

المطلب الثاني: الثعابين، وفيه ثلاثة أفرع:

الفرع الأول: التعريف بالثعابين.

الفرع الثاني: صفات وماهية الثعابين.

الفرع الثالث: الآيات التي ورد فيها الثعبان، والمعنى العام لها.

المطلب الثالث: الحية، وفيه ثلاثة أفرع:

الفرع الأول: التعريف بالحية.

الفرع الثاني: صفات وماهية الحية.

الفرع الثالث: الآيات التي ورد فيها ذكر الحية، والمعنى العام لها.

المطلب الرابع: الأحكام الشرعية للزواحف، وفيه خمسة فروع:

الفرع الأول: حكم الانتفاع وبيع سم الحية / الثعبان.

الفرع الثاني: حكم الانتفاع بجلود الحية / الثعبان.

الفرع الثالث: حكم اقتناء الحية / الثعبان.

الفرع الرابع: حكم أكل الحيات / الثعبان.

الفرع الخامس: حكم قتل الحية / الثعبان في الصلاة.

الخاتمة: وفيها النتائج.

قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المطلب الأول: الضفدع، وفيه أربعة أفرع

الفرع الأول: التعريف بالضفادع.

تعريف الضّفدَعُ لغةً: (فعل) تضَفدع، مصدر ضَفدَعَةٌ، والجمع: ضَفادعُ، وهو حيوان برمائي ذو نقيق تتغذى بالحشرات والسمك الصغير، يقال للذكر والأنثى. الأشهر فيه من حيث اللغة كسر الدال وفتحها أشهر في ألسنة العامة، وقد أنكره بعض أئمة اللغة، العيتوم الضفدع الذكر، وقال الليث: العلجوم الضفدع الذكر [١].

تعريف الضفدع اصطلاحاً: حيوان فقاري برّمائيّ دقيق العظام، ذو نقيق، ليس له ذيل، سريع السباحة[٢].

يُعرف الضفدع بقدرته على القفز، ويمتلك جلدًا أملسًا، وعيونًا بارزة، وينتشر في جميع العالم تقريبًا، ويعتبر من أكثر الحيوانات تنوعًا فيها؛ وتحتاج الضفادع إلى العيش قرب مصادر المياه لتتكاثر[٣].

١- ينظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت٣٩٣هـ)، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، (٣/ ١٢٥٠)، فصل الضاد، والأزهري، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م، (٣/ ٢١٠)، باب العين والضاد، وكافي الكفاة، الصاحب، إسماعيل بن عباد، (ت٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة تحقيق: محمد حسن آل ياسين، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، (٢/ ٢٤١)، وعلي بن الحسين الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب(كراع النمل)، (ت٣٠٩هـ)، المنجد في اللغة، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، ودكتور ضاحي عبد الباقي، الناشر: عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م، (٢٥٢)، وأبو عمر تقي الدين المشهور بابن الصلاح، (ت: ٦٤٣هـ)، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد اللطيف الهميم - ماهر ياسين، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان - بيروت، ط١، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، (٤٠٣).

٢- ينظر: المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء، سلسلة المعاجم الموحدة (٨) (بالعربية والانجليزية والفرنسية)، تونس: مكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣، (١٥٢)، وأمين المعلوف(١٩٨٥)، معجم الحيوان(بالعربية والانجليزية)، دار الرائد العربي، بيروت، ط٣، (١٠٩).

3- Laura Klappenbach (8-3-2017), «Top 10 Facts About Frogs, www.Thoughtco.com, Retrieved 23-12-2018.

الفرع الثاني: صفات وماهية الضفادع.

الضفدع حيوان فقاري من فصيلة البرمائيات، وتتميز الضفادع بأجسامها القصيرة اللينة، وسيقانها الخلفية الطويلة، وأصابع مترابطة بأغشية رقيقة، تساعدها على السباحة، ولها عيون جاحظة، وليس لهل ذيل، تمتلك بعض أنواع الضفادع جلدًا سامًا؛ وتكفي قطرة واحدة من إفرازات جلدها لقتل إنسان بالغ، وتمتلك الضفادع السامة عادة ألوانًا ساطعة ومشرقة؛ لتعرف الحيوانات المفترسة بأنها سامة، وتمتلك الكثير من الضفادع جلدًا أخضر منقط، أو بنّي لمساعدتها على الاختباء في محيطها.

وتحتاج الضفادع إلى العيش قرب مصادر المياه لتتكاثر، ويمكن العثور عليها في جميع البيئات تقريبًا، وفي جميع قارات العالم عدا القارة القطبية الجنوبية، وبعض الجزر المحيطية، والصحاري الأكثر جفافًا في العالم، ولكن معظم أنواعها تعيش في المناطق الاستوائية، وتتحرك بالقفز، بإمكانها كذلك التسلق. تضع بيوضها في الجداول، والبرك، والبحيرات، وتمتلك خياشيم تساعدها على التنفس في الماء.

تختلف أنواع وأحجام الضفادع باختلاف أنواعها، وقد سجل لها أكثر من (٥٠٠٠) نوع، وأكبر هذه الضفادع هو الضفدع جالوت، والذي يبلغ طوله ٣٠سم، ويصل وزنه إلى ٣ كغ، وقد فاقه في الحجم فيما سبق الضفدع الشيطان في مدغشقر والذي انقرض الآن، والذي وصل طوله إلى ٤١ سم، ووزنه ٤,٥ كغ وفق ناشونال جيوغرافيك.

ويعد الضفدع الذهبي أصغر ضفدع ولا يتجاوز طوله ١سم، ووزنه ٢٠٠غ وفق حديقة حيوان سان ديغو، وتعتبر الضفادع البالغة من المفترسات وتتغذى على المفصليات والديدان الحلقية وبطنيات القدم، ويمكن ملاحظتها من خلال

أصوات نقيقها في الليل أو النهار أو في فترة التزاوج. كما تستطيع تناول أي كان حي يمكنه الدخول إلى فمها، وذلك يشمل: العناكب، والديدان، واليرقات، والحشرات، والرخويات، والأسماك الصغيرة، وهي تمسك بالفريسة عن طريق إطلاق لسانها الدبق بسرعة شديدة من فمها، وسحب الفريسة للداخل، بسرعة شديدة لا تسمح لها بالهروب، وهناك حيوان برمائي من مجموعة البتراوات (Anurans)، - عديم الذيل- يشبه الضفدع ويسمى علجوم وكثيراً ما يتشابه على الناس ولا يميزونه عن الضفدع. هذا الحيوان خلافاً للضفدع يتميز بخصائص خارجية وأنماط سلوكية تختلف عن الضفدع، فهو مهيأ أكثر للعيش بعيداً عن المياه ويفتقر لمهارة القفز، وتبعاً لذلك جلده أثخن من جلد الضفدع وأرجله قصيرة مقارنة بالضفدع[١].

وتُعد الحيوانات البرمائية عامل مهم من عوامل التوازن البيئي لأنها من الحيوانات اللاحمة التي تتغذي على الكائنات الأصغر منها كما أنها تتغذى على الحشرات بشكل أساسي، مما يجعلها من أكثر الحيوانات التي تعود بالنفع على الإنسان لأنها تخلصه من الحشرات الضارة، كما أنّ من فوائدها القضاء على أنواع الحشرات ولآفات التي تؤثر على التربة، كما يُعد وجود البرمائيات في منطقةٍ معينةٍ إحدى مؤشرات سلامة البيئة، وتراجع وجود البرمائيات يؤشر ارتفاع نسب التلوث مما يؤدي إلى زيادة المشكلات البيئة[٢].

وقد رجح بعض العلماء أن تكون الضفادع قادرة على التنبؤ المسبق بالزلازل بسبب حساسيتها الفائقة للمجال المغناطيسي الأرضي الذي يبدأ بالتبديل قبل

١- Alina Bradford (٢٠١٥-٥-١)، Facts About Frogs & Toads. www.live science.com Retrieved ٢٣-١٢-٢٠١٨. المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء، (١٥٢)، وأمين المعلوف (١٩٨٥)، معجم الحيوان (١٠٩).

٢- ينظر: أحمد شفيق الخطيب، موسوعة الطبيعة الميسرة، مكتبة لبنان، بيروت، سنة النشر (٢٠٠٠)، (٧٢-٧٣).

وقوع الهزات والتحركات الأرضية، فمنذ سنوات شهدت مدينة سيشوان الصينية أعنف زلزال في تاريخها المعاصر راح ضحيته أكثر من مئة ألف نسمة وتشردت مئات الآلاف من البشر، وقد لاحظ سكان هذه المنطقة أنّ الضفادع التي كانت في هذا المكان المنكوب قد هجرته قبل وقوع الزلزال بيومين، وتجمعت في مكان آمن.

الفرع الثالث: مواضع ذكر الضفدع في القرآن الكريم، والمعنى العام لها.

جاءت لفظة الضفدع في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣].

وقد جاء ذكر الضفدع في هذه الآية على أنه نوع من العذاب، أرسل إلى فرعون وقومه، ليزدجروا ويُنيبوا إلى الله تعالى.

وقد أختلف المفسرون في معنى الطوفان: فقال بعضهم هو الماء، وقال آخرون: هو الموت، وقال آخرون: بل هو أمر من الله طاف بهم.

(والطُّوفان) مصدر من قولك: طاف يطوف، وهو عام في كل شيء يطوف، إلا أنّ استعمال العرب له كثر في الماء والمطر الشديد، ومنه قول الشاعر[1]:

غَـيَّر الجِـدَّةَ مِـن عـرفـانـه خُـرُقُ الـرّيـحِ وَطّـوفَـانُ المَطَـر.

وقال مجاهد والضحاك: إن الطوفان في هذه الآية المطر الشديد، أصابهم وتوالى عليهم حتى هدم بيوتهم وضيق عليهم.

١- البيت لحسيل بن عرفطة كما في الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (د.ط.ت)، (١٣ / ٥٣)، والبغدادي، عبد القادر بن عمر، (ت١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ، (٩ / ٨٠).

وقيل: طم فيض النيل عليهم، وروي في كيفيته قصص كثير.

وقال ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظبيان، أنه أمر من الله طاف بهم، وأنه مصدر من قول القائل: طاف بهم أمر الله يطوف طوفاناً، كما يقال: نقص هذا الشيء ينقص نقصاناً، وعلى هذا جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد، وجاز أن يكون الموت الذريع،...

و(الجَراد) معروف، وهو جمع جرادة للمذكر والمؤنث، فإن أردت الفصل قلت: رأيت جرادة ذكراً.

وروي: أنّ الله عز وجل لما والى عليهم المطر غرقت أرضهم ومنعوا الزراعة؛ قالوا: يا موسى، ادع في كشف هذا عنا ونحن نؤمن، فدعا فدفعه الله عنهم، فأنبت الأرض إنباتاً حسناً، فطغوا وقالوا: ما نود أنا لم نمطر، وما هذا إلا إحسان من الله إلينا، فبعث الله حينئذٍ الجراد فأكل جميع ما أنبتت الأرض.

وروي أنه أكل أبوابهم، وأكل الحديد والمسامير، وضَيَّق عليهم غاية التضييق، وترك الله من نباتهم ما يقوم به الرمق، فقالوا لموسى: ادع في كشف الجراد ونحن نؤمن، فدعا فكشف، فرجعوا إلى كفرهم.

فبعث الله عليهم القمل، وقد أختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: هو السوس الذي يخرج من الحنطة، وقال آخرون: بل هو الدَّبَي، وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له، وقال آخرون: بل هو القمل البراغيث.

وقيل: هو الحَمنان وهو صغار القِردان.

ثم إنهم قالوا: ادع في كشف هذا، فدعا ورجعوا إلى طغيانهم وكفرهم.

وبعث الله عليهم الضفادع فكانت تدخل في فرشهم وبين ثيابهم، وإذا همَّ

الرجل أن يتكلم وثب الضفدع في فمه.

وأما الدم ففيه قولان: أحدهما: أنّ ماء شربهم كان يصير دماً عبيطاً، فكان إذا غرف القبطي من الماء صار دماً، وإذا غرف الإسرائيلي كان ماءً.

والثاني: أنه رعاف كان يصيبهم.

قال تعالى: (آيات مفصلات) فإن معناه: علامات ودلالات على صحة نبوة موسى عليه السلام، وحقيه ما دعاهم إليه، مفصلات: قد فُصِلَ بَينَها، فجعل بعضها يتلوا بعضاً، وبعضها في إثر بعض[1].

أرسلها الله تعالى إلى فرعون وقومه فنغصت عليهم حياتهم حيث احتلت كل شبر في بيوتهم فملأت فرشهم وأوعيتهم وطعامهم وشرابهم، فكان الواحد منهم تغطيه الضفادع من قدمه حتى رأسه، وإذا فتح أحد منهم فمه قفزت الضفدعة إليه فاستقرت فيه. والضفادع إحدى الآيات التسع التي عاقب بها فرعون وقومه فهي جند من جنود الله سلطها على الكفار المعاندين.

وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ: (نهى عن قتل الصّرد، والضفدع، والنملة، والهدهد)[2]، وقال سفيان: يقال (إنه ليس شيء أكثر ذكرًا لله عزو جل من الضفدع)[3]، وروى ابن عدي عن عبد الله بن عمرو (رضي الله

١- ينظر: الطبري، جامع البيان، (٩/ ٣٠-٣٣)، والماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت٤٥٠هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت)، (٢/ ٢٥٢-٢٥٣)، وابن عطية، الإمام أبي محمد عبد الحق، (ت٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز، تحقيق: مجموعة من الباحثين، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية، (٤/ ٣٦٤-٣٦٧).

٢- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الصيد، باب ما ينهى عن قتله، رقم الحديث (٣٧١) (٣٢٢٣)، الألباني، صحيح جامعة، رقم الحديث (٦٩٧٠)، والبزار، رقم الحديث (٧٧٩٧)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٢/ ١٦٠) باختلاف يسير، البيهقي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، (٢٠٠٨م)، رقم الحديث (٢٣٠٨).

٣- رواه أبو داود برقم (٣٨٧١).

عنهما) أنّ النبي ﷺ قال: (لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسبيح)[١] وفي الكامل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ ضفدعًا ألقت نفسها في النار خوفًا من الله تعالى، فأثابهن الله تعالى برد الماء، وجعل نقيقهن التسبيح[٢].

وقد ذكر البيهقي قول أبي عبد الله القرطبي أنّ سيدنا داود عليه السلام قال: (لأسبحن الله تسبيحًا ما سبحه به أحد من خلقه)، فنادته ضفدع من ساقية في داره: (يا داود، تفخر على الله عز وجل بتسبيحك، وإن لي لسبعين سنة ما جف لساني من ذكر الله سبحانه، وإن لي لعشر ليال ما طعمت خضراء ولا شربت ماء اشتغالا بكلمتين)، فقال ما هما؟ قالت: (يا مسبحًا بكل لسان، ومذكورًا بكل مكان)، فقال سيدنا داود في نفسه: (وما عسى أن أقول أبلغ من هذا؟)[٣].

الفرع الرابع: حكم تشريح الضفدع للأغراض العلمية.

قبل البدء في بيان حكم قتل الضفدع لأغراض التشريح لا بد لنا من بيان حكم أكلها.

ذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز أكلها؛ لأننا قد نُهينا عن قتلها، كما روى البيهقي عن سهل بن سعد الساعدي أنّ النبي ﷺ: نهى عن قتل خمسة: النملة والنحلة والضفدع والصرد والهدهد، وجاء في النهي عن قتل الضفدع: (أن طبيباً سأل النبي ﷺ عن ضفدع يجعلها في دواءٍ فنهاهُ النبي ﷺ عن قتلها)[٤].

١- أخرجه ابن عدي في الكامل في تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٧هـ، (٦ / ٢٨٨)، وأبو الشيخ في العظمة، طبعة مكتبة القرآن، رقم الحديث (١٢٤٨)، وهو حديث منكر، وقال السلمي: سألت الدارقطني فقال: إنه ضعيف. والصواب أنه موقوف على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢- ينظر: ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (٦٣٠هـ)، (٦ / ٢٨٨).

٣- رواه أبو داود برقم (٣٨٧١)، وأبي بكر البيهقي، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٢، (٢٠٠٨م)، رقم الحديث (٢٣٠٨).

٤- أخرجه الإمام أحمد، (٣ / ٤٥٣)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في قتل الضفدع، (٤ / ٢٠٣-٢٠٤)، رقم الحديث (٣٨٧١-٥٢٦٩)، والنسائي، كتاب الصيد والذبائح، باب الضفدع، (٧/ ٢٣٩)، رقم الحديث (٤٣٦٦)، والحاكم (٤ / ٤١٠-٤١١)، وصححه ووافقه الذهبي، والألباني في صحيح أبي داود.

وقد اختلف العلماء في حكم قتل الضفدع إلى قولين:

أولاً: التحريم هو مذهب الجمهور من الحنفية[١] والشافعية[٢] والحنابلة[٣] واختاره ابن حزم[٤]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[٥]. يَرَون حرمة أكل الضفادع؛ أخذاً من قاعدة: (إن كل ما نُهي عن قتله فلا يجوز أكله؛ إذ لو جاز أكله جاز قتلُه).

لأن الانتفاع بها في الدواءِ يستدعي قتلها أولاً، والنهيُ عن قَتلِها إما لحرمتها في نفسها كالآدمي، وإما لتحريم لحمه، كالصرد والهدهد ونحوهما، أو لاستقذراها، أو لأن النبي ﷺ عَلِمَ ما فيها من ضَرَرٍ أكثر مما رأى فيها الطبيب من منفعة، فنهى عنها، أو لحكمةٍ لا يعلمها إلا الله تعالى وعليه يجب التسليم والاستسلام لأوامر الشرع[٦].

وذكر القرطبي قول ابن العربي: (الصحيح في الحيوان الذي يكون في البر والبحر منعه؛ لأنه تعارض فيه دليلان، دليل التحليل ودليل التحريم، فيغلب دليل

١- ينظر: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، (ت: ٣٢١هـ)، مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤١٥هـ - ١٤٩٤م)، (٢ / ٣٥)، والجصاص، أبي بكر أحمد بن علي الرازي، (ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ضبط نصه وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (٢ / ٦٠١)، والقرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، (٦ / ٣٢٠).

٢- ينظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، (٩ / ٢٩)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦ / ٣٢٠).

٣- ينظر: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، والمغني، مكتبة القاهرة، (٩ / ٣٣٨).

٤- ينظر: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (الظاهري)، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر - بيروت، (٧ / ٢٢٥).

٥- ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، (ت: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٦- ينظر: الخَطّابي، أبو سليمان، حمد بن محمد، (٣٨٨هـ)، معالم السنن (شرح سنن أبي داود)، طبعه وصححه: محمد راغب الطباخ، في المطبعة العلمية بحلب، ط١، ١٩٣٢هـ، (٥ / ٣٥٦)، والمناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (ت:١٠٣١هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى-مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، (٦ / ٤٣٣).

التحريم احتياطاً) [١].

ثانياً: ذهب المالكية وابن أبي ليلى والشَّعبي والثَّوري في أحد قوليه إلى جواز أكل الضفدع؛ أخذاً من عموم قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦][٢]. فالآية عامة في صيد البحر، وقال الإمام مالك وأبو مجلز وعطاء وسعيد بن جبير وغيرهم: كل ما يعيش في البر وله فيه حياة فهو صيد البر، وزاد أبو مجلز في ذلك الضفادع والسلاحف والسرطان. وقال ابن عطية: ومن هذه الأنواع لا زوال لها من الماء فهي لا محالة من صيد البحر، وعلى هذا خرج جواب الإمام مالك في الضفادع [٣].

وعليه إذا دعت الحاجة أو الضرورة لتشريح الضفدع فلا حرج فيه إن شاء الله تعالى، فقد أجاز العلماء تشريح جثة المسلم لأغراض التحقيق الجنائي والطب الوقائي، فمن باب أولى جواز تشريح الحيوانات - وهي أقل حرمةً من الإنسان - لأغراض البحث العلمي إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ثم إنّ التدرب وإجراء الجراحة على الحيوان أقل خطورة من إجرائه على النفس البشرية فإنّ قتلها أخطر وأشد حرمة.

وقد أوصى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أنّه مما ينبغي مراعاته وقت التشريح [٤]: أن يحسن إلى الحيوان الذي يقوم بتشريحه، فيقوم بتخديره تخديرًا كاملًا، ثم يسرع في قتله بعد الانتهاء من التشريح، وذلك لقول النبي ﷺ: (إنّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىْ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَة،

١- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦ / ٣٢٠).
٢- ينظر: أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله -ﷺ-، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن، ط١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م)، (١٥ / ١٧٨).
٣- ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٦ / ٣٢٠).
٤- ينظر: محمد بن صالح العثيمين، مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي، دار طيبة - الرياض، (١١٦٦).

وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِحْ ذَبِيْحَتَه)[1].

المطلب الثاني: الثعابين، وفيه ثلاثة أفرع

الفرع الأول: التعريف بالثعابين

وثُعبان: (اسم)، والجمع: (ثَعَابِينُ): (يطلق على الذكر والانثى)، يجوزُ أن يكونَ سُمّيَ بذلك من قولهم ثعَبتُ المَاءَ فَانثَعَبتَ أي فَجَّرتُه وأَسَلتُه فسالَ، ومنه ثَعَبُ المَطَرِ. والثّعبَةُ ضَربٌ مِنَ الوَزَغ وجمعها ثُعبٌ كأنه شُبهَ بالثُّعبَانِ في هَيئتِهِ فَاختُصِرَ لفظهُ من لفظه لكونِه مختصرا منه في الهيئةِ.

الثُّعبَانُ: الحيَّة الضخمة الطويلة، أو الذَّكَر، الأصفر والأشقر وهو من أعظم الحيّات[2].

والثعبان: حيوان من الزواحف من فصيلة الثُّعبَانِياتِ ممتد الجسم أملسُ، ويطلقُ على الحية العظيمة الضخمةِ.

يُعد الثعبان أحد أنوع الزواحف من الفقاريات التي لا تمتلك أطرافًا، ولا فتحات أذن خارجية، وجفون، ولكن ثمة حواف في جسمه، يعتقد أنها كانت تمثل أطرافه التي تلاشت، ويغطي جسمها القشور- حراشف-، وقد صنف مع السحالي؛ ذاك لأن الثعبان بالأصل من السحالي، ولكن تطور وتقلص الشكل الهيكلي له، لكن لا يمكن القول بأنّ جميع الزواحف هي ثعابين.

١- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، حديث رقم: (١٩٥٥).

٢- ينظر: الجوهري، الصحاح، (٣/ ٩٨٧)، باب الثاء والعين وما يثلهما، والأزهري، تهذيب، (٦/ ١٤١)، (باب الثاء والعين) والأصفهاني، للراغب، (ت بعد ٤٢٠هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، راجعه وعلق عليه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م، (٩٠-٩١)، كتاب الثاء، والشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م، (١/ ٤٣٣)، والمغراوي، أبي سهل محمد بن عبد الرحمن، التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، بلد النشر، لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ، (١١/ ٤٢٤)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (٢/ ٤٣٦).

إنّ الثعابين من ذوات الدم البارد، فيجب نقلها إلى بيئة مناسبة لتنظيم درجة حرارة أجسامها، كما أنّ الثعابين لا تتحمل حرارة الصيف الشديدة لأكثر من ٢٠ دقيقة، وقلما توجد في العراء.

الفرع الثاني: صفات وماهية الثعابين.

تُعد الثعابين من الحيوانات آكلات اللحوم، وقد تعددت أنواعها إلى (٢٧٠٠) نوع، تنتشر في جميع القارات تقريباً، وتتواجد بمختلف الأطوال من ١٠سم للثعابين الصغيرة إلى عدة أمتار، مثل الأصلة والأناكواندا التي قد يصل طولها إلى (٦، ٩٥). معظم أنواع الثعابين غير سامة، أما الأنواع السامة، فتستخدم السمية بشكل أساسي لقتل الفريسة أو إخضاعها أو للدفاع عن نفسها، إذ إنّ كمية قليلة من سم الثعابين كافية لإحداث أضرار شديدة للضحية أو موتها. ويختلف طعام كل نوع منها، فمنها ما تكون فريسته من القوارض، والأرانب، والطيور، ومنها ما يتغذى على الحشرات، والضفادع، والأسماك، والديدان، والبيض أيضًا، وفي غالب الأمر تأكل الثعابين الحيوانات كالفئران، والجرذان، والجربوع، والأرانب بصورة كاملة.

تنوعت البيئات التي يستقر فيها الثعبان، فهو يعيش في الغابات، والمستنقعات، والأراضي العشبية، وفي المياه سواء عذبة أو مالحة، ومنها ما ينشط ليلًا أو نهارًا، إنّ السمة العامة للثعابين أنها تضع بيضًا، ولكن وجد ثعابين تلد صغارها مثل؛ ثعبان البحر، ويتم هذا في حين عدم نمو البيض بشكل كامل أثناء وجوده داخل الأم، فتقوم الأم على فقس البيض بداخلها وتلده ثم تضعه[1].

1- «How Do Snakes Mate & Reproduce? Are They Asexual or Sexual?», petkeen, Retrieved 3/11/2021.

الفرع الثالث: مواضع ذكر الثعبان في القرآن الكريم، والمعنى العام لها

جاء لفظة الثعبان في القرآن الكريم في موضعين كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء: ٣٢].

قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه: فألقى موسى عصاه، روي أنّ موسى عليه السلام قلِق به وبمحاورته، فقال فرعون لأعوانه: خذوه، فألقى موسى العصا فصارت ثعباناً

وهمَّت بفرعون فهرب منها، وقال يا موسى كُفَّه عني، فكفَّه. ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، والثعبان الحية الذكر، وهو أهول وأجرأ. أي: تتبين لمن يراها أنها حية عظيمة، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾، يقول: فإذا هي حية كاد يتسوره، يعني: كاد يثب عليه، وقال ابن عباس: غرزت ذنبها في الأرض ورفعت صدرها إلى فرعون، ﴿مُّبِينٌ﴾ معناه: لا تخييل فيه، بل هو بينٌ أنه حقيقة، والآية من أقوى أدلة جواز انقلاب الشيء عن حقيقته كالنحاس إلى ذهب؛ إذ لوكان ذلك تخييلاً لبطل الإعجاز، ولم يكن لذكر ﴿مُّبِينٌ﴾ معنى مبين، والحق جواز الانقلاب، إما أنه تعالى يخلق بدل النحاس ذهباً، أو يسلب عن أجزاء النحاس الوصف الذي صار به نحاساً ويخلق فيه الوصف الذي يصير به ذهباً. وهو من (أبان) بمعنى (بان)، وكلمة ثعبان لم يستعملها القرآن إلا أمام فرعون وذلك لإخافته [1].

١- ينظر: الطبري، جامع البيان، (١٣ / ١٦)، وابن عطية، المحرر الوجيز، (٤ / ٣٤٤-٣٤٥)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م)، (٣ / ٢٥١)، والألوسي، روح المعاني، (٩ / ٢١)، والمغراوي، التدبر والبيان، (١١ / ٤٢٤-٤٢٥).

واختار الله تعالى تحويل عصا موسى إلى ثعبان دون(الجان) لمناسبة المقام، فتجمهر فرعون وقومه كان عظيماً، فناسب أن يكون الثعبان ضخماً عظيماً، والله أعلم.

المطلب الثالث: الحية، وفيه ثلاثة أفرع

الفرع الأول: التعريف بالحية.

الحَيَّةُ: من الهوام معروفة (يذكر ويؤنث)، والجمع: حَيَّات وحَيَوات وهي: رتبة من الزواحف منها أنواع كثيرة كالثعبان والأفعى والصل وغيرها، وهي حيوان زاحف من ذوات الدم البارد يتبع رتبة الحرشفيات لها جسم متطاول، مغطى بحراشف، ولا توجد لها أطراف، أو أذنين خارجيتين، وجفون، ولكن ثمة حواف في جسمها، يعتقد أنها كانت تمثل أطرافها التي تلاشت[1].

الفرع الثاني: صفات وماهية الحية.

الحية تتميز بأنّ ظلالها بنية اللون، وفي بعض الأحيان يتموج لونها ما بين الرمادي والبنيّ، فضلًا عن وجود بعض العلامات على جسم الحية باللون الأحمر أو البني، وتظهر هذه العلامات بوضوح أكثر على منطقة الذيل، من أجل ذلك يطلق عليها اسم البواء أو الحية الحمراء، أما الثعبان فإن شكله متعدد الأنماط والألوان، إذ يظهر بعلامات ذهبية عميقة، وألوان بنية ملفتة، كما يظهر الثعبان بألوان متعددة ومنها؛ الأحمر، والأسود، والأبيض، والرمادي، والفضي، وبنماذج متعددة، وفي بعض الأحيان يكون الثعبان مخططًا أفقيًا أو عموديًا، أو مرقطًا.

١- ينظر: الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة، (٢ / ٢١١).

تعيش الحية في الغابات المفتوحة، وبين الأشجار الصخرية شبه الصحراوية، كما تتخذ من الشقوق الصخرية، والجحور المبنية تحت الأرض موطنًا لها، وتسعى دومًا لإخفاء نفسها بالاختباء في لحاء الشجر وبين الأوراق المتساقطة[1].

الفرع الثالث: مواضع ذكر الحية في القرآن الكريم، والمعنى العام لها.

جاء ذكر الحية في القرآن الكريم في موضع واحد، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠].

ووردت بلفظ (الجان) في موضعين: كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١].

أي: صارت في الحال حية عظيمة، تتحرك حركة سريعة، فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، ﴿تسعى﴾ أي: تمشي وتضطرب.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جميع، حدثنا سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾، ولم تكن قبل ذلك حية، فمرت بشجرة فأكلتها، ومرت بصخرة فابتلعتها، فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها، فولى مدبرا، فنودي أن: يا موسى، خذها. فلم يأخذها، ثم نودي الثانية أن: خذها ولا تخف، فقيل له في الثالثة: إنك من الآمنين. فأخذها.

1- Gauthier, J. A. (2015) The origin of snakes: Revealing the ecology, behavior, and evolutionary history of early snakes using genomics, phenomics, and the fossil record.

وقال وهب بن منبه في قوله: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾، قال: فألقاها على وجه الأرض، ثم حانت نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون، فدب يلتمس كأنه يبتغي شيئا يريد أخذه، يمر بالصخرة مثل الخلفة من الإبل فيلتقمها، ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها، عيناه توقدان نارا، وقد عاد المحجن منها عرفا. قيل: شعر مثل النيازك، وعاد الشعبتان منها مثل القليب الواسع، فيه أضراس وأنياب، لها صريف، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب، فذهب حتى أمعن، ورأى أنه قد أعجز الحية، ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه، ثم نودي: يا موسى أن: ارجع حيث كنت. فرجع موسى وهو شديد الخوف. فقال: (خذها) بيمينك ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٢١]، وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف، فدخلها بخلال من عيدان، فلما أمره بأخذها أدلى طرف المدرعة على يده، فقال له ملك: أرأيت يا موسى، لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئا؟ قال: لا ولكني ضعيف، ومن ضعف خلقت. فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية، حتى سمع حس الأضراس والأنياب، ثم قبض فإذا هي عصاه التي عهدها، وإذا يده في موضعها الذي كان يضعها إذا توكأ بين الشعبتين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾، أي: إلى حالها التي تعرف قبل ذلك[1].

المطلب الرابع: الأحكام الشرعية للزواحف، وفيه خمسة أفرع

الفرع الأول: حكم التداوي بسموم الحية/الثعبان.

لا خلاف بين الفقهاء في أنّ السم القاتل الذي لا نفع فيه لا يجوز بيعه أو شربه على سبيل الانتحار.

١- ينظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق: سامي محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، (١٩٩٩م)، (٥/ ٢١٥).

أما إن كان فيه نفع مباح في طب أو غيره فالراجح جوازه والله أعلم، وهذا عند الحنفية والمالكية، والشافعية[١]، ودليلهم: أنّ ما فيه منفعة مباحة من المأكول والمشروب جاز بيعه، إذ إنّ الأصل في المعاملات الإباحة ما لم يقم الدليل على عكس ذلك[٢].

ولا شك أنّ وجوه الانتفاع من السموم ومشتقاتها عديدة، ولأغراض كثيرة، حيث إنه يدخل في تركيب الأدوية والمبيدات، وذلك بارتكاب أخف الضررين، كما أنه يستخدم في المواد المنظفة للجسم.

قال ابن قدامة: (وما فيه السموم من الأدوية: إن كان الغالب من شربه واستعماله الهلاك به أو الجنون: لم يبح شربه، وإن كان الغالب منه السلامة ويرجى منه المنفعة: فالأولى إباحة شربه لدفع ما هو أخطر منه، كغيره من الأدوية) [٣]. كما جوز التّداوي بالسّمّ من قال بنجاسته، إن غلبت السّلامة من ضرره، ورُجي نفعه، لارتكاب أخف الضّررين، ولدفع ما هو أعظم منهما[٤].

كما أجمع الفقهاء على أنّ السم القاتل إذا خلا من نفع يباح، أو خالطته نجاسة، كلحوم الحيات وغيرها من النجاسات: لا يجوز بيعه؛ لأن جواز الانتفاع في المبيع انتفاعا مشروعا، وطهارته: شرطان في صحة عقد البيع.

وأن كان فيه نفع مباح شرعا، ولم تخالطه نجاسة: فقد صرح الحنفية والمالكية والشافعية بجواز بيعه، سواء كان السم من الحشائش أم من الحيات.

١- ينظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، (١٣٧٩هـ)، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (١٠ / ٢٤٨).

٢- ينظر: أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي علاء الدين (ت: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار احياء التراث العربي، ط٣، (١٤٢١هـ)، (٥ / ١٤٤).

٣- ابن قدامة المقدسي، المغني، (١ / ٤٤٧).

٤- ينظر: الموسوعة الفقهية، (٢٥ / ٢٥٧).

وفرق الحنابلة بين ما كان من النباتات والحشائش من السم، وبين ما كان من الأفاعي، وقالوا بتحريم بيع سموم الأفاعي لخلوها من نفع مباح[١]. لنهي النبي ﷺ عن التداوي بالحرام، عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قالَ رسول الله ﷺ: (إن الله أَنزل الداءَ والدواءَ، وجعل لكل داءٍ دواءً، فتداووا ولا تداووا بحرامٍ)[٢].

وقال ابن مسعود (رضي الله عنه) في السَّكَرِ: (إن الله لم يجعل شِفاءَكم فيما حرم عليكم)[٣]. وروى مسلم عن بن حجر (رضي الله عنه) أنّ طارقا بن سويدٍ الجعفيَّ سأَلَ النبي ﷺ عن الخَمرِ؟ فنهاهُ أو كَرِهَ أن يصنعها، فقالَ: إنما أَصنعها للدواءِ فقال (إنه ليس بدواءٍ، ولكنه دَاءٌ)[٤]. وفي الصحيح من قولي العلماء، لا يجوز أكلها، وميتتها نجسة، والتداوي بالمحرم حرام.

الفرع الثاني: حكم الانتفاع بجلود الحية/الثعبان.

أولًا يجب علينا معرفة أن الجلود على ثلاثة أقسام[٥]:

الأول: طاهر، دبغ أم لم يدبغ، وهو جلود الحيوان المذكي إذا كان يؤكل.

الثاني: جلود لا تطهر لا بعد الدبغ ولا قبل الدبغ فهي نجسة، وهي جلود ما لا يؤكل لحمه كالخنزير.

والثالث: جلود تطهر بعد الدبغ ولا تطهر قبله، وهي جلود ما يؤكل لحمه إذا ماتت بغير ذكاة.

١- ينظر: ابن قدامة، المغني، (١ / ٤٤٧)، والموسوعة الفقهية، (٢٥ / ٢٥٦)، وفتاوى اللجنة الدائمة، (٢٥ / ٢٥-٢٦).

٢- أخرجه أبو داود في سننه، برقم (٣٨٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، (١٧٦٢).

٣- أخرجه البخاري في التعليقات، (٥ / ٢١٢٩).

٤- أخرجه مسلم، برقم (١٩٨٤).

٥- ينظر: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، لقاء الباب المفتوح، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ، وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net، (٣٩ / ٥٢).

ومعلوم أنّ الحيات من النوع الثاني، وذهب جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية[١] والحنابلة[٢] إلى عدم جواز أك لحوم الحيات والثعابين، لا لأجل التداوي، ولا لغيره من الأغراض، وفيما أحله الله تعالى من الأطعمة والأدوية ما يغني عن الحرام.

الفرع الثالث: حكم اقتناء وتربية الحية/الثعبان.

إن اقتناء وتربية الحيات والثعابين من العبث الذي يتنزه عنه المسلم، لخلوها من الفائدة، بل إن تربية هذا النوع من الحيوانات لا يخلو من بعض المخاطر كما لا يخفى، وهما من الحيوانات الضارة والمؤذية، وقد أمر النبي ﷺ بقتلها أينما وجدت، بل وأنها تقتل حتى في الصلاة.

وكما قال الزركشي أنه يحرم على المسلم حبس شيء من الفواسق على سبيل الاقتناء.

فتربيتها حرام عند الشافعية للقاعدة المشهورة: «أن ما حرم استعماله حرم اتخاذه»[٣]، وكذلك المشهور عند الحنابلة أنّ ما وجب قتله حرم اقتناؤه؛ والحيات مما وجب قتلها[٤]، وقد حرَّم اقتناءها الحنفية والمالكية، وإليه ذهب الزركشي أيضًا.

ولا فرق في تحريم الاقتناء بين أن يكون الثعبان سامًا أو غير سام، لعموم النصوص الآمرة بقتلها.

١- ينظر: النووي، المجموع، (٩/ ١٦).
٢- ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين، (ت: ٦٨٢هـ)، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، (د.ط.ت)، (٤/ ١٥).
٣- ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع - بيروت، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، (٢٨٠).
٤- ينظر: ابن قدامة المقدسي، المغني، (٤/ ١١).

الفرع الرابع: حكم أكل الحية/الثعبان.

جمهور أهل العلم من الحنفية[١] والشافعية[٢] والحنابلة[٣] على عدم جواز أكل لحوم، الحيات والثعابين، وذلك لما في الحية من السم، الذي يلحق الضرر، وأنها مستخبثة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالحية وكل ذات سم من الخبائث.

ولأن النبي ﷺ أمر بقتلها، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: عن النبي ﷺ قوله: (خمسٌ فواسقُ يُقتَلَ في الحِلِ والحَرَم: الحيةُ والفأرةُ والغرابُ الأبقعُ والكلبُ والحِدَأَةُ)[٤]، ولو كانت مما يحل أكله لما أمرنا النبي ﷺ بقتلها وإهدارها دون الانتفاع بها.

وقال علماء اللجنة الدائمة: لا يجوز أكل الفئران والثعابين والحنش السام والقردة؛ لأنه جنسها مما يفترس بنابه[٥]، كما نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطيور. والحيات والأفاعي ذوات أنياب، وتفترس بأنيابها.

١- ينظر: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، (ت: ٨٥٥هـ)، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، (٢ / ٤٦٢).

٢- ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، والحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٩هـ -١٩٩٩م)، (١٤٣ / ١٢)، والنووي، المجموع، (١٦ / ٧-١٧).

٣- ينظر: ابن قدامة، المغني، (٩ / ٤٢٣).

٤- ابن الملقن، البدر المنير، (٩ / ٣٧٣)، وأخرجه البخاري، برقم (٣٣١٤) دون قوله الأبقع، ومسلم، برقم (١١٩٨) باختلاف يسير. وبنحوه جاء في الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للنشر، القاهرة، (٦ / ١٤١).

٥- ينظر: فتاوي اللجنة الدائمة، (٢٢ / ٢٩٢).

وذهب المالكية[١]: إلى جواز أكلها إذا أمن السم الذي بها، بشرط أن تذكى بقطع الحلقوم والودجين من أمام العنق بنية وتسمية. فكره أكل هوام الأرض اليربوع والقنفذ والفارَ والعقاربَ وجميع هوام الأرض. وقال ابن أبي ليلى: لا بأس بأكل الحية إذا ذُكيت، وهو قول الإمام مالك[٢].

الفرع الخامس: حكم قتل الحية/الثعبان في الصلاة.

يباح قتل العقرب والحية في الصلاة، وهو مذهب الجمهور من الحنفية[٣]والشافعية[٤] والحنابلة[٥] وقول للمالكية[٦]، ودليلهم: عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ أمر بقتل الأسودين في الصلاة: العقرب، والحية)[٧].

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يَخطُبُ على المنبرِ يقولُ: (اقتُلُوا الحيات...)[٨].

١- ينظر: الخرشي، أبو عبد الله محمد الخرشي، شرح الخرشي على مختصر خليل، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، ط٢، (١٣١٧هـ)، (٣/ ٢٧).
٢- ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، (٣/ ٢٦).
٣- ينظر: احمد بن محمد بن اسماعيل الطحاوي، (ت: ١٢٣١هـ)، حاشية الطحاوي على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت (١٩٧١م)، (٢٣٣).
٤- ينظر: النووي، المجموع شرح المهذب، (٤/ ١٠٥).
٥- ينظر: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، (ت: ٨٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، (٢/ ٧٠).
٦- ينظر: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي الشهير بالقرافي، (ت: ٦٨٤هـ)، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي للنشر- بيروت، ط١، (١٩٩٤م)، (٢/ ١٥١).
٧- أبو داود؛ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، (١٤٣٠هـ)، (٩٢١)، حديث حسن صحيح.
٨- أخرجه البخاري، برقم (٣٢٩٧)، ومسلم، برقم (٢٢٣٣).

الخاتمة

الحمدُ للهِ رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد استعرضنا فيما سبق [الزواحف والبرمائيات في القرآن الكريم – دراسة وصفية تحليلية] ندعو الله أن نكون قد وفقنا، راجين من الله الإفادة منه، وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

١- بينت الدراسة أنّ الضفدع حيوان فقاري من فصيلة البرمائيات، له جلد أملس يفرز نوعين من الغدد المخاطية تعمل على ترطيب الجلد وأخرى سامة لقتل الحشرات والحيوانات الصغيرة.

٢- أكّدت الدراسة على أنه الحيوانات البرمائية عامل مهم من عوامل التوازن البيئي، والتي تعود بالنفع على الإنسان والبيئة. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم مرة واحدة.

٣- أظهرت الدراسة حرمة أكل الضفادع ، بناءً على رأي جمهور الفقهاء المُحَرّمِين لقتله؛ لصحة الأحاديث الواردة.

٤- كما أشارت الدراسة إلى احتمالية توقع الضفادع للزلازل قبل وقوعها، بسبب حساسيتها الفائقة للمجال المغناطيسي الأرضي.

٥- يعد الثعبان والحيات أحد أنوع الزواحف من الفقاريات التي لا تمتلك أطرافًا، ولا فتحات أذن خارجية. جاء لفظة الثعبان في القرآن الكريم في موضعين: [الأعراف: ١٠٧]. و [الشعراء: ٣٢]. ولفظة الحية في موضع واحد [طه: ٢٠]. والجان في موضعين: [النمل: ١٠]، [القصص: ٣١].

٦- أظهرت الدراسة جواز تشريح الضفدع للأغراض العلمية.

٧- أظهرت الدراسة عدم جواز أكل لحوم الحيات والثعابين، كما يحرم اقتنائها عند الجمهور.

٨- رجحت الدراسة جواز التداوي بالسم بعد معالجته وإزالة ضرره، إذا كان فيه نفع مباح.

٩- يجوز للمصلي قتل الحية وقت صلاته، أو قطعها من أجل ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً– المصادر والمراجع العربية:

- بعد القرآن الكريم.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، (٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.
- ابن الصلاح، أبو عمر تقي الدين المشهور بابن الصلاح، (ت: ٦٤٣هـ)، مقدمة ابن الصلاح، تحقيق: عبد اللطيف الهميم – ماهر ياسين، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان – بيروت، ط١، (١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، (ت: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م).
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة – بيروت، (١٣٧٩هـ)، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (الظاهري) (ت: ٤٥٦هـ)، المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الفكر – بيروت.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي، دار طيبة – الرياض.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، لقاء الباب المفتوح، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net.
- ابن عطية، الإمام أبي محمد عبد الحق، (ت٥٤٦هـ)، المحرر الوجيز، تحقيق: مجموعة من الباحثين، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية.

- ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، المغني، مكتبة القاهرة.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين (ت: ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم، ط٢، تحقيق: سامي محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، (١٩٩٩م).
- أبو داود؛ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، أبو داود (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، (١٤٣٠هـ).
- الأزهري، محمد بن أحمد الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الأصفهاني، للراغب، (ت بعد ٤٢٠هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، راجعه وعلق عليه نجيب الماجدي، المكتبة العصرية بيروت، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.
- أمين المعلوف (١٩٨٥)، معجم الحيوان (بالعربية والانجليزية)، دار الرائد العربي – بيروت، ط٣.
- البيهقي، أبي بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، (٢٠٠٨م).
- الجصاص، أبي بكر أحمد بن علي الرازي، (ت٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، ضبط نصه وخرج آياته: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت٣٩٣هـ)، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع – بيروت، ط١، (١٤١١هـ – ١٩٩٠م).
- الشيخ أحمد رضا، عضو المجمع العلمي بدمشق، معجم متن اللغة، موسوعة لغوية حديثية، دار مكتبة الحياة – بيروت، ١٣٧٧هـ، ١٩٥٨م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين للنشر، القاهرة.

- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، (د.ط.ت).
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الحجري المصري، (ت: ٣٢١هـ)، مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، (١٤١٥هـ - ١٤٩٤م).
- الطحاوي، أحمد بن محمد بن اسماعيل الطحاوي، (ت: ١٢٣١هـ)، حاشية الطحاوي على الدر المختار في شرح تنوير الأبصار، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت (١٩٧١م).
- علي بن الحسين الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب (كراع النمل)، (ت٣٠٩هـ)، المنجد في اللغة، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، ودكتور ضاحي عبد الباقي، دار عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨م.
- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، (ت: ٨٥٥هـ)، البناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م).
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي، (ت: ٦٨٤هـ)، الذخيرة، تحقيق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي للنشر- بيروت، ط١، (١٩٩٤م).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١هـ) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).
- القرطبي، أبو عمر بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله -ﷺ-، حققه وعلق عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن، ط١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م).
- القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، (ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

- الكاساني، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي علاء الدين (ت: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، دار احياء التراث العربي، ط٣، (١٤٢١هـ).
- كافي الكفاة، الصاحب، إسماعيل بن عباد، (ت٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت٤٥٠هـ)، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية- بيروت، (د.ت).
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: ٤٥٠هـ)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية للنشر، بيروت - لبنان، ط١، (١٤١٩هـ -١٩٩٩م).
- المرداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، (ت: ٨٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، ط٢.
- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بصحيح مسلم، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت.
- المعجم الموحد لمصطلحات علم الأحياء، سلسلة المعاجم الموحدة (٨) (بالعربية والانجليزية والفرنسية)، تونس: مكتب تنسيق التعريب، ١٩٩٣.
- المغراوي، أبي سهل محمد بن عبد الرحمن، التدبر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن، بلد النشر: لبنان، ط١، ١٤٣٥هـ.
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب، دار الفكر.

ثانياً– المصادر الأجنبية:

- «How Do Snakes Mate & Reproduce? Are They Asexual or Sexual?», petkeen, Retrieved 3/11/2021.
- Alina Bradford (1-5-2015), «Facts About Frogs & Toads»، www. live science. com, Retrieved 23-12-2018.
- Gauthier, J. A. (2015) The origin of snakes: Revealing the ecology, behavior, and evolutionary history of early snakes using genomics, phenomics, and the fossil record", trieved 23-12-2018.

Sources and References:

- "How Do Snakes Mate & Reproduce? Are They Asexual or Sexual?", petkeen, Retrieved 3/11/2021.
- Abu Dawood; Suleiman bin Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir Al-Azdi Al-Sijistani, Abu Dawud, Sunan Abi Dawud, edited by: Shuaib Al-Arnaout, Dar Al-Risala Al-Alamiyah, 1st edition, (1430 AH).
- Al-Aini, Abu Muhammad Mahmoud bin Ahmed bin Musa bin Ahmed bin Hussein Al-Ghaitabi Al-Hanafi Badr Al-Din Al-Aini, (d. 855 AH), Al-Bina Sharh Al-Hidaya, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, Lebanon, 1st edition, (1420 AH - 2000 AD).
- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, (d. 370 AH), Tahthib Al-Lugha, edited by: Muhammad Awad Merheb, Arab Heritage Revival House - Beirut, first edition, 2001 AD.
- Al-Bayhaqi, Abu Bakr Al-Bayhaqi, Shu'ab Al-Iman, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut, 2nd edition, (2008 AD).
- Ali bin Al-Hussein Al-Hinai Al-Azdi, Abu Al-Hasan, nicknamed (Karaa Al-Naml), (d. 309 AH), Al-Munjid in Language, edited by: Dr. Ahmed Mukhtar Omar, and Dr. Dahi Abdel-Baqi, Dar Alam Al-Kutub, Cairo, second edition, 1988 AD.
- Alina Bradford (1-5-2015), "Facts About Frogs & Toads"، www. live science. com, Retrieved 23-12-2018.
- Al-Isfahani, by Al-Raghib, (died after 420 AH), Mufdarat Al-Falath Al-Qur'an, reviewed and commented on by Najeeb Al-Majidi, Al-Matbabah Al-Asriyah, Beirut, 1439 AH, 2018 AD.
- Al-Jassas, Abu Bakr Ahmad bin Ali Al-Razi, (d. 370 AH), Ahkam Al-Qur'an, its text and its verses were established: Abdul Salam Muhammad Ali Shaheen, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut - Lebanon.
- Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari Al-Farabi, (d. 393 AH), Al-Sihah, edited by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, Dar Al-Ilm Lil-Millain - Beirut, 4th edition, 1407 AH, 1987 AD.
- Al-Kasani, Abu Bakr bin Masoud bin Ahmed Al-Kasani Al-Hanafi Alaa Al-Din, Bada'i' Al-Sana'i' fi Tantiyab Al-Shara'i, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 3rd edition, (1421 AH).
- Al-Maghrawi, Abi Sahl Muhammad bin Abdul Rahman, Contemplation and Clarification in the Interpretation of the Qur'an according to Sahih al-Sunan, Country of Publication: Lebanon, First Edition, 1435 AH.

- Al-Mardawi, Alaa al-Din Abu al-Hasan Ali bin Suleiman al-Mardawi al-Dimashqi al-Salihi al-Hanbali, (d. 885 AH), Al-insaf fi ma›rifat al-rajih min al-khilaf, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 2nd edition.
- Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, (d. 450 AH), Al-Nukat wa Al-Eyon, edited by: Al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsoud bin Abd al-Rahim, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut.
- Al-Mawardi, Abu Al-Hasan Ali bin Muhammad bin Muhammad bin Habib Al-Basri Al-Baghdadi, (d. 450 AH), Al-Hawi Al-Kabir in the jurisprudence of the Imam Al-Shafi'i school of thought, an explanation of Mukhtasar Al-Muzani, edited by: Sheikh Ali Muhammad Moawad - Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawjoud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah Publishing House, Beirut - Lebanon, 1st edition, (1419 AH - 1999 AD).
- Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyiddin Yahya bin Sharaf Al-Nawawi (d. 676 AH), Al-Majmu' Sharh Al-Muhadhdhab, Dar Al-Fikr.
- Al-Qarafi, Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmad bin Idris Al-Maliki, (d. 684 AH), Al-Thakhira, edited by: Muhammad Hajji, Saeed Arab, Muhammad Bu Khabsa, Al-Gharb Al-Islami Publishing House - Beirut, 1st edition, (1994 AD).
- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansari Al-Khazraji Shams Al-Din Al-Qurtubi, (d. 671 AH) Al-Qurtubi's comprehensive interpretation of the provisions of the Qur'an, edited by: Ahmed Al-Baradouni and Ibrahim Tfaysh, Dar Al-Kutub Al-Misriyah - Cairo, 2nd edition, (1384 AH - 1964 AD).
- Al-Qurtubi, Abu Omar bin Abdul-Barr Al-Nimri Al-Qurtubi (d. 463 AH), Introduction to the Meanings and Supports of the Prophet in the Hadith of the Messenger of God --, verified and commented on by: Bashar Awad Ma'rouf, Al-Furqan Foundation for Islamic Heritage - London, 1st edition, (1439 AH - 2017 AD).
- Al-Qurtubi, by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad Al-Ansari Al-Qurtubi, (d. 671 AH), Al-Jami` fi Ahkam al-Qur'an, Dar Ihya' al-Arabi al-Turaq, Beirut, Lebanon, 1965 AD.
- Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Abi Bakr, Jalal al-Din al-Suyuti, (d. 911 AH), Al-Ashbah wal-Naza'ir, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah for Publishing and Distribution - Beirut, 1st edition, (1411 AH - 1990 AD).
- Al-Tabarani, Abu Al-Qasim Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Mutair Al-Lakhmi Al-Shami, (d. 360 AH), Al-Mu'jam Al-Awsat, edited by: Tariq bin Awadallah, Abdul Mohsen bin Ibrahim Al-Husseini, Dar Al-Haramain Publishing, Cairo.

- Al-Tabari: Abu Jaafar Muhammad bin Jarir, (d. 310 AH), Jami' Al-Bayan on the Interpretation of Verses of the Qur'an, edited by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Tarbiyah and Heritage, Mecca Al-Mukarramah
- Al-Tahawi, Abu Jaafar Ahmad bin Muhammad bin Salama Al-Azdi Al-Hajri Al-Misri, (d. 321 AH), Mushkil Al-Athar, edited by: Shuaib Al-Arnaout, Al-Resala Foundation, 1st edition, (1415 AH - 1494 AD).
- Al-Tahawi, Ahmad bin Muhammad bin Ismail Al-Tahawi, (d. 1231 AH), Al-Tahawi's footnote to Al-Durr Al-Mukhtar fi Sharh Tanweer Al-Absar, edited by: Sheikh Ahmed Farid Al-Mazidi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Lebanon - Beirut (1971 AD).
- Amin Al-Maalouf (1985), Animal Dictionary (in Arabic and English), Dar Al-Raed Al-Arabi - Beirut, third edition.
- Gauthier, J. A. (2015) "The origin of snakes: Revealing the ecology, behavior, and evolutionary history of early snakes using genomics, phenomics, and the fossil record", trieved 23-12-2018.
- Ibn Al-Atheer: Abu Al-Hassan Ali bin Abi Al-Karam Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim bin Abdul Wahid Al-Shaibani Al-Jazari, Izz al-Din Ibn Al-Atheer, (630 AH), Al-Kamil in History, investigation: Omar Abdul Salam Tadri, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut- Lebanon, First Edition, 1417 AH.
- Ibn al-Salah, Abu Omar Taqi al-Din, known as Ibn al-Salah, (d. 643 AH), Introduction to Ibn al-Salah, edited by: Abdul Latif al-Humaim - Maher Yassin, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah Publishing House, Lebanon - Beirut, 1st edition, (1423 AH - 2002 AD).
- Ibn Attiya, Imam Abu Muhammad Abd al-Haqq, (d. 546 AH), edited by: a group of researchers, published by the Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Department of Islamic Affairs.
- Ibn Hazm, Abu Muhammad Ali bin Ahmed bin Saeed bin Hazm Al-Andalusi [Al-Zahiri], Al-Muhalla bi-Athar, edited by: Abdul Ghaffar Suleiman Al-Bandari, Dar Al-Fikr - Beirut.
- Ibn Kathir, Ismail bin Omar bin Kathir bin Dhaw bin Dara al-Qurashi al-Basrawi, then al-Dimashqi, Abu al-Fidaa, Imad al-Din, Tafsir Ibn Kathir, 2nd edition, edited by: Sami Muhammad Salama, publisher: Dar Taiba, (1999 AD).
- Ibn Qudamah, Abu Muhammad Muwaffaq al-Din Abdullah bin Ahmad bin Muhammad bin Qudamah al-Jumaili al-Maqdisi and then al-Dimashqi al-Hanbali, (d. 620 AH), al-Mughni, Cairo Library.

- Ibn Taymiyyah, Taqi al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Abd al-Halim ibn Abd al-Salam Ibn Taymiyyah al-Harrani al-Hanbali al-Dimashqi, (d. 728 AH), The Great Fatwas of Ibn Taymiyyah, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition, (1408 AH - 1987 AD).
- Ibn Uthaymeen, Muhammad bin Saleh Al-Uthaymeen, Collection of Lessons and Fatwas of the Holy Mosque in Mecca, Dar Taibah - Riyadh.
- Ibn Uthaymeen, Muhammad bin Saleh bin Muhammad al-Uthaymeen (d. 1421 AH), Open Door Meeting, [meetings that the sheikh used to hold at his home every Thursday. It began at the end of Shawwal 1412 AH and ended on Thursday 14 Safar, 1421 AH]. Source of the book: audio lessons transcribed by the Islamic Network website http://www.islamweb.net.
- Kafi Al-Kuffaat, Al-Sahib, Ismail bin Abbad, (d. 385 AH), Al-Muhit fi Al-Lughah, edited by: Muhammad Hassan Al Yassin, Alam Al-Kutub, Beirut, first edition, 1414 AH.'
- Muslim, Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri Al-Naysaburi Abu Al-Hussein, Al-Musnad Al-Sahih Al-Mukhtasar from Al-Sunan transmitting justice from justice to the Messenger of God, known as Sahih Muslim, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Lebanon - Beirut.
- Sheikh Ahmed Reda, member of the Scientific Academy in Damascus, Dictionary of the Language, Modern Linguistic Encyclopedia, Al-Hayat Library House - Beirut, 1377 AH, 1958 AD.
- The Unified Dictionary of Biology Terms, Unified Dictionary Series (8) (in Arabic, English, and French), Tunisia: Arabization Coordination Office, 1993.

دور الوقف في علاج تحديات التعليم العام المتعلّقة بالتمويل «سّوريا نموذجًا»

The Role of the Moratorium in Resolving Funding Issues in Public Education - Syria as a Model

أ. محمد أيمن زكريا بطحيش

جامعة باشاك شهير – الأردن

أ. د. أحمد محمد الدّغشي

جامعة باشاك شهير – الأردن

Mohamed Ayman Zakaria Batheesh

Başakşehir University – Jordan

Prof. Ahmed Mohamed Al-Daghshi

Başakşehir University – Jordan

https: //doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.05

تاريخ تسلم البحث 2023/08/17 - وصدر خطاب القبول 2024/01/11

ملخص البحث

هدفت الدّراسة إلى الكشف عن دور الوقف في علاج تحديات التعليم العام المتعلّقة بالتمويل في الشمال السّوريّ، وبيّنت معوّقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام، ومجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام، ووسائل تعزيز دور الوقف على التعليم العام. واعتمدت الدّراسة على المنهج الوصفي المسحي للوصول إلى نتائج الدّراسة، وتمّ القيام بجزء ميداني للدراسة، لجمع البيانات من خلال تصميم أداة بحثية، هي الاستبانة. ومن أبرز النتائج الّتي توصّلت الدّراسة إليها: أنّ أكبر معوق لتوظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السوري هو عدم توجيه ريع الأوقاف المخصصة لرعاية المعلمين والطلاب وأنّ أفضل مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام هو الإنفاق على المعلّمين بما يحقق كفايتهم المادية، وأنّ أفضل سبل تعزيز دور الوقف على التعليم العام هو نشر الوعي بين أفراد المجتمع عامة والموسرين خاصة بأن الوقف على التعليم قربة إلى الله – تعالى – وصدقة جارية.

الكلمات المفتاحيّة: الوقف، التّعليم العام، تحديات التعليم العام، الشمال السوري، التمويل.

Abstract

The goal of the study was to shed light on how the moratorium functions in relation to the financial challenges facing public education in the northern regions of Syria. It also outlined the barriers to using the moratorium to finance public education, the areas in which it is applicable, and strategies for enhancing its influence in this regard.

A field component of the study was used to gather data using the Identification. The study›s conclusions were designed using a survey descriptive technique. One of the most notable findings of the study was that the biggest impediment to employing the moratorium in funding public education in the north of Syria is «the failure to direct waqf rents for the care of teachers and students», The best areas of employment for public education funding are «expenditure on teachers to achieve their material adequacy». The best way to strengthen the role of the moratorium on public education is «to spread awareness among members of society in general and the facilitators, especially that the moratorium on education is close to God and true in progress".

Keywords: Endowment, Public Education, Public Education Challenges, Northern Syria, Finance.

المقدمة

ليس أدلّ على رقيّ الأمّة وجدارتها بالحياة واستحقاقها لقيادة العالم من سموّ النّزعة الإنسانيّة في أفرادها، سموًّا يفيض بالخير والبرّ والرّحمة على طبقات المجتمع كافّة، بل على كلّ من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان، وبهذا المقياس تخلد حضارات الأمم، وبآثارها في هذا السّبيل يفاضل بين حضارتها ومدنيّاتها[1].

إن تعاليم الإسلام تؤكد التكافل بمفهومه الشامل بين المسلمين، وتقضي على كل من لا يبذل من عواطفه وجاهه وماله لغيره من إخوانه المؤمنين بأنه ليس منهم؛ ولذلك لا يعرف المجتمع الإسلامي فردية أو أنانية أو سلبية، وإنما يعرف إخاء صادقًا وعطاءً كريمًا، وتعاونًا على البر والتقوى دائمًا، بهذه المعاني كان المؤمنون أهلًا للعزة والقيادة والريادة في شتى مجالات الحياة[2].

والإنسان في المفهوم المادّيّ للتّنمية هو آلة الإنتاج ووقوده، وحتّى حينما يستفيد من نتائج التنمية المادّيّة فإنّما هو مستهلك ومنشط لدورة التنمية الاقتصادية، ولذلك يتولّى أرباب الإنتاج توجيه المستهلكين والتّحكّم في سلوكهم الاستهلاكيّ، ليتحوّل الكائن البشري في النّهاية إلى وسيلة للإنتاج ولتصريف الإنتاج، لا أقلّ ولا أكثر، أمّا في الإسلام فإنّ تنمية الإنسان نفسه بكلّ أبعاده الرّوحيّة والنّفسية والعقليّة والبدنيّة هي التّنمية الحقيقيّة، ولذلك وجدنا حركة الوقف الإسلاميّ تضع مبادراتها في خدمة هذه الأبعاد كلّها في آن واحد، بل نجدها تخصّص الجزء الأعظم فيها للأوقاف ذات المنافع المعنويّة والمردوديّة

١- السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، دار الورّاق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩، ص/ ١٩٣.
٢- جوهر، علي صالح؛ جمعة، محمد حسن، تمويل التعليم والوقف في المجتمعات الإسلامية، رؤية اقتصادية تربوية، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص/ ٢.

التّربويّة، تنمية للإنسان وتزكية لنفسه، وترقية لفكره وسلوكه[١].

وإذا كانت صناعة الحضارة الإسلامية قد مثلت ملحمة عظمى، نهضت بها الأمة على امتداد قرون عديدة، فإن الوقف قد كان المؤسسة الأم التي موّلت صناعة أمّتنا لهذه الحضارة الإسلاميّة، فقد مكّنت الأوقاف علماء الأمة من الاستقلال الفكري، الأمر الذي جعلهم يتولون موقع الصدارة في بناء حضارة الأمة الإسلامية بعيدًا عن أيّة مؤثرات قد تعيق عملية البناء هذه[٢].

وكان الوقف من العوامل الرئيسة لنهضة التعليم وتطوره واستمراره عبر العصور في العالم الإسلامي، وإن العلاقة بينه وبين حركة التعليم طردية، فإذا تطور الوقف تقدم التعليم ونهض، وإذا تخلّف الوقف تأخّر التعليم[٣].

وتعتبر قضية تمويل التعليم من أهم القضايا التي ينبغي أن ينشغل بها صناع القرار في كل دول العالم، لا فرق بين دولة نامية أو متقدمة، لأنه إذا أريد للتعليم النجاح فلا بد من دعمه بكل اللوازم، ومن أهمها المال الكافي والمستمر، باعتباره من أهمّ أنواع الاستثمار البشري[٤].

فلكي يؤدي التعليم رسالته كان لا بد من تمويله بالشكل الذي يؤهّله لمواكبة تطورات العصر المتغير، وبسبب الأزمات الاقتصادية التي يمر بها العالم بصورة عامة، والشّمال السّوريّ بصورة خاصّة، ينبغي البحث عن مصادر تمويل تتعدى

١- الريسوني، أحمد، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، دار الكلمة للنشر والتّوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤، ص/ ٦٣.

٢- المعيلي، عبد الله بن عبد العزيز، دور الوقف في العملية التعليمية، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، م م: ٦٩٢-٧٤٥، ص/ ٧١٠.

٣- نقاسي، محمد إبراهيم؛ ليبا، محمد، الصكوك الوقفية وأهميتها في تمويل مجال التعليم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة زيان عاشور، مجلّة التراث، العدد ٢٠ ديسمبر ٢٠١٥، م م: ١٤٧-١٧٤، ص/ ١.

٤- نصير، نجوه أنور؛ الإبراهيم، عدنان بدري، تصور مقترح لتفعيل الوقف التعليمي في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية، دراسات، العلوم التربوية، عمادة البحث العلمي وضمان الجودة - الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٥، العدد٤، ٢٠١٨، م م: ٣٠٢-٣١٤، ص/ ٣٠٣.

التمويل الحكومي.

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدّراسة دعوة لإحياء دور الأوقاف في تمويل التّعليم، لاستنهاض الهمم الخيّرة لتفعيل هذا الدّور لبناء مجتمع مثالي راق، يعيد لهذه الأمّة مجدها وعزّها وسيادتها، والكشف عن العقبات الّتي تحول دون ذلك، وبيان أوجه التّغلّب عليها.

مشكلة الدراسة:

إن التّعليم العامّ في الشّمال السّوري يُعاني منذ عقد من الزّمن من مجموعة من التّحدّيات الّتي تعوقه من النّهوض بالتّعليم وتدفع به نحو التراجع في الأداء، وهذه التّحدّيات في أساسها ناشئة عن مجموعة عوامل تاريخيّة وثقافيّة واجتماعيّة وماليّة، ومن أبرزها وأهمّها إن لم يكن أهمها على الإطلاق تلك الّتي تتعلّق بضعف تمويل التّعليم العام، وقلّة المرتّبات الجيّدة للمعلّمين، والاستمرار في تدمير البنية التّحتيّة، كما أن توفير الموارد المالية اللازمة للتّعليم مسألة لا غنى عنها ممّا دعا إلى البحث عن وسائل أخرى لتمويل التّعليم ممّا استخدمه المسلمون في عصور نهضتهم وأوج حضارتهم، وتبيّن أنّ نظام الوقف كان له الدّور الأسمى في تقدّم التّعليم وازدهار العلم، فباتت الضرورة ملحة إلى إشراك العمل الوقفي في تمويل التّعليم العام، وتجسيد وظيفته الاقتصادية، ومن هنا جاء السّؤال الرّئيس: ما دور الوقف في علاج تحديات التعليم العام المتعلّقة بالتمويل في الشمال السّوري؟

أسئلة الدِّراسة وأهدافها:

يتفرّع عن السّؤال الرّئيس للدراسة التّساؤلات الفرعيّة التّالية، وتمثّل الإجابات عليها أهدافًا للدراسة في الوقت ذاته:

- ما أركان الوقف وشروطه وصوره في الإسلام؟

- ما صور الوقف على التّعليم في التّراث الإسلاميّ؟
- ما مصادر تمويل قطاع التعليم العام في الشمال السوريّ؟
- ما معوّقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السّوري؟
- ما مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام في الشمال السّوري؟
- ما وسائل تعزيز دور الوقف على التعليم في الشمال السوري؟
- وتمثّل الإجابات على هذه الأسئلة هذه الأسئلة أهدافاً للدراسة في الوقت ذاته.

أهمية الدراسة:

تتّضح أهميّة الدراسة من خلال ما يلي:

- دور الوقف في تقدّم المجتمعات، وخاصّة في الجانب العلمي والتربوي.
- إن تطبيق نظام الوقف في العصر الحديث يسهم بقوة في علاج مشكلة الأمية لدى المتعلّمين.
- الحاجة الملحّة لإحياء دور المؤسسات الوقفيّة، وتنشيط شراكتها الفعالة في خدمة المجتمع ونمائه.
- حث الدراسة الجهات الوقفية ذات العلاقة بالتعليم على إعادة هيكلية النظام الوقفي الإسلامي بما يتناسب مع مستجدات القرن المعاصر.

منهج الدِّراسة وإجراءاتها:

استخدم الباحثان المنهج الوصفي المسحي للوصول إلى نتائج الدّراسة، وتمّ القيام بجزء ميداني للدراسة، لجمع البيانات من خلال تصميم أداة بحثية، هي الاستبانة، وتحديد مجتمع للبحث وعيّنة، ستتضح في موطنها من هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

من خلال وقوف الباحثين على الدّراسات والبحوث الّتي تعرّضت لموضوع الدّراسة وجدا أبحاثًا عدّة متّصلة اتّصالاً قريبًا بموضوع الدراسة، وإن كان جميع ما اطّلع عليه الباحثان يختلف في بعض الجوانب عن موضوع هذه الدّراسة، ولذا تمّ اختيار أقربها لهذه الدّراسة، وفي ما يلي تفصيلها:

١ – دراسة مي علي محمود حسن (٢٠١٤م)[١]:

هدفت الدراسة إلى تحليل مدى إمكانيّة تفعيل نظام الوقف ومساهمته بتطبيقاته الحديثة في تمويل قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في مصر، وقد استخدمت الدّراسة كلًا من المنهج الوصفي التّحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج الاستنباطي.

وتوصّلت الدّراسة إلى نتائج عدّة من أهمّها: أنّ التّطوّر في الأدوات الماليّة والتّنظيمات المؤسسيّة أتاح تعدّد صور التّمويل بالوقف، والّتي يمكن استخدامها لتمويل التّعليم العالي والبحث العلمي.

وخلصت الدّراسة إلى مواجهة نظام الوقف في مصر للعديد من المعوّقات الّتي تحول دون ازدهاره، أهمّها العقبات القانونيّة والمؤسّسيّة، واختتمت الدّراسة بتقديم سياسات مقترحة لتفعيل نظام الوقف، تضمّنت سياسات تشريعيّة ومؤسّسيّة وإداريّة.

١- حسن، مي علي محمود، الوقف كمصدر من مصادر التّمويل مع التطبيق على قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في مصر، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠١٤.

٢– دراسة فياض عبد المنعم حسانين (٢٠١٤)[١]:

هدفت هذه الدّراسة إلى بيان دور الوقف الخيري في تمويل التعليم العالي في مصر، والكشف عن آليّات وقفيّة تساهم في تمويل التّعليم العالي في مصر. ولم تشر الدراسة إلى المنهج المتبع فيها.

واقترحت الدارسة آليتين وقفيتين للمشاركة في تمويل التعليم العالي في مصر، الأولى: إنشاء جامعة وقفية، بحيث تستوفي معايير جودة التعليم من حيث المناهج، والمختبرات، وطرق التدريس، والتخصصات، والانتشار الجغرافي، ومعدل الكثافة... الخ. والثانية: إنشاء صندوق وقفي شعبي يساهم في توفير تمويل لبعض أنشطة وبرامج التعليم العالي في مصر.

٣– دراسة نجوه أنور نصير، عدنان بدري الإبراهيم (٢٠١٨)[٢]:

هدفت هذه الدراسة التعرف إلى دور الوقف في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية والتوصل الى تصور مقترح لتفعيل الوقف التعليمي في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية، تكونت عينة الدراسة من (١٤٠) قائدًا أكاديميًّا وقائدًا إداريًّا تمّ اختيارهم بالطريقة العشوائية من مجتمع الدراسة البالغ عددهم (٢٥٨) للعام الدراسي ٢٠١٥/ ٢٠١٤. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحثان الاستبانة كأداة للدراسة وتم التحقق من دلالات الصدق والثبات لها.

١- حسانين، فياض عبد المنعم، دور الوقف الخيري في تمويل التعليم العالي في مصر، المجلّة العلميّة لقطاع كليّات التجارة، جامعة الأزهر، العدد الحادي عشر -٢٠١٤م، م م: ٢١٨-٢٥٣.

٢- نصير، نجوه أنور؛ الإبراهيم، عدنان بدري، تصور مقترح لتفعيل الوقف التعليمي في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية، دراسات، العلوم التربوية، عمادة البحث العلمي وضمان الجودة - الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٥، العدد ٤، ٢٠١٨.

أشارت النتائج إلى أن دور الوقف التعليمي في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية جاء بدرجة متوسطة، كما خلصت الدراسة إلى تصور مقترح لتفعيل الوقف التعليمي في تمويل الجامعات. عولجت البيانات الناتجة عن تطبيق الاستبانة باستخدام برنامج (spss) حيث تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية.

ومن أبرز التوصيات التي نتجت عن هذه الدراسة تبني مشروع وقف تعليمي المقترح لتفعيل الوقف التعليمي في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية في المجالات التعليمية كافة، وإنشاء صندوق للوقف التعليمي وعمل موقع إلكتروني لصندوق الوقف وانشاء مراكز وقفية للبحث العلمي، والإنفاق على الباحثين ومستلزماتهم في شتى المجالات الثقافية والعلمية وتخصيص الجامعة ليوم نسميه يوم الوقف التعليمي يهتم في الأوقاف العلمية ورعايتها وتفقد شؤونها.

٤- دراسة فادي فتحي الأشرم (٢٠١٩م- ١٤٤٠هـ)[١]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على وقفيات الجامعات الفلسطينية وبيان الصيغ الاستثمارية وكيفية استثمار أموال الوقف، والمعوقات والمقترحات والحلول، وتقديم استراتيجية تنموية لإمكانية استثمار الوقف التعليمي ومساهمته بتطبيقاته الحديثة في تمويل الجامعات والبحث العلمي في فلسطين.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، والمنهج الاستنباطي، كما تم إجراء العديد من المقابلات.

توصلت الدراسة لعدة نتائج من أهمها: إمكانية تعدد صور التمويل بالوقف التعليمي نظرًا لتطور الأدوات المالية وسُبل الاستثمار.

١- الأشرم، فادي فتحي، نحو استراتيجيّة تنموية لتطوير الوقف التعليمي لتمويل التعليم الجامعي في فلسطين ٢٠١٨م، رسالة ماجستير، فبراير / ٢٠١٩ م - جمادى الأولى / ١٤٤٠ه

وخلصت الدّراسة ببناء استراتيجية لتمويل التعليم الجامعي في فلسطين، وقد تم تحديد أهم الأهداف الرئيسية وبناء الهيكلية الإدارية، وكيفية استقطاب الوقف واستثماره بما يخدم تنمية وتطوير التعليم الجامعية، وكذلك المعوقات التي تحول دون تفعيل نظام الوقف التعليمي، وأهم العقبات القانونية والإدارية والمؤسساتية، واختتمت الدّراسة بتقديم مقترحات متعلقة السياسات التشريعية والقانونية والإدارية لتفعيل نظام الوقف التعليمي بالجامعات.

٥– محمد سلامة الغنيمي (٢٠٢١م)[١]:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على تداعيات الأزمة، كما سعت إلى استعراض نظام التمويل الحالي في ضوء الرؤية الإسلامية وإدراك مدى فعالية الحل الإسلامي للأزمة، كما سعت الدراسة إلى الكشف عن بدائل أخرى تتفق والرؤية الإسلامية.

وأشارت الدراسة إلى استخدامها المنهج الوصفي في تحليل الأزمة التمويلية الحالية، ووصف الرؤية الإسلامية لإصلاح الأزمة الحالية ووصف بدائل أخرى للتمويل.

وتوصلت الدراسة إلى أن التداعيات الاقتصادية بجانب زيادة الطلب على التعليم وارتفاع تكلفته قد شكلت عقبات كؤودًا أمام وفاء الدول بمجانية التعليم، وأن الرؤية الإسلامية في التمويل تستطيع التوفيق بين فلسفة التعليم للجميع والتعليم مسؤولية الجميع كل حسب ما وسعته طاقته، وأنها تراعي جميع الأطر كالعدالة وتكافؤ الفرص والاستيعاب وترشيد الاستهلاك، وتوصلت الدراسة إلى أهمية الجهود المجتمعية الخيرية في التمويل، واستغلال إمكانيات المؤسسات التعليمية في أنشطة أخرى تدعم التمويل.

١- الغنيمي، محمد سلامة، تصور مقترح تطوير نظام تمويل التعليم في ضوء الرؤية الإسلامية، الجمعية الدولية للتعليم والتعلم الإليكتروني، ٢٢ / ١٠ / ٢٠٢١.

وخلصت الدراسة إلى أهمية إعادة صياغة قوانين التعليم بحيث يتكفل كل طالب عن نفسه إن كان له مال أو يلتزم وليه عنه، في إطار ما تسعه إمكاناته، وأن تتكفل الدولة بمن لا ولي له، وكذلك بإتاحة الفرصة للتمويل الخيري التي لا تستطيع الحكومات الاستغناء عنه.

التّعليق على الدِّراسات السّابقة:

من خلال النّظر في الدّراسات السّابقة يجد الباحثان أنّ هذه الدّراسة تتّفق مع الدّراسات الأربع الأولى في الكشف عن دور الوقف في تمويل التّعليم، إلّا أنّ هذه الدراسة تختلف عن ما سبقها في الحدود المكانيّة والزّمانيّة والموضوعيّة، ففي حين كانت الحدود المكانيّة للدّراستين الأولى والثّانية في مصر، وكانت الثّالثة في الأردن، والرّابعة في فلسطين، جاءت هذه الدّراسة في سوريا، وتحديدًا في الشّمال السّوري، حيث غياب دور النّظام، وسيطرت المعارضة. وعلى حين كانت كل الدراسات السابقة تنتهي زمانياً في مرحلة ما قبل ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٢م تأتي هذه الدراسة لتتركز على الفترة بين ١٤٤٣ و١٤٤٤هـ، ٢٠٢٢م و٢٠٢٣م.

أمّا الدّراسة الخامسة فكانت في حدود الوطن العربيّ، ولم تخصّ بلدًا ما كما ظهر للباحثين.

أما من الناحية الموضوعية فقد اختلفت هذه الدّراسة عن الدّراسات السّابقة الأربع الأولى، حيث كان موضوع الدّراسة الحاليّة يتعلّق بدور الوقف في تمويل التّعليم العام، على حين كان موضوع الدّراسات السّابقة يتعلّق بدور الوقف في تمويل التعليم العالي (الجامعات)، وهنا يرجو الباحثان أن يتحقق التكامل بين دراستهما وكلّ الدراسات السابقة؛ إذ إن مرحلة التّعليم العام تعدّ أهمّ المراحل في التعليم بصورة عامة، فهي مرحلة التأسيس والبناء، وإلزامية لجميع الأطفال، واهتمّت بها جميع الأعراف والمواثيق المحليّة والدّوليّة.

أمّا الدراسة الخامسة فكان موضوعها بحث بدائل التّمويل المختلفة، وكان التمويل الخيري أحد تلك البدائل كما افترضها تلك الدّراسة.

وتسعى الدراسة الحالية للوقوف على تحديد رأي القائمين على التّعليم في واقع الوقف وسبل تفعيله باعتباره رديفًا قويًّا للتمويل الحكومي، وتأتي هذه الدراسة مستندة إلى ما سبق من الدراسات، مستفيدة منها وبانية عليها، فإعادة دور الوقف تعني إعادة دور كبير للجانب الطوعي لخدمة وتنمية المجتمع وتطويره.

وتعتبر هذه الدراسة الأولى محليًّا -في حدود علم الباحثَين-، حيث تختص بالوقف «التعليميّ» في سوريا، وتوضيح أهميته للمسؤولين والقائمين على وضع القرار السياسي، والتعليمي من خلال التصور المقترح لتفعيل الوقف التعليمي.

حدود الدِّراسة:

يمكن تقسيم هذه الدراسة إلى حدود ثلاثة: زمانيةٍ ومكانيةٍ وموضوعيةٍ

أوّلًا: الحدود الزّمانية: تقتصر الدّراسة على الفترة الممتدة بين عامي ١٤٤٣-١٤٤٤هـ الموافق ٢٠٢٢-٢٠٢٣ م.

ثانيًا: الحدود المكانية: ستنحصر هذه الدراسة في الشّمال السّوريّ الّذي سيأتي تعريفه إجرائيًا في مصطلحات الدّراسة.

ثالثًا: الحدود الموضوعية: يمكن اختزال الحدود الموضوعية للدراسة الحالية في جملة الأسئلة التي سبق أن ذكرها الباحثان تحت عنوان أسئلة الدراسة وأهدافها.

مصطلحات الدّراسة:

– الوقف:

(الْوَقْفُ) لغة: سوَارٌ منْ عَاج. (وَوَقَفَت) الدَّابَّةُ تَقفُ (وُقُوفًا) وَ (وَقَفَهَا) غَيْرُهَا منْ بَاب وَعَدَ. وَ (وَقَفَهُ) عَلَى ذَنْبِه أَطْلَعَهُ عَلَيْه. وَ (وَقَفَ) الدَّارَ لِلْمَسَاكِين وَبَابُهُمَا وَعَدَ أَيْضًا[1].

الْوَقْف والتحبيس والتسبيل بِمَعْنى، قَالَ الْأَزْهَري: يُقَال حبست الأَرْض ووقفتها، وحبست أَكثر اسْتِعْمَالًا. قَالَ أهل اللُّغَة: يُقَال وقفت الأَرْض وَغَيرهَا أقفها وَقفًا. وَهَذِه اللُّغَة الفصيحة الْمَشْهُورَة[2].

وعرّفه فقهاء الحنفيّة بأنّه: عبَارَةٌ عَنْ حَبْس الْمَلُوك عَنْ التَّمْليك منْ الْغَيْر[3]. وعند الحنابلة: تَحْبيسُ مالك مُطْلَق التَّصَرُّف ماله الْمُنْتَفَعَ به مع بَقَاء عَينه، بقَطْع تصَرُّف الواقف في رقَبَته، يُصْرَف رِيعُه إلى جهَة برّ؛ تقَرُّبًا إلى الله – تعالى–[4].

والْوَاقف عنْد الْفُقَهَاء: الحابس لعَينه إمَّا على ملكه وَإمَّا على ملك الله تَعَالَى. والواقف: خادم الْبيعَة لأَنَّهُ وقف نَفسه على خدمتها. (ج) وقف ووقوف[5].

والْمَوْقُوفُ: هُوَ كُلُّ عَيْنٍ مُعَيَّنَةٍ مَمْلُوكَةٍ مِلْكًا يَقْبَلُ النَّقْلَ يَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ أَوْ

١- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت: يوسف حج محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠ه–١٩٩٩م، ص/ ٣٤٤.

٢- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨ه، ص/ ٢٣٧.

٣- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، المبسوط، مطبعة السعادة – مصر، (د.ت)، ١٢ / ٢٧.

٤- المَرْداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ١٦ / ٣٦٢.

٥- مصطفى، إبراهيم؛ وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الدعوة، (د.ت) ٢ / ١٠٥١.

مَنْفَعَةٌ تُسْتَأْجَرُ لَهَا[١].

تعريف الوقف إجرائيًّا: حبس عين عن تمليكها لأحد من المخلوقين، والتصّدّق بالمنفعة الناتجة عنها على مصرف مباح.

- **التّحدّيات**: «قوّة خلّاقة باعثة للتّجديد والتّغيير الاجتماعيّ والثّقافيّ[٢]»

وتعرّف أيضًا بأنّها: «مفردة صنعتها الهوّة الكبيرة بين واقع المجتمع ومستقبله، نتيجة مجموعة معقّدة من الظّروف والإشكاليّات، سواء أكانت محليّة أم عالميّة»[٣].

- **تعريف التحدّيات إجرائيًّا**: لغرض هذه الدراسة فإنّ المقصود بالتحديات هنا: العقبات ونقاط الضّعف والمشكلات والصّعوبات النّابعة من البيئة المحليّة أو الإقليميّة أو الدّوليّة المتعلّقة بالمرتكزات التّربويّة الأساسيّة (المنهاج والمعلّم والمتعلّم والبيئة)، الّتي تعيق مؤسّسات التّعليم العامّ في الشّمال السّوريّ من تحقيق الأهداف التّعليميّة الّتي يتطّلع لها المعلمون والقيادات التّربويّة.

– التّعليم العام:

القطاعُ الّذي يُقدِّم الخدمة التعليميّة المجانيّة في كافّة المراحل المعتمَدة في نظام التّعليم الشّامل، من الصّفّ الأوّل الأساسيّ إلى الصّفّ الثّاني الثّانويّ بكافّة مراحله، في مدارس تابعة لوزارة التّربية والتّعليم (القطاع الحكوميّ)، ويكون التّعليم فيها إلزاميًّا بموجِب القانون المنصوص على إلزاميّة التّعليم في المراحل

١- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ت: زهير الشّاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م، ٥ / ٣١٤.

٢- القحطاني، مبارك فهيد سرحان، أبرز التحديات المستقبلية التي تواجه القيادات التربوية في المملكة العربية السعودية وسبل مواجهتها، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: (١٧٠) الجزء الأول أكتوبر لسنة ٢٠١٦ م، دون رقم الطبعة، ص / ٤٧٩.

٣- الحديدي، عماد أمين سعيد، تطوير أداء القيادات الإدارية بوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية في ضوء التحديات المعاصرة، جامعة عين شمس، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص / ٧.

الأساسيّة، بحسب قوانين بعض الدّول[1].

- **تعريف التّعليم العامّ إجرائيًّا**: هو ذلك القطاع من التّعليم في المدارس العامّة في الشّمال السّوريّ، الّذي يعتمد الخدمة التّعليميّة المجانيّة، وتدعمه الحكومة القائمة والمجالس المحليّة، ويكون تابعًا لها إداريًّا وفق وزارة التّربية والتّعليم، ويضمّ من الصّف الأوّل الأساسيّ حتّى الثّالث الثّانويّ، بكافّة أقسامه (الأدبيّ والعلميّ والشّرعيّ).

– تمويل التّعليم العام:

مجموعة الموارد المالية المرصودة للمؤسسات التعليمية لتحقيق أهداف محددة وإدارتها بكفاءة عالية[2].

ويعرف تمويل التعليم أيضًا بأنه: مجموع الموارد المرصودة في إطار التعليم للمؤسسات التعليمية لتحقيق الأهداف التي يجب تحقيقها وفق الموارد المتاحة، وإدارة هذه الأموال واستخدامها بكفاءة.

- **تعريف تمويل التّعليم إجرائيًّا:**

ويعرّفه الباحثان إجرائيًّا بأنه: جُملة الموارد المالية المخصصة للمؤسسات والمراكز التعليمية في الشمال السّوريّ، الّتي تعمل على توفير رأس مال خاص بالمشاريع التعليمية، كبناء المدارس وترميمها، أو تجديد الأثاث المدرسي، أو تمويل الأنشطة المدرسيّة، ودعم المعلّمين والطّلاب، من خلال رواتب شهريّة ومساعدات موسميّة، وطباعة الكتب، وتأمين اللّوازم المدرسيّة، وذلك وفق خططٍ مالية مدروسة، ولها سقفٌ زمنيٌّ محدد، وذلك من أجل النهوض بالعملية التعليمية، ورفع كفاءة عملها، ومستوى جودة الخدمات التي تُقدمها للطلبة.

١- موسوعة المحتوى العربي: مفهوم التعليم العام - موقع مصادر (mssader.com(Jul ١٦، ٢٠١٩
٢- جوهر، علي صالح؛ الباسل، ميادة، الاستثمار الأمثل في تمويل التعليم، ٢٠١٦، ص/ ١١

– الشمال السّوري

تقع أراضي الشّمال السّوريّ داخل المناطق الشّماليّة من محافظة حلب، يضمّ الشّمال السّوري مناطق: درع الفرات وغصن الزيتون، الّتي تخضع فعليًا لعدد من المجالس المحليّة المستقلّة الّتي تعمل مع تركيّا.

وتشمل منطقة «درع الفرات» المناطق والقرى الّتي تقع بين أعزاز والرّاعيّ، كما تشمل مدينة جرابلس الحدوديّة وكذا مدينة الباب، وما بينهما من بلدات وقرى.

أمّا منطقة (غصن الزّيتون): فهي مقاطعة عفرين بأكملها مع المدن والبلدات التّابعة لها.

المبحث الأوّل: خلفية الدراسة (الإطار النظري) ويتناول المباحث التّالية:

أوّلًا: مشروعيّة الوقف وأركانه وشروطه وصوره في الإسلام

للإجابة عن السؤال الأول من أسئلة البحث المتصل بمشروعيّة الوقف وأركانه وشروطه وصوره في الإسلام فإنّ الإسلام ينادي بالدعوة إلى الخير نداء تنهزم معه في النفس الإنسانيّة بواعث الشّحّ ووسوسة الشيطان في التّخويف من الفقر. يقول الله – تعالى – بعد الحثّ على الإنفاق: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ويسمو الإسلام بالنّفوس إلى أعلى أفق من النّزعة الإنسانيّة الكاملة، حين يجعل البرّ لجميع عباد الله مهما كانت أديانهم ولغاتهم وأوطانهم وأجناسهم. يقول رسول الإسلام ﷺ: «الخلق كلّهم عيال الله، فأحبّهم إليه أنفعهم لعياله[1]».

١- الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ١٠ / ٨٦، رقم (١٠٠٣٣).

ومن هذه المنطلق نشأ الوقف، ليمدّ كل المؤسسات الاجتماعيّة بالموارد الماليّة الّتي تعينها على أداء رسالتها الإنسانيّة النّبيلة.

كان الوقف هو الحجر الأساس الّذي قامت عليه كلّ المؤسّسات الخيريّة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد كان رسول الله ﷺ أوّل من ضرب المثل الأعلى لأمّته في ذلك، فأوقف سبعة بساتين كان أوصى بعض الصّحابة حين مات أن يترك أمرها للرّسول يتصرّف بها كيف يشاء، فأوقفها رسول الله ﷺ على الفقراء والمساكين والغزاة وذوي الحاجات، ثمّ تبعه بعد ذلك سيّدنا عمر بن الخطاب فأوقف أرضه بخيبر، ثم توالت الأوقاف من الصّحابة ومن بعدهم[1]. حتّى يقول جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: «فما أعلم أحدًا ذا مقدرة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار إلّا حبس مالًا من ماله صدقة موقوفة لا تشترى ولا تورث ولا توهب»[2] ثمّ تتابع المسلمون جيلًا بعد جيل، يوقفون الأراضي والبساتين والدّور والغلات لأعمال البرّ، ممّا ملأ المجتمع الإسلامي بالمؤسّسات الّتي بلغت حدًّا من الكثرة يصعب إحصاؤه والإحاطة به[3].

١ – مشروعيّة الوقف في الإسلام:

جاءت الشّريعة الإسلاميّة لتلبّي حاجات النّاس وتحقق لهم سعادة الدّار الدنيا والدار الآخرة، فنظمّت العلاقات بين الناس على أساس العدل، بل فاقت العدل ونادت بالإحسان والفضل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. ونادت بإنشاء علاقات تراحميّة بين النّاس، بل بيّنت أنّ ما لا يبذل الرّحمة فإنّ رحمة الله تعالى

١- السّباعي، مصطفى، ١٩٨.
٢- النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذب، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي – القاهرة، ١٣٤٧ه، ١٣ / ٣٢٣.
٣- السباعي، مصطفى، ١٩٩.

الواسعة لن يصيبه منها شيء، يقول نبيّنا محمّد ﷺ: «من لا يرحم لا يرحم[١]».

ومن صور الرّحمة الّتي نادى بها الإسلام إنفاق المال في وجوه الخير، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] وقال جلّ شأنه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

ومن صور الإنفاق الّتي شجّع عليها الإسلام الوقف الخيري، ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر أرضًا بخيبر، فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها، فقال يا رسول الله، إني أصبت أرضًا بخيبر، لم أصب مالًا قطّ هو أنفس عندي منه، فما تأمرني به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدّقت بها، قال: فتصدّق بها عمر، أنّه لا يباع أصلها، ولا يبتاع، ولا يورث، ولا يوهب، قال: فتصدّق عمر في الفقراء، وفي القربى، وفي الرّقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، أو يطعم صديقًا غير متمول فيه[٢]». وقد قال ابن حجر رحمه الله في هذا الحديث: «وحديث عمر هذا أصل في مشروعية الوقف[٣]».

وعَنْ أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ احتَبَس فَرسًا في سبيلِ اللَّهِ، إيمَانًا بِاللَّهِ، وتَصدِيقًا بِوعْدِهِ، فإنَّ شِبَعهُ ورَيْهُ ورَوْثَهُ وبولَهُ في مِيزَانِهِ يومَ القِيامَةِ[٤]».

١- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، تصوير: محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ لدى دار طوق النجاة، ٨/ ٧ رقم (٥٩٩٧).
٢- البخاري، ٣/ ١٩٨، رقم (٢٧٣٧).
٣- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، ٥/ ٤٠٢.
٤- البخاري، ٤/ ٢٨، رقم (٢٨٥٣)

وعنْ أبي مسْعُودٍ ﷺ قال جاءَ رجُلُ إِلَى النَّبيِّ ﷺ بِنَاقَةٍ مَخْطُومةٍ فَقَالَ: هذه في سَبيلِ اللَّهِ، فقال رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَومَ القِيامةِ سبعُمِائَةِ ناقَةٍ كُلُّها مخطُومةٌ[1]».

وهذا رسول الله ﷺ يدعو ويرغب في الوقف فيقول: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له[2]» قال النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث: الصدقة الجارية هي الوقف، وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه[3]. وقوله ﷺ أيضًا: «من يحفر بئر رومَة فَله الجنَّة[4]».

وروى البخاري رحمه الله في صحيحه من حديث عمرو بن الحارث ﷺ قال: «ما تَرَكَ رَسولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ دِينَارًا، ولَا دِرْهَمًا، ولَا عَبْدًا، ولَا أَمَةً، إلَّا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتي كانَ يَرْكَبُهَا، وسِلَاحَهُ، وأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً»[5].

وهذا يمثل السنة الفعلية له ﷺ في كونه أول من يعمل بما يدعو إليه، فهو ﷺ قد توفي وبقي عمله لم ينقطع في أبواب من أبواب الصدقات الوقفية على المحتاجين، ومنهم ابن السبيل الذي قد يكون طالب علم جمع بين العلم والسفر والحاجة.

وقد كان أصحاب النبي ﷺ نماذج في ذلك فقد حدث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه ما من أحد من أصحاب النبي ﷺ ذي مقدرة إلا وقف[6].

١- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ٣/ ١٥٠٥، رقم (١٨٩٢)
٢- النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ٣/ ١٢٥٥، رقم (١٦٣١)
٣- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢م، ١١ / ٨٥.
٤- البخاري، ٥ / ١٣.
٥- المرجع نفسه، ٦ / ١٥، رقم (٤٤٦١)
٦- النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذب، ١٣ / ٣٢٣.

قال الشافعي رحمه الله: «بَلغنِي َأنَّ َثمانين صحابِيًّا من الأَنصار تصدُقوا بِصدَقات محرمات»، والشافعي يسمي الأَوَقاف: الصدَقات المحرمات[١].

٢– أركان الوقف وشروطه في الإسلام:

ذكر الفقهاء أركانًا وشروطًا للوقف، بعضها متّفق عليها، وبعضها مختلف فيه، ويذكر الباحثان هنا الأركان والشّروط المتفق عليها لصحّة الوقف[٢]:

- أن يكون الواقف جائز التّصرّف في ماله، فلا يجوز من صغير أو مجنون أو محجور عليه.
- أن يكون الموقوف عينًا يصحّ الانتفاع به نفعًا مباحًا مع بقاء عينه.
- أن يكون على معيّن.
- أن يكون على جهة بر وقرابة ومنافع المسلمين.
- أن يكون منجزًا.

٣– صور الوقف في الإسلام:

أ- المساجد: وقف النبي ﷺ أول مسجد في الإسلام مسجد قباء، ثم تلاه المسجد النبوي فكانا نعم الدارين للتعليم، ثم تلا ذلك وقف المساجد في أرجاء العالم الإسلامي، وهي منارات تحفيظ القرآن وتعليمه ورواية الحديث وتدريس الفقه، ومنه تخرج الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والفقهاء رحمهم الله، وقد نقل بعض أهل العلم أن الحلقات في المساجد كانت تضم آلاف الطلاب[٣].

١- الشربيني، محمد بن محمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٣/ ٥٢٣.

٢- جوهر، علي صالح؛ جمعة، محمد حسن، تمويل التعليم، ١٣٩.

٣- الشلتوني، أنور محمد، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفاعل في النهضة العلمية للأمة، ٢٠١١، ص/ ٦.

ب- الوقف على الحيوانات: لقد بلغ الرّفق بالحيوان عند المسلمين أن خُصصت أوقاف خاصّة لتطبيب الحيوانات المريضة، وأوقاف لرعي الحيوانات المسنّة العاجزة، ومنها أرض المرج الأخضر في دمشق (أرض الملعب البلدي اليوم)، فإنّها وقف للخيول العاجزة الّتي يأبى أصحابها أن ينفقوا عليها لعدم الانتفاع بها، فترعى في هذه الأرض حتّى تموت.

ج- ومن أوقاف دمشق وقف للقطط تأكل منه وترعى وتنام، حتّى لقد كان يجتمع في دارها المخصّصة لها مئات القطط الفارهة السّمينة الّتي يقدم لها الطّعام بشكل يوميّ، وهي مقيمة لا تتحرّك إلّا للرّياضة والنّزهة[1].

د- ومن المؤسّسات الخيريّة: بناء الخانات والفنادق للمسافرين المنقطعين وغيرهم من ذوي الفقر، ومنها التّكايا والزّوايا الّتي ينقطع فيها من شاء لعبادة الله - عزّ وجلّ -، ومنها بناء بيوت خاصّة للفقراء يسكنها من لا يجد ما يشتري به أو يستأجر دارًا، ومنها السّقايات أي تسبيل الماء في الطّرقات العامّة للنّاس جميعًا، ومنها المطاعم الشّعبيّة الّتي كان يفرّق فيها الطعام من خبز ولحم وحساء وحلوى، ومنها بيوت للحجّاج في مكّة ينزلونها حين يفدون إلى بيت الله الحرام، ومنها حفر الآبار في الفلوات لسقي الماشية والزّروع والمسافرين، ومنها أمكنة المرابطة على الثّغور لمواجهة خطر الغزو الأجنبيّ على البلاد.

هـ- ومن المؤسّسات الاجتماعيّة ما كانت وقفًا لإصلاح الطّرقات والقناطر والجسور، ومنها ما كانت للمقابر يتبرّع الرّجل بالأرض الواسعة لتكون مقبرة عامّة[2].

١- السّباعي، مصطفى، ١٨٤.
٢- جوهر، علي صالح؛ الباسل، ميّادة، الاستثمار الأمثل في تمويل التعليم، ٢٠١٦، ١٣٧.

و- وهناك مؤسسات للقطاء واليتامى ولختانهم ورعايتهم، ومؤسسات للمقعدين والعميان والعجزة، يعيشون فيها موفوري الكرامة، لهم كلّ ما يحتاجون من سكن وغذاء ولباس وتعليم.

ز- وهناك مؤسّسات لتحسين أحوال المساجين، ومؤسّسات لتزويج الشباب والفتيات العزّاب، ومؤسسات لإمداد الأمهات بالحليب والسّكر...، فهناك ثلاثون نوعًا من أنواع المؤسّسات الخيريّة الّتي قامت في ظلّ حضارتنا نعمت به البشريّة وجعلت المجتمع متراصًّا متآلفًا متحابًّا[١].

ح- المستشفيات: ومن المدارس التي قامت على الوقف المدارس الطبية التي ألحقت بالمستشفيات والتي كانت منتشرة في مصر، حيث يتعلم الطلاب الطب والحالات السريرية تحت إشراف أساتذتهم[٢].

وهكذا لم نجد مرفقًا من مرافق حياة الأمّة الإسلاميّة إلّا وكان للوقف دور بارز في تطويره والنّهوض به، وهكذا أدّى الوقف دورًا فعّالًا في ازدهار الحضارة الإسلاميّة في عصورها الذّهبيّة، ولعلّ تفعيله اليوم ليأخذ ذلك الدّور الرّياديّ في قيادة المجتمع الإنسانيّ والنّهوض به نحو العزّة والكمال.

ثانيًا: الوقف على التّعليم في التّراث الإسلاميّ:

للإجابة عن السؤال الثاني المتعلّق بالوقف على التّعليم في التّراث الإسلاميّ فإن ذلك يقتضي التفصيل في البنود الثلاثة التالية:

١- أهمية العلم والتّعليم

تتّفق المجتمعات والدّول على إعطاء التّعليم أهميّة كبيرة، والاهتمام به

١- السّباعي، مصطفى، ١٩٩-٢٠٤.
٢- الشلتوني، أنور- ص/ ٦.

وبمؤسساته اهتمامًا بالغًا، فالتعليم هو السبيل إلى التنمية الذاتية، وهو طريق المستقبل للمجتمعات، فهو يطلق العنان لشتى الفرص، ويحدّ من أوجه اللامساواة، وهو حجر الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات المستنيرة والمتسامِحة والمحرك الرئيسي للتنمية المستدامة[١].

والتعليم هو السبيل الرئيس لمواجهة تحديات الحاضر والمستقبل الذي يكفل لأبنائه مواكبة التقدم، وإرساء النهضة الحضارية للأمة، وإعداد الأبناء للقرون القادمة بخطى ثابتة، كما يعد العنصر الفاعل في مواكبة التطورات العالمية المعاصرة[٢]، ويعدّ التّعليم اليوم عند علماء العمران عبارة عن البحث في مستقبل الأمّة وتكوينها، حتّى أصبح الشّغل الشّاغل لحكومات أوروبا وفلاسفة عمرانها[٣].

إنّ أهميّة التّعليم لم تعد اليوم محلّ جدل في أيّ منطقة في العالم، فالتّجارب الدوليّة المعاصرة أثبتت بما لا يدع مجالًا للشكّ أنّ بداية التّقدّم الحقيقيّة هي التّعليم، وأنّ كل الدّول الّتي تقدّمت إنّما تقدّمت من بوّابة التّعليم، بل إنّ الدّول المتقدّمة نفسها تضع التّعليم في أولويّة برامجها وسياساتها[٤].

ولأهمية التعليم فقد عُدّ حقًّا لجميع الأفراد، «حيث يعتبر التعليم حجز الزاوية الأساسي لكل مجتمع، وهو الاستثمار الأوحد والأفضل الذي يمكن للدول تأديته لبناء مجتمعات مزدهرة، وصحية وعادلة، المادة ٢٦ من الإعلان

١- غوتيريش، أنطونيو، التعليم هو السبيل إلى التنمية الذاتية وهو طريق المستقبل، موقع الأمم المتّحدة، التعليم هو السبيل إلى التنمية الذاتية وهو طريق المستقبل / الأمم المتحدة (un.org)
٢- أبو جلالة، لمياء مصطفى حسن، الدور التربوي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في مواجهة تحديات العولمة وسبل تطويره من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة - غزّة، ٢٠٠٣. ص/ ٤.
٣- ابن عاشور، محمد الطاهر، أليس الصّبح بقريب، التعليم العربيّ الإسلاميّ، دراسة تاريخيّة وآراء إصلاحيّة، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّرجمة، مصر، ط١، ٢٠٠٦، ص/ ١٠١.
٤- حتاملة، حابس محمد خليفة، تحديات التعليم العالي في الأردن، مجلّة بحوث التّربية النّوعيّة، جامعة المنصورة، عدد (٣٧) - يناير (٢٠١٥). م م: ٣٦-٦٦، ص/ ٣٨.

العالمي لحقوق الإنسان تنص على التالي: «التعليم حق لأي شخص»، التعليم ليس حقاً فقط، ولكنه جواز سفر للتطور الإنساني والذي يفتح الأبواب ويوسع الفرص والحريات. ونصّ الهدف الرّابع للتنمية المستدامة: يضمن التعليم الشامل، والعادل، والجيد وترقية فرص التعلم للجميع مدى الحياة، حيث إنه يقر مختلف تطبيقات التعليم العالمي ويحاول معالجتها من خلال الأهداف وزيادة المنح الدراسية لطلاب الدول النامية، وإنشاء المرافق التعليمية التي تراعي الفوارق بين الجنسين والإعاقة الكاملة[١].

يعدّ الحق في التعليم من الحقوق الأساسية التي كفلتها جميع المواثيق والمعاهدات الدولية والإقليمية، وقد وردت في ذلك عدة مواد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والعهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واتفاقية حقوق الطفل...[٢] يتمثل في: اتفاقية اليونسكو لمكافحة التمييز في مجال التعليم لعام ١٩٦٠، و ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أهم عناصر الحق في التعليم من خلال الكفاية والمقبولية، ونص العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على ضرورة تأمين التعليم الابتدائي الالزامي المجاني في إقليمها[٣].

ونصت اتفاقية حقوق الطفل على الحق في التعليم للطفل وتنظيمه من خلال جملة من الأحكام، وأكد على الحق في التعليم في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مع إعطاء أهمية لربط عملية التعليم في التنمية، فقد طلب الإعلان من الدول الأطراف فيه تبني الحق في التعليم حيث ورد في المادة «١٣» منه على:

١- التعليم للجميع / الأمم المتحدة (un.org) دون ن

٢- علاونة، فادي، الحق في التعليم في ضوء المواثيق الدولية، دنيا الوطن، تاريخ النشر٢٥-٠٦-٢٠١٦:

٣- رابح، حدو، الحق في التعليم في القانون الدولي لحقوق الإنسان، العام التاسع، العدد ٣٦/ يونيو/ ٢٠٢٢، مقال منشور في كتاب أعمال الملتقى الدولي حول حماية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الاتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية، مركز جيل البحث العلميّ، سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات، ص/ ١١٥.

تقر الدول الأطراف في هذا العهد بحق كل فرد في التربية والتعليم، وهي متفقة على وجوب توجيه التربية والتعليم إلى الإنماء الكامل للشخصية الإنسانية والحس بكرامتها، وإلى توطيد احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية، وهي متفقة كذلك على وجوب استهداف التربية والتعليم تمكين كل شخص من الإسهام بدور نافع في مجتمع حرّ، وتوثيق أواصر التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الأمم، ومختلف الفئات، ودعم الأنشطة التي تقوم بها الأمم المتحدة من أجل صيانة السلم[١].

كان الهمّ الأكبر للدول العربية منذ حصولها على الاستقلال، منصبًّا على مواجهة الأخطار المحدقة بدولها، مثل الجهل والأمراض وغياب البنى التحتية، وكانت ولا تزال تسعى نحو تحقيق نهضة اقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية شاملة تمكّنها من مجاراة الأمم المتقدّمة، وكان سبيلها إلى ذلك هو التعليم الذي رسمت له غاياته وأهدافه وأدواته، وهيأت له ما استطاعت من أسباب الدعم المالي والقرار السياسي لبلوغ المنشود[٢].

وامتلك التّعليم هذه الأهميّة وهذا الاهتمام لكونه استثمارًا في الرّأس المال البشريّ الّذي هو أفضل أنواع الاستثمار، ولكون التّعليم يتعلّق بالإنسان أفضل مخلوق على وجه الأرض. جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مادة (٢٦): يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام[٣].

١- المرجع السّابق.
٢- التّحدّيات التي تواجه التعليم في الدول العربية وتأثيرها على الفقر متعدّد الأبعاد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إدارة التربية، ٢٠١٩، ص/ ٣.
٣- علي الهواري، مجلة عود الند، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (الحقّ في التّعليم)، العدد ١١٨، تاريخ ٨/٣/٢٠١٦.

ولمّـا حظي التّعليم بهذه الأهميّة عند عقلاء العالم ومفكريه، فإنّ مهنة التّعليم أصبحت من أهم المهن والوظائف خطورة وقداسة، إذ المهن والوظائف تتفاوت في قيمتها تبعًا لتفاوت مدى تأثيرها في المجتمع الإنسانيّ[١]. وبالتّالي فإنّ المعلّم -وهو رائد التّعليم وهو أساس العمليّة التّعليميّة- هو صاحب أشرف مهنة، وقد سبق أن أعلنت منظمة اليونسكو -عند إقرارها لليوم العالمي للمعلم الخامس من أكتوبر كل عام- أن المعلم صاحب أهم مهنة في العالم[٢]، وكانت صناعة التعليم هي أشرف الصناعات التي يستطيع الإنسان أن يحترفها[٣].

ومن هنا أيضًا كانت مهمّة المدرسة -وهي من أهمّ المؤسسات الّتي تعنى بالتّعليم- إحداث تطور حضاري جديد يواجه التّحديات الحضارية التي تتعرّض لها أمّتنا، كما أنّها تعمل على بناء العقل السليم، والضّمير الواعي، والسّلوك الجيّد، والنّظرة الشموليّة للحياة، والتّفاعل مع المجتمع، والعودة به إلى الينابيع الأصلية لهذه الأمة.

٢- صور الوقف على التّعليم

كانت الأوقاف هي المورد الرئيسي للصرف على المراكز التعليمية المختلفة، فإن استمرار تلك المراكز في أداء رسالتها كان مرهوناً بما تغله الأوقاف المخصصة لها، فإن حدث وصودرت أو خربت الأوقاف المخصصة لمركز علمي معين، كان ذلك إيذاناً لبداية تدهوره وتوقفه عن أداء رسالته[٤].

١- الصفار، حسن موسى، بناء الشّخصيّة ومواجهة التّحدّيات، دار المحجّة البيضاء - دار الدّوحة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص / ١٨٧.
٢- المرجع السّابق.
٣- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، ١ / ١٢.
٤- شاهين، رياض مصطفى أحمد؛ والمدني، رشاد عمر، الأوقاف وأثرها على الحياة العلمية في بلاد الشام في العهد الأيوبي، كليّة الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ص / ٥.

١- الوقف على المدارس: كانت المدارس تنشأ بموجب وقفيات شخصية تتضمن شروط الواقف لإنشاء المدرسة ونظامها، وتبين أهدافها وطرق إدارتها وتحدد عدد طلابها وتعيين أوقافا توقف على المدرسة للإنفاق عليها ضمانا لاستمرارها، وهذه الأوقاف إما أن تكون عقارات في المدن كدور للسكن، والحوانيت والطواحين أو أية عقارات أخرى تدر دخلا، وينفق منها على المدرسة. وريع الأوقاف هو وحده مصدر التمويل والإنفاق، ولذلك فان المدرسة كانت تزدهر بمقدار ازدهار العقارات الموقوفة عليها[١].

وقد بلغت المدارس الّتي قامت على الأوقاف الكثيرة، الّتي تبرّع بها الأغنياء من قادة وعلماء وتجّار وملوك وأمراء، بلغت من الكثرة حدًّا بالغًا، فلم تخل مدينة ولا قرية في طول العالم الإسلامي وعرضه من مدارس متعدّدة، يُعلّم فيها عشرات من المعلّمين والمدرّسين. وأظهر مثال حيّ لهذه المدارس الجامع الأزهر، فهو مسجد تقام في أبهائه حلقات للدّراسة، تحيط به من جهاته المتعدّدة غرف لسكن الطّلاب تسمّى بالأروقة، يسكنها طلاب كلّ بلد بجانب واحد، فرواق للشّاميّين، ورواق للمغاربة، ورواق للأتراك...[٢]

ومن المدارس الوقفية في سوريا مدرسة النورية في دمشق، ومدراس الشّعبانيّة والعثمانيّة والخسروية في حلب، وغيرها الكثير الكثير، كما كانت مدارس دمشق العامرة الّتي يؤمّها الطّلاب تزيد على أربعمئة مدرسة، حتّى أنّ السّلطان نور الدّين الشّهيد أنشأ في سوريّة وحدها أربعة عشر معهدًا، منها ستّة في دمشق، وأربعة في حلب، واثنان في حماة، واثنان في حمص، وواحد في بعلبّك، وكان الطّالب الغريب إذا قدم دمشق يستطيع أن يقيم سنة فيها لا ينام في

١- كامل جميل العسلي، «معاهد العلم في بيت المقدس»، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ص/ ٢٣.
٢- السّباعي، ٢٠٨.

كل مدرسة إلّا ليلة واحدة[١].

٢- الوقف على المكتبات: كان للمكتبات العامّة دور كبير في نشر العلم والثّقافة، وقد أدّت دورًا مشهودًا في تطوير المجتمع وسموّه، وقد ساهم الوقف الإسلامي في نشر العلم من خلال دعمه لهذه المكتبات، كخزانة الكتب، ودار الكتب، ودار العلم، وبيت الحكمة، والوقف على المكتبات شمل عمارتها والإنفاق على العاملين عليها، وتوفير الكتب، وغير ذلك ممّا يخصّ شؤون المكتبة.

ومن هذه المكتبات: دار العلم في الموصل، ودار العلم في البصرة، ودار العلم في بغداد، ودار الحكمة في القاهرة، وخزانة الكتب في حلب، وخزانة المالكيّة في مكّة المكرّمة، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة في المدينة المنوّرة[٢].

٣- الوقف على المعلّمين: أعطي المعلّمون من أموال الأوقاف ما يكفيهم ليعيشوا عيشة هانئة، هذا عدا عما كان يعطى المدرّس من رواتب أخرى لقاء حاجاته المعاشيّة.

فقد كان الشّيخ نجم الدين الخبوشاني ممّن عيّنه السّلطان طلاح الدّين ليدرس في مدرسته الصّلاحيّة، وقد جعل له كلّ شهر أربعين دينارًا للإشراف على وقاف المدرسة، وستّين رطلًا مصريًّا من الخبز كلّ يوم، وروايتين من ماء النيل كلّ يوم[٣].

٤- الوقف على الطّلاب: شجع الوقف المتعلمين على الانخراط في التعليم،

١- المرجع نفسه، ٢٠٨-٢١٥.
٢- حريري، عبد الله محمد أحمد، دور الوقف في دعم الجوانب التربويّة والدينيّة والعلميّة والثّقافيّة، بحث مقدّم لمؤتمر الأوقاف الأوّل في المملكة العربيّة السّعوديّة المنعقد في مكّة المكرّمة عام ١٤٢٢هـ، م م: ١٧٥-٢١٢، ص/ ١٨٩-١٩٠.
٣- السّباعي، ٢٠٩-٢١٠.

والاستفادة من التسهيلات التي وفرت في المساجد والمدارس، والمكتبات من خلال تكفله بتأمين احتياجات المتعلمين من اللوازم الدراسية المختلفة؛ حيث خصصت بعض الأوقاف لتعليم الطلاب والصرف عليهم مجانًا، وإسكانهم في الأقسام الداخلية[1].

٥- الأوقاف على الأبحاث العلمية: كان الوقف من أهم مصادر تمويل الأبحاث العلمية، والقيام بسداد تكاليفها المادية من حيث الانفاق أو تشجيع العلماء الباحثين، بل إن تأسيس دور العلم ومعاهد التربية ومراكز البحث كالمدارس والمكتبات والمشافي، ما هي إلا صور من الدعم اللامحدود للبحث العلمي، وذلك بما يوفر هذا الدعم السخي للعلماء والباحثين من راحة نفسية، وأمن اجتماعي، واستقرار معيشي لكي يفكروا ويبدعوا.

ومن الشواهد على تمويل الوقف الخيري للأبحاث العلمية ما قدمه من دعم للأبحاث الطبية التي أجراها الأطباء المسلمون، حيث توصلوا إلى فكرة إدخال السكر في الأدوية، ونجاحهم في التخلص من مرارة الدواء بتحليته خاصة أدوية الأطفال[2].

ومن الممكن أن يقال إن الوقف مَول الحركة العلمية والبحثية، بتمكينه من نسخ الكتب ونشرها، وحفظها في خزائن الكتب الوقفية. يذكر العالم الجغرافي ياقوت الحموي أن ما كتبه في كتابه معجم البلدان كان مما جمعه من فوائد الكتب الموقوفة التي استعارها، حيث يقول: «كانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد، وأكثرها بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار فكنت أرتع فيها وأقتبس

١- الشلتوني، أنور- ص / ٧.
٢- حماد، تحرير شكري عبد الحميد، الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره، «المؤتمر العلمي الدولي السابع لكلية الشريعة» «التعليم الشرعي وسبل تطويره»، القدس، فلسطين، ١٤٣٨ه-٢٠١٧م، ص / ٦.

من فوائدها[١]».

٦- الكراسي العلمية الوقفية: الكراسي العلمية هي: «نموذج للبرامج الجامعية، سواء أكانت بحثية أم أكاديمية لتحقيق أهداف معينة، وتموّل عن طريق منحة شخصية حقيقية أو اعتبارية، بصورة دائمة أو مؤقتة، وفق شرائط ومنهجية محددة[٢].

ويقوم الكرسيّ العلميّ الوقفيّ على توفير تمويل لأستاذ الكرسيّ من أجل قيامه بالتّدريس والبحث العلميّ، ويكون تمويل الكرسيّ نابعًا من عوائد أوقاف أو صندوق وقفي مخصّص لتمويل هذا الكرسيّ[٣].

٣- مبرّرات تفعيل نظام الوقف الإسلاميّ في التّعليم

حينما نستحضر أن الأموال والممتلكات الحبسية قد أصبحت، مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال، تمثل جزءا كبيرا من الثروة الوطنية ومن الحركة الاقتصادية لمعظم البلدان الإسلامية، فإننا ندرك بداهة أن الوقف أصبح قوة اقتصادية فعالة في تمويل التعليم[٤].

والوقف الإسلاميّ بمبادئه وأحكامه، وبدوره التّاريخي الكبير، وبإسهاماته الضّخمة في بناء المجتمع الإسلاميّ وترقيته وتقويته وتمدينه، يعتبر رصيدًا دينيًّا وحضاريًّا هائلًا، يمكن الاعتماد عليه في تحسين أوضاع المسلمين اليوم، والإسهام

١- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ٨/ ٣٦.

٢- أحمد، خالد عبد الرحمن ياسين؛ إسماعيل، شريف محمد عبد العال، الكراسي العلمية ودورها في تنمية البحث العلمي بالجامعات السّعوديّة، المجلة التربوية، العدد الخامس والخمسون، نوفمبر ٢٠١٨، م م: ٥١-٨٣، ص/ ٥٨.

٣- بوحجلة، محمد، دور الكراسي العلميّة الوقفيّة في تحقيق الجامعة الرياديّة (نموذج الكراسي العلميّة الوقفيّة لجامعة الملك سعود)، مجلة الأبحاث الاقتصاديّة، المجلّد ١٧، العدد ٠١، السنة ٢٠٢٢، م م: ١٩٦-٢١٥، ص/ ٢٠٢.

٤- الريسوني، أحمد، ص/ ٦٥.

الفعّال في معركة التّنمية والنّهضة، ويحتاج إلى عناية ورعاية وتطوير وتمكين؛ كي يأخذ مكانته ويستأنف رسالته على نحو أوسع وأنجع ممّا هو عليه الآن[١].

كما أن نظام الوقف لو أحسن تطبيقه في العصر الحديث فسوف يسهم بقوة في علاج مشكلة الأمية والتخلف الاقتصادي الشامل الذي يجثم على صدر المجتمع الإسلامي المعاصر[٢].

ويمكن للوقف في الوقت الحاضر أن يؤدّي دوراً مهمًّا في تطوير نظام التعليم ومرافقه في مختلف المراحل الدراسية، وذلك ليس من خلال وقف الأصول الثابتة والمنقولة فحسب، بل من خلال وقف الأصول السائلة أيضاً، لكون أصحاب رؤوس الأموال اليوم هم من مُلاك الأصول السائلة، فبإمكانهم الإسهام في تمويل مجال التعليم من خلال شراء الصكوك الوقفية التي تصدرها المؤسسات الوقفية[٣].

ولا تزال هناك مجالات معرفيّة وعلميّة كثيرة تنتظر مزيدًا من الرّعاية والتّعزيز بمال الوقف من أجل ردم فجوة التّخلف عن الدّول المتقدّمة في التّعليم أو التّقليل منها، كالإنفاق من مال الوقف على برنامج التّشجيع على القراءة؛ لأنّها من وسائل التّعلّم الإنساني الّتي تزيد في الوعي الفكري، وتعزّز التّقدّم المعرفيّ، وتشجّع على التّثقيف والبحث، وتضيف أعمارًا إلى عمر الإنسان بما يستفيده من ثقافات الآخرين وخبراتهم[٤].

١- المرجع نفسه، ص/ ٦٩.
٢- جوهر، علي صالح؛ جمعة، محمد حسن، تمويل التعليم، ص/ ٩
٣- نقاسي، محمد إبراهيم؛ ليبا، محمد، الصكوك الوقفية، ص/ ١.
٤- حياة، سلماني؛ عبد اللطيف، دحية، دور الوقف في تمويل التّعليم العالي والبحث العلمي، مجلّة الاجتهاد القضائي: جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد ١٢ - العدد ٠١ (العدد التسلسلي ٢١) مارس ٢٠٢٠ - (م م: ١٧٣-١٩٠)، ١٨١.

ثالثًا: تمويل قطاع التعليم العام في الشمال السوريّ

وللإجابة عن السؤال الثالث المتعلق بتمويل قطاع التعليم العام في الشمال السوريّ فإن ذلك يتطلب التفصيل عبر البنود التالية:

مؤسسات الوقف على التّعليم العام في الشمال السّوري:

أ– المؤسسات الرسمية لدعم التعليم:

يتم دعم المدارس في الشّمال السّوريّ من خلال الإمكانات المتاحة عن طريق التنسيق بين المكتب التعليمي في المجلس المحلي ومديرية تربية كيليس وغازي عنتاب وأنطاكية ومديريات التربية في الشّمال السوريّ عبر وقف المعارف التّركيّ، يُعتبر وقف المعارف التركي بمثابة بوابة للساحة التعليمية الدولية في تركيا بحيث يسهم في تعزيز التفاعل الثقافي والحضاري، وتمهيد الطريق لتحقيق الرفاهية المشتركة. أنشأ وقف المعارف التركي بموجب القانون رقم ٦٧٢١ الصادر في ١٧ يونيو ٢٠١٦ من قبل البرلمان التركي، بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم التركية، وهو المؤسسة الوحيدة المصرح لها بتقديم الخدمات التعليمية في خارج تركيا كمؤسسة تعليمية حكومية غير ربحية، يحق لوقف المعارف التركي إدارة المؤسسات من مرحلة ما قبل المدرسة إلى مرحلة التعليم العالي. [turkiyemaarif jo maarifjordan.com (about)].

وتتم متابعة المدارس وضبطها اعتمادًا على أسس وأنظمة داخلية إدارية تسعى من خلالها لتطوير العملية التربوية التعليمية في المدارس، إضافة إلى جولات دورية تقوم بها هيئة الرقابة والتفتيش على المدارس[١].

١- خليل، محمّد أحمد، واقع التّعليم في المناطق المحرّرة وسبل تطويره، المركز السّوري للعلاقات الدّولية والدّراسات الاستراتيجيّة، المركز السّوري سيرز، ١٨ / ١ / ٢٠٢٢، ص / ١٠.

في عام ٢٠١٨، كان الراتب الشهري للمعلّم ٥٠٠ ليرة تركيّة، بما يقابل حوالي ١٣٠ دولارًا أمريكيًا. وفي عام ٢٠٢٠، تمت زيادة الراتب إلى ٧٥٠ ليرة تركيّة، بما يعادل ١١٠ دولارات أمريكيّة فقط. وفي أوائل عام ٢٠٢٢، ارتفع الرّاتب إلى ١١٠٠ ليرة تركيّة، بما يعادل ٦٥ دولارًا أمريكيًا فقط. وفي الآونة الأخيرة حدّدت وزارة التعليم التركيّة راتب المعلّمين السوريين بـ ١٩٢٥ ليرة، أي ما يعادل الآن حوالي ١٠٠ دولار أمريكي فقط[١].

وعملت وزارة التربية التركية من خلال وقف المعارف التركي على طبع الكتب المدرسية المجانية التي تُدرّس في هذه المنطقة للمراحل التعليمية جميعها[٢].

ب- المؤسسات الخاصّة:

تقوم بعض الجهات الوقفيّة الخاصّة بدعم التعليم في الشمال السوري، وقد حاول الباحثان التّواصل مع إدارات الأوقاف العاملة هناك للتزّود ببعض المعلومات عن طبيعة عمل تلك المؤسّسات، لكن قوبلا بالمنع لظروف خاصّة، وقد حصل الباحثان على بعض المعلومات من مصادر أخرى تعمل في تلك الجهات، وهي -بطبيعة الحال- معلومات عامّة غير تفصيليّة.

يعمل في الشمال السّوري وقفان خاصّان، هما: وقف عزير هدائي، ووقف معارف. أمّا وقف عزيز هُدائي (عزيز بركة): فهو وقف للأعمال الإغاثيّة والتّعليميّة، يعمل في الشمال السّوري في مناطق (الراعي وإدلب تل أبيض ورأس العين).

١- أبو عمشة، عُلى، أزمة التعليم في سوريا - وجهة نظر المعلّمين، الشبكة المشتركة بين الوكالات للتعليم في حالات الطوارئ، منشور ١٤ فبراير ٢٠٢٣، أزمة التعليم في سوريا - وجهة نظر المعلّمين / INEE.

٢- النمر، محمد نور؛ وحكواتي، سماح، التعليم في مناطق الشمال السوري (عفرين، جرابلس، اعزاز، الباب) بحث استكشافي، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ٣٠/ آذار/ ٢٠٢٠، ص/ ٨.

قام ببناء خمس مدارس، واحدة في الرّاعي في ريف حلب، وأربعة في محافظة إدلب، كما قام بإصلاح مدرستين، واحدة في رأس العين، والأخرى في تل أبيض من محافظة الحسكة. كما قام بتجهيز سبع مدارس بالأثاث والمعدّات.

- دعم المعلّمين: يقوم (وقف هدائي) بتقديم رواتب لتسعين (٩٠) معلّمًا مندوبًا من التربية، بمقدار (١٥٠٠) ليرة تركية، بالإضافة إلى الرّاتب الّي يتقاضاه من التّربية، كما يقد سلال غذائيّة بين الحين والآخر لهؤلاء المعلّمين.
- دعم الطّلاب: يقوم وقف هدائي بتأمين مبيت مع تقديم الطعام والشّراب لـ (٤٥٠) طالبًا، كما أنّه يقوم بتقديم سلال غذائيّة في بعض المناسبات لـ (٣٠٠٠) طالب تقريبًا.

ووقف معارف: له مدرستان فقط، إحداهما في مدينة إعزاز، والثّانية في مدينة الراعي، وكلاهما في الريف الشّمالي لمحافظة حلب. والمدرستان تحملان اسم «ثانوية العلوم والتكنولوجيا» فهي خاصة بطلاب الثّانويّة. وللطلاب في المدرستين مبيت مكفول من وقف معارف، والّذين يبلغ عددهم ثمانون (٨٠) طالبًا في كلّ مدرسة.

المبحث الثّاني: الطريقة والإجراءات (الجانب العملي) ويتضمّن ما يلي:

للإجابة عن الأسئلة (الرّابع والخامس والسّادس) المتعلقة: بمعوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السوري، ومجالات توظيف الوقف على التعليم في الشمال السوريّ، وسبل تعزيز دور الوقف على التعليم العام، قام الباحثان بإعداد مستلزمات ذلك عبر النزول إلى الميدان، وفق الخطوات التالية:

منهج البحث:

سبق القول بأنّ المنهج المستخدم في البحث هو المنهج الوصفي المسحي، نظرًا لمحدودية المجتمع الأصلي للبحث، ولتحقيق غرض البحث قام الباحثان ببناء أداة البحث على النحو التالي:

١ – أداة البحث:

تم تطوير أداة (مقياس) لتحديد مستوى تقدير كل بند من بنود الاستبانة لمقياس دور الوقف في تمويل التعليم العام لدى أفراد عينة البحث، وذلك بالرّجوع إلى الأدب النظري والدراسات السّابقة، وتمّ تصميم الأداة على مقياس خماسي، وتناول المقياس بصورته النّهائيّة المحاور التّالية:

المحور الأول: (وهو الإجابة عن السّؤال الرّابع من أسئلة البحث) معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السوري، ويتضمن (١٤) بندًا.

المحور الثاني: (وهو الإجابة عن السّؤال الخامس من أسئلة البحث) سبل تعزيز دور الوقف على التعليم العام في الشمال السوري، ويتضمن (٢٠) بندًا.

المحور الثّالث: (وهو الإجابة عن السّؤال السّادس من أسئلة البحث) مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام في الشمال السوري، ويتضمن (٢٦) بندًا.

٢ – صدق أداة البحث:

تمّ عرض المقياس بصورته الأوليّة على خمسة محكّمين من ذوي الخبرات، وذلك لإبداء آرائهم في صدق المضمون وانتماء العبارات للمقياس، ومدى ملاءمتها لقياس ما وضعت لمقياسه، ومن ثَم تم اقتراح التعديلات المناسبة، وبناء

على آراء المحكّمين تمّ تعديل بعض الفقرات من ناحية الصّياغة، وحذف بعض الفقرات لعدم ملاءمتها للمقياس، وتمّ اعتبار آراء المحكّمين وتعديلاتهم دلالة على صدق محتوى أداة البحث.

٣– مجتمع البحث:

جميع الإداريين في مؤسسات التعليم العام والمؤسسات الوقفية في الشمال السوري، والبالغ عددهم (١٥٠) تقريبًا.

٤– عينة البحث:

تمّ اختيار عيّنة البحث بالطريقة العشوائيّة البسيطة من الإداريين في مؤسسات التعليم العام والمؤسسات الوقفية في الشمال السوري، والّتي تقدّر بـ (٥٠) مبحوثًا، وتم توزيع الاستبانات عليهم إلكترونيًّا، وتمّ الحصول على (٣٥) استجابة، والتي تمثّل ما نسبته تقريبًا (٧٠٪) من عينة البحث.

٥– الأساليب الإحصائيّة المستخدمة في البحث:

تمّ استخدام الأساليب الإحصائيّة ذات العلاقة بالكشف عن معوقات توظيف الوقف في المجال التعليمي، وسبل تعزيز دوره، ومجالات توظيفه في حقل التعليم، وهي:

- التكرارات: وذلك لبيان عدد مرّات تحقّق وجود المعوقات، وسبل التعزيز، ومجالات التوظيف.
- النسب المئوية: لبيان نسبة وجود كلّ من المعوقات، وسبل التعزيز، ومجالات التوظيف.

لتحديد مستوى تقدير كل بند من بنود الاستبانة لمقياس دور الوقف في

تمويل التعليم العام لدى أفراد عينة البحث، تم إعطاء إجابات فئة لدى أفراد عينة الدراسة عن كل مقياس قيماً متدرجة وفقاً لمقياس خماسي كما هو موضّح في تصحيح المقياس، وتم حساب طول الفئة على النحو التالي:

- حساب المدى وذلك بطرح أكبر قيمة في المقياس من أصغر قيمة (٥-١=٤).
- حساب طول الفئة وذلك بتقسيم المدى وهو (٤) على عدد الفئات (٥)

٤÷٥= ٠,٨ (طول الفئة)

إضافة طول الفئة وهو (٠,٨) إلى أصغر قيمة في المقياس وهي (١)، وذلك للحصول على الفئة الأولى، لذا كانت الفئة الأولى من (١-١,٨)، ثم إضافة طول الفئة إلى الحد الأعلى من الفئة الأولى، وذلك للحصول على الفئة الثانية وهكذا للوصول إلى الفئة الأخيرة.

واستناداً إلى قاعدة التقريب الرياضي يمكن التعامل مع قيم المتوسطات الحسابية لإجابات أفراد عينة الدراسة كما هو مبين في الجدول الآتي:

الجدول (١) فئات قيم المتوسط الحسابي(الرتبي) ومستوى المتغير المدروس الموافقة لها

المستويات	المستويات	التقييم
المستوى الأول	١-١,٨	منخفض جداً
المستوى الثاني	١,٨١-٢,٦٠	منخفض
المستوى الثالث	٢,٦١-٣,٤٠	متوسط
المستوى الرابع	٣,٤١-٤,٣٠	مرتفع
المستوى الخامس	٤,٣١-٥	مرتفع جداً

السؤال الرّابع: ما معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السوري؟

ولمعرفة درجة التقدير على كل بند من بنود المعوقات، قام الباحثان بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة على كل بند من بنود الاستبانة وترتيبها تنازلياً على النحو الآتي:

جدول (٢) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة على بنود مجال معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام

رقم البند	بنود مجال معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	التقدير	الترتيب
١٤	عدم توجيه ريع الأوقاف المخصصة لرعاية المعلمين والطلاب	٤,٢٩	٠,٩٥٧	مرتفع	١
١٣	عدم توفير أوقاف خاصة للتعليم مثل إعداد المناهج وتطوير أعضاء هيئة التدريس ورعاية الطلاب ودعم البحث العلمي	٤,٢٦	٠,٧٨٠	مرتفع	٢
١	ضعف الوعي المجتمعي بأهمية الوقف الخيري على المؤسسات التعليمية	٤,١٧	٠٧٤٧	مرتفع	٣
٢	ضآلة ريع الأوقاف على التعليم	٤,١٤	٠,٩٧٤	مرتفع	٤
٥	إحجام الموسرين عن وقف الأوقاف لصالح مؤسسات التعليم	٤,٠٦	٠,٧٢٥	مرتفع	٥
١٢	عدم توجيه المسؤولية الاجتماعية في الكيانات الكبرى للعناية بالوقف على التعليم	٤,٠٦	٠,٨٠٢	مرتفع	٦
٦	اقتصار المساهمة الشعبية في دعم المؤسسات التعليمية وأنشطتها على التبرعات المتواضعة المقطوعة دون الأوقاف المستمرة	٤,٠٣	٠,٨٩١	مرتفع	٧
٣	فقدان بعض الأوقاف مع طول العهد بسبب الإهمال	٣,٩١	٠,٩٨١	مرتفع	٨

١٠	معاناة مؤسسات التعليم والثقافة من أن واقفيها لا يخصصون لها أوقافًا من أملاكهم لاستمرار تمويلها	٣,٨٦	٠,٨٧٩	مرتفع	٩
٤	عدم الالتفات إلى الأوقاف التعليمية المدمرة ومحاولة إحيائها	٣,٨٢	٠٥٨..١	مرتفع	١٠
٨	ضعف الثّقة بالجهة المشرفة على التّعليم	٣,٦٦	١,٠٨٣	مرتفع	١١
١١	عزوف مشرفي الأوقاف التعليمية والثقافية ونظارها عن تحمل أعباء وتبعات الوقف الإدارية والمالية	٣,٥٩	٠,٨٢١	مرتفع	١٢
٩	عدم الفاعلية الإدارية والرقابية للجهة الرسمية المشرفة على الأوقاف	٣,٥٧	١,٠٠٨	مرتفع	١٣
٧	تراجع ثقة الراغبين في الوقف بالجهة المشرفة على الأوقاف	٣,٥٤	١,٢٢١	مرتفع	١٤

يلاحظ من الجدول رقم (٢) أن جميع بنود مجال معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السوري كانت مرتفعة ولكن أكبر معوق لتوظيف الوقف في تمويل التعليم العام في الشمال السوري هو عدم توجيه ريع الأوقاف المخصصة لرعاية المعلمين والطلاب، حيث حصلت على أعلى متوسط حسابي يليه عدم توفير أوقاف خاصة للتعليم مثل إعداد المناهج وتطوير أعضاء هيئة التدريس ورعاية الطلاب ودعم البحث العلمي، ويليه ضعف الوعي المجتمعي بأهمية الوقف الخيري على المؤسسات التعليمية، وكان أقلّ معوق هو تراجع ثقة الراغبين في الوقف بالجهة المشرفة على الأوقاف والشكل رقم (١) يوضح ذلك:

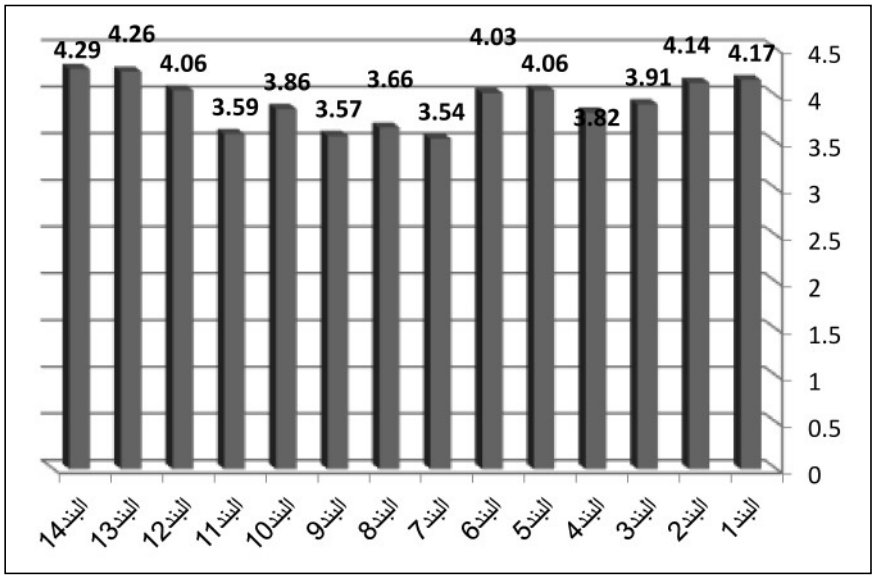

الشكل رقم (١) يوضح الشكل البياني لأبرز معوقات توظيف الوقف في تمويل التعليم العام

ويفسر الباحثان ذلك: أنّ الفصل بين المؤسسات، واختصاص الأوقاف بالمؤسسة الدينيّة الّتي تشرف على المساجد وحلقات التعليم فيها فقط، وتبعيّة الأوقاف لها إداريًّا، حال دون تخصيص جزء من ريع تلك الأوقاف على التّعليم العام، فصار للتّعليم وزارة خاصّة به هي وزارة التربية والتّعليم تنفق عليه من ميزانيّة الدّولة، وللأوقاف ميزانيتها والّتي تشارك فيها الدّولة، مع الاعتماد على إيرادات الأوقاف الخيريّة، وهذا يتّفق مع ما خلصت إليه دراسة مي علي محمود حسن (٢٠١٤)، ودراسة فادي فتحي الأشرم (٢٠١٩) إلى أنّ أهم العقبات الّتي تحول دون استثمار الوقف في التّعليم هي القانونية والإدارية والمؤسساتية.

ضعف الوعي المجتمعي بأهمية الوقف الخيري على المؤسسات التعليمية، وإحجام الموسرين عن وقف الأوقاف لصالح مؤسسات التعليم، فيرى الباحثان أنّ هذا الخلل مردُّه عدم فقهٍ لمفهوم العمل الخيري في الإسلام؛ فالعمل الخيري

عندهم مرتبط بالشعائر والعلوم الشرعية فقط، أما أمور إعمار الأرض وعلوم الحياة فهو مما يقع في مرتبة متأخرة جدًا في الأولويات، أو لعله لا يقع في الأولويات أصلاً[1]. وكثير من المسلمين يحرصون على بناء مسجدٍ في بلدٍ قد يكون فيه عشرة مساجد أو يزيد، ولكنهم لا يحرصون على بناء مدرسةٍ في نفس البلد، رغم افتقارها إلى مدرسةٍ واحدةٍ متخصصة.

أمّا كون «تراجع ثقة الراغبين في الوقف بالجهة المشرفة على الأوقاف فهو أقلّ تحدّ -مع ارتفاعه- فيعود ذلك إلى أنّ معظم المشتغلين في إدارات الوقف من ذوي السّمعة الحسنة وأصحاب المروءات، وإن كان بعضهم تنقصه الخبرة الإداريّة، أو مقيّد ببعض القوانين السّائدة، ممّا لا يمكّنه ذلك من تطوير أمر الأوقاف وزيادة فاعليّتها ومردودها.

السؤال الخامس: ما مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام في الشمال السوري؟

وللإجابة عن هذا السؤال فإن ذلك تطلّب معرفة درجة التقدير على كل بند من بنود مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام، قام الباحثان بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة على كل بند من بنود الاستبانة وترتيبها تنازلياً على النحو الآتي:

١- السّرجانيّ، راغب، العلم وبناء الأمم- دراسة تأصيليّة لدور العلم في بناء الدّولة، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص/ ٢٢.

جدول (٣) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة على بنود مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام

رقم البند	بنود مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	التقدير	الترتيب
١٢	الإنفاق على المعلّمين بما يحقق كفايتهم المادية	٤,٨٣	٠,٣٨٢	مرتفع جداً	١
١٧	تقديم حوافز للمعلمين	٤,٨٠	٠,٤٠٦	مرتفع جداً	٢
١٤	تحقيق تكافؤ الفرص بتوفير التعليم المجاني للجميع	٤,٧٤	٠,٤٤٣	مرتفع جداً	٣
١٨	استقطاب كوادر تعليمية على قدر كبير من الكفاءة والتميز	٤,٦٩	٠,٥٣٠	مرتفع جداً	٤
١٥	تغطية النفقات التشغيلية للمدارس	٤,٦٠	٠,٤٩٧	مرتفع جداً	٥
١٣	الإنفاق على الطلبة بما يمنعهم من التسرّب	٤,٥٤	٠,٥٦١	مرتفع جدا	٦
١٦	تقديم حوافز لطلاب	٤,٥٤	٠,٦٥٧	مرتفع جدا	٧
٢٦	توفير التجهيزات لذوي صعوبات التعليم أو ذوي الاحتياجات الخاصّة	٤,٥١	٠,٥٦٢	مرتفع جدا	٨
٨	تجهيز المختبرات والمعامل بما يلزم من أدوات مخبرية ومواد كيماوية وأجهزة	٤,٥١	٠,٥٦٢	مرتفع جدا	٩
٩	توفير الوسائل التعليمية كالخرائط والنماذج وغيرها	٤,٤٩	٠,٥٠٧	مرتفع جدا	١٠
٢٢	إنشاء صندوق الوقف التعليمي لدعم الطلاب المحتاجين بالتبرعات أو القرض الحسن	٤,٤٣	٠,٥٥٨	مرتفع جدا	١١
٢١	التبرعات للأبحاث العلمية والدراسات العليا فيما يخصّ التعليم العام	٤,٤٣	٠,٥٥٨	مرتفع جدا	١٢
٤	بناء المكتبات العامة	٤,٤٣	٠,٦٠٨	مرتفع جدا	١٣

٢٥	توفير دورات تقوية للمحتاجين	٤,٤٣	٠,٦٥٥	مرتفع جدا	١٤
٦	بناء معاهد ومؤسسات لرعاية ذوي الحاجات الخاصة من الطلاب	٤,٤٣	٠,٦٥٥	مرتفع جدا	١٥
١٩	تطوير وتنمية قدرات الهيئة التدريسية عن طريق الدورات التدريبية وحضور المؤتمرات	٤,٤٠	٠,٦٩٥	مرتفع جدا	١٦
١٠	تزويد مكتبات المدارس بالكتب النافعة للطلاب	٤,٣٧	٠,٦٩٠	مرتفع جدا	١٧
١١	تزويد المدارس بوسائل نقل للطلاب من وإلى المدرسة	٤,٣٤	٠,٧٢٥	مرتفع جدا	١٨
١	شراء الأراضي الواسعة الصالحة لأن تكون مدرسة	٤,٢٩	٠,٨٢٥	مرتفع جدا	١٩
٢	بناء المدارس والمعاهد وتشييدها، وكلّ ما يتبع لها من مكتبات وسكن وأثاث	٤,٢٦	٠,٧٤١	مرتفع	٢٠
٢٣	توفير الرحلات العلميّة والترفيهية	٤,٢٦	٠,٩٢٣	مرتفع	٢١
٧	بناء المظلات في أفنية المدارس وخاصة المدارس الكبيرة	٤,١١	٠,٩	مرتفع	٢٢
٣	بناء الصفوف الإضافية في المدارس ذات الكثافة الطلابية العالية	٤,٠٩	١,٠٦٧	مرتفع	٢٣
٢٠	زيادة أعضاء هيئة التدريس وتقليل نسبة أعضاء هيئة التدريس إلى الطلاب لنسب قليلة	٣,٩٧	٠,٩٢٣	مرتفع	٢٤
٥	بناء مساكن للطلاب في المدارس التي نظامها داخلي	٣,٩٤	١,١١٠	مرتفع	٢٥
٢٤	تقديم الوجبات الغذائيّة للطلبة	٣,٨٠	١,١٣٢	مرتفع	٢٦

يلاحظ من الجدول رقم (٣) أن أفضل مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام في الشمال السوري هو الإنفاق على المعلّمين بما يحقق كفايتهم المادية، يليه تقديم حوافز للمعلمين، يليه تحقيق تكافؤ الفرص بتوفير التعليم المجاني للجميع ، بينما أقل مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام هو تقديم الوجبات الغذائيّة للطلبة، والشكل رقم (٢) يوضح ذلك:

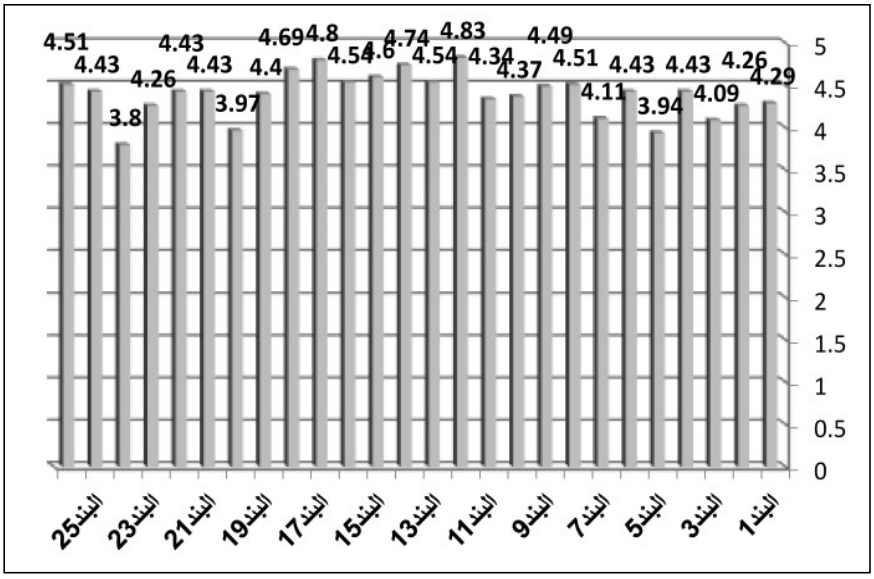

الشكل رقم (٢) يوضح الشكل البياني لأبرز مجالات توظيف الوقف في ميدان تمويل التعليم العام

ويفسر الباحثان ذلك: أنّه لمّا كان المعلّم هو أكثر متضرّر من عدم الإنفاق عليه وعدم كفايته وقلّة تقديم الحوافز إليه، وبالتالي عودة هذا الضّرر إلى العمليّة التّعليميّة بأكملها؛ لذلك جاء أولى مجالات توظيف الأوقاف في دعم التعليم هو كفاية المعلّم، وخاصّة أنّ من أبرز الصعوبات التي يواجهها المعلم في مدراس الشمال السوريّ هو تدني الراتب الذي يتقاضاه مقابل وظيفته مقارنة مع تردي الوضع الاقتصادي في المنطقة، وارتفاع الأسعار بشكل كبير وتراجع قيمة العملة،

حيث بلغ راتب المعلّم (١٩٢٥) ليرة تركية، أي ما قيمته (٧٠$) فقط، وربما لدى بعض المعلّمين عمل آخر غير التدريس يمكن أن يساعدهم على تأمين المعيشة، لكن هذا غير متوفر لجميع المعلمين مما يمكن أن ينعكس سلبًا على جودة العملية التعليمية، فإذا كان راتب المعلم متدنيًا فذلك سيجعله دائمًا يفكر في تأمين مدخول ثان غير راتب التدريس لتأمين المعيشة لعائلته، مما يجعله لا يعطي المعلومة للطالب بالجودة المطلوبة[١].

وسبب مجيء تقديم الوجبات الغذائيّة للطلبة في آخر المجالات كون المدارس في الشّمال السّوريّ ذات دوام جزئي لا يتجاوز أربع ساعات يعود بعدها الطّالب إلى بيته، وهذه المدّة القصيرة لا تستوجب تقديم وجبات غذائيّة؛ إذ لا يتمكّن فيها الجوع لدى الطالب، وكفاية الطالب من مستلزمات المدرسة وأدوات التّعليم يقدّم عليها بطبيعة الحال.

السؤال السّادس: ما سبل تعزيز دور الوقف على التعليم العام في الشمال السوري؟

ولمعرفة درجة التقدير على كل بند من بنود سبل تعزيز دور الوقف، قام الباحثان بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة على كل بند من بنود الاستبانة وترتيبها تنازلياً على النحو الآتي:

١- خليل، محمّد أحمد، ص/ ٤.

جدول (٤) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لدرجات أفراد عينة الدراسة على بنود مجال سبل تعزيز دور الوقف

رقم البند	بنود مجال سبل تعزيز دور والوقف	المتوسطات الحسابية	الانحرافات المعيارية	التقدير	الترتيب
١٣	نشر الوعي بين أفراد المجتمع عامة والموسرين خاصة بأن الوقف على التعليم قربة إلى الله تعالى وصدقة جارية	٤,٥٧	٠,٥٠٢	مرتفع جداً	١
٣	استثمار الأموال الوقفية المجمّدة	٤,٥١	٠,٥٦٢	مرتفع جداً	٢
١٩	الاستفادة من أئمة وخطباء المساجد للتعريف بأهمية الوقف على التعليم	٤,٤٦	٠,٦٥٧	مرتفع جداً	٣
١٥	التعريف بالمجالات التي من الممكن أن يسهم الوقف فيها في العملية التعليمية	٤,٣٤	٠,٥٣٩	مرتفع جداً	٤
١	إبراز الرؤية المستقبلية لتوظيف الوقف الإسلامي تربويًا ودوره في تمويل التعليم	٤,٣٤	٠,٨٣٨	مرتفع جداً	٥
٥	جعل الأولويّة في الإيرادات الوقفية لدعم التعليم العام	٤,٣١	٠,٩٠٠	مرتفع جداً	٦
٨	توظيف الإعلام الجماهيري في بث الرغبة للتبرع بالأوقاف التعليمية وتوثيق تبرعاتهم	٤,٢٩	٠,٦٦٧	مرتفع	٧
٦	اعتماد معايير الجودة في إدارة الوقف الخيري	٤,٢٩	٠,٧١٠	مرتفع	٨
٢٠	إعداد الدراسات والبحوث التي من شأنها تفعيل دور الوقف في العملية التعليمية	٤,٢٩	٠,٧٥٠	مرتفع	٩
١٤	التنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الاستفادة من ريع بعض الأوقاف	٤,٢٤	٠,٦٥٧	مرتفع	١٠
٢	إبراز نماذج للوقف في الشمال السوري	٤,٢٣	٠,٥٩٨	مرتفع	١١

٩	تنظيم اجتماعات سنوية لصناديق الوقف	٤,٢٣	٠,٦٩٠	مرتفع	١٢
١٨	دراسة وحصر الاحتياجات التعليمية التي يمكن الإنفاق عليها من الأموال الوقفية، وترتيبها وفق الأولويات	٤,٢٣	٠,٦٩٠	مرتفع	١٣
٧	تنظيم حملات دورية لاستقطاب الوقف التعليمي بالتعاون مع المراكز الدعوية	٤,٢٣	٠,٧٣١	مرتفع	١٤
١٠	تأسيس شركات استثمارية لاستثمار الأوقاف	٤,٢١	٠,٩٤٦	مرتفع	١٥
١٧	وضع الإجراءات واللوائح المنظمة لعملية الوقف في مجال التعليم	٤,٢٠	٠,٥٣١	مرتفع	١٦
١١	تكريم المساهمين بالوقف بملتقى سنوي	٤,١٤	٠,٨٧٩	مرتفع	١٧
٤	تفعيل دور لجنة عليا مستقلّة للإشراف على الأوقاف	٤,١١	٠,٨٣٢	مرتفع	١٨
١٦	حصر الأوقاف المحبسة على التعليم في سوريا وتقديم دراسة لكيفية الاستفادة منها في العملية التعليمية	٣,٩٤	٠,٦٠٩	مرتفع	١٩
١٢	ذكر أسماء المساهمين بالتقرير السنوي لصندوق الوقف التعليمي.	٣,٨٣	١,٠٤٣	مرتفع	٢٠

يلاحظ من الجدول رقم (٤) أن أفضل سبل تعزيز دور الوقف على التعليم العام هو نشر الوعي بين أفراد المجتمع عامة والموسرين خاصة بأن الوقف على التعليم قربة إلى الله تعالى وصدقة جارية، ويليه استثمار الأموال الوقفية المجمّدة، ويليه الاستفادة من أئمة وخطباء المساجد للتعريف بأهمية الوقف على التعليم، حيث حصلت على تقدير مرتفع جداً بينما كان أقل سبل تعزيز دور الوقف هو ذكر أسماء المساهمين بالتقرير السنوي لصندوق الوقف التعليمي، والشكل رقم (٣) يوضح ذلك:

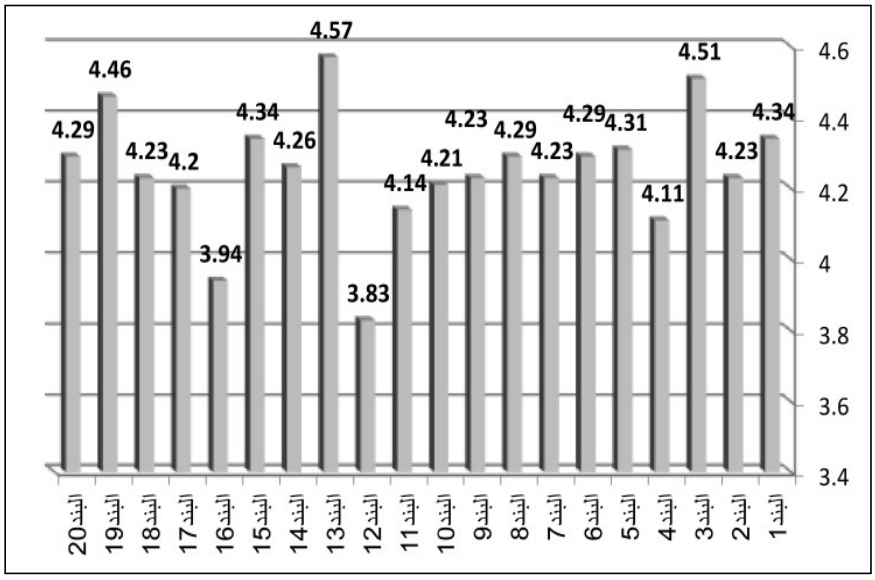

الشكل رقم (٣) يوضح الشكل البياني لأبرز سبل تعزيز دور الوقف على التعليم العام

ويفسر الباحثان ذلك: أنّ من طبع عامة المسلمين الاستجابة لما فيه طاعة لله وتقرّب منه، ومن عادة أهل الثّراء منهم بذل المال في سبيل الله، لكن لّما غاب مفهوم الوقف التعليمي وأثره ووجه القربة فيه عن كثير منهم -كما ظهر في المحور السّابق- كان نشر الوعي بينهم هو أولى سبيل لتعزيز دور الوقف على التعليم العام، لذا كان تبصير المسلمين وحثّهم على وقف الأراضي والعقارات الّتي يرغبون وقفها لصالح التّعليم مطلبًا رئيسًا وهامًّا من وجهة نظر الإداريين، سواء في المؤسسات التعليمية أو المؤسسات الوقفية.

وقد لعب الوقف في المجتمع الإسلامي، دوراً مهماً في نهضة الدعوة الإسلامية العلمية، وفي نهضة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، فقد قدم جميع أنواع الخدمات التعليمية من إنشاء مؤسسات تعليمية ومكتبات ومساكن للطلاب والخدمات الصحية، كما نشأ كثير من المؤسسات الجامعية العربية العريقة اعتمادًا

على المال الخاص الذي كان يقدم في شكل أوقاف، كجامعة الأزهر الشريف في مصر، وجامعة القرويين بفاس، وجامعة الزيتونية في تونس، وجامعة النظامية في العراق[1].

والمدارس الّتي قامت على الأوقاف الكثيرة الّتي تبرّع بها الأغنياء من قادة وعلماء وتجّار وملوك وأمراء، فقد بلغت من الكثرة حدًّا بالغًا، وحسبك أن تعلم أنّه لم تخل مدينة ولا قرية في طول العالم الإسلاميّ وعرضه من مدارس متعدّدة، يعلِّم فيها عشرات من المعلّمين والمدرّسين[2].

وهذا ابن جبير الأندلسيّ هاله ما رأى في المشرق من كثرة المدارس والغلّات الوافرة الّتي تغلّه أوقافها، فدعا المغاربة أن يرحلوا للمشرق لتلقّي العلم، وكان ممّا قاله: «وتكثر الأوقاف على طلاب العلم في البلاد المشرقيّة كلّها وبخاصّة دمشق، فمن شاء الفَلاح من أبناء مغربنا فليرحل إلى تلك البلاد، فيجد الأمور المعينة على طلب العلم كثيرة، وأوّلها فراغ البال من أمر المعيشة[3]».

ويرى الباحثان أنّ «ذكر أسماء المساهمين بالتقرير السنوي لصندوق الوقف التعليمي» وحصوله على أقلّ نسبة يرجع إلى كون ذلك أمرًا ثانويًّا، ولأنّ معظم المساهمين لا يرغب بنشر اسمه في سجل الواقفين، بل غايته أن يكون العمل خالصًا لله تعالى لا تشوبه سمعة، ولا يفسده رياء.

١- صبيح، لينا زياد، صيغ تمويل التعليم المستقاة من الفكر التربوي الإسلامي وأوجه الإفادة منها في تمويل التعليم الجامعي الفلسطيني، درجة الماجستير بكلية التربية في الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٥-٢٠٠٥م، ص/ ٥٧.
٢- السّباعي، مصطفى، ١٠٠.
٣- المرجع نفسه، ١٠٤.

التوصيات والمقترحات:

في ضوء نتائج الدراسة ومناقشتها وتفسيرها فإن الدراسة توصي بما يلي:

- التعاون بين إدارتي الأوقاف والتعليم لتفعيل دور الوقف على التعليم العام.
- توحيد خطبة الجمعة في جميع مساجد الشمال السوري وحث المسلمين على وقف أموالهم لأجل التعليم.
- كتابة مطويّات توزّع على أصحاب رؤوس الأموال تبيّن لهم قيمة الوقف وعظم أجر فاعله.
- بيان أثر الوقف على التعليم في التراث الإسلاميّ، وأنه سبيل تقدم الأمة وازدهارها وبناء حضارتها.
- إبراز ضرورة التعليم في أوساط المجتمع ، والتحذير من الجهل والتّجهيل.
- الاستعانة بخبراء الإدارة والاقتصاد لتنظيم عمل الوقف في الشمال السّوري.
- ضرورة كفاية المعلم من ضرورات الحياة، والسّعي لكفايته من الكماليّات، بما يخصّص له من مال الوقف.
- ضرورة كفالة الطّالب، وخاصّة الفقير واليتيم، وإتاحة فرصة التعليم له، بما يبذل له من مال الوقف.
- تأمين كافّة مستلزمات المدرسة، بما يحقق متعة التعليم ويواكب التطورات الحديثة.

المصادر والمراجع:

- ابن عاشور، محمد الطّاهر، أليس الصّبح بقريب، التعليم العربيّ الإسلاميّ، دراسة تاريخيّة وآراء إصلاحيّة، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّرجمة، مصر، ط١، ٢٠٠٦.
- أبو جلالة، لمياء مصطفى حسن، الدور التربوي لأعضاء هيئة التدريس الجامعي في مواجهة تحديات العولمة وسبل تطويره من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة - غزّة، ٢٠٠٣.
- أبو عمشة، عُلى، أزمة التعليم في سوريا - وجهة نظر المعلّمين، الشبكة المشتركة بين الوكالات للتعليم في حالات الطوارئ، منشور ١٤ فبراير ٢٠٢٣، أزمة التعليم في سوريا - وجهة نظر المعلّمين / INEE.
- أحمد، خالد عبد الرحمن ياسين؛ إسماعيل، شريف محمد عبد العال، الكراسي العلمية ودورها في تنمية البحث العلمي بالجامعات السّعوديّة، المجلة التربوية، العدد (٥٥)، نوفمبر ٢٠١٨، م م: ٥١-٨٣.
- الأشرم، فادي فتحي، نحو استراتيجيّة تنموية لتطوير الوقف التعليمي لتمويل التعليم الجامعي في فلسطين ٢٠١٨م، رسالة ماجستير، فبراير / ٢٠١٩ م - جمادى الأولى / ١٤٤٠هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، تصوير: محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ لدى دار طوق النجاة.
- التّحدّيات التي تواجه التعليم في الدول العربية وتأثيرها على الفقر متعدّد الأبعاد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - إدارة التربية، ٢٠١٩.
- التعليم للجميع / الأمم المتحدة (un.org) (د.ت).
- الحديدي، عماد أمين سعيد، تطوير أداء القيادات الإدارية بوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية في ضوء التحديات المعاصرة، جامعة عين شمس، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت: يوسف حج محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.
- الريسوني، أحمد، الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده، دار الكلمة للنشر والتّوزيع، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤.
- السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، دار الورّاق للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٠-١٩٩٩.
- السّرجانيّ، راغب، العلم وبناء الأمم، – دراسة تأصيليّة لدور العلم في بناء الدّولة، مؤسسة اقرأ، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة، المبسوط، مطبعة السعادة – مصر، (د.ت).
- الشربيني، محمد بن محمد، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
- الشلتوني، أنور محمد، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفاعل في النهضة العلمية للأمة، ٢٠١١.
- الصفار، حسن موسى، بناء الشّخصيّة ومواجهة التّحدّيات، دار المحجّة البيضاء – دار الدّوحة، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
- الطبرانيّ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت، (د.ت).
- الغنيمي، محمد سلامة، تصور مقترح تطوير نظام تمويل التعليم في ضوء الرؤية الإسلامية، الجمعية الدولية للتعليم والتعلم الإليكتروني، ٢٢ / ١٠ / ٢٠٢١.

- القحطاني، مبارك فهيد سرحان، أبرز التحديات المستقبلية التي تواجه القيادات التربوية في المملكة العربية السعودية وسبل مواجهتها، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد: (١٧٠) الجزء الأول أكتوبر لسنة ٢٠١٦ م.
- المَرْداوي، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- المعيلي، عبد الله بن عبد العزيز، دور الوقف في العملية التعليمية، ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية، م م: ٦٩٢-٧٤٥.
- النمر، محمد نور؛ وحكواتي، سماح، التعليم في مناطق الشمال السوري (عفرين، جرابلس، اعزاز، الباب) بحث استكشافي، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ٣٠/ آذار / ٢٠٢٠.
- النووي، محيي الدين بن شرف، المجموع شرح المهذب، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي - القاهرة، ١٣٤٧هـ.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨ه.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، ت: زهير الشّاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط٢، ١٣٩٢م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- (): بوحجلة، محمد، دور الكراسي العلميّة الوقفيّة في تحقيق الجامعة الرياديّة (نموذج الكراسي العلميّة الوقفيّة لجامعة الملك سعود)، مجلة الأبحاث الاقتصاديّة، المجلّد ١٧، العدد ٠١، السنة ٢٠٢٢، م م: ١٩٦-٢١٥.

- جوهر، علي صالح؛ الباسل، ميّادة، الاستثمار الأمثل في تمويل التعليم، ٢٠١٦ (د.ن).
- جوهر، علي صالح؛ جمعة، محمد حسن، تمويل التعليم والوقف في المجتمعات الإسلامية، رؤية اقتصادية تربوية، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع ، ٢٠١١.
- حتاملة، حابس محمد خليفة، تحديات التعليم العالي في الأردن، مجلّة بحوث التّربية النّوعيّة، جامعة المنصورة، عدد (٣٧) - يناير (٢٠١٥). م م: ٣٦-٦٦.
- حريري، عبد الله محمد أحمد، دور الوقف في دعم الجوانب التربويّة والدينيّة والعلميّة والثّقافيّة، بحث مقدّم لمؤتمر الأوقاف الأوّل في المملكة العربيّة السّعوديّة المنعقد في مكّة المكرّمة عام ١٤٢٢هـ، م م: ١٧٥-٢١٢.
- حسانين، فياض عبد المنعم، دور الوقف الخيري في تمويل التعليم العالي في مصر، المجلّة العلميّة لقطاع كليّات التجارة، جامعة الأزهر، العدد الحادي عشر -٢٠١٤م، م م: ٢١٨-٢٥٣.
- حسن، مي علي محمود، الوقف كمصدر من مصادر التّمويل مع التطبيق على قطاع التعليم العالي والبحث العلمي في مصر، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ٢٠١٤.
- حماد، تحرير شكري عبد الحميد، الوقف وأثره في دعم التعليم الشرعي وتطويره، «المؤتمر العلمي الدولي السابع لكلية الشريعة» «التعليم الشرعي وسبل تطويره»، القدس، فلسطين، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
- حياة، سلماني؛ عبد اللطيف، دحية، دور الوقف في تمويل التّعليم العالي والبحث العلمي، مجلّة الاجتهاد القضائي: جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد ١٢ - العدد ٠١ (العدد التسلسلي ٢١) مارس ٢٠٢٠ - (م م: ١٧٣-١٩٠).
- خليل، محمّد أحمد، واقع التّعليم في المناطق المحرّرة وسبل تطويره، المركز السّوري للعلاقات الدّولية والدّراسات الاستراتيجيّة، المركز السّوري سيرز، ١٨ / ١ / ٢٠٢٢.
- رابح، حدو، الحق في التعليم في القانون الدولي لحقوق الإنسان، العام التاسع، العدد ٣٦ / يونيو / ٢٠٢٢، مقال منشور في كتاب أعمال الملتقى الدولي حول حماية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الاتفاقيات والمواثيق الدولية والإقليمية، مركز جيل البحث العلميّ، سلسلة كتاب أعمال المؤتمرات.

- شاهين، رياض مصطفى أحمد؛ والمدني، رشاد عمر، الأوقاف وأثرها على الحياة العلمية في بلاد الشام في العهد الأيوبي، كليّة الآداب، الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٧-٢٠٠٦.
- صبيح، لينا زياد، صيغ تمويل التعليم المستقاة من الفكر التربوي الإسلامي وأوجه الإفادة منها في تمويل التعليم الجامعي الفلسطيني، درجة الماجستير بكلية التربية في الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٥-٢٠٠٥م.
- علاونة، فادي، الحق في التعليم في ضوء المواثيق الدولية، دنيا الوطن، تاريخ النشر٢٥-٠٦-٢٠١٦:
- علي الهواري، مجلة عود الند، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (الحقّ في التّعليم)، العدد ١١٨، تاريخ ٨ / ٣ / ٢٠١٦.
- غوتيريش، أنطونيو، التعليم هو السبيل إلى التنمية الذاتية وهو طريق المستقبل، موقع الأمم المتّحدة، التعليم هو السبيل إلى التنمية الذاتية وهو طريق المستقبل | الأمم المتحدة (.un org).
- كامل جميل العسلي، «معاهد العلم في بيت المقدس»، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م.
- مصطفى، إبراهيم؛ وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، دار الدعوة، (د.ت).
- موسوعة المحتوى العربي: مفهوم التعليم العام - موقع مصادر (mssader.com(Jul ١٦، ٢٠١٩.
- نصير، نجوه أنور؛ الإبراهيم، عدنان بدري، تصور مقترح لتفعيل الوقف التعليمي في تمويل الجامعات الأردنية الحكومية، دراسات، العلوم التربوية، عمادة البحث العلمي وضمان الجودة - الجامعة الأردنية، المجلّد ٤٥، العدد٤، ٢٠١٨، م م: ٣٠٢-٣١٤.
- نقاسي، محمد إبراهيم؛ ليبا، محمد، الصكوك الوقفية وأهميتها في تمويل مجال التعليم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة زيان عاشور، مجلّة التراث، العدد ٢٠ ديسمبر ٢٠١٥، م م: ١٤٧-١٧٤.

Sources and References:

- Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher, Alice Al-Subh Bi Qarib, Arab-Islamic Education, Historical Study and Reform Opinions, Dar Al-Salam for Printing, Publishing and Translation, Egypt, 1st Edition, 2006.
- Abu Galala, Lamia Mustafa Hassan, The Educational Role of University Faculty Members in Facing the Challenges of Globalization and Ways to Develop it from Their Point of View, Master's Thesis, Islamic University - Gaza, 2003.
- Abu Amsha, Ola, The Crisis of Education in Syria - Teachers' Perspective, Inter-Agency Network for Education in Emergencies, 14 February 2023 Post, The Education Crisis in Syria - Teachers' Perspective | INEE.
- Ahmed, Khaled Abdul Rahman Yassin, Ismail, Sherif Muhammad Abdul Aal, Scientific chairs and their role in the development of scientific research in Saudi universities, Educational Journal, Issue (55), November 2018, AD: 51-83.
- Al-Ashram, Fadi Fathi, Towards a Development Strategy for the Development of the Educational Endowment to Finance University Education in Palestine 2018, Master's Thesis, February 2019 - Jumada I 1440 AH
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, Sahih Al-Bukhari, Al-Sultaniya, at the Great Princely Press, Bulaq Misr, Photography: Muhammad Zuhair Al-Nasser, and printed by the first edition in 1422 AH at Dar Tuq Al-Najat.
- Challenges Facing Education in the Arab Countries and their Impact on Multidimensional Poverty, Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization - Department of Education, 2019.
- Education for All | United Nations (un.org) (d.t.)
- Al-Hadidi, Imad Amin Saeed, Developing the Performance of Administrative Leaders at the Palestinian Ministry of Education and Higher Education in Light of Contemporary Challenges, Ain Shams University, 1434 AH - 2013 AD.
- Al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqout bin Abdullah al-Rumi, Dictionary of Countries, Dar al-Fikr, Beirut, (d.t.)
- Al-Razi, Zain al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr, Mukhtar al-Sahih, T.: Youssef Hajj Muhammad, Al-Asriya Library - Model House, Beirut - Sidon, 5th Edition, 1420 AH-1999 AD.
- Raissouni, Ahmed, Islamic Waqf: Its Fields and Dimensions, Dar Al-Kalima for Publishing and Distribution, 1st Edition, 1435 AH - 2014.
- Al-Sibai, Mustafa, from the masterpieces of our civilization, Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, 1st Edition, 1420-1999.

- Al-Serjani, Ragheb, Science and Building Nations, - An Original Study of the Role of Science in State Building, Iqraa Foundation, Cairo, First Edition, 2007.
- Al-Sarkhsi, Muhammad bin Ahmed bin Abi Sahl Shams Al-Imams, Al-Mabsout, Al-Saada Press - Egypt, (d.t.)
- El-Sherbiny, Muhammad bin Muhammad, Mughni who needs to know the meanings of the words of the curriculum, T: Ali Muhammad Moawad, Adel Ahmed Abdel Mawgoud, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, 1415 AH - 1994 AD.
- Al-Shaltouni, Anwar Muhammad, Sharia Measures to Restore the Scientific Endowment to its Active Role in the Scientific Renaissance of the Nation, 2011.
- Al-Saffar, Hassan Musa, Building Personality and Facing Challenges, Dar Al-Mahjah Al-Bayda - Dar Al-Doha, 1st Edition, 1424 AH - 2003 AD.
- Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin Mutair, The Great Dictionary, T.: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, 2nd Edition, Ibn Taymiyyah Library - Cairo.
- Al-Asqalani, Ahmed bin Ali bin Hajar, Fath Al-Bari with the explanation of Sahih Al-Bukhari, investigated by: Muhammad Fouad Abdul Baqi, Dar Al-Maarifa - Beirut, 1379 AH.
- Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad, Revival of Religious Sciences, Dar Al-Marefa - Beirut, (d.t.).
- Al-Ghunaimi, Muhammad Salama, The vision of the proposal to develop the education financing system in the light of the Islamic vision, International Association for E-Teaching and Learning, 22/10/2021.
- Al-Qahtani, Mubarak Fahid Sarhan, The most prominent future challenges facing educational leaders in the Kingdom of Saudi Arabia and ways to confront them, Journal of the Faculty of Education, Al-Azhar University, issue: (170), part (1), October 2016.
- Al-Mardawi, Alaa Al-Din Abu Al-Hassan Ali bin Suleiman bin Ahmed, Fairness in Knowing the Most Correct of the Dispute, edited by: Abdullah bin Abdul Mohsen Al-Turki, Hajar for Printing, Publishing, Distribution and Advertising, Cairo, 1st Edition, 1415 AH - 1995 AD.
- Al-Mu'ili, Abdullah bin Abdul Aziz, The Role of the Waqf in the Educational Process, Symposium on the Status of the Waqf and its Impact on Dawah and Development, 692-745.

- Al-Nimr, Muhammad Nour, and Hakawati, Samah, Education in the Regions of Northern Syria (Afrin, Jarablus, Azaz, Al-Bab), Exploratory Research, Hermon Center for Contemporary Studies, 30/March/2020.
- Al-Nawawi, Muhyi Al-Din bin Sharaf, Al-Majmoo' Sharh Al-Muhdhab, Al-Muniriyah Printing Department, Al-Tadamon Al-Fraternal Press - Cairo, 1347 AH.
- Al-Nawawi, Muhyi Al-Din Yahya bin Sharaf, editing the words of warning, investigated by: Abdul Ghani Al-Daqr, Dar Al-Qalam, Damascus, 1st Edition, 1408 AH.
- Al-Nawawi, Muhyi al-Din Yahya bin Sharaf, Rawdat al-Talibin and the mayor of the muftis, d: Zuhair al-Shawish, Islamic Office, Beirut, 3rd edition, 1412 AH / 1991 AD.
- Al-Nawawi, Yahya bin Sharaf, Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, House of Revival of Arab Heritage - Beirut, 2nd Edition, 1392 AD.
- Al-Nisaburi, Muslim bin Al-Hajjaj Al-Qushayri, Sahih Muslim, T.: Muhammad Fouad Abdul Baqi, Issa Al-Babi Al-Halabi and Co. Press, Cairo, 1374 AH - 1955 AD.
- Bouhajla, Mohammed, The Role of Endowment Scientific Chairs in Achieving the Pioneering University (King Saud University Scientific Chairs Model), Journal of Economic Research, Vol. 17, No. 01, Year 2022, AD: 196-215.
- Johar, Ali Saleh, Al-Bassel, Mayada, Optimal Investment in Education Financing, 2016, (DN), p. 137.
- Gohar, Ali Saleh, Juma'a, Muhammad Hassan, Financing Education and Waqf in Muslim Societies, An Educational Economic Vision, Modern Library for Publishing and Distribution, 2011.
- Hatamleh, Habis Muhammad Khalifa, Challenges of Higher Education in Jordan, Journal of Specific Education Research, Mansoura University, Issue (37) - January (2015). AD: 36-66.
- Hariri, Abdullah Muhammad Ahmed, The Role of Waqf in Supporting Educational, Religious, Scientific and Cultural Aspects, Research presented to the First Endowments Conference in the Kingdom of Saudi Arabia held in Makkah Al-Mukarramah in 1422 AH, AD: 175-212.
- Hassanein, Fayyad Abdel Moneim, The Role of the Charitable Endowment in Financing Higher Education in Egypt, Scientific Journal of the Faculties of Commerce Sector, Al-Azhar University, Issue Eleven-2014, AD: 218-253.

- Hassan, Mai Ali Mahmoud, Waqf as a Source of Funding with Application to the Higher Education and Scientific Research Sector in Egypt, Master Thesis, Cairo University, 2014.
- Hammad, edited by Shukri Abdel Hamid, Waqf and its impact on supporting and developing Sharia education, "The Seventh International Scientific Conference of the Faculty of Sharia", "Sharia Education and Ways to Develop it", Jerusalem, Palestine, 1438 AH-2017 AD.
- Hayat, Salmani, Abdul Latif, Dahiya, The Role of Waqf in Financing Higher Education and Scientific Research, Journal of Jurisprudence: Mohamed Khider Biskra University, Volume 12 - Issue 01 (Serial Issue 21) March 2020 - (M: 173-190).
- Khalil, Muhammad Ahmed, The reality of education in the liberated areas and ways to develop it, Syrian Center for International Relations and Strategic Studies, Syrian Center for Seares, 18/1/2022.
- Rabeh, Haddou, The Right to Education in International Human Rights Law, Ninth Year, Issue 36 / June / 2022, article published in the book of proceedings of the International Forum on the Protection of Economic, Social and Cultural Rights in International and Regional Conventions and Covenants, Jeel Scientific Research Center, Conference Proceedings Book Series.
- Shaheen, Riyad Mustafa Ahmed, and Al-Madani, Rashad Omar, Awqaf and its Impact on Scientific Life in the Levant in the Ayyubid Era, Faculty of Arts, Islamic University of Gaza, 1427-2006.
- Sabih, Lina Ziad, Forms of financing education derived from Islamic educational thought and ways to benefit from them in financing Palestinian university education, Master's degree at the Faculty of Education at the Islamic University of Gaza, 1425-2005.
- Alawneh, Fadi, The Right to Education in the Light of International Conventions, Dunia Al-Watan, Publish Date 25-06-2016.
- Ali Al-Hawari, Oud Al-Nad magazine, the Universal Declaration of Human Rights (the right to education), No. 118, dated 8/3/2016.
- Guterres, Antonio, Education is the path to self-development, it is the way to the future, the United Nations website, education is the path to self-development and it is the way of the future | United Nations (un.org).
- Kamel Jamil Al-Asali, "Institutes of Science in Jerusalem", Printing Workers Cooperative Society, Amman, 1402 AH / 1981 AD.

- Mustafa, Ibrahim, et al., The Intermediate Dictionary, Academy of the Arabic Language in Cairo, Dar al-Dawah, (d.t.).
- Encyclopedia of Arabic Content: The Concept of Public Education - Masdar (mssader.com) Jul 16, 2019.
- Naseer, Najwa Anwar, Al-Ibrahim, Adnan Badri, A Proposed Conception for Activating the Educational Endowment in Financing Jordanian Public Universities, Dirasat, Educational Sciences, Deanship of Scientific Research and Quality Assurance - University of Jordan, Volume 45, Issue 4, 2018, AD: 302-314.
- Naqasi, Mohamed Ibrahim, Liba, Muhammad, Waqf Sukuk and their Importance in Financing the Field of Education, Ministry of Higher Education and Scientific Research, Zayan Ashour University, Heritage Magazine, Issue 20 December 2015, MK: 147-174.

العدول عن الأصل في أبنية اللغة العربية بين علم الصرف واللسانيات الحديثة

الفعل الماضي المعتل نموذجًا

Deviation from the Original Structure in Arabic Morphology between Traditional Morphology and Modern Linguistics

A Case Study of the Defective Past Verb

د. منصور عقلة المنصور
جامعة بيروت العربية في لبنان

Dr. Mansour Aqleh Al-Mansour
Beirut Arab University, Lebanon

https: //doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.06

تاريخ تسلم البحث 2022/06/29 - وصدر خطاب القبول 2023/04/06

ملخص البحث

يحاولُ الباحثُ في هذه الدِّراسة تناولَ قضيَّة الأصولِ الصّرفيَّة المفترضة للبنى اللغويَّة المُعلَّة، وآليّة العدولِ عنها إلى صيغها المنطوقة بالفعل، وأسباب هذا العدولِ وطرائقه والقوانين النّاظمة له، ضمن منهجٍ استقرائي يحاولُ الوقوفَ على آراء الصرفيين القدماء ممن تسلَّحوا بالمناهج المعياريَّة، والآراء التي تقدمها الدراسات اللّسانيَّة والصوتيَّة الحديثة بمناهجها الوصفيَّة، لرصد مناهجهم وأساليب بحثهم والأسس والقوانين والقواعد التي وضعوها لمعالجة هذه الصيغ وتفسيرها، هادفاً الخلوص منها إلى رؤيةٍ صرفيَّة جديدة، رؤيةٍ تبتعدُ بالصرف العربي عن مناحي الافتراض والتأويل وغيرها من التعقيدات التي افترضتها المناهج اللغويَّة القديمة. وتكمن إشكالية هذا البحث في وجود اختلاف جذري بين الآراء الصرفية القديمة والصوتية الحديثة في تناولها الصيغ المُعلة وهو الأمر الذي يدفع القارئ للبحث والتساؤل عن صحة أي منها، وإن كانت بعض الدراسات الحديثة قد تعرضت لهذه القضية إلا أنها لم تعطها حقها من البحث والمقارنة، ولم تشبع فضول القارئ العربي الباحث عن الحقيقة. وقد تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، عرضت في المقدمة الإشكالية الصرفية القائمة بين الدراسات الصرفية القديمة والصوتية الحديثة، أما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن الآراء الصوتية الحديثة في بناء صيغ الماضي المعل، أما المبحث الثاني فقد عالج الآراء الصرفية القديمة، وقد خصصت

Abstract

In this study, the researcher attempts to address the issue of the supposed original morphological structures of defective linguistic forms and the mechanism of deviating from them into their actually spoken forms. This includes exploring the reasons for this deviation, its methods, and the rules governing it through an inductive approach. The study seeks to examine the views of early grammarians who adopted prescriptive approaches, alongside the perspectives presented by modern linguistic and phonetic studies using descriptive methodologies. The aim is to observe their research methods, principles, and rules for analyzing and interpreting these forms, ultimately striving to establish a new morphological perspective. This new perspective would distance Arabic morphology from assumptions, interpretations, and other complexities proposed by traditional linguistic approaches. The core issue of this research lies in the fundamental difference between traditional morphological views and modern phonetic perspectives on the treatment of defective forms, which prompts the reader to question the validity of each approach. Although some modern studies have addressed this issue, they have not sufficiently explored it or offered adequate comparison, leaving the Arab reader curious and unsatisfied in their search for the truth. This study is divided into an introduction, three sections, and a conclusion. The introduction presents the morphological problem between traditional and modern phonetic studies. The first section discusses modern phonetic

المبحث الثالث للمقارنة بينهم، واحتوت الخاتمة على أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: صوامت، صوائت، شبه حركة، صائت طويل، صائت قصير.

views on the structure of defective past verbs, the second section addresses traditional morphological views, and the third section compares the two. The conclusion contains the most significant findings of the research.

Keywords: Consonants, vowels, semi-vowels, long vowel, short vowel.

المقدمة

بِسم الله الرَّحمَنِ الرّحِيم، والحمدُ لله رب العَالَمِين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمدٍ الصَّادقِ الوعد الأمين، وعلى آله وأصحابِه أجمعين أمَّا بعدُ:

فإنَّ التَّطورَ والتَّغيُّر سِمةٌ أساسيَّةٌ من سمات المعارِف والعلوم، وإنَّ معطيات هَذه العلوم وحقائقَها ونتائجَها تتغيَّرُ بتغيُّرِ مناهج بحثِها وأدواته؛ فما أنْ تُكشفُ حقائق علميَّةٌ جديدةٌ أو يَحدثُ تغيُّرٌ في وجهاتِ النَّظرِ لبعضِ القضَايا الهَامّة، حتى يُعادَ إلى القديم ويُنظرَ إليه نظرَة الفاحص المُدقِّق، فيُحاوَلُ الوقوفُ على ما خَلُصَ إليه هَذا المَنهجُ القديمُ مِنْ حَقَائقَ ومَا قدّمَه من معطيات، ويُسعى إلى تغييرِها بما يتناسبُ مع مُعطياتِ هَذا المنهج الجّديد، وهَذا هو حالُ العلوم اللُّغويَّة بشكلٍ عام والعربيَّة بشكلٍ خاص؛ فقدْ ظَهرتْ على السّاحة اللُّغويَّة العالميَّة مناهجُ بحثيَّةٌ تَسعَى إلى دراسة اللُّغة الإنسانيَّة دراسةً علميَّةً، تنطلقُ من الواقع اللُّغويِّ المنطوق، دراسةً تهتمُ باللُّغة بذاتِها ومن أجلِ ذاتِها، وتَخليصها ممَّا عَلقَ بها منْ معطياتٍ خارجةٍ عن مجالِ هذه اللُّغة، وذلك بالبعد عن الافتراض والتَّأويل، ومعاييرِ الصّحةِ والخطأ الّتي افترضتْها المناهجُ اللُّغويَّةُ القديمة. وقدْ سعى العلماءُ العربُ ممَّن تسلحوا بمعطيات هذا العلم الحديث، إلى نقلِ هذه المناهج البحثيَّة بأدواتِها وأساليبِها إلى اللُّغة العربيَّة، فكَانَ منهم من وَجَّهوا النَّقدَ إلى القديم، وعابوا عليه بعضَ النَّتائج، وحاولوا إعادةَ قراءة الموروث اللُّغويّ القديم بما يتناسبُ مع معطيات هَذا العلمِ الحديث.

وقدْ ذهبتِ الدراساتُ المعياريَّةُ القديمةُ[1] (النّحويّة والصّرفيّة) في دراستِها اللغةِ العربيّةِ إلى تقعيدِ هَذهِ اللغةِ وتأسيسِ نموذجٍ معياريٍّ لها، وذلك من خلالِ

١- ومنها: الكتاب لسيبويه، والخصائص لابن جني، والمقتضب للمبرد، والمفصل للزمخشري وغيرها من الكتب النحوية القديمة.

جمعها وتأطيرها وضبطها في أبنيةٍ وأوزانٍ محدّدة، وحصرِ هذه الأبنية وتصنيفها في إطارِ ضوابطَ ومقاييسَ وقوانينَ محدّدةٍ يجبُ الالتزام بها والخضوعُ لها في صوغ كلِّ بنيةٍ؛ بحيثُ تمثّلُ هذه القواعدُ اللغةَ العربيَّةَ النّموذجيَّةَ والمعياريَّةَ في مكانٍ وزمانٍ محدّدين؛ أي إنَّها الأصلُ والنّموذجُ الذي يجبُ أنْ يبنى عليها ويقاسَ، والضّوابطُ التي تَحْكُمُ كلامَ العرب؛ إلا أنَّ هذا النظامَ لمْ يسلمْ لهُمْ ولمْ تَتّسمْ قواعدُهُم بالعمومِ والشُّمولِ؛ بلْ شَذّتْ عنها كثيرٌ منَ الصيغ، ولا سيّما المعلّةُ منها التي تتنوعُ أصواتُها منْ صيغةٍ إلى أخرى، فكسرتْ نمطيتَهم، وخرقتْ قواعدهم في أوزانها وهيئاتها، وطرائق ضم حُروفها التي تختلفُ عمَّا عمَّمُوه وفرضُوه لهَذه اللغة، ومنْ هنَا كانَ على الصَّرفيِينَ أنْ يُخضعُوا هذه الصيغَ لَمَا ارتَضوهُ لها سابقًا منْ أبنيّةٍ وأوزان، فأغرقُوا منهجَهم بالتعليلاتِ الظَّنيَّةِ والأفكارِ الفلسفيّة، وأعملُوا التَّخريجَ والتَّأويلَ والقياسَ في إيجادِهم قواعدَ التَّصريفِ التي تهتمُ بدراسةِ الأصولِ العارضةِ التي تطرأ على أبنيةِ الكلم، فَتؤدّي إلى العدولِ عنها والتّحولِ إلى بنيةٍ أُخرى، وذلك فيْ سبيلِ إخضاعِ هذه اللّغة لنظامٍ واحدٍ وأوزانٍ محدّدة، فكانتِ الأصولُ لَدَيْهِم: هيَ الصّيغُ التي يجبُ أنْ تأتيَ عليها الكلمةُ وَفقًا لنظامِ اللّغةِ وأوزانها التي عمَّمُوها، ولكنَّه عُدلَ عنها لسببٍ ما؛ (فقَالَ) يجبُ أنْ تأتيَ على وزنِ (فَعَلَ)، ومنْ هُنا فإنَّ أصلَها (قَوَلَ) لكنْ عُدلَ عنها لأسبابٍ صاغُوها وافترضُوها لتفسيرِ هذا التغيُّر.

لكنْ مع تطوّرِ الدراساتِ اللُّغويَّةِ والصَّوتيَّةِ في العصرِ الحَّديث، والاهتمام بالجانبِ الصَّوتيِّ فيْ عمليّاتِ البناءِ والتَّحليلِ الصَّرفيِّ، وتأكيدهم أنَّ علمَ الأصواتِ هو أساسُ كلِّ دراسةٍ لغويَّة، ولاسيما علمُ الصَّرفِ الذي يَعتمدُ اعتمادًا كليًا نتائجَ علمِ الأصُّوات، فقَدْ قدمتِ النَّظريَّةُ الصَّوتيَّةُ الجَّديدةُ رؤيةً جديدةً للبنيةِ الصَّوتيَّةَ للكلمةِ العربيَّة، تتناسبُ معَ الواقعِ اللُّغويِّ المنطوقِ لا المفروضِ الذي قدمتُه النَّظريَّةُ الصَّرفيَّةُ القديمةُ.

إنَّ الحقائقَ الصَّوتيَّةَ الجديدةَ التي قدمتْها الدِّراساتُ اللّسانيَّةُ الحديثةُ[1] في تحديدها طبيعة الأصوات اللُّغويَّة، والخصائص النطقيَّة التي تميّزُها، والأبواب التي تنتمي إليها، كان لها أثرٌ كبيرٌ في اختلاف النّظر إلى البنى التّركيبيّة بشكلٍ عام، على صعيدِ المقاطع والتّراكيب والجمل، ومن ثمّة إعادة النَّظر في الموروث الصَّرفي القديم، وقراءته قراءةً جديدةً تتناسبُ مع معطيات علم الأصوات الحديث، الذي أكّد أنَّ الجانبَ الصَّوتي هو الأساس في كلِّ دراسةٍ لغويَّةٍ، وأنَّ الدراسات الصَّرفيَّة يجب أن تراعي وبشكلٍ كبيرٍ معطيات علم الأصوات.

لذلك، يحاولُ الباحثُ في هذا الدراسة الوقوفَ على جزئيةٍ من القضايا الصَّرفيَّة وهي (العدول عن الأصل في صيغ الماضي المعتل الأجوف والناقص)، ودراسةَ التحولاتِ الصّوتيّة التي تَعْرَضَت لها هذه الأبنيَّة اللُّغويَّة عندما تَنْدَرِجُ في تصاريفها واشتقاقاتها المختلفة، سواءً في أحرفها أم حركاتها أم تراكيبها، وأثرها في بنية الكلمة، والقوانين التي تخضع لها والميول والاتجاهات التي تفسّرها، ضمن دراسةٍ مقارنةٍ بين آراء الصرفيين القدماء والمحدثين أصحاب المناهج اللسانيّة والصّوتيّة الفونولوجيّة الحديثة، ممّن اتفقوا مع القدماء في قضيّة الأصول المفترضة للصيغ الصّرفيّة المعلّة، واختلفوا معهم في بيان طرائق التغيّر والعدّول، وتحديد القوانين أو الميول والاتجاهات الصوتية الناظمة لها، محاولاً الخلوص إلى رؤيةٍ صرفيةٍ جديدةٍ لهذه البنى المُعلة، تتحرر بها العربية من هذه التعقيدات والتأويلات التي فرضتها المناهج الصرفية القديمة والتي أثقلت كاهل العربية وجعلت من الصرف العربي علمًا من أعقد العلوم اللغوية.

إنَّ هذه القضيَّةَ الّتي يتناولُها البحثُ تُعدُّ من أهمِّ القضايا الصَّرفيَّة والصَّوتيَّة

١- من أهم هذه الدراسات: كتاب مناهج البحث اللغوي، وكتاب اللغة العربية معناها ومبناها وكلاهما لتمام حسان، وكتاب الصرف وعلم الأصوات لديزيرة سقال، وكتاب المنهج الصوتي للبنية العربية لعبدالصبور شاهين وغيرها.

في علم اللُّغة الحديث وأعقدها، لذلك، فإنَّها لا تُشملُ بدراسةٍ، ولا تُحصرُ بكتاب؛ لضخامة مادَّتها وتشعُّبِ القضايا والجزئيَّات والآراء المتَّصلة بها، لذلك فإنَّ البحثَ لا يدَّعي السَّبقَ والانفراد، فقد تعرَّضتْ بعضُ الدّراسات الحديثة لهذا الموضوع، ولكن تأتي جِدَّةُ هذا البحث وأهميته بتعرُّضِه للكثير من القضايا والجزئيّات الخلافيَّة بينَ المنهجين، ومحاولته الوقوفَ موقفًا محدّدًا من كلٍّ منها، كما أنَّه يحاولُ أنْ يضعَ منهجًا بنائيًا خاصًا بالصيغ المُعلَّة، كما أنَّه لم يكتفِ بعرض لآراء الطّرفين كما فعلت بعضْ الدّراسات، بل حاول الباحثُ مناقشة هذه الآراء مناقشةً صوتيّةً تحليليّة. لذلك فإنَّ هذا البحثَ يعدُّ خطوةً متمِّمةً لما سبقه من بحوثٍ ودراساتٍ تعرَّضت لمناهج الصّرف الصوتيّة الحديثة.

بدايةً إنَّ بناء أيّ صيغةٍ صرفيَّةٍ، وإيجادَ أيِّ تركيبٍ لغويٍّ وَفقًا للمنهج المعياريّ (القديم والحديث) يجب أن يخضعَ لمبدأين أساسيّين، هما وحدة الأنظمة الصّرفيّة وثبات الجذر المُعجميّ. ومن ثمَّة فإنَّ نشوء الأصل المفترض للصيغ المنطوقة (قال، باع، سعى، نهى) وتحديدها (بقَوَلَ، بَيَعَ، سَعَيَ، دَعَوَ) كان كالآتي:

١- الوزن الصّرفيّ الموحّد لهذه الصيغ وَفقًا لمبدأ وحدة الأنظمة الصّرفيّة هو (فَعَلَ).

٢- الجذر الثّلاثيّ الموحّد والثّابت في مختلف الصيغ الصّرفيّة المشتقة من هذا الجذر، على اعتبار أنَّ الألف صوتُ غير أصيلٍ في البنية الصّرفيّة (الاستراباذيّ، رضي الدين، ١٩٨٢م، شرح الشافية، تح محي الدين عبدالحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٣، ص٦٨)، ونظرًا لظهور الواو والياء في بعض الصّيغ المشتركة معها في الجّذر اللُّغويّ، فقد تمَّ تحديد أصل هذه الصّيغ المُعلَّة بأصلٍ مفترضٍ واوي أو يائي، وَفقًا لهذا الصّوت الذي يقع موقع الألف في الاشتقاقات الأخرى، فكانت (قَوَلَ) أصلًا (لقال)؛

لظهور الواو في المصدر(قوْل)، و(بَيَعَ) أصلًا (لباع)؛ لظهور الياء في المصدر(بيع)، وكذلك الأمر في (سعى ودعا) وكلِّ فعلٍ ثلاثيٍّ أجوفَ أو ناقص.

أولًا– آراء المحدثين في بناء صيغة الماضي المُعل:

في تعليل هذا التَّغيُّر وتفسيره يذهب فريقٌ من المُحدثين[1]، إلى أنَّ العلّة أو السّبب وراء هذا الإعلال هي «وقوع الواو والياء بين صائتين قصيرين»، ويعدُّ هذا القانون من أكثر القوانين الصّوتيّة تأثيرًا في الأبنية اللُّغويّة؛ فقد أدَّى عمله إلى ظهور بعض الصّيغ الفعليّة والاسميّة، ولاسيما الصّيغ المُعلّة من الماضي الثُّلاثيّ الأجوف والنّاقص؛ إذ سقطت الواو والياء لوقوعها بين صائتين قصيرين، إذ أصلهما (قَوَلَ، بَيَعَ)، ثمّ أدغمت الفتحتان فكانت (قال، وباع).

ويعمل هذا القانون أيضًا في هذه الصيغ في حال بنائها للمجهول (بِيع، وقِيل) وأصلها (بُيِع، وقُوِل)، فحذفت الواو والياء شبه الحركة لوقوعها بين صائتين قصيرين، ثم قُلبت الضمة كسرةً للماثلة وبذلك تحول البناء إلى (بِيْع، وقِيْل) (القرالة، زيد، ٢٠٠٤م، الحركات في اللغة العربية، إربد، عالم الكتب، ط١، ص١٣٠).

وقد ذكر ماريوباي[2] هذا القانون وعدَّه عامًّا في اللغات الجزريَّة، وأسماه الموضعيّة بين علَّتين، وذهب إلى أنَّه قانونٌ عامٌ لا يخص الأصوات المُعلّة وحدها،

١- منهم: ١- زيد القرالة في كتابه: الحركات في اللغة العربية ص ١٣١.
٢- غالب المطلبي في كتابه: دراسة في أصوات المد ص٢٧٦.
٣- الطيب البكوش في كتابه: التصريف من خلال اللسانيات ص ٥٣.

٢- لغويٌّ أمريكيٌّ من أصل إيطاليّ، يعدُّ من أشهر من نادى بتبسيط علم اللغة بعيدًا عن التعقيدات، بدأ حياته بالتدريس في كليَّة مدينة نيويورك، وحصل على الدكتوراه من جامعة كولومبيا في عام ١٩٣٧م، أصدر أكثر من خمسين كتابًا من بينها: قصة اللغة (١٩٤٩م)، وقصة اللغة الإنكليزية (١٩٥٢م) وأسس علم اللغة (١٩٦٥) ترجمه إلى العربية أحمد مختار عمر. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ١٧ / ١١ / ٢٠١٩م، ماريوباي، تم الاسترجاع من الرابط، https: / / ar.wikipedia.org / wiki / .

بل تخضع له جميع الصَّوامت ولاسيما المعلّة منها (ماريوباي، ١٩٩٨م، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة عالم الكتب، ط٨، ص١٤٣).

وقد أكّد على هذا القانون هنري فليش الذي قال: «إذا ما لاحظنا طبيعة الأصوات الصّامتّة وجب أن نلاحظ ضُعف الواو والياء حين تكون إحداهما بين مصوتين، إذ إنَّهما ينحوان نحو الاختفاء. وذلك نحو (خَوَنة) فالواو حين وقعت بين مصوتين قصيرين اختفت وأصبحت (خَانة)، اجتمع مصوتان قصيران تحولا إلى مصوت قصير» (فليش، ١٩٦٦م، العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مصر، ص ٥٥). كما أكّد تمام حسان على ضعف الصّوت بين حركتين فقال: «يمكن القول إنَّ أضعف ما يكون الحرف إنَّما يكون وسطًا بين حركتين» (حسان، تمام، ١٩٩٤م، اللغة العربية معناها ومبناها، المغرب، مطبعة النجاح، ص٣٠٢). وقال أيضًا: «فالصّوت أقوى ما يكون نطقًا إذا وقع مشدَّدًا في الآخر، وهو أضعف ما يكون نطقًا إذا وقع بين حرفي علّة» (حسان، تمام، ١٩٨٩م، مناهج البحث اللغويّ، مصر، مكتبة الأنجلو، ط١، ص١٥٣).

ومن المحدثين[1] من علّل ذلك بكره العربيّة تتابع الحركات؛ وذلك ضمن نظرتهم الخاصة لطبيعة أصوات العلّة، إذ ذهب عبد الصبور شاهين في تعليلاته الصّوتيّة للتغيُّرات الصّرفيّة إلى اعتبار البنية الصّوتيّة لأصوات اللين أو أنصاف الصّوائت بنيةً حركيّةً مزدوجةً، يتم تقسيمها والفصل بين الأجزاء الصّوتيّة المكوّنة لها، ومن ثمَّة فإنَّ صوت المدِّ حركتان متجانستان، وصوت اللّين حركتان مختلفتان. لذلك لا تتوافق هذه النّظريّة مع تعليل القدماء بتحرك الواو والياء وانفتاح ما قبلها، ولا مع نظرة غيرهم من المحدثين القائلة بوقوع الواو والياء بين صائتين قصيرين؛ لأنَّ ذلك يفترض أنَّ للواو والياء وجودًا مستقلًا عن الحركة قبلها

١- ومنهم: ١- عبد الصبور شاهين في كتابه: المنهج الصوتي للبنية العربية ص ٨٣.
٢- ديزيره سقال في كتابه: الصرف وعلم الأصوات ص ١٦٤.

وبعدها، وهو خطأ من النّاحيّة الصّوتيّة؛ لأنَّها ليست سوى انزلاق بين حركتين فتشكلتا في نصف حركة. ومن هنا فقد ذهب شاهين إلى أنّ الواو والياء في أصل هذه الصيغ قد تشكّلت من توالي الحركات المتخالفة، «إذ حدث الانزلاقٌ من الفتحة الأولى في كلِّ مثالٍ إلى الحركة التّاليّة لها فنتجت الواو والياء، التي هي عين الكلمة في الأصل». (شاهين، عبد الصبور، ١٩٨٠م، المنهج الصوتي للبنية العربيّة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ص٨٣).

ويرى عبد الصبور شاهين أنَّ هذا المقطع لا يمكن أنْ يتكوّن من حركاتٍ فقط؛ فهو أمرٌ ترفضه اللّغة، لذلك كان الحل بإسقاط العنصر الذي يسبب الازدواج وهو الضمة في (qa.ua.la)، والكسرة في (ba.ea.'a)، فلا يبقى سوى الفتحتين القصيرتين، هما الفتحة الطويلة (baa'a) (qaa.la) (المرجع نفسه، ص ٨٣).

ويلحظ الباحث هنا أنَّ عبد الصبور شاهين لم يفصل بين البنيّة الصّوتيّة لهذه الأصوات (أنصاف الصوامت) وبين جانبها الوظيفيّ؛ فنحن وإن سلّمنا مع شاهين بأنّ البنية العميقة لهذا التركيب هي بنيةٌ صائتيّةٌ وذلك على اعتبار أنّ الأصل المفترض (قَوَل) له جذرٌ أعمق منه ذو بُنيَةٍ حركيَةٍ تقوم على التّتابع الحركيّ بين الفتحة والضمّة، والفتحة والكسّرة (قَ ـُ) (بَ ـِ)، فإنَّ القول بالانزلاق قد نقل هذه الأصوات إلى البنية الصّامتيّة وظيفيًا، لذلك كتبت على صورة الواو والياء (و، ي)، أي إنّ هذا الانزلاق له وظيفتان: الأولى كتابيّةٌ وذلك بالتّحول من رمزِ الحركةِ إلى رمز الحرف، والثّانيّة وظيفيّةٌ مقطعيّةٌ؛ بأن أصبحت الواو والياء قاعدةً صوتيّةً للحركة بعدها، لذلك وجب اعتبارها من الأصوات الصّامتة وظيفيًا؛ ومن هنا كانت تسمية أنصاف الصوائت؛ وذلك بأنَّ لها خواص الصّوامت نطقيًّا وخواص الصّوامت وظيفيًّا، وبذلك تسقط العلّة المقطعيّة التي قال بها عبد الصبور شاهين؛ لأنّ هذه الأصوات قد شكلتْ قاعدةً صوتيّةً للصوت القصير

بعدها، وشكلت معه مقطعًا قصيرًا (ص ح)، أو أنّ عبد الصبور شاهين لم ينطلق في تحليله من الأصل المفترض (قَوَلَ) بل من أصله الأعمق منه قبل حدوث عمليّة الانزلاق؛ لأنّ الانزلاق كما قلنا يحوّل البنية الصّوتيّة من الحركيّة إلى الصامتيّة الوظيفيّة.

كما أنَّ هذا القول لعبد الصبور شاهين يوحي بأنَّ البنية الثُّلاثيّة المُعلّة هي بنية ثنائيّة في الأصل العميق للصيغة؛ لأنَّ التّجريد الصّوتيّ لهذه الصيغ قبل عمليّة التّشكيل الصّرفيّ والبنائيّ للصيغة المنطوقة، وما رافقها من عمليّة انزلاقٍ لتشكيل الصامت الوظيفي (و، ي)، كانت (قَـُـَل) و (بَـِـَع). فموقعُ العين هنا هو صائتٌ قصير (ضمة وكسرة)، وهذه الصّوائت لا تَدخل في البنية الجّذريّة للكلمة، ولا يمكن اعتبار الجذر المجرّد في هذه الألفاظ جذرًا ثلاثيّ الصّوامت (ق و ل) (ب ي ع)؛ لأنّ هذا يُلغي التّتابع الحركيّ الذي قال به شاهين؛ لِوُجُوبِ ظهور هذه الواو والياء في الجذر المفترض كصوامت لا صوائت (قَوَلَ، بَيَع).

وهنا يذهب البحث إلى إمكانيّة جعل البنية الثُّلاثيّة المُعلّة بنيةً ثنائيّة، إلا أنَّنا لا نحدّد طبيعة هذا الصوت المعل بأنّه واويٌّ أو يائيٌّ أو حركةٌ أو شبه حركة، بل نجعل هذا التّحديد للبنية الصّوتيّة والوزنيّة التي يصاغ فيها. ويؤكد على ذلك مرافقة الإعلال لهذه الصّيغ في مختلف تصاريفها.

ونجد من المّحدثين من يرفض هذا القول بالتّتابع الحركيّ، أو جعل أصوات اللين أو أنصاف الصّوائت من قبيل هذا التتابع، إذ يرى فوزي الشايب: «أن الشَّبَه القوي بين الواو والياء وبين الحركات يجعل تتابعها في السياقات أشبه بتتابع الحركات، ومن ثمَّة فإنّ بنية هذه الأصوات ليست بنيةً حركيّةً بل هي أشباه صوائت، وتعامل معاملة الصّامت لا الصائت، ويرى أنَّ من عدَّها حركات قد غالى في ذلك، فهي تتمتع بانفتاحٍ كبيرٍ يقربها من الحركات لكنَّها تبقى صوامت

لا صوائت» (الشايب، فوزي، ٢٠٠٤م، أثر القوانين الصّوتيّة في بناء الكلمة، الأردن، عالم الكتب، ط١، ٤٣١). وممّن تعامل مع هذه الأصوات كأشباه صوائت لا صوائت عبد الفتاح الزين الذي علّل التغير الصّوتيّ هنا بوقوع الواو والياء في سياقٍ صوتيٍّ لا يناسبهما وهو سياق الفتح، إذ الواو من أقصى الحنك، والياء من مقدمته، وهما تُغايران بمخرجيهما الفتحة التي تخرج من الحنك الأوسط، وبعد سقوطهما التحمت الفتحتان، الفتحة التي بعد الفاء، والفتحة التي بعد الياء والواو، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فنشأت ألفٌ ممدودةٌ في قام وباع، كما يتضح في التحليل الصوتي، (ق ـَ وـَ م ـَ) (qa wa ma) > (ق ـــَـــ م ـــَ) (qaama) (الزين، عبد الفتاح، ١٩٩٩م، بين الأصالة والحداثة قسمات لغوية في مرآة الألسنيّة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، ط١، ص٣٧). ويتضح لنا أنَّ عبد الفتاح الزين هو أوّل من قال بالإدغام بين الحركتين المتجانستين لتشكيل صوت المدّ، وهي حقيقةٌ صوتيّةٌ مهمةٌ للتخلص من الفاصل النّطقيّ بين الحركتين المتتابعتين، وإخراجهما من مخرج واحد بزيادة الاعتماد على موضع الصّوت. خلافًا لمصطلح «الدّمج» السّائد بين الصوتيين الذي يوحي أنَّ عمليّة الدّمج بين الحركتين هي عمليّةٌ كتابيّةٌ أكثر منها صوتيّة.

ثانياً– آراء القدماء في بناء صيغ الماضي المُعل:

أمَّا القدماء فقد عالجوا هذه الظّاهرة تحت باب الإعلال، الذي يبحث بالتغيرات التي تطرأ على أصوات العلّة في الأبنية اللّغويّة المختلفة، وما تتعرض له من حذف أو قلب أو نقل، وذلك وَفقًا لأصولٍ وقواعدَ محدّدة تضبط هذه العمليّة الصّرفيّة. وقد علّلوا هذه الحالة بتحرك الواو والياء وانفتاح ما قبلها (الاستراباذي، رضي الدين، ١٩٨٢م، شرح الشافية، مرجع سابق، ج٣، ص٩٥) و(الإشبيلي، ابن عصفور، ١٩٨٧م، الممتع في التصريف، تح إحسان عباس، بيروت، دار صادر،

ط١، ج٢، ص٥٢٤)، ولا ندري هل هذه القاعدة هي توصيفٌ للحالة الصّرفية فقط، والتي يحدّدون من خلالها موقع الإعلال، وذلك كقولهم: «بوقوع الواو والياء عينًا لاسم فاعلٍ أعلت عين فعله» (الاستراباذيّ، رضي الدين، ١٩٨٢م، شرح الشافيّة ج٣، صً١٢٧)، أو قولهم: «بوقوع الواو والياء والألف بعد ألف مفاعل أو ما شابهه في عدد الحروف والحركات» (سيبويه، ١٩٨٨م، الكتاب، تح عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط٣، ج٤، ص٣٦٥). أم أنّها تعليلٌ صوتيٌّ لهذه الحالة الصرفيّة؛ وهي كون الواو والياء محفوفةً بالحركات. وهي علّة تقترب في مضمونها مع تعليل المحدثين الذين قالوا: «بوقوع الواو والياء بين صائتين قصيرين». بل إنَّنا نجد أنَّ قولَ عبد الصبور شاهين: «بالهروب من تتابع الحركات» قريبٌ من بعض الآراء الصرفيّة القديمة التي قالت بثقل هذا التتابع، فقد صرح بذلك ابن يعيش الذي رأى: «أنَّ العلّة وراء إعلال الواو والياء في الأجوف والنّاقص يرجع إلى كره العربيّة لاجتماع الأمثال والمتشابهات؛ لأنَّ حروفَ اللين مضارعةٌ للحركات (ابن يعيش، يعيش بن موفق، ١٩٩٨م، شرح المفصل، القاهرة، إدارة الطباعة المنيريّة، ج١، ص٨٢)».

وقد ذهب إلى ذلك أيضًا ابن جني الذي قال: «وإنَّما كان الأصل في (قام) (قَوَمَ) وفي (خاف) (خَوِفَ)...، فلمّا اجتمعت ثلاثُ أشباهٍ متجانسةٍ، وهي الفتحة والواو والياء، وحركة الواو والياء؛ كُرِه اجتماع ثلاثة أشياءَ متقاربةٍ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظٍ تؤمن فيه الحركة وهو الألف، وسوغها أيضًا انفتاح ما قبلها (ابن جني، أبو الفتح عثمان، ١٩٨٥م، سر صناعة الإعراب، تح حسين هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ج١، ص٢٥).

وكذلك ابن عصفور الذي قال: «والسببُ في ذلك اجتماع ثقل المثلين؛ أعني فتحة العين واللّام مع ثقل الواو والياء، فقلبت الواو والياء ألفين؛ لخفة

الألف؛ ولأنَّها لا تتحرك فيزول اجتماعُ المثلين؛ ولأنَّه ليس بين الواو والياء ما يقلبان إليه أقرب من الألف؛ لاجتماعهما معها في أنّ الجميع حروف علّةٍ ولين» (الإشبيليّ، ابن عصفور، ١٩٨٧م، الممتع في التصريف، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٢٣).

ثالثاً– المقارنة بين آراء القدماء والمحدثين:

من هنا نجد شبه توافقٍ بين القدماء والمحدثين في توضيح علّة هذا التّغيُّر، والاتجاه العام الذي يضبطه، وهو كراهيّة العربيّة لهذا التّتابع بين هذه الأصوات المتجانسة، أمّا الفرقُ فيكمنُ في تحديدِ طبيعة هذه الأصوات، فهي عند المحدثين من قبيل التّتابع الحركيّ، وعند القدماء تتابعٌ بين الحركات والحروف المتجانسة. أمّا عن كيفيّة هذا التّغيُّر وآليّة الانتقال من الأصل إلى الفرع، فهي عند القدماء بقلب الواو والياء ألفًا، أمَّا المحدثون فقد ذهبوا إلى سقوط الواو والياء (سواءً أكانتا حركةً أم شبه حركةٍ)، وتَشكُّل الألف من خلال عمليّة الدّمج بين الفتحتين (حركة الفاء وحركة العين). فتتحول (قَ ــَ ل) إلى (قال)، وبذلك يكون وزنها (فال) لا (فَعَل)؛ لأنَّ الألف ليست عين الفعل أو بدلًا منها، وإنَّما هي حركةٌ طويلةٌ نشأت عن الدّمج بين الحركات.

ويرى الباحث أنَّ القولَ بتَشَكُّلِ الألف عن طريقِ الدَّمجِ بين الحركتين قد يُوقعُ الفعلَ الماضيّ بمشكلةٍ إعرابيَّة، ونَقْصِدُ بذلك الفعلَ النّاقصَ، فإنْ قُلنا: إنَّ الفعلَ (سعى) مثلًا قد نتجَ من خلال العمليَّةِ الصَّرفيَّةِ القائمة على إسقاط الواو والياء منَ الجّذرِ المفترض (سَعَيَ)، والدَّمجِ بين الفتحتين لتشكلِ صوت الألف، فإنَّ هذه الحركةَ الطويلةَ (في سعى) نتجت عن طريق الدَّمج بين حركتين قصيرتين؛ الحركة الإعرابيَّة وهي الفتحة التي يبنى عليها الفعل الماضي، والحركة الثانيَّة هي حركة عين الكلمة، وهي جزءٌ من البنية الصّرفيّة للكلمة، وهنا يكمن التساؤل

عن كيفيّة إعراب هذه الأفعال؟ فلا يمكن القول: إنَّ الألف علامةٌ إعرابيَّةٌ؛ لأنَّها مكوّنةٌ من قسمين، ولكلٍّ منهما وظيفةٌ مختلفة، ولا يمكن القول بالتقدير كما قال القدماء؛ لأنَّ الفتحة قد ظهرت. فهل يمكن القول: إنَّ العلامة الإعرابيّة هي الفتحة القصيرة المدمجة مع ما قبلها لتكوين صوت المد؟ ولكن المشكلة تزدادُ تعقيدًا مع الفعل المضارع المنتهي بصوتِ مدٍّ مثل (يمشي) فذهبوا إلى أنَّ أصلها «(يمشِيُ) وقعت الياء بين ضمة وكسرة، فسقطت الياء وقلبت الضمّة كسرةً لمجانسة الياء فأصبحت (يمشِي)» القرالة، زيد، ٢٠٠٤م، الحركات في اللغة العربية، مرجع سابق، ص١٢١)، ومن هنا فإنَّ علامة الإعراب ليست الضّمّة المقدرة؛ لأنَّها قد ظهرت وقُلِبَت كسرة، وليست هي ياء المدِّ؛ لأنَّها مكوّنة من حركتين حركة الجذر وحركة الإعراب، فهل نقول: إنَّ علامة الإعراب هنا هي الضمّةُ المنقلبةُ كسرة والمدمجةُ مع ما قبلها لتكوين ياء المد؟ ولاسيّما أنّهم قالوا: إن علامة الجزم في هذه الأفعال هي «حذف هذه الحركة، وهو هنا حذف جزئي، حيث تقصر الحركة الطويلة (لم يمشِ)» (المرجع نفسه، ص١٢١). كما أنَّ الفعل (يمشِي) هذا ليس معلًا عند القدماء إلا بتسكين حركته؛ لثقل الضمة على الياء (الغلاينيّ، مصطفى، ١٩٩٤م، جامع الدروس العربيّة، بيروت، المكتبة العصرية، ط٣، ج٢، ص٩٥)، أما ما دفع المحدثون للقول بهذا الإعلال فهو تحوّل الصيغة من ياء اللين إلى ياء المد، وهذا الأمر فَرَضَ عليهم القول بعملياتِ إعلالٍ لم يَقُل بها القدماء، لتفسير هذا التحول من اللين إلى المدّ، ولاسيّما أنَ صوت المدّ حركةٌ طويلةٌ ولا يمكن أن تكون جزءًا من البنية الجذريّة للكلمة.

وممَّا يُلاحظ أيضًا أنَّ منهجَ المحدثين في التّعامل مع هذه البنيَّة الصَّوتيَّة، قد تعامل مع الأسماء الناقصة وَفق آليَّة تحليلٍ صرفيٍّ تختلفُ عن مثيلاتها في الأفعال والأسماء الجوفاء والأفعال الناقصة، خلافًا لمنهج القدماء الذي عالجها وفقًا لمثيلاتها بسقوط الواو والياء لتحركها وانفتاح ما قبلها. فقد عالجوا هذه الصيغ

مجرّدةً عن الحركة الإعرابية أو التنوين يقول ديزيرة سقال: «أما تغيُّرات الأصوات في الأسماء فمن نوعٍ واحد:

> asaa «- >asai» a«- >asai

نلحظ أن التغيُّر هنا يكون بإبدال الضمّة أو الكسرة فتحة، لتنتقل من الحركة المزدوجة (من غير تنوين ولا تحريك) إلى الحركة الطويلة الفتحة (سقال، ديزيرة، ١٩٩٦م، الصرف وعلم الأصوات، بيروت، دار صادر، ط١، ص ١٦٥).

وهنا يتساءلُ البحثُ عن سبب هذا التغيّر في العمليَّة الصَّوتيَّة؟ ولاسيّما أنَّ عدم تحرّك اللام يخرجها من حالة التّتابع الحركيّ التي قال بها شاهين، ويخرجها من قانون وقوع الواو والياء بين صائتين قصيرين، بل ومن مقولة القدماء: بتحرك الواو والياء وانفتاح ما قبلها. يرى البحث أنَّ سبب هذا التغير (إخراج حركة الإعراب من العمليّة الصّرفيّة) يعود إلى سببين: الأول عدم ظهور حركة (الضمة والكسرة) على الواو والياء فهي مقدّرةٌ. والثانيّ: كون الأسماء معربةً؛ بمعنى أنّ حركتها تتغيَّر بتغيُّر حالتها الإعرابيّة، وبذلك تتنوع بين الفتح والضم والكسر، فلا يكون لها بنيةٌ صوتيّةٌ ثابتةٌ تُعلّل من خلالها هذه الظاهرة الصّرفيَّة، خلافًا للفعل الماضي المبني على السكون. ولو قالوا: بسقوط الحركة وبقلب الضمّة أو الكسرة (خلافًا للفتحة) فتحةً؛ لمجانسة الفتحة قبلها، لكانت هذه الألفُ جزءًا من العلامة الإعرابيَّة، ولما عُرِفَتْ حركتها أهي الضّم أم الكسر، ولوجبَ عليهم القولُ بعمليةِ قلبٍ خاصةٍ مع كلِّ حالةٍ إعرابيَّة؛ فمعَ الرفع والجر يقولونَ بقلبِ الضمةِ والكسرةِ إلى فتحةٍ، ومع النصب يقولون بالدمج بينَ الفتحين دون قلب، لذلك لم تدخل الحركة الإعرابيّة في هذه العمليّة الصرفيّة، وبقيت مقدرةً على الألف، وقدْ تكون هذه الطريقة أفضل من الطريقة الأولى في التعامل مع الأفعال الناقصة، لعدم الخوض في قضيَّةِ تَغيُّرِ الحركةِ الإعرابيَّة وكيفيَّةِ تحديدِها كما بيَّنا سابقًا.

كما يحق للباحث هنا أنْ يطرح تساؤلًا عن مدى حتميَّة وشموليَّة هذه القاعدة أو هذا الاتجاه الصّوتيّ؟ وهل يمكن أن يُطبَّقَ على كلِّ بنيةٍ لُغويةٍ تحتوي المكون الصّوتيّ ذاته؟ نجد أنَّ القدماء دون المحدثين الذين عالجوا التغيُّرات الصّوتيّة الحاصلة في بعض الصيغ دون التعرّض لحالات الاستثناء والتي تحمل بنيةً صوتيّةً متشابهةً قد حاولوا تقليص أثرِ هذا القانون الصّوتيّ، وبالأدق تحديد مجال عملّه، بحيث أثقلوا كاهلها بعشرة شروط[1] تُخرجُ ما لم يوافقها من حيّزه؛ أي أنَّهم سعوا إلى إحاطة هذا القانون أو القاعدة الصّرفيّة بشروطٍ واستثناءات، محدّدين بذلك مجموعةً محدّدةً من الألفاظ تشترك فيما بينها بقاسم واحد مشترك وهو الأفعال المُعلَّة وبعض الصيغ المشتقة منها، وبذلك لم تكن العلَّةُ صوتيَّةً بقدر ما هي تركيبيّة؛ وذلك لاقتصار عمل القانون الصّوتيّ على حالاتٍ صرفيّةٍ وتركيبيّةٍ محدّدة دون غيرها من الأبنية التي تحتوي على المكون الصّوتيّ ذاته، ومن ذلك مثلًا: أنَّ عين اسم الفاعل لاتقلب همزةً في فعلٍ ليس معتلًا في الأصل مثل (عَورَ، عاوِر)، بل تصحان لصحته «أمَّا إذا لم تُعل عين فعله مثل (عَورَ) فلا تقلبان همزة في اسم الفاعل بل تصحان في الفعل جريًا على مجرى واحد، كما جُريّ في الإعلال

١- وهي: ١- أن يتحركا ولذلك صحتا في القَوْل والبَيْع لسكونهما.
٢- أن تكون حركتهما أصلية، لذلك صحتا في جَيَل وتَوَم مخففي جَيأل وتَوأم، بعد نقل حركة الهمزة إلى الواو والياء.
٣- أن ينفتح ما قبلها ولو عَرَضًا، ولذلك صحتا في العوَض والحيَل.
٤- أن تكون الفتحة متصلة، أي في كلمة واحدة، لذلَك صحتا في ضربَ وَاحد.
٥- أن يتحرك ما بعدها إذ كانتا عينين، وألا يليهما ألف ولا ياء مشددة إن كانتا لامين، ولذلك صحت العين في بيَان، وطَويل، والام في رَمَيَا، وغَزَوَا.
٦- ألا تكون إحداهَما عينًا للفعل الذي الوصف منه على وزن أفعل، نحو هَيِف فهو أهيَف.
٧- ألا تكون عينًا لمصدر هذا الفعل وهو الهَيَف.
٨- ألا تكون عينًا لافتعل الدال على التفاعل نحو اجتوَروا واشتوَروا.
٩- ألا تكون إحداهما متلوة بحرف يستحق هذا الإعلال، فإن كانت صحت وأعلت الثانية، نحو الحيا والهوى.
١٠- ألا تكون عينًا لما آخره زيادة تختص بالأسماء، لذلك صحتا في مثل الجَوَلان والهَيَمان». (الاستراباذيّ، رضي الدين، ١٩٨٢، شرح الشافية، مرجع سابق، ج٣، ص ٩٥ ومابعدها). وانظر (درويش، عبد الله، ١٩٨٧م، دراسات في علم الصرف، مرجع سابق، ص ١١٢).

على مجرى واحد» (الاستراباذيّ، رضي الدين، ١٩٨٢م، شرح الشافية، مرجع سابق، ج٣، ص١٠١).

ولا ندري ما هو الفرق بين (عَورَ، عاوِر)، وبين (قوَلَ، قاوِل)، إذ تحرّكت الواو وانفتح ما قبلها في الصيغتين، سوى مقولة جريان الصحيح مجرى واحد كما يجري المعل مجرى واحد، والتي يمكن أن تستغل للقول بتعدّد الأنظمة.

وممّا يؤخذ على هذه القاعدة ويضعف حقيقة العلّة الصّوتيّة في إيجاد القلب، هو حملهم بعض الصيغ المشتقة من هذه الأبنية المعلّة، والتي لم تتوفّر فيها هذه البنية الصّوتيّة على هذه القاعدة، ومن ذلك (يخَاف) وأصلها (يخْوَف)، فبعد نقل حركة الواو إلى الخاء الساكنة قبلها(يخَوْف)، قالوا بقلب الواو ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبها، على اعتبار أنَّ الواو كانت متحركةً في الماضي(المرجع نفسه، ج٣، ص ٩٦)، وهذا كلّه يقلّل من فعاليّة هذه القاعدة الصّوتيّة؛ على اعتبار أنَّ التغيّر الصّرفيّ يجب أن يكونَ خاضعًا للتأثر والتأثير بين الأصوات المتتابعة في البنية اللغويّة المنطوقة، أو التي افترض نطقها حملًا على صيغة أخرى، ولا تعمل قاعدة صوتيّة في بنية حملًا على بنية أخرى. حتى إنّ القدماء أنفسهم قد أقروا بضعف هذه القاعدة يقول الاستراباذيّ: «اعلم أنَّ علّة قلب الواو والياء المتحركتين المفتوح ما قبلهما ألفًا ليست في غاية المتانة؛ لأنّهما قلبتا ألفًا للاستثقال، والواو والياء إذا انفتح ما قبلهما خفَّ ثقلهما»(المرجع نفسه، ج٣، ص ٩٥).

حتى إنَّنا نجد أنَّ بعض الصيغ قد خالفت هذه الشروط ومع ذلك قُلبت فيها الواو والياء ألفًا، ومن ذلك قلب هذه الأصوات ألفًا وهي ساكنةٌ غير متحركة، ومن ذلك قولهم في: (يَوْجل) (ياجل)، وقد ذكر سيبويه ذلك فقال: «وقال بعضهم ياجل فأبدلوا مكانها ألفًا كراهيّة الواو مع الياء» (سيبويه، ١٩٨٨م، الكتاب، مرجع سابق، ج٤، ص ١١١-١١٢).

كما أنَّنا نجدُ بعضَ الصيغ التي توفَّرت على هذه الشروط ولكنَّها لم تعل مثل: استحْوَذ، واسترْوَح، وأغْيَلَت المرأة، أخْيَلت السماء، وأغْيَمت (الاستراباذيّ، رضي الدين، ١٩٨٢م، شرح الشافية، مرجع سابق، ج٣، ص٩٥). وهذه الألفاظ كانت عند القدماء شاذةً ولا يقاس عليها (الإشبيليّ، ابن عصفور، ١٩٨٧، الممتع في التصريف، مرجع سابق، ج٢، ص٤٨٢)، وذهب بعضهم إلى أنّها دلالةٌ على أصل الباب (ابن جني، أبو الفتح عثمان، ١٩٥٤م، المنفصف شرح لكتاب التصريف للمازنيّ، تح إبراهيم مصطفى، دار إحياء التراث، ط١، ج١، ص١٩١).

ويرى الباحث أنَّ أقوال القدماء تحتوي حقيقتين صرفيتين مهمّتين: الأولى في قولهم بجريان الصّحيح مجرى واحدًا كما يجري المعل مجرى واحد، ويمكن أن يوظّف ذلك بجعل الصّحة والإعلال أنظمةً صرفيّةً يستقلُ كلٌّ منها عن الآخر. وذلك على اعتبار الإعلال حالةً صرفيّةً مرافقةً للصيغ المعلَّة في اشتقاقاتها المختلفة، والحقيقة الثّانيّة في قولهم: «وسوَّغها أيضًا انفتاح ما قبلها» وتأكيدهم في مقولة «تحرّك الواو والياء وانفتاح ما قبلها» على هذه الفتحة. كما تؤكّد على ذلك مقولة عبد الفتاح الزين السابقة: «إنَّ قلب الواو والياء هنا لأنَّ المقامَ مقامُ فتح»، حتى إنَّ المحدثين عندما قالوا بالقلب قلبوا الكسرة والضّمَّة إلى فتحة لمجانسة هذه الفتحة. أي إنَّ العامل الأوّل في تحديد الصّوت المعل هو البنية الصّائتيّة المجاورة له، ولكي نمنح هذه الأبنيّة نوعًا من التجريد وانطلاقًا من الجذر الثّنائيّ المعل الذي قال به البحث سابقًا، فإنّ بناء صيغة فال وفعى، وتحديد صوت الألف كصائت مُكمِّل لهذا الجّذر الثُّنائيّ، قد تمَّ على قياس (فَعَل)؛ وذلك بأنْ تحدَّدت الألف في (فال) بتأثير فتحة الفاء. وتحدَّدت في (فعى) بتأثير فتحة العين. وفي (استفال) بتأثير حركة العين في (استفعَل)؛ لأنَّ ما قبله ساكن. وبذلك يتم التّخلّص من القول بالأصل المفترض للصيغ المُعلَّة والعمليّات الصّرفيّة المرافقة له للقول: إنَّ الثُّلاثيّ الصّحيح (فَعَل) والمعتل (فال وفعى) على اعتبار موضع الصوت المعل

من الأجوف أو النّاقص.

وإنْ كان البحثُ قد عابَ على القدماء الافتراض والتّأويل وعدم المطابقة بين الوزن والموزون، فإنَّ الدعوة إلى الوزن المقطعيّ والصَّوتيّ للكلمة يجب أن تتم وفق منهج منظم ورؤية تامة لآليّة البناء والتّشكيل الصّرفيّ للغة العربيّة، فهل يمكن أن نقول: إنَّ (قَال) وزنها (فال) لا (فَعَل) و(يقول) (يفول) لا (يفعُل)، دون أن نقدمَ منهجًا محدّدًا لتغيّر المقطع الطويل من الألف إلى الواو، هذه الفكرة التي قامت من أجل تفسيرها فكرة الأصول والصيغ المفترضة عند القدماء. لذلك فإنَّ هذا المنهج المتبع يجب أن ينطلق من أمورٍ عدَّةٍ في نظر الباحث هي:

١- القول بالجذرِ الثُّنائيّ المُعل مقابلًا للجذرِ الثُّلاثيّ الصحيح، بحيثُ يتكوّن هذا الجّذرُ من صامتين وصوتِ علّة، لا يُحدّد صوته وإنَّما الباب الذي ينتمي إليه، وذلك تَبَعًا لكثّرة ورود هذا الصّوت في الصّيغ المشتقة من هذا الجذر، فإذا قلنا: الجذر (ق «و» ل) فلا نعني أنَّ الواو أصلًا في الجذر؛ وإنَّما تشير إلى الباب الذي ينتمي إليه الجذر وهو (فال يفُول)، ومن هنا تُلغى فكرة القول بالجذر الثابت للصيغ المعلّة، فلا يتحتّمُ على الواو أو الياء أن تتكرّرَ وتوجد في كلِّ صيغةٍ مشتقةٍ من هذا الجّذرِ، وبذلك كانتْ لدينا الصيغُ المعلةُ الجوفاءُ التّاليةُ: فال يفول فول أو(فَعْل)؛ مثل قال يقول قَوْل، وفال يفيل فَيْل أو(فَعْل)؛ مثل باع يبيع بيع، وفال يفال فول أو(فَعْل)؛ مثل نام ينام نوم، ومن هنا لم تكن الواو في قَوَل أو الياء في بيع أصلًا للألف في قال وباع؛ وإنَّما هي عنوانٌ للباب الذي تنتمي إليه هذه الصيغ المعلّة؛ فإذا كان لدينا باب (فَعَل يفْعَل) و(فَعَل يفعِل) و(فعَل يفعُل) كانت هذه الأبواب المعلّة مقابلةً لهذه الأبواب الصحيحةِ، بحيث تتناسبُ الصَّوائتُ الطّويلةُ في البنى المُعلّةِ مع حركةِ الصَّوائتَ القصيرةِ في البنى الصحيحةِ؛ فالألف في فال

تتناسب مع الفتحة في فَعَل، والواو والياء في يفول ويفيل تتناسب مع الضمة والكسرة في يفعُل ويفعِل.

٢- إلغاء فكرة الأبنية الصَّرفيّة الثّابتة ووحدة الأنظمة للصحيح والمعتل؛ أي عدم قياس المعتل على الصحيح، فليس قال على وزن فَعَل ولَا يقُول على وزن يفعَل، بل لكلٍّ واحدةٍ منها وزنها الخاص المقابل لهذا الوزن الصحيح، فصيغة المضارع من المعتل من باب الواو هي (يفول)، ومن باب الياء هي(يفيل)، والماضي المفرد (فال). ومن هنا وجب إثبات هذه الصيغ المعلة في جداولَ صرفيّةٍ تُثبت من خلالها الأبنيةَ الصرفيةَ للصيغِ المعلةِ وأوزانها وَفقًا لأبوابها التي تنتمي إليها. مع ضرورة التنبيه إلى أنَّ هذهَ البنيةَ المعلّة أو الصّوت المعل قد يتنوع بين المدِّ واللين، ولما قلنا: إن هذا الصوت يأخذ موقع الصّامت في الصّيغة الصّحيحة أي موقع الفاء أو العين أو اللام فإنَّه وفي حالته اللينة يُمثل بصوتِ الصامتِ المقابل له في هذا الميزان؛ لأنَّ بنيته الصَّوتيَّة أصبحت أقرب إلى الصّوامت منها إلى الصّوائت كما بين البحث سابقًا، ومن هنا تُلغى فكرة الثّنائيّة والثّلاثيّة التي كانت من أسبابِ القولِ بالأصولِ المقدرةِ، وهي عدم الحرص على ورود حروف (فعل) في الميزان؛ فلولا حرصهم على بقاء العين وتمثيلِها لوزِنت قال على فال لا فعل.

	الصحيح	الوزن	المعتل	الوزن
الماضي	ذهَب	فَعَلَ	قال (باب الواو) باع (باب الياء)	فال
المضارع	يشرَب يأكُل يجلِس	يَفْعَل يفعُل يفعِل	ينام يقول (باب الواو) يبيع (باب الياء)	يفال يفول يفيل
الأمر	اشرَب	افْعَل	نَم قل بع	فَل فُل فِل
المصدر	شُرْب	فُعْل	نَوم قَوْل (باب الواو) بَيْع (باب الياء)	فَعل فَعل فَعل
اسم الفاعل	شارب	فاعل	قائل بائع	فاعل أو فائل فاعل أو فائل
اسم المفعول	مشروب	مفعول	مقول (باب الواو) مبيع (باب الياء)	مفول مِفيل
اسم المكان	مَشرَب	مَفعَل	مَقال مَبِيع	مَفال مِفيل

وبهذا تكون صيغة (فال) هي صيغة الماضي الثّابتة من كلِّ فعلٍ ثنائيّ معتلٍ أجوف، أمَّا تنوع الصيغ بين الألف الواو والياء فعائدٌ إلى الباب الصّرفي الذي تنتمي إليه، وبالتالي تتقابل صيغة يفعُل مع يفُول ويفعِل مع يفيل ويفعَل مع يفال. إنَّ هذه الأوزان قد تعاملت مع الصيغ الصَّرفيَّة بأصواتها المنطوقة، وبما يتناسب مع بنيتها المقطعيَّة، دون الخوض في عمليات الافتراض والتأويل للوصول إلى هذه الصيغ الناجزة، ومن ثَمّة تم تحقيق التوافق الصَّوتيّ بين الوزن والموزون.

الخاتمة

هكذا نجد أن الصرف العربي القديم وحتى التعليلات الصوتية الحديثة هي تعليلات افتراضية تأويلية سعت إلى الانطلاق من أصول وافتراض صيغ للوصول إلى الكلام المنطوق على اخلاف طرائقهم ونظرتهم إلى البنى الصوتية المكونة لبنية الكلمة العربية، وهذا ما أثقل كاهل الصرف العربي وجعله عُرضة للميول ومرتعا للأهواء كلٌ يرميه بما جادت به نفسه من آراء وأفكار، لذلك فقد سعى البحث إلى تقريب الصرف العربي أكثر من القارئ العربي وذلك بتخفيف هذا الثقل المفترض والمؤول للوصول إلى صيغ صرفية لا تتعدى مراحلها الكلمة أو الكلمتين ولذلك قدّم البحث نظريّةً خاصةً في آليّة البناء الصّرفيّ للصيغ المُعلّة، تقوم على اعتبار الجّذر المعل جذرًا ثُلاثيَّ الأصوات ثُنائيَّ الصّوامت؛ أيَّ إنَّه جذرٌ ثنائيٌّ مُعلّ بصوت علّة، وهذا الصّوت لا يتحدد وتتّضح طبيعته إلا في البنية الصّرفيّة التي يبنى عليها الجّذر، بحيث يتناسب هذا الصّوت المُعل مع طبيعة الصّوائت المحيطة به؛ فالألف في (قال، واستقام، أقام، مقام) قد ظهرت لمناسبة الفتحة في (فَعَل، واستفعَل، أفعَل، ومفعَل)، والواو في يقول والياء في يبيع لمناسبة الكسرة والضّمّة في (يفعُل ويفعِل)، والياء في (قايل وبايع قبل همزها) لمناسبة الكسرة في (فاعِل).

هذا وتبقى الدراسات الإنسانية قابلة للتطور، ونتائجها ليست ثابتة، لذلك سعى البحث إلى أن يكون امتدادًا للدراسات السابقة وليس تكرارًا لها، والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- الاستراباذي، رضي الدين(١٩٨٢م)، شرح شافية ابن الحاجب، تح محمد نور الحسن ومحمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.
- الإشبيلي، ابن عصفور (١٩٨٧م)، الممتع في التصريف، تح فخر الدين قباوة، الدار العربية للكتاب، ط١.
- ابن جني، أبي الفتح عثمان، (١٩٥٤م)، المنصف شرح لكتاب التّصريف للمازنيّ، تح إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، دار إحياء التّراث القديم، ط١.
- (١٩٨٥م)، سر صناعة الإعراب، تح حسين هنداويّ، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط١.
- حسان، تمام (١٩٨٩م) مناهج البحث في اللغة، مصر، مكتبة الأنجلو، ط١.
- (١٩٩٤م)، اللغة العربيّة معناها ومبناها، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ط١.
- الزين، عبد الفتاح(١٩٩٩م)، بين الأصالة والحداثة قسمات لغويّة في مرآة الألسنيّة، بيروت، المؤسسة الجامعيّة للدرسة والنشر، ط١.
- سقال، ديزيره (١٩٩٦م)، الصّرف وعلم الأصوات، بيروت، دار الصّداقة العربيّة، ط١.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٩٨٨م)، الكتاب، تح عبد السلام هارون.
- شاهين، عبد الصبور (١٩٨٠م)، المنهج الصوتيّ للبنية العربيّة، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، ط١.
- الشايب، فوزي (٢٠٠٤م)، أثر القوانين الصوتيّة في بناء الكلمة، الأردن، عالم الكتب، ط١.
- شمس الدين (١٩٣٧م)، أحمد المعروف بديكنقوز، شرح مراح الأرواح، بيروت، مطبعة الحلبي.
- عبد التواب، رمضان(١٩٩٩م)، فصول في فقه اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجيّ، ط١.
- الغلاينيّ، مصطفى(١٩٩٤م)، جامع الدروس العربيّة، بيروت، المكتبة العصريّة، ط٣.

- فليش، هنري (١٩٦٦م)، العربيّة الفصحى دراسة في البناء اللغويّ، ترجمة عبد الصبور شاهين، مصر، مكتبة الشباب، ط٢.
- القرالة، زيد(٢٠٠٤م)، الحركات في اللغة العربية، إربد، عالم الكتب، ط١.
- ماريو باي (١٩٩٨م)، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، ط٨.
- ابن يعيش، يعيش بن علي موفق الدين (١٩٩٨م)، شرح المفصّل، القاهرة، إدارة الطباعة المنيريّة.

Sources and References:

- Abdel-Thawab, Ramadan (1999 AD)، Chapters in Philology, Cairo, Al-Kanji Library, 1st Edition.
- Al-Istrabadi, Radhi Al-Din (1982 AD), Explanation of Shafia Ibn Al-Hajeb-Achievwment of Muhammad Nour Al-Hassan and Muhammad Mohi Al-Din, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Almiyya, 1st Edition.
- Al-Ishbili, Ibn Asfour (1987 AD), Al-Mumti' fi Al-Tasrif-Achievwment of Fakhri Al-Din Qabawah, AL Daar alArabia LLkitab, 1st Edition.
- Flesh, Henry (1966 AD)، Classical Arabic as a Study in Linguistic Structure, translated by Abdel-Sabour Shaheen, Egypt, Youth Library, 2nd Edition.
- Ibn Jani, Abi Al-Fath Othman, (1954 AD), Al-Monsef, an explanation of the book Al-Tasrif by Al-Mazzini, Investigation by Ibrahim Mustafa and Abdullah Amin, daar iheaa alketap alkadeem, 1st edition.
- (1985 AD), ser senate al al›iierab, Investigation by Hussein Hindawi, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st edition.
- Hassan, Tammam (1989 AD) Research on Language, Egypt, Anglo Library, 1st edition.
- (1994 AD), The Arabic language, its meaning and structure, Casablanca, Morocco, Library Al-Najah- 1st Edition
- Al-Ghalayni, Mustafa (1994 AD), The Jamie aldroos al Arabia Beirut, Al-Asriya Library, 3rd Edition.
- Mario Bay (1998 AD), The Foundations of Linguistics, translated by Ahmed Mukhtar Omar, Cairo, alam al kotoob, 8th Edition.
- Al-Qarala, Zaid (2004 AD), Movements in the Arabic Language, Irbid, alam al kotoob, 1st Edition.
- Sibawayh, Abu Bishr Amr bin Othman bin Qanbar (1988 AD), alketaab, Investigation by Abd al-Salam Haroun.
- Shaheen, Abdel-Sabour (1980 AD), The Phonetic Approach of the Arabic Structure, Beirut, Lebanon, Al-Resala Foundation, 1st Edition.
- Shams Al-Din (1937 AD), Ahmed known as Dickingoos, Sharh Marah Al-Rouhs, Beirut, Al-Halabi Press.
- Al-Shayeb, Fawzi (2004 AD), The Impact of Phonetic Laws on the Structure of Words, Jordan, alaam alkotob s, 1st Edition.

- Saqal, Desiree (1996 AD), Morphology and Phonology, Beirut, Dar Al-Sadaqa Al-Arabiya, 1st Edition.
- Ibn Ya'ish, Ya'ish bin Ali Muwaffaq al-Din (1998 AD), Sharh al-Mofassal, Cairo, Muniriya Printing Department.
- Al-Zein, Abdel-Fattah (1999 AD), between authenticity and modernity, linguistic features in the mirror of linguistics, Beirut, University Foundation for Study and Publishing, 1st Edition.

معَالمُ منهج الإمام الفخر الرازيّ في أَصولِ اَلفقهِ مِنْ خلالِ كتبِهِ

The Features of Al Imam Al Fakhr Al Razi Methods/ Approaches in Islamic Jurisprudence Principles (Usul Al Fiqh) Through his Books

د. علي بن محمد بن علي الشهري
جامعة نجران – المملكة العربية السعودية

Dr. Ali Mohammed Ali Alshehri
Najran University - KSA

https://doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.07

تاريخ تسلم البحث 2020/10/20 - وصدر خطاب القبول 2021/04/11

ملخص البحث

هذا بحثٌ بعنوان (معالم منهج الإمام الفخر الرازيّ في أصول الفقه من خلال كتبه) سعيتُ من خلاله إلى الإجابة عن عدة تساؤلات مفادها: هل كان للإمام الفخر الرازيّ إطارٍ منهجيٍّ ثابت؟ وما الأطر النظرية الأصولية التي ينطلق منها الفخر الرازيّ؟ وما مدى تأثيرها على الدرس الأصوليّ عنده؟ وهل كان للإمام الفخر الرازيّ منهج مستقل في الدرس الأصوليّ؟ فضلًا عن السؤال عن معالم الدرس الأصولي من حيث الصياغة والمضمون عند الفخر؟ وما التجديد فيها؟ وبالإجابة عن هذه الأسئلة يمكن تحقيق هدف هذا البحث. وقد جعلته في مقدمةٍ وأربعة مباحث تغطي جوانبَ الموضوع.

كلمات مفتاحية: الشهريّ – الرازيّ – أصول الفقه – منهج – إطار معرفي.

Abstract

This research Entitled (The Features of Al Imam Al Fakhr Al Razi Methods/Approaches in Islamic Jurisprudence Principles (Usul Al Fiqh) Through his Books) aims to answer several questions, including: Did Al Imam Al Fakher Al Razi have a fixed systematic framework? What are the fundamentalist theoretical frameworks that Al Fakhr Al-Razi adopted? What is its impact on the fundamentalist lesson? Did Al Imam Al Fakhr Al Razi have an independent curriculum in the fundamentalist lesson? What are the features of the fundamentalist lesson in terms of form and content in Al Fakhr works? And what is the renewal? By answering these questions, the goal of this research can be achieved. This research has introduction, and four Topics covered all the subject aspects.

Keywords: Monthly - Al Razi - Usul Al Fiqh - Methodology - Knowledge Framework.

المقدمة

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد

فإنَّ أحرى ما عُنيت الهمم بتسديد قواعده وتشييده، العلم الذي هو قوام الدين، والمُرقِّي إلى درجات المتقين. وعلم أصول الفقه جواده الذي لا يُلْحق، وحبله المتين الذي هو أقوى وأوثق، فإنه قاعدة الشرع، وأصله الذي يُرد إليه كل فرع[1]. والإمام العالم الكبير أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٥٤٤هـ - ٦٠٦هـ) من أجل علماء هذا الفن وأقدرهم، بل هو علامةٌ فارقة وطود من أطواده الكبار، انتشر كتابه (المحصول في علم الأصول) في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال به ورفضوا كتب الأقدمين.

وهذا بحث بعنوان: (معالم منهج الإمام الفخر الرازي في أصول الفقه من خلال كتبه).

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

دعاني إليه مكانة المؤلِّف ومؤلَّفاته -على ما سيأتي من مسوغات في المبحث الأول: لماذا فخر الدين الرازي؟- بالإضافة إلى أني لم أقف على من تكلم عن معالم منهج الفخر الأصولي استقلالاً مع أثره الكبير في الفن، ومع النتاج الكبير في الدراسات المعاصرة حول حياة أبي عبد الله الرازي ومؤلفاته وآرائه وقضاياه -حتى كُتِبت رسالةٌ في موقف الفخر الرازي مِن العقائد اليهودية!- إلا أنَّ الجانب الأصولي من حياته ما زالَ قَفْرًا لم يُوطأ فيما ظهر لي.

١- ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتبي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، (١/ ٤).

الدراسات السابقة:

كما بينتُ سابقًا أنه مع الزخم الكبير من الدراسات حول الفخر الرازي إلا أني لم أقف على من تكلم عن منهج الفخر الرازي الأصولي إلا ما جاء في رسالة الدكتور علي بن ممدوح آل مشعل للدكتوراه (علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية تاريخية تحليلية)؛ فإنه قد قدم الباحث إفادة -لا نهضم حقها- عن الفخر وكتابه المحصول في أكثر من مئة صفحة، ومع طول تلك الصفحات لكني أرى أن عمله مع سبقه ينقصه كثير مِن التحريرِ والتدقيقِ والاستقراء الجيد فضلًا عن النظر في كُتب الرازي الأصولية جميعها كالمعالم والمنتخب إذ قَصَرَ الباحثُ عمله على المحصول وحده، بالإضافة إلى إغفاله عددًا مهما من المعالم الأصولية التي ستراها في هذا البحث -إن شاء الله-، وزد على ذلك انجرار الباحث للتوسع في التوجه الكلامي للفخر باعتبار مكانته في علم الكلام، وكثرة الأعمال المعاصرة وغير المعاصرة على الرازي في هذا الجانب؛ إذ هو من أكبر متكلمة الصفاتية، ومنعطف تاريخي في علم الكلام والفلسفة الإسلاميتين[1]؛ فلقد أخذ هذا المنحى قدرًا كبيرًا من جهد الدكتور آل مشعل فأطال أحيانًا كثيرة جدًا فيما هو خارج عن محل النزاع.

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي -والذي يمثل مشكلة الدراسة-: ما منهج الإمام فخر الدين الرازي وما منطلقاته عند كتابته في علم أصول الفقه؟

١- قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، ت: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٦هـ (١/ ١٠): «الإمام المطلق في اصطلاح المقتدين به من أهل الفلسفة والكلام، المقدَّم عندهم على من تقدمه مِنْ صِنْفِه في الأنام».

ويتفرع عن هذا السؤال عدة تساؤلات تُعدُّ تساؤلات تحليلية، هي:

١- هل كان للإمام الفخر الرازي إطار منهجي ثابت؟

٢- ما الأطر النظرية والفكرية والأصولية التي ينطلق منها الفخر الرازي؟ وما مدى تأثيرها على الدرس الأصولي عنده؟

٣- هل كان للإمام الفخر الرازي منهج مستقل في الدرس الأصولي؟

٤- ما معالم الدرس الأصولي من حيث الصياغة والمضمون عند الفخر؟ وما هو التجديد فيها؟

وبالإجابة عن هذه الأسئلة يمكن تحقيق هدف هذا البحث.

خطة البحث:

جعلتُ البحث مُقسَّمًا إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة مختصرة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

فالمقدمة فيها عنوان البحث، وأهميته، وسبب اختياره، والدارسات السابقة، ومشكلة البحث وخطته.

المبحث الأول: لماذا الفخر الرازي؟

المبحث الثاني: النتاج الأصولي للفخر الرازي وأهم الأعمال عليه.

المبحث الثالث: معالم منهج الإمام الرازي الكلية، ومنطلقاته في الدرس الأصولي.

المبحث الرابع: معالم منهج الإمام الرازي في بحث المسائل الأصولية بخصوصها من خلال كتبه الأصولية.

وأعقبت ذلك بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، سائلًا الله الإعانة والتوفيق.

المبحث الأول: لماذا الفخر الرازي؟

أظن الفخر الرازي من أولى علماء أصول الفقه الذين ينبغي أنْ يُدْرَس منهجهم ويُستقرأ أثرهم لاسيما في كتابه المحصول، وذلك لما للمؤلِّف ومؤلَّفه في قيمة علمية وأثر كبير. إذ أثَّر الفخر الرازي في الدرس الأصولي تأثيرًا بينًا في نواحيه المختلفة -العلمية والأسلوبية والفنية الشكلية- على ما سيأتي، وأصبحت كتب الرازي وطريقته كالجادة التي يَقْتدي بها كل من جاء بعده، ويمكن أنْ نُجْمِل الكلام في الجواب عن عنوان المبحث بالآتي:

١- ما للفخر من مكانة علمية في ذاته، لا سيما في العلوم العقلية والفلسفة عمومًا، وعلم الأصلين خصوصًا، حتى صار لقب (الإمام) حكرًا عليه في الأصلين في الغالب، نعم قد ينازعه إمام الحرمين هذا اللقب لدى بعض الأصوليين لكن الغالب الأعم أنَّه إذا أطلق (الإمام) لم يُرد به غير الفخر[١]. وفي هذا يقول تقي الدين ابن تيمية: «ذَكرتُ ما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري، الإمام المطلق في اصطلاح المقتدين به من أهل الفلسفة والكلام، المقدَّم عندهم على من تقدمه من صِنْفه في الأنام، القائم عندهم بتجديد الإسلام، حتى قد يجعلونه في زمنه ثانيَ الصديق في هذا المقام»[٢].

٢- وقال اللقاني في حاشيته على جمع الجوامع: «اصطلاحه (يعني ابن الحاجب) كغيره إنَّ الإمام إذا أطلق فالمراد به الرازي»[٣]. وبغض النظر عن صحة

١- ينظر: العلواني، طه جابر، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٣١هـ (ص:٣٢).
٢- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٠).
٣- حاشية اللقاني على جمع الجوامع (ص:٢٦٣) -رسالة ماجستير-.

اصطلاح ابن الحاجب، لكن المُدَّعى أن اصطلاح الكثيرين أن الإمام إذا أطلق فالمراد به الفخر الرازي.

شغفه الكبير بالعلم والمعرفة، وتطلعه للبحث والنظر؛ فإن هذه الصفة مدعاة لكثرة النتاج العلمي فضلًا عن الإجادة والإحسان؛ ولذا نجد الفخر نفسَه يُبين كيف أنَّ المعرفة وطلب الوقوف على حقائق الأشياء هي أعلى رتب الملذات الدنيوية؛ فيقول في رسالة أقسام اللذات: «أقول: إنَّ اللذات المطلوبة في هذه الحياة العاجلة مَحصورة في أقسام ثلاثة؛ فأدونها هي اللذات الحِسية وهي قضاء شهوتين (يقصد البطن والفرجَ) وأوسطها اللذات الخيالية، وهي اللذات الحاصلة من الاستعلاء والرئاسة، وأعلاها اللذات العقلية، وهي اللذات الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها»[1]، ثُمَّ يُفيض في بيان كيف أنَّ لذَّة الوقوف على حقائق الأشياء هي أعلى اللذات وأحلاها وأشرفها.

وفي وصيته المشهورة يقول: «اعلموا أني كنت رجلًا محبًا للعلم؛ فكنت أكتب في كل شيء شيئًا لا أقف على كمية وكيفية سواء كان حقًا أو باطلًا أو غثًا أو سمينًا»[2].

٣- الذهنية الموسوعية للفخر، وتبحره في عدّة علوم، فإنه كان مشاركًا بل بارعًا في عدة علوم، يقول ياقوت الحموي: «اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله وهي: سعة العبارة في القدرة على الكلام، وصحّة الذهن، والاطلاع الذي ما عليه مزيد، والحافظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينه على ما يريده في تقرير الأدلّة والبراهين. وكان فيه قوّة جدلية ونظر

١- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ذم لذات الدنيا (أقسام اللذات)، ت: أيمن شهيدة، بدون دار نشر، ط١، ٢٠٠٦م (ص:٢١٢).

٢- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ت: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت (ص: ٤٦٧).

دقيق، وكان عارفًا بالأدب»[١].

ويقول العماد ابن كثير: «جالت أقلام فخر الدين -رحمه الله- في فنون كثيرة من العلوم، واتسعت دائرته، وتسلطن في فن الكلام خاصة حتى قيل: إنه كان يحفظ الشامل لإمام الحرمين»[٢].

٤- مع ما تقدم في النقاط السابقة فقد قام جدلٌ طويلٌ حول الفخر الرازي وعلمه وعقيدته ومكانته؛ فمن العلماء من يراه المُجددَ المبعوثَ على رأس المئة السادسة[٣]. وتقدم قول ياقوت الحموي في مدح الرازي «والاطلاع الذي ما عليه مزيد». في الوقت الذي يرى غيرهم أنه كان ضعيفًا في عدَّة علوم، فقيل كان في التصوُّف ضعيفًا، كما كان ضعيفًا في الفقه[٤]. ويرى تقي الدين ابن تيمية أيضًا أنه كان ضعيف الاطلاع على كتب المتقدمين فيقول: «أبو عبد الله الرازي غالب مادته في كلام المعتزلة: ما يجده في كتب أبي الحسين البصري، وصاحبه محمود الخوارزمي، وشيخه عبد الجبار الهمداني ونحوهم. وفي كلام الفلاسفة: ما يجده في كتب ابن سينا وأبي البركات ونحوهما، وفي مذهب الأشعري: يعتمد على كتب أبي المعالي كالشامل ونحوه وكتب القاضي أبي بكر وأمثاله، وهو ينقل أيضًا من كلام الشهرستاني وأمثاله.

١- الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي، معجم الأدباء، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ (٦ / ٢٥٨٦).

٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، طبقات الشافعيين (ص: ٧٨٠).

٣- ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، ت: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ (٤ / ٥٧٨)، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ (٤ / ١٤٠)، الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١١م (٧ / ٣٤١)، طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ (٢ / ٢٠٦).

٤- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بغية المرتاد، ت: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط٣، ١٤١٥هـ، (ص: ٤٥١)، بتصرف.

وأما كتب القدماء كأبي الحسن الأشعري وأبي محمد ابن كلاب وأمثالهما، وكتب قدماء المعتزلة والنجارية والضرارية ونحوهم؛ فكتبه تدل على أنه لم يكن يعرف ما فيها»[1].

ونحن حين نقيم محاكمة بين ياقوت وابن تيمية نجد ياقوت في طبقة طلاب الفخر ولد عام (٥٧٤هـ) وأدركه، إذ توفي الفخر وعُمْرُ ياقوت (٣٢) سنة (ت:٦٢٦هـ)، في المقابل نجد ابن تيمية وإن لم يدرك الفخر (ت:٧٢٨هـ) لكنه من أكثر الناس عناية بالرازي، فضلًا عما شُهِدَ له به مِنْ مزيد الاطلاع والإنصاف، فالله أعلم بالصواب.

ونرجعُ للفخرِ فنجده قد رُمِي بأوصافٍ شنيعة، وانحرافٍ وبدعة، ومخاطبةٍ للنجوم، وإقبالٍ على الدنيا[2]، في مقابل ثناءٍ ومدح وتبجيل وإجلال. بل من العجيبَ أنه قد رُمي بالتشيع في الوقت التي يذمه فيه بعض الشيعة ويحط من قدره[3].

وأيا ما كان فإن باحثًا في موضوعٍ عن الفخر الرازي ومنزلتِهِ ومنهجِهِ كمن يسير على رؤوس الأفاعي بين شانئٍ مناوئ يرى في الرجل رمزًا للكفر والشرك والبدعة والزندقة والضلال ومداهنة الظالمين، وآخر محبٍ مغالٍ يراه رمزًا للإيمان والقداسة والعلم والصديقّية. وبين هذا وذاك طريق وعرٍ قلَّ مَن يسلكه، والإنصاف عزيز.

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط٢، ١٤١١هـ (٢ / ١٥٩).

٢- ينظر: الصعيدي، عبد المتعال، المجددون في الإسلام، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ (ص:١٧٠).

٣- ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، لسان الميزان، ت: دائرة المعرف النظامية في الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٣٩٠هـ (٤ / ٤٢٩)، الخوانساري الميرزا محمد باقر الموسوي، روضات الجنات، المطبعة الحيدرية، طهران، ط بدون، ١٣٩٠هـ ق (٨ / ٤٦).

٥- من القضايا التي أظنها محل اتفاق بين كثير من الباحثين أنَّ أبا عبد الله الرازي منعطف كبير في التاريخ الإسلامي، وله حركته العلمية والثقافية والمعرفية والفلسفية المتميزة، إذ يمكن القول: إن الفخر يمثل حجر زاويةٍ في كثيرٍ من العلوم ونقطة التقاء بين المتقدمين والمتأخرين، وصاحب منهج جديد في التصنيَف والترتيب والتفكير والبنية المعرفية -وافقناه أو خالفناه-، فقد «كان له من العظمة والمهابة في قلوب الموافقين له والمخالفين ما قد سارت به الركبان» كما يقول الشيخ تقي الدين ابن تيمية[١].

٦- أنَّ كتب الفخر الرازي قد ملأت الأرض وأكبَّ الناسُ عليها وأعرضوا عما سبقها مذ وضعها الفخر، فقد نص جماعة من أصحاب التراجم والطبقات على أنه قد رُزِقَ السعادةَ في مُصنفاته، وانتشرت في الآفاقِ في حياته، وأقبلَ الناسُ على الاشتغال بها ورفضوا كتب المتقدمين[٢]. ويفيدنا النقشواني (ت:٦٥١هـ) أن كتاب المحصول هو المتداول من كتب الأصول في زمانه فيقول: «المتداول في زماننا هذا كتاب المحصول للشيخ فخر الدين الخطيب»[٣].

حتى إن الآمدي على علو كعبه أكثر من التعقب على الرازي في الإحكام؛ فينقل عبارته بحروفها -تقريبًا- ثم يتعقبها، بل له كتاب مستقل في المؤاخذات على المحصول[٤].

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٢).

٢- ينظر: الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي، معجم الأدباء (٦ / ٢٥٨٦)، الإربلي، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ط١، ١٩٩٤م، (٤ / ٢٤٩)، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام، ت: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م (١٣ / ١٣٨)، السبكي تاج الدين عبدالوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ (٨ / ٨٦).

٣- النقشواني، نجم الدين أحمد بن أبي بكر، تلخيص المحصول (ص:٥٧) رسالة صالح الغنام للدكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة، ١٤٠٧هـ.

٤- ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات (٢١ / ٢٢٩).

بين الرازي والشاطبي:

نسجّل -هنا- ملحوظة مهمة مفادها أن بعض الباحثين[1] قد نقل ثناء الناس على المحصول وهو لذلك أهل، ونقل كلمة لأبي إسحاق الشاطبي في خاتمة الموافقات وعدَّها ثناءً على كتاب المحصول للفخر الرازي، وهي قول أبي إسحاق: «فلا عليه إذا اقتصر التحصيل على المحصول؛ ففيه إن شاء الله مع تحقيق علم الأصول علم يذهب به مذاهب السلف»[2].

وظاهر هذه العبارة بهذه الطريقة الثناء على كتاب المحصول، لكن أظن الأمر ليس له علاقة بكتاب المحصول من أصله؛ فالكلام حين نتتبعه من أوله نَجِدُ الشاطبيَ يتكلم عما يُحصِّله الناظرُ في كتابه الموافقات، والعبارة بتمامها: «وقد تم -والحمد لله- الغرض المقصود، وحصل بفضل الله إنجاز ذلك الموعود على أنه قد بقيت أشياء لم يسع إيرادها؛ إذ لم يسهل على كثير من السالكين مرادها، وقل على كثرة التعطش إليها وُرادها؛ فخشيت أن لا يردوا مواردها وأن لا ينظموا في سلك التحقيق شواردها؛ فثنيت من جماح بيانها العنان، وأرحت من رسمها القلم والبنان، على أنَّ في أثناء الكتاب رموزًا مُشيرة، وأشعة تُوضّح من شمسها المنيرة، فمن تهدى إليها رجا بحول الله الوصول، ومن لا؛ فلا عليه إذا اقتصر التحصيل على المحصول؛ ففيه إن شاء الله مع تحقيق علم الأصول علم يذهب به مذاهب السلف، ويقفه على الواضحة إذا اضطرب النظر واختلف»[3].

والذي يُفْهم مِن هذا النص أن الشاطبي يقول إن هنالك مسائل أعرض عن تضمينها كتابَه، لكنه عوَّض ذلك برموزٍ تدل على تلك المسائل التي كان ينوي

١- ينظر: آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية تاريخية، تحليلية (ص:١١٩٩) -رسالة للدكتوراه-، جامعة الإمام، ١٤٢٤هـ.

٢- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م (٥/ ٤٢٣).

٣- المرجع نفسه

تضمينها؛ فمن اهتدى لتلك الرموز بفطنته رجا الوصول إلى المرتبة التي أرادها الشاطبي، ومن لم يهتد لما قصده الشاطبي بتلك الرموز فيكفيه أن يُحصِّل (المحصول) أي المضمّن صراحة في الكتاب ففيه تحقيق علم الأصول وغيره.

المبحث الثاني: النتاج الأصولي للفخر الرازي وأهم الأعمال عليه

ذكر جماعة من المؤرخين مؤلفاتٍ كثيرة للفخر الرازي وتبعهم جمع من الباحثين، وأوصلها بعضهم إلى أكثر من مئتي عنوان[١]، وقسمها بعضهم على الفنون بحسب عناوينها أو نحو ذلك[٢]، والحقيقة أن تقسيم كل المؤلفات الوافرة بحسب الفنون من غير أن نطلع على محتوى تلك الكتب فيه نوع تحكم، ولربما ظنَّ المرءُ موضوع الكتاب شيئًا فلمَّا طالعه وَجَدَ عنوانه في وادٍ آخر غير ما ظنه[٣].

وعلى أي حال فالذي يعنينا -هنا- المؤلفات الأصولية المطبوعة، وهي أربعة:

الأول: المحصول في علم أصول الفقه.

والثاني: المعالم في أصول الفقه.

والثالث: المنتخب من المحصول.

والرابع: الكاشف عن أصول الدلائل.

فأمَّا المحصول فهو أجل كتبه الأصولية وأعلاها شأوًا، وعليه المعوَّل في الغالب لدى الأصوليين، وإن كان (المعالم) متأخرًا عنه في التأليف، لكن المحصول هو

١- ينظر: الزركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، دار الفكر، بيروت، ط١ ١٩٦٣م (ص:٤٠)، العلواني، طه جابر، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته (ص:١٣١).

٢- ينظر: الزركان، محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية (ص:٤٠)، الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص:٢٧) مقدمة المحقق. العلواني، طه جابر، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته (ص:١٤٣).

٣- ينظر: العريبي، محمد، المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م (ص:١٠١).

المرد، حتى قيل: لعل كل ما كتبه الفخر قبل المحصول مدرج فيه، وما كتبه بعده عائد إليه[1]. وهذه الكلمة ليست على إطلاقها بطبيعة الحال، فإن الفخر قد ذَكَرَ في المعالم ترجيحاتٍ وأمورًا لم تكن كما هي في المحصول -وسيأتي شيء من ذلك-.

وفَرَغَ الفخرُ من تأليف المحصول عام (٥٧٦هـ) على ما في بعض مخطوطاته[2]. وهذا يفيدنا أنه كان في الثانية والثلاثين من عمره! فأي شاب هذا الذي يكتب مثل هذا الكتاب الباذخ في مثل هذا السن المبكر نسبيًا، ثُمَّ كَتَبَ المعالم في آخرِ سني عمره؛ قال ابن أبي أصيبعة: «وَهُوَ آخر مصنفاته من الصغار»[3]. فالظن أنه ألفه بعد الستمائة (٦٠٠هـ)، وأمَّا المنتخب فهو اختصار للمحصول كما هو بيّن من عنوانه وعلى ما نصَّ عليه مؤلفه في مقدمته[4]، وعليه فسيكون تأليفه بعد زمن تأليف المحصول وإن لم نقف على تاريخ تأليفه تحديدًا، هذا مع تجاوز ما جاء من تشكيك في صحة نسبة الكتاب للفخر نفسه. وأما الكاشف عن أصول الدلائل فهو كتاب في الجدل ألفه لبعض أمراء الإمامية.

وعلى العموم فيمكن تفصيل الكلام عن (المحصول) و(المعالم في أصول الفقه) في المطالب التالية:

المطلب الأول: استمداد مادة المحصول

يمكن أنْ نجمل الأقوال في استمداد مادة المحصول في ثلاثة أقوال على البسط: فقيل: استمده من (المعتمد). وقيل: (منه ومن المستصفى). وقيل: (منهما

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول، ت: طه العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ، (١ / ٤٧) مقدمة التحقيق.
٢- ينظر: المرجع نفسه (١ / ٤٨) مقدمة التحقيق.
٣- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص: ٤٧٠).
٤- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المنتخب من المحصول في علم أصول الفقه، ت: عدنان العبيات، أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل، الكويت، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م (ص:٦٣).

ومن العمد والبرهان).

فأمَّا استمداده من (المعتمد) لأبي الحسين البصري، و(المستصفى) لأبي حامد الغزالي فظاهر لا شك فيه، وخاصَّة (المعتمد) لمن تأمل الكتابين، وفي هذا يقول تقي الدين ابن تيمية: «وله مادة قوية من كلام أبي الحسين البصري، وسَلَكَ طريقته في أصول الفقه كثيرًا، وهي أقرب إلى طريقة الفقهاء من طريقة الواقفة»[١].

ونصَّ الإسنويُ على المعتمد والمستصفى معًا؛ فقال: «المحصول استمداده من كتابين لا يكاد يخرج عنهما غالبًا، أحدهما المستصفى لحجة الإسلام الغزالي، والثاني المعتمد لأبي الحسين البصري حتى رأيته ينقل منهما الصفحةَ أو قريبًا منها بلفظها؛ وسببه على ما قيل: (إنه كان يحفظهما)»[٢].

وزاد جماعة من العلماء والباحثين؛ فقال: بل استمداده من أربعة كتب: العمد، والمعتمد، والبرهان، والمستصفى. وعلى رأس أولئك الذاهبين لهذا الوجه القرافي وابن خلدون[٣]. لكننا نلاحظ أنه «مع ذكر كثيرٍ من العلماء والباحثين أن هذه المصادر الأربعة هي مصادر الرازيّ الأساسية في كتابه هذا إلاّ أنه لم يُصرّحْ باسم أيّ واحدٍ منها، ولكنْ يقتصر في النقل عنها على نسبة القول لمؤلّفها»[٤]، والأمر في هذا قريب والأمر يسير. ومثل ما نقل عنهم بأسمائهم نقل أقوالَ كثيرٍ من أعلام الأصوليين غيرهم، فنقل -مثلًا- عن أبي حامدٍ الاسفراييني، وأبي

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بغية المرتاد (ص: ٤٥٠).

٢- الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م (ص: ٦).

٣- ينظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م (١/ ٩١)، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (١/ ٥٧٦).

٤- آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية (ص:١١٧١) -رسالة للدكتوراه-.

بكرٍ الرازيّ، وأبي الحسن الكرخيّ، وأبي بكرٍ الباقلاّنيّ، وأبي بكرٍ الدقّاق، وغيرهم[١].

ويظهر أنه كثيرًا ما ينقل عنهم بواسطة أو من مصادره الأُسُسُ، ولهذا لربما حصل عنده بعض الوهم في نسبة بعض الأقوال والمسائل، فمن ذلك أنه ذكر تعريفًا لـ(واجب) نسبه للقاضي الباقلاني؛ فقال: «الذي اختاره القاضي أبو بكر: أَنَّه مَا يُذمُّ تَاركه شرْعًا على بعضِ الوجوه»[٢].

وهذا النقل لا يُطابق ما في التقريب والإرشاد -الصغير- تمامًا[٣]، ولا ما في التلخيص للجويني[٤]، فربما كان للباقلاني تعريف آخر غير الذي في التقريب -الصغير- وما نقله عنه في التلخيص، وربما تجوّز الفخر الرازي في النقل أو وَهِمَ، فإن نَص تعريف الباقلاني في التقريب: «ما وجب اللوم والذم بتركه من حيث هو ترك له»[٥]. وفي التلخيص: «ما ورد الشرع بالذم بتركه من حيث هو ترك له»[٦].

وفي الجملة فالرازي قد استفاد بدرجةٍ أولى من المعتمد والمستصفى وزاد عليهما شرح العمد والبرهان، لكن هل استفاد من غير هذه الأربعة؟ احتمل محققُ المحصول أنْ يكونَ الرازيّ قد استقى كلامَه في تقرير حجيّة الإجماع من

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٩٥، ٢٦٩)، (٢ / ١٣٤، ٢٥١)، آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية (ص:١١٧١) -رسالة للدكتوراه-.
٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٩٥).
٣- ينظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التقريب والارشاد (الصغير)، ت: عبدالحميد أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٨ / ١٩٩٨م (١ / ٢٩٣).
٤- ينظر: الجويني، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله، التلخيص في أصول الفقه، ت: عبدالله جولم النيبالي وشبير أحمد العمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٢، ١٤٢٨ ٢٠٠٨م (١ / ١٦٣) فقرة (٧٦).
٥- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التقريب والارشاد (الصغير) (١ / ٢٩٣).
٦- الجويني، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله، التلخيص في أصول الفقه (١ / ١٦٣) فقرة (٧٦).

كتاب الفقيه والمتفقِّه للخطيب البغداديّ؛ لشدّة الشَّبَه بين الأسلوبين[١]، وعلى هذا فهنالك كتب أخرى ذات قيمة علمية قد استفاد منها الرازي.

وحين نقول إنَّ الفخر قد اعتمد على تلك الكتب الأربعة المذكورة؛ فإنه يكون قد اعتمد على ما هو عمدة الفن بحسب رأي ابن خلدون وغيره[٢].

وهنا تُسجل ملحوظة مهمة: هي أنَّ مصادرَ الفخر الرازي الأصلية قليلة، وبالاستقراء فلم يَنْقلْ عن كثيرٍ من الكتبِ الأصوليةِ القريبةِ من زمنه أو المعاصرة له، مثل: كتاب الميزان لأبي بكرٍ السمرقنديّ، وكتاب أبي المظفَّر السَّمعانيّ، وإلكيا الهراسي، وكتب أبي الفتح ابن بَرهان، وابن العربي المالكي وغيرهم[٣].

وهذا يذكرنا بكلمة التقي ابن تيمية عن الفخر الرازي ومصادره وإن لم تكن على إطلاقها، فإنا نجد الفخر في المباحث اللغوية قد صرّح في المحصول بالنقل عن كثيرٍ من كتب علوم اللّغة بما فيها كتب الأدب[٤].

ثُمَّ أظن الفن يقوم على كتابين هما مداره: (التقريب والإرشاد) للقاضي الباقلاني و(المعتمد) لأبي الحسين البصري، المأخوذ من كتاب شيخه عبد الجبار، وكيفما كان فقد أفاد الفخر الرازي من الكتابين ولو بواسطة، قال الزركشي في البحر عن التقريب: «وهو أجل كتاب صُنِّف في هذا الفن مطلقًا»[٥]. لكن الزركشي يذهب إلى أن القاضي عبد الجبار صنو الباقلاني في التأثير في الفن فيقول: «حتى جاء القاضيان: قاضي السنة أبو بكر بن الطيب، وقاضي المعتزلة

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٤ / ٨٣)، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط٢، ١٤٢١هـ (١ / ٣٩٧).

٢- ينظر: ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (١ / ٥٧٦).

٣- ينظر: آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية تاريخية تحليلية (ص:١١٦٨) -رسالة للدكتوراه-.

٤- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول، (١ / ٢١١، ٣٢٢، ٣٨١) (٢ / ٣٩٢، ٤٠٤) (٥ / ٣٣٩).

٥- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه (١ / ١١).

عبد الجبار، فوسعا العبارات، وفكا الإشارات، وبينا الإجمال، ورفعا الإشكال. واقتفى الناس بآثارهم، وساروا على لاهب نارهم، فحرروا وقرروا، وصوروا، فجزاهم الله خير الجزاء، ومنحهم بكل مسرة وهناء»[1]. والحقيقة أن إنكارنا أثر القاضي عبد الجبار في الفن مكابرة، لكن التأثير البيِّن في الكتب الأصولية من بَعْدُ يكاد يقتسمه (التقريب) و(المعتمد)، فـ«على نهج كتابِ التقريبِ والإرشاد للقاضي الباقلاني سارت جلُّ المؤلفات الأصولية التَي وضَعها الأصوليون من بعده...وهذا يؤكد أن كتاب التقريب والإرشاد للقاضي أبي بكر هو أجل كتاب صنف في هذا العلم مطلقًا بعد رسالة الإمام الشافعي»[2] كما يقول البدر الزركشي.

وكما كثر المتأثرون بالتقريب والإرشاد كثر كذلك المتأثرون بالمعتمد من بعده؛ فنجد علاء الدين السمرقندي مع أنَّه جَعَلَ مِن دواعي وضعه لكتابه ميزان الأصول أن غالب المصنفين في الفن من المعتزلة وأهل الحديث المخالفين لمذهبه في الأصول والفروع[3]، لكنه تابع أبا الحسين، وكذلك فَعَلَ الأسمندي في بذل النظر، والكلوذاني مِنْ الحنابلة وغيرهم.

وفوق هذا أنَّ (المعتمد) مع بُلوغه الغايةَ في البابِ وإنْ تأخر عن التقريب، نجد أبا الحسين مخاطبًا أبا بكر الباقلاني قائلًا: «لو أنصفتَ نفسك لمدحتهم (يقصد المعتزلة) لأنهم علموك وعلموا شيوخك الكلام في الوفاق والخلاف»[4].

وقال المرتضى أحمد بن يحيى مادحًا أبا الحسين: «نفع اللّه بعلمه أبلغ من غيره

١- المرجع نفسه (١ / ٥).

٢- شهيد، الحسان، نظرية النقد الأصولي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م (ص:١١٩).

٣- ينظر: السمرقندي، أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد، ميزان الأصول، ت: محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م (ص:٢).

٤- البصري، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب، تصفح الأدلة، ت: ويلفرد مادلنغ، Wiesbaden، ٢٠٠٦م (ص:٣٥).

(يعني من المعتزلة) ألا ترى إلى كتاب المعتمد في أصول الفقه فإنَّه أصل لأكثر الكتب التي صنّفها المتأخّرون في هذا الفنّ واعتمدوه، وكذلك غيره من كتب أصول الدين كالفائق»[١].

وهذا صحيح لا مرية فيه لكن الواقع الخارجي يقول إن أبا الحسين قد استفاد -أيضًا- من أبي بكر الباقلاني بوجهٍ أو بآخر.

وكيفما كان ففي ظني أن التقريب والإرشاد للسان الأمة القاضي الباقلاني لم يأخذ حقه من المكانة عند المتأخرين كما نال البرهان والمستصفى مع أن غالب مادتهما منه وهما عالة عليه، وقد اختصره الجويني في الملخص وأكثر في البرهان من الدفاع عنه أو الرد عليه. وإذا تم هذا فيظهر من صنيع أبي عبد الله الرازي أنه لم يقف على التقريب مباشرة وإنما نقل عنه بواسطة.

وهذه المواد التي استمد منها الرازي هي عينها في المعالم والمنتخب فيما يظهر من صنيع الإمام فيهما.

المطلب الثاني: الأعمال على كتب الرازي

عَظُم نفع الناسِ بكتب الرازي الأصولية لا سيما المحصول ومختصراته، وحصل لهم بسببه مِن الأهليَّة، والاستعداد ما لم يحصل لمن اشتغل بغيره[٢]. واشتغل الكبار به شرحًا واختصارًا وتعقبًا، وكثرت الشروح من الفطاحل؛ إذ لم يتجرأ على الكتاب إلا فحل؛ وكتب الرازي الأصولية التي لها شرح بين أيدي الناس اليوم اثنان المحصول والمعالم

١- المرتضى، المهدي لدين اللّه أحمد بن يحيى، طبقات المعتزلة، ت: سُوسَنّة دِيفَلْد - فِلْزَر، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط بدون، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م (ص:١١٩).

٢- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (١ / ٩٠)، بتصرف.

المسألة الأولى: الشروح المطبوعة أو المتداولة للمحصول اليوم

وصلنا -في حد علمي- من شروح المحصول ثلاثة شروح:

أولها: نهاية الوصول في شرح المحصول لقاضي العسكر (ت:٦٥٠هـ)، وهو شرح التزم فيه مؤلفه بمتابعة الفخر وفك عبارته، ويمكن القول: إنَّ قاضي العسكر سار في شرحه على طريقة فخر الدِّين الرازي في عرض المسائل والأدلة، مع اختصار في مواضع، وزيادةٍ يسيرة في مواضع أخرى، وذِكْر للاعتراضات والإشكالات الواردة على كلام الفخر الرازي، فكأنه أراد صياغة المحصول بلغة سهلة وقريبة تسهيلًا لطلبة العلم، وتكميلًا لمقاصد من يتصدَّى لتدريسه وهذا واضح غاية الوضوح لمن تأمل في الكتاب. وقد نصَّ قاضي العسكر على منهجه في أول كتابه فقال: «أحببتُ أنْ أختصر من ألفاظه ما يُستغنى عنه بباقيه، مع ذكر زيادةِ قيدٍ؛ لتفهيم معانيه، وأذكر جميع ما ذكره المتأخرون من إشكالٍ عليه، مع ذكر جوابه إنْ تيسَّر، والإعراض عنه متى تعسَّر»[1]. وقد حُقق هذا الشرح في عدَّة رسائل في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية منذ سنوات قريبة.

وثانيها: نفائس الأصول في شرح المحصول لشهاب الدين القرافي (ت:٦٨٤هـ)، وهو شرح حافل، مطبوع معروف متداول، وقد بيَّن القرافي منهجه في الشرح ومصادره في مقدمة كتابه فقال: «استخرت الله -تعالى- في أن أضَعَ له شرحًا أودعه بيان مشكله، وتقييد مهمله، وتحرير ما اختل من فهرسة مسائله، والأسئلة الواردة على متنه، وما عساه يوجد من الفوائد في غيره، وجمعت له نحو ثلاثين تصنيفًا في أصول الفقه للمتقدمين والمتأخّرين من أهل السنة والمعتزلة، وأرباب المذاهب الأربعة»[2].

١- قاضي العسكر، محمد بن الحسين الأرموي، نهاية الوصول في شرح المحصول، ت: محمد بن عبد الله بن الحاج تمبكتي -رسالة دكتوراه- من بداية الكتاب إلى نهاية القسم الأول في مباحث اللفظ من الكلام في الأوامر والنواهي، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، نوقشت عام ١٤٣٥هـ (ص:١١٧).

٢- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (١ / ٩١).

وقدر سار القرافي في شرحه للمحصول على طريقتين على المزاوجة؛ الأولى: طريقة القول (قال فأقول)؛ فيورد قول صاحب المحصول أو طَرَفًا منه، ثُمَّ يشرحه بتقريرٍ أو إيراد أسئلةٍ أو نحو ذلك. والطريقة الثانية: شرح المضمون دون التزامٍ بذكر المتن.

وأجاب القرافي في شرحه عن كثير من الأسئلة القوية الواردة على المحصول. وأورد هو عليه أسئلة واعتراضات يرى أنها قويّة، سواء كانت مما أورده السابقون أم مما جادتْ به قريحته. على أنه يمكننا أن نقول بثقة: إن القرافي في كثير جدًا من إيراداته عالة على النقشواني في تلخيص المحصول؛ فيورد ما ذكر النقشواني ما بين مقررٍ لما قال، أو مجيبٍ عنه، ومصرحٍ بالنقلِ حينًا، ومهملٍ له حينا آخر.

ثُمَّ إذا انتهى من الكلام على عبارة المحصول ما لها وما عليها، انتقل إلى الكلام عن مختصراته، فيذكر موافقتهم للمحصول أو مخالفتهم، ويوازن بين عبارة المحصول ومختصراته[1].

ولهذا الشرح طبعات تجارية عدَّة كلها دون المأمول وحقق في عدد من الجامعات منها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حققه ثلاثة من خيرة المختصين في الأصول، لكنهم لم يُطبعوه.

ثالثها وأجلها: الكاشف عن المحصول، لشمس الدين محمد العجلي الأصفهاني (ت:٦٨٨هـ) وهو الذي يصفه ابن تيمية بقوله: «شيخ النظّار بمصر:

١- ينظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول تحقيق القسم الأول، رسالة عياض السلمي للدكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، نوقشت عام ١٤٠٢هـ (ص:١١١-١١٣)، القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول (القسم الأول) رسالة ناصر بن علي الغامدي للماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، نوقشت عام ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م (١ / ١٨٤).

شمس الدين الأصبهاني»[1]. وشَرَحَ عقيدته المعروفة بالعقيدة الأصفهانية. والثناء على العجلي كثير جدًا.

وكتاب (**الكاشف**) أهم شروح المحصول وأكبرها وهو شرحٌ حسنٌ جدًا نفيس، ولكن مع كل أسف مات الأصفهاني ولم يكمله. رَجَعَ فيه إلى ما استطاع مِن الكتب الأصولية الأصلية، ونقل عبارتها بحروفها تحريًا للدقة، ولذا نجد فيه نصوصًا باذخةً لكتب أصولية وكلامية غير موجودة اليوم[2]، وأجاب عن الاعتراضات الواردة على الكتاب؛ فإنه يبدأ شرحه بالنقل عن كبار الأصوليين في المسألة ينقل كلامهم بحروفه ويعلق عليه، ثُمَّ يشرع في شرح عبارة الفخر ويزيد عليها وينقص ويذكر ما أورد عليها لاسيما إيرادات النقشواني والقرافي ويجيب عنها وإن كان لا يذكر القرافي بالاسم لكنه ينقل عنه ويعترض عليه كثيرًا. قال العجلي في مقدمة كتابه: «واعلم أني اجتهد كل الاجتهاد أن أجيب عن كل ما أورد على هذا الكتاب أو عن جله... وأجتهد كل الاجتهاد ألا أنقل عن أحد منهم شيئًا بالمعنى بل بعبارته فإن في النقل بالمعنى فسادًا عظيمًا»[3].

وزَعَمَ ابن الزملكاني -فيما نُقِلَ عنه- أنَّ العجلي ضعيف في إيراد الإشكالات والجواب عنها حين ينفرد بها. قال قاضي شهبة: «قال ابن الزملكاني:...شرح المحصول شرحًا كبيرًا فيه نقل كثير لم يحو كتاب على نقله، لكنه إذا انفرد بسؤال أو جواب كان فيه ضعف»[4]. وما قاله ابن الزملكاني مردود بكثرة ثناء العلماء

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، النبوات، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م (٢ / ٦٤٧).

٢- ينظر: النقل عن الجزء المفقود من الشامل للجويني: الأصفهاني، شمس الدين محمد بن محمود بن عباد العجلي، الكاشف عن المحصول، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م (٤ / ٦).

٣- الأصفهاني، شمس الدين محمد بن محمود بن عباد العجلي، الكاشف عن المحصول (١ / ١٢٦-١٢٧).

٤- ابن قاضي شهبة، تقي الدين بن أحمد بن محمد، طبقات الشافعية (٢ / ٢٠١).

على الكاشف من وجه، ومن وجه آخر الواقع الذي نراه في الكتاب فإنه على التمام والغاية من النفاسة والعلو، ومن أجل كتب الأصول في إيراد الأسئلة والانفكاك عنها، بل أظنه من أعلى كتب الأصول عبارةً، ويحتاج مطالعه إلى علوم آلة جيدة، وفيه يقول العجلي نفسه: «واعلم أنَّ كتابي لا يصلح إلا للأفاضل من طلبة العلم، وشرطه أن يكون متميزًا في جملة من العلوم أو ممارسًا لها أو متأنسًا بها»[١]. -وصدق-.

وللأسف فإن هذا الكتاب لم ينل حقه من التحقيق والطبع، فطبع في دار الكتب العلمية، ببيروت طبعة رديئة، وحقق في الجامعة الإسلامية في عدَّة رسائل قبل ٣٥ سنة تحقيقًا دون المأمول.

بقي أن يُقال إنَّ صفي الدين الهندي -على جلالة قدره- اشتغل بالموازنة بين الآمدي والرازي، وقد يكون كتابه قريبًا من شرح للمحصول بكلام الآمدي وإجابة لما أورده الآمدي عليه، ولذا فترتيبه هو ترتيب المحصول حذو القذّة بالقذة[٢].

المسألة الثانية: مختصرات المحصول المطبوعة أو المتداولة اليوم

أولها: «**المنتخب من المحصول**»، للإمام فخر الدِّين الرازي نفسه، اختصر فيه محصوله، وحُقق في رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وطبع أخيرًا بتحقيق جديد في الكويت.

ثانيها: «**تنقيح محصول ابن الخطيب في الأصول**»، لأمين الدِّين مظفَّر بن أبي الخير بن إسماعيل التبريزي (ت:٦٢١هـ)، وهو اختصار للفظ المحصول في

١- الأصفهاني، شمس الدين محمد بن محمود بن عباد العجلي، الكاشف عن المحصول (٤ / ١٣٠).
٢- ينظر: هشام محمد السعيد، السعيد، هشام محمد، ترتيب الموضوعات الأصولية ومناسباته دراسة استقرائية تحليلية، مجلة الجمعية الفقهية السعودية، الجمعية الفقهية جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد (٢٤)، ١٤٣٦هـ (من ١١-١٨٥)، (ص:٧٧-٧٩).

الجملة؛ ولهذا يَرِدُ عليه كثيرًا ما يرد على المحصول، نعم له فيه زيادات وفوائد وأسئلة وفرائد وتعقبات[1] لكنها ليست كثيرة بشكل لافت، وقد حُقق في رسالةٍ علمية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ثالثها: «**تلخيص المحصول لتهذيب الأصول**»، للفاضل نجم الدِّين أحمد بن أبي بكر بن محمد النقشواني (ت:٦٥١هـ)، وقد حققه الدكتور صالح بن عبد الله الغنام في رسالة علمية في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. وهذا الكتاب في الحقيقة مضمونه لا يوافق عنوانه تمامًا؛ فغالبه اعتراضات على المحصول بالدرجة الأول حتى إنَّ كل مَن جاء باعتراضٍ على المحصول بعده يكاد يكون عالة عليه، بل إن النقشواني نفسه قد بيَّن الداعيً إلى وضعه الكتاب وهو أن أكثر كتب الأصول منحرفة عن الحق، وأن المحصول هو الكتاب المتداول في زمانه، فاحتاج إلى بيان ما فيه من انحراف[2]، ولهذا فقد قُدمت عدَّة رسائل في اعتراضات النقشواني على المحصول في جامعة الملك خالد في أبها.

رابعها: «**الحاصل من المحصول**»، للإمام تاج الدِّين أبي عبد الله محمد بن الحسين الأرموي (ت:٦٥٣هـ)، وهو مطبوع متداول، وأظنه من أجل وأحسن كتب الأصول وأحكمها عبارة، اختصر كتاب شيخه الرازي بعبارة محكمة ودقة كبيرة، واحترز فيه عن كثير من الإيرادات التي تذكر على المحصول. ومنه بالدرجة الأولى ثم من التحصيل أخذ البيضاوي كتابه منهاج الوصول[3].

خامسها: «**غرر المحصول**»، لأبي محمد عبد الله بن أبي منصور البُرْزي الواسطي (ت:٦٥٧هـ)، وكتابه في الجملة مجرد اختصار حتى إنه أقرب لاختصار

١- ينظر: التبريزي، أمين الدين مظفر بن أبي الخير، تنقيح محصول ابن الخطيب، ت: حمزة زهير حافظ -رسالة دكتوراه-، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، نوقشت عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م (ص:١-٢).

٢- ينظر: النقشواني، نجم الدين أحمد بن أبي بكر، تلخيص المحصول، ت: صالح بن عبد الله الغنام، -رسالة دكتوراه-، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، نوقشت عام ١٤١٢هـ، (ص:٤٦).

٣- ينظر: الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول (ص: ٦).

عبارة التحصيل منه لاختصار عبارة المحصول، وليس له ذكر في كتب التراجم والطبقات بحسب محقق الكتاب، وقد طبع أخيرًا في الكويت.

سادسها: «**التحصيل من المحصول**»، للإمام سراج الدِّين محمود بن أبي بكر الأرموي (ت:٦٨٢هـ)، وهو مطبوع متداول، والكلام فيه كالكلام على تنقيح التبريزي.

وهو أعني التحصيل مع الحاصل أشهر مختصرات المحصول، وبعض الأصوليين يسميهم أتباع الإمام -يعني الرازي-[١].

سابعها: «**تنقيح الفصول في اختصار المحصول**» لشهاب الدِّين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي القرافي (ت:٦٨٤هـ) وهو مطبوع ومتداول وله شروح مطبوعة، وفيه مع شرحه لمؤلفه القرافي فوائد ولطائف واختيارات رائقة وهو يكاد يكون كتابًا مختلفًا عن المحصول.

المسألة الثالثة: استمداد كتاب المعالم في أصول الفقه وشروحه المطبوعة أو المتداولة اليوم

استمداد المعالم بنحوٍ مِن استمداد المحصول، وهو كتاب مُختصر لطيف، أقل مِن المنتخب في عددِ المسائل، لم يُسهب الفخر فيه إلا في مسائل معدودة[٢]. وبحسب محقق شرح المعالم في رسالة علمية فهناك خمس مسائل فقط تغير فيها قول الرازي في المعالم عنه في المحصول[٣]. والذي رأيته من المختلف أكثر من ذلك، وقد نقض هذا العدد بمثال سابق. ولهذا الكتاب شرحان ويعنينا منها

١- ممن يستعمل هذا المنهج كثيرًا الإسنوي في نهاية السول. ينظر: الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السول (ص: ٢٦، ٣٧، ٤٠).

٢- ينظر: التلمساني، شرف الدين عبد الله بن محمد، شرح المعالم في أصول الفقه، -رسالة أحمد محمد صديق للدكتوراه- جامعة أم القرى، مكة المكرمة، نوقشت عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (ص:٩٨).

٣- ينظر: المرجع نفسه.

المطبوع النفيس الذي وضعه أبو محمد شرف الدين محمد بن عبد الله التلمساني (ت:٦٤٤هـ)، وهو كتاب نافع ماتع، حل عبارة المعالم، وزاد وأفاد وكَثُرَ النقل عنه والثناء عليه وجاء فيه بلطائف واختيارات حسنة، ومع مكانة ابن التلمساني في ذاته إلا أنه صار يفرق بينه وبين الشريف التلمساني صاحب المفتاح (ت: ٧٧١ هـ) بقولهم شارح المعالم[١]، وقد زاد الشارح مسائل أهملها الرازي وحقق في أخرى، وله آراء حسنة وتحقيقات بديعة[٢].

المبحث الثالث: معالم منهج الإمام الرازي الكلية، ومنطلقاته في الدرس الأصولي

لقد كان للفخر الرازي طريقته الرائقة ونفسه الخاص في الدرس العلمي والأصولي منه على وجه الخصوص، ويمكن أن نعدد معالم منهج الإمام الرازي الكلية في الدرس الأصولي من خلال استقراء كتبه الأصولية فيما يأتي:

١- سلاسة الترتيب والوحدة الموضوعية، سواء في ذلك الموضوعات الأصولية أو عرض المسائل داخل الباب الواحد إذ اتّسم أسلوبه بالترتيب وجودة الصياغة، وحُسن السبك والربط الموضوعي وإن كان قد تأثر كثيرًا بترتيب أبي الحسين البصري لكنه خالفه في بعض المواضع. قال القرافي عن المحصول: جاء «مُصانًا بحسن تصرف الإمام، وجَوْدة ترتيبه وتنقيحه، وفصاحة عبارته، وما زاده فيه من فوائد فكره وتصرفه وحسن ترتيبه، وإيراده وتهذيبه»[٣]. واستحسن ترتيبه الطوفي كذلك؛ فقال: «هذا تقسيم وترتيب لا مزيد عليه»[٤]. ولذا نجد كثيرًا ممن تأخر عن الفخر ساروا على طريقته وطريقة

١- ينظر: السبكي، أبو نصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى (٨/ ١٦٠).
٢- ينظر: التلمساني، شرف الدين عبد الله بن محمد، شرح المعالم في أصول الفقه، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م (١/ ٣٧٢).
٣- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (١/ ٩١).
٤- الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي، شرح مختصر الروضة ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (١/ ١٠٤).

السيف الآمدي وتأثروا بهما؛ وفي هذا يقول ياقوت الحموي: «ورُزِقَ الإمامُ فخر الدين السعادة العظمى في تصانيفه وانتشرت في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها ورفضوا كتب الأقدمين... وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يُسْبق إليه؛ لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدلّ بأدلّة السبر والتقسيم؛ فلا يشذّ منه عن تلك المسألة فرع لها به علاقة؛ فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل»[١].

وقال علاء الدين المرداوي عن طريقته في تأليف التحبير: «نذكر فيه ما ذهب إليه أحمد وأصحابه أو بعضهم أولًا غالبًا، ثم مذاهب الأئمة الثلاثة وأتباعهم إن كانوا مختلفين، ونزيد هنا غالب مذاهب الأئمة المشهورين، والعلماء المعتبرين، وطريقة المتكلمين من المعتزلة وغيرهم من المناظرين، وطريقتي الرازي، والآمدي فإن العمل في هذه الأزمنة وقبلها على طريقتهما»[٢]. فالسير على طريقة الرازي والآمدي في الاختيارات بوجه أولي وبالترتيب بوجه ثانٍ.

وإذا نظرنا إلى موضوعات كتب الرازي الثلاثة -المحصول والمعالم والمنتخب- وجدنا أنه قد رتّبها ترتيبًا منطقيًا أجمله في مقدمه المحصول؛ فقال: «فهذه أبواب أصول الفقه:

أولها: اللُّغات.

وثانيها: الأمر والنهي.

١- الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي، معجم الأدباء (٦ / ٢٥٨٦)، وينظر: فلوسي، مسعود موسى، مدرسة المتكلمين، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م (٢٨٢)، آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية (ص:١١٧٥) -رسالة للدكتوراه-.

٢- المرداوي، علاء الدين علي بن سليمان، التحبير شرح التحرير، ت: عبد الرحمن الجبرين وآخرين، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م (١ / ٣-٤).

وثالثها: العموم والخصوص.

ورابعها: المجمَل والمبيَّن.

وخامسها: الأفعال.

وسادسها: الناسخ والمنسوخ.

وسابعها: الإجماع.

وثامنها: الأخبار.

وتاسعها: القياس.

وعاشرها: التراجيح.

وحادي عشرها: الاجتهاد.

وثاني عشرها: الاستفتاء.

وثالث عشرها: الأمور التي اختلف المجتهدون في أنها هل هي طرقٌ للأحكام الشرعية أم لا»[1].

٢- يمكن القول إن مما كان يشغل بال الفخر الرازي -من خلال كتاباته الأصولية- السعي إلى تثبيت دعائم الدليل الأصولي الكلي؛ فيستوفي الأدلة ويورد الاحتمالات ويجيب عنها، لكنه في الوقت ذاته يكون حريصًا على إبقاء خطٍ مفتوحٍ للرجعة يُمكِّن من النظر والمخالفة عند الحاجة.

إننا حين ننظر إلى أطول مسألتين ساقهما الفخر في كتابه المعالم في أصول الفقه نجدهما في كلٍ مِن حجية القياس، وتقع في حدود (١٠) صفحات من

١- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ١٦٧ - ١٦٩).

المطبوع[١] ثُمَّ حجية خبر الواحد[٢] وهذا كمّ كبير بالنسبة إلى اختصار الكتاب. في المقابل نجد الفخر في مسألة حجية الإجماع أراد تقرير أنَّ الآيات المستدل بها على حجيته ليست نصوصًا قاطعة؛ فأكثر من الإيرادات -أكثر من غيره-، ثُمَّ إذا استقام له ذلك خرج الإجماع عن قطعيته. وفي هذا يقول العجلي الأصفهاني في الكاشف[٣]: «ومَن أنصف اعترف بأنَّ هذه الآية -يعني آية المشاقة- من الظواهر، وليست من النصوص، وصح قول المصنِّف: إن الفقهاء إذا قالوا: (مخالف الحكم المجمع عليه يكفر ويفسق)، و(منكر الإجماع لا يكفر ولا يفسَّق) يلزمهم كون الفرع أقوى من الأصل».

وكان فخر الدين الرازي قد قال قبل ذلك: «والعجب مِنْ الفقهاء أنَّهم أثبتوا الإجماع بعمومات الآيات والأخبار، وأجمعوا على أنَّ المُنْكر لما تدل عليه هذه العمومات لا يُكفَّر ولا يُفسَّق إذا كان ذلك الإنكار لتأويل؛ ثم يقولون: (الحكم الذي دلَّ عليه الإجماعُ مقطوعٌ به، ومخالفه كافر أو فاسق). فكأنهم قد جعلوا الفرع أقوى من الأصل؛ وذلك غفلة عظيمة»[٤].

٣- مقارعته للمعتزلة، إذ لم يستطع أحد من متكلمة الصفاتية قبل الرازي أن يقارعهم بمثل مقارعته مع تقدم الباقلاني والجويني والغزالي وغيرهم، فقد كان للمعتزلة شأو كبير في علم الأصول في زمنه وقبله، وفي هذا يقول علاء الدين السمرقندي: «وأكثر التصانيف في أصول الفقه لأهل الاعتزال المخالفين لنا في الأصول، ولأهل الحديث المخالفين لنا في الفروع»[٥].

١- ينظر: الرازي، محمد بن عمر، المعالم في أصول الفقه، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة. ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م (ص:١٤٠-١٥٠)، (ص:١٢٦-١٣٥).
٢- ينظر: المرجع نفسه
٣- الأصفهاني العجلي، شمس الدين محمد بن محمود، الكاشف عن المحصول (٥/ ٣٩٦)، وينظر: التلمساني، شرف الدين عبد الله بن محمد، شرح المعالم في أصول الفقه، التلمساني (٢/ ٥٨).
٤- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٤/ ٥٠).
٥- السمرقندي، أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد، ميزان الأصول (ص:٢).

ويصف ابن تيمية مقام الرازي في المدرسة الأشعرية؛ فيقول: «أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري، الإمام المطلق في اصطلاح المقتدين به من أهل الفلسفة والكلام، المقدَّم عندهم على من تقدمه من صنفه في الأنام، القائم عندهم بتجديد الإسلام، حتى قد يجعلونه في زمنه ثانيَ الصديق في هذا المقام، لما ردّه في ظنهم من أقاويل الفلاسفة بالحجج العظام، والمعتزلة ونحوهم، ويقولون: إن أبا حامد ونحوه، لم يصلوا إلى تحقيق ما بلغه هذا الإمام، فضلًا عن أبي المعالي ونحوه»[1].

ومع مقارعته للمعتزلة ورده عليهم فإنه لم يك يُخفي إعجابه الشديد بكلام أبي الحسين البصري -رأس المعتزلة في زمنه- إذ قال عنه: «واعلم أنَّ كلام أبيَ الحسين في كلا الأصلين كلام متين، وإنما يَعْرِف قَدْرة مَنْ نظر فيه بعين الإنصاف، وقابله بكلام مَن قبله، حتى نجد التفاوت الشديد والبون العظيم»[2]. ومع هذا فقد ردَّ عليهَ كثيرًا وناقشه طويلًا، بل ربما تمحَّل في الرد عليه -وسيأتي مثال ذلك في منهجه في التعريفات-.

٤- تقريره لعقيدة الأشاعرة وبثه لآرائه الكلامية حتى إن بعض آرائه الكلامية تؤخذ من المحصول والمعالم في أصول الفقه. فأشعرية الرازي لا يتطرق إليها شك، وهو وإن خالف مُجْمل قول الأشاعرة أحيانًا أو ردّ على بعض أعلامهم في بعض المواطن، واتهمه بعض حساده بالخروج عن مذهبهم[3]؛ إلا إنه وضع التآليف التي أصبحت فيما بعد عمدة الأشاعرة، وذلك مثل كتابه

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٠).

٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، الرياض المونقة، ت: أسعد جمعة، مركز النشر الجامعي، القيروان، ط بدون، ٢٠٠٤م (ص:٢٩٦).

٣- قال في الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص:٩٢): «ومع هذا فإن الأعداء والحساد لايزالون يطعنون فينا وفي ديننا مع ما بذلنا من الجد والاجتهاد في نصرة اعتقاد أهل السنة والجماعة، ويعتقدون أني لست على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد علم العالمون أنه ليس مذهبي ولا مذهب أسلافي إلا مذهب أهل السنة والجماعة».

المُحصَّل، والمعالم في أصول الدين، والأربعين، والخمسين، والمطالب العالية، وأساس التقديس، وهذا الأخير يعد من أجل كتبه الكلامية وأهمها، ومِن أجل ذلك أفرد ابن تيمية كتابًا من أهم كتبه وأكبرها للرد عليه، وإن كان أساس التقديس لم يصل إلينا كاملًا إلا أن الذين ذكروه تحدثوا عنه بما يفيد أنه أكبر من درء تعارض العقل والنقل. وقد ذكر ابن تيمية في مقدمة رده على الرازي مكانة الفخر ومنزلته وعظيم مهابته؛ فقال: «وكان له من العظمة والمهابة في قلوب الموافقين له والمخالفين ما قد سارت به الركبان، لما له من القدرة على تركيب الاحتجاج والاعتراض في الخطاب»[١].

وكيفما كان فنحن في مباحث الكلام المبحوثة في أصول الفقه مع الإمام الفخر «أمام وجهة نظر في الكلام جديدة، ووجهة النظر هذه تقرب من الفلسفة إلى درجة التوحد، وهذا التوحد يكمن في ثلاثة أمور مترابطة: (البحث عن الحق) و(التعليل والدليل) و(جعل المدارك في العقائد الإيمانية عقلية). وهذه أمور من شأن الفلسفة، وقد أدخلها الإمام الرازي في صلب الكلام، ونتج عن ذلك أنه أدخل في مباحثه الكلامية مسائل طبيعية وإلاهية؛ توحِّد المطالب والمواضيع في علمي الكلام والفلسفة»[٢].

كما يمكننا القول إننا حينما نقلب صفحات كتب الرازي الأصولية يُلْفِتُنا ملمح كبير بين طيات كلامه حاصله أن «الفخر تجاوز موضوع علم الكلام التقليدي؛ فهو يتعاطى مع ما قدمته الفلسفة في مسائل الطبيعة والإلهيات من موقع المصحح

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية (١ / ١٢).

٢- العريبي، محمد، المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي (ص:٢٥)، يونس، معالم سالم، الرازي وموقفه من العقل والنقل دراسة في بعض كتبه، -، مجلة العلوم الإسلامية (مجلة جامعة تكريت للعلوم الاسلامية)، جامعة تكريت، العدد (١٩)، ١٤٣٤هـ (من ١١٠-١٣٣) (ص:١٢٩)، مدكور، عبد الحميد عبد المنعم، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، نوقشت عام ١٤٣٠هـ (ص:٤٥٤).

والمبطل، وهذا ليس من موضوع علم الكلام أصالة»[1] فضلًا عن أن يكون من علم أصول الفقه!

والذي يعنينا أن الفخر يمثل مدرسة مستقلة ونقلة كبيرة في العقيدة الأشعرية يوافقونه حينًا ويعارضونه آخر؛ فمثلًا نجد الفخر في مسألة التكليف بالفعل قبل حدوثه -وهي مسألة كلامية صرفة مبناها على الخلاف الأشعري المعتزلي في صفة الكلام والقدرة، ولم يذكرها في المعالم في أصول الفقه- يقول فيها في المحصول: «ذهب أصحابُنا إلى أنَّ المأمورَ إنَّما يَصِير مأمورًا حال زمان الفعل. وقبل ذلك فلا أمر بل هو إعلامٌ له بأنَّه في الزمانِ الثاني سيصير مأمورًا به»[2].

وهذا يخالف ما نقله صنوه الآمدي[3]، وقد طال الكلام في هذه المسألة بين أئمة الأشاعرة كثيرًا، ولهذا أوَّل الشيخ محمد بخيت المطيعي قَوْلة الرازي، وقال إنَّ مُرادَ الرازي بـ(أصحابنا): «أصحابه الذين وافقوه على المذهب لا جمهور الشافعية والحنفية، ولا المعتزلة»[4]. يعني ليسوا هم الأشاعرةَ ولا الماتريديةَ.

وعليه فـ«يمكن اعتبار المحصول مقارنة بين الفكر الاعتزالي والأشعري خاصة في المسائل الكلامية، مع تأرجح الرازي بين التيارين، ولكنه يُخْضِع جميع ما جاء فيه من مسائل وقضايا للحكم بمقتضى النظرتين، ومع أشعريته يُبْقي لنفسه

١- المرجع نفسه.

٢- الرازي، محمد بن عمر، المحصول (٢ / ٢٧١)، ينظر: العبري، عبيد الله بن محمد، شرح المنهاج للعبري، ت: حمد حمادي الصاعدي، -رسالة دكتوراه- القسم الأول من الكتاب، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، نوقشت عام ١٤٠٦هـ (ص:٢٨٥)، الأصفهاني، محمود بن عبد الرحمن، شرح المنهاج، ت: عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م (١ / ١٤١).

٣- ينظر: الآمدي، سيف الدين علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط١، ١٣٨٧هـ (١ / ١٤٨)، الآمدي، سيف الدين علي بن محمد، أبكار الأفكار، ت: أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م (٢ / ٢٨٩).

٤- المطيعي، محمد بخيت، سلم الوصول، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصورة في المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط بدون، ١٣٤٥هـ (١ / ٣٣٠).

الباب مفتوحًا لما شاء منهما»[١].

٥- كان لمدرسة العقل أثرها الواضح في منهجية الفخر الرازي وأطره ومحكمه، وطريقة تعاطيه للقضايا الأصولية وأساليب تفكيره؛ فمع محافظة الإمام الفخر على مذهب أسلافه؛ فإنه لم يتردد في أخذ ما وجده مناسبًا من مسلمات الفلاسفة إلى منطلقاته وأصوله بوجه عام والأشعرية بشكل خاص في نسق متكامل التبست فيه مسائل الأصول والكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز أحد الفنين عن الآخر.

إن الإطار العقلي الممنهج وفق أسس المنطق بشقيه الصوري والمادي كان حاضرًا في كل قضية يتناولها الفخر أثناء الدرس الأصولي، وقد ظهر ذلك في موقفه من خبر الواحد -مثلًا-[٢]. في وقتٍ لا يغيب عن أبي عبد الله فيه استصحاب الأصل الكلامي الذي ينتحله، والمماحكة القائمة بين المدرسة التي ينتمي لها والمعتزلة. لقد ظهر البعد الفلسفي جليًا في كل كتابات الفخر، وأطلت عنايته بالمنطق والفلسفة وآداب البحث بصورة جلية. ويصف ابن قيّم الجوزية الفخر بقوله: «هو أفضل أهل زمانه على الإطلاق في علم الكلام والفلسفة»[٣]. هذا مع الأخذ في الاعتبار ما بين مدرسة ابن القيم والرازي من المناكفة.

تلك النزعة الفلسفية لدى الفخر ظهرت في نواحٍ كثيرةٍ، سواءٌ: كانت من حيث تحكيم الأقوال ومرجعيتها الفكرية أو من حيث التأصيل والتقعيد، أو من حيث المصطلحات والأساليب، أو من حيث العلل والأقيسة، أو من حيث الحدود

١- قاضي العسكر، محمد بن الحسين، نهاية الوصول -رسالة محمد تمبكتي للدكتوراه-. مقدمة تحقيق (ص:٣٧).
٢- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٣٩٠).
٣- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ت: محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ (١ / ٧٢).

والتعريفات والاحترازات، أو حتى من حيث بحث تركيب الأدلة والبراهين فضلًا عن المسائل الافتراضية العقلية النظرية، التي لا ثمرةَ لها في الفروع الفقهية[١]. ونستطيع أن نقول في طمأنينة: إن أبا عبد الله من أول من عبَّد طريقة المتأخرين في البحث إثر تأثره بالمنطق الأرسطي واستخدامه له في مباحثه[٢].

لقد حاول الفخر أنْ ينتصر لما يراه حقًا وفق هذا الإطار مع التزام الحياد والإنصاف في الغالب حين كان يقيم المحاكمات الأصولية، نعم لربما فاته الحق -في رأي الناظر- بحكم الطبيعة البشرية والنزعة العقدية وغير ذلك من المؤثرات لكنه كان يسعى لذلك على ما سيأتي في النقطة التالية.

٦- بحثه عن الحق؛ فربما اختلف قوله في كتبه المختلفة، وربما اختلف ما في الكلامية عن الأصولية بل أعجب مِنْ ذلك ربما اختلف قوله في مسألة في كتاب واحد، وأصعب منه في صفحات متعاقبة، وربما قرر عقيدة يخالفه فيها حتى بعض الأشاعرة كما مر، وجاء في وصيته: «أقول: يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فلك ما مد به قلمي، أو خطر ببالي فاستشهد وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل»[٣]. وقال: «وأمَّا الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات؛ فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيئ

١- آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية (ص:١١٧٦، ١١٨٢) -رسالة للدكتوراه-.
٢- ينظر: العريبي، محمد، المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي (ص:٢٧).
٣- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص: ٤٦٧)، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام (١٣ / ١٤٤).

فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله ﷻ»[١].

ونرجو أن يكون مأجورًا مغفورًا له، قال ابن تيمية: «فمن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلب الحق وأخطأ فإن الله يغفر له خطأه كائنا ما كان سواء كان في المسائل النظرية أو العملية هذا الذي عليه أصحاب النبيﷺ» وجماهير أئمة الإسلام، وما قسموا المسائل إلى مسائل أصول يكفر بإنكارها ومسائل فروع لا يكفر بإنكارها. فأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام»[٢]. كما أرجو أن يكون رجوعه للقرآن والسنة قبل موته دليلًا -إن شاء الله- على صلاح سريرته وصدق نيته.

ويمكن تقسيمُ آراء الرازي في المسائل الأصولية إلى خمسة أقسامٍ:

الأول: مسائل صرَّح فيها برأيه، وهو الغالب.

الثاني: مسائل اقتصر على ذكر الخلاف فيها، ولم يرجح شيئًا.

الثالث: مسائل مال فيها إلى قول ما لكنه لم يُصرّح به.

الرابع: مسائل صرّح فيها بالتوقُّف.

الخامس: مسائل اختلف فيها قوله؛ فرجَّح في المحصول قولًا ورجع عنه في المعالم، وهذا يسير وقليل، والأصعب أن يقرر قولًا ويخالفه في كتاب واحد بل في مسألتين متعاقبتين، ومن ذلك أن الفخر الرازي يوافق الجمهور في عدم

١- المرجع نفسه.

٢- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، بدون دار نشر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م (٢٣ / ٣٤٦).

النسخ بالإجماع؛ لأنه لا ينعقد في زمن النبيﷺ»[1]، لكنه في مسألة نسخ القياس والنسخ به قال: «نسخ القياس إمَّا أنْ يَكون في زَمانِ حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته؛ فإن كان حال حياته؛ فلا يمتنع رفعه بالنصَ، أو بالإجماع، أو بالقياس»[2].

فجَعَلَ الإجماعَ ناسخًا للقياسِ مع أنَّه مَنَعَ النسخ به مطلقًا قبل ذلك، بل وجعله ناسخًا في زمن حياة النبي ﷺ وهو يمنع انعقاد الإجماع وقتئذ!!

واعتذر الإسنوي للفخر الرازي فقال: «هذا الذي قاله سهوٌ؛ فإنه قد نَصَّ قَبْل ذلك بِقليلٍ على أنَّ الإجماعَ لا ينعقدُ فِي زمنِ الرسول ﷺ، وعلى أنَّه يمْتنع نسخ القياس به»[3].

وأمَّا مثال ما اختلف فيه قول الرازي بين المحصول والمعالم؛ فمسألة الفعل النبوي الذي لم تُعلم صفته في حقه ﷺ وظهر فيه قصد القربة؛ فإن أبا عبد الله

١- ينظر: الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي، الفصول في الأصول، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت ت: عجيل جاسم النشمي، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م (٢/ ٢٩٠)، البصري، أبو الحسين محمد بن علي، المعتمد في أصول الفقه، بيروت ت: خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤ (١/ ٤٠٢)، الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، إحكام الفصول، ت: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، تونس ط ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، سحب جديد ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م (١/ ٤٣٤) فقرة (٤٤٨)، الكلوذاني، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد، التمهيد في أصول الفقه، ت: مفيد محمد أبو عمشة ومحمد علي إبراهيم، مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م (٢/ ٣٨٩)، ابن برهان، أحمد بن علي البغدادي، الوصول إلى الأصول، ت: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (٢/ ٥٢)، السمرقندي، علاء الدين محمد بن أحمد، ميزان الأصول (ص: ٧١٧)، السهروردي، شهاب الدين يحيى بن حبش، التنقيحات في أصول الفقه، ت: عياض بن نامي السلمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م (ص:٢١٩)، ابن رشد الحفيد، أبو الوليد محمد بن أحمد، الضروري في أصول الفقه، ت: جمال الدين العلوي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط١، ١٩٩٤م، (ص: ٨٦)، فقرة (١٢٢)، الرازي، محمد بن عمر المحصول (٣/ ٣٥٤، ٣٥٧)، الآمدي، سيف الدين علي بن محمد، الإحكام (٣/ ١٦١)، النسفي، عبد الله بن أحمد، كشف الأسرار، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون ط وت (٢/ ١٤٨)، المقدسي، محمد بن مفلح، أصول الفقه، ت: فهد السدحان، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م (٣/ ١١٦٠)، الحنطور، محمود محمد محمد، النسخ عند الفخر الرازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، (ص: ٨٩)، العمري، نادية بنت شريف، النسخ في دراسات الأصوليين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م (ص:٤٩٠).

٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٣/ ٣٥٨).

٣- الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول، الإسنوي (ص: ٢٤٦).

الرازي توقف في المحصول[١] ثُمَّ قال بالوُجوبِ في المعالم بعد ذلك[٢]، وقد عد محقق شرح المعالم في رسالة علمية خمس مسائل تغير فيها قول الرازي في المعالم عنه في المحصول[٣].

٧- هذا ناجم عن الأمر السابق ذكره، وهو كثرة الاختلاف في قول الرازي، وهي علامة بارزة جدًا في مسيرته فهو من أكثر العلماء تقلبًا بين الأقوال، وفي هذا يقول ابن كثير: «وله اختيارات كثيرة في كتب متعددة يرد بعضها بعضًا»[٤]. وقال ابن تيمية: «وأمَّا ابن الخطيب فكثير الاضطراب جدًا لا يستقر على حال، وإنَّما هو بحث وجدل بمنزلة الذي يطلب ولم يهتد إلى مطلوبه؛ بخلاف أبي حامد فإنه كثيرًا ما يستقر»[٥].

فابن تيمية يرى أن السبب هو بحث وجدل بمنزلة الذي يطلب ولم يهتد. ويقول في موضع آخر «وهو متناقض في عامة ما يقوله، يقرر -هنا- شيئًا ثُمَّ يَنْقضه في مَوْضع آخر»[٦]. ويعلل أبو العباس هذا الصنيع من أبي عبد الله الرازي بأنَّه ناتجٌ عن مُطالعة كلام الخصوم، هؤلاء مرة وهؤلاء أخرى فيقول: «لأنَّ المواد العقلية التي كان ينْظرُ فيهَا من كلام أهل الكلام المبتدع المذموم عند السلف ومن كلام الفلاسفة الخارجين عن الملة يشتمل على كلام باطل - كَلام هؤلاء وكلام هؤلاَء-؛ فيُقرِّر كلام طائفة بما يُقرَّر به، ثُمَّ ينقضه في موضع آخر بما يُنْقض به»[٧].

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٣/ ٢٣٠).
٢- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المعالم في أصول الفقه، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م (ص:١٠٢).
٣- ينظر: التلمساني، شرف الدين عبد الله بن محمد، شرح المعالم في أصول الفقه (ص:٩٨) -رسالة أحمد محمد صديق للدكتوراه-.
٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، طبقات الشافعيين، ت: أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م (ص: ٧٨٠).
٥- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى (٦/ ٥٥).
٦- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٦٢)، ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، شرح حديث النزول، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٥، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م (ص: ١٧٦).
٧- المرجع نفسه.

وعلى كلٍ فقد اختلف المتكلمون عن الرازي في تسبيب هذا التقلب في الأقوال؛ فابن تيمية يسببه بما سبق، ونجم الدين الطوفي يقول: «إنه ما كان يخاف من قولٍ يذهب إليه، أو اختيار ينصره، ولهذا تناقضت آراؤه في سائر كتبه، وإنما سببه عندي، أنه كان شديد الاشتياق إلى الوقوف على الحق كما صرح به في وصيته التي أملاها عند موته»[1].

والفخر الرازي نفسه في كلامه يذكر لنا ما يؤيد ما سبب به الطوفي؛ فيقول: «كل من كان أغوص نظرًا وأدق فكرًا وأكثر إحاطة بالأصول والفروع وأتم وقوفًا على شرائط الأدلة كانت الإشكالات عنده أكثر أما المصر على الوجه الواحد طول عمره في المباحث الظنية بحيث لا يتردد فيه فذاك لا يكون إلا من جمود الطبع وقلة الفطنة وكلال القريحة وعدم الوقوف على شرائط الأدلة والاعتراضات»[2]؛ ذكر هذا مجيبًا عما وقع للشافعي من اختلاف قوليه في بعض المسائل. وعلى كل حال فمع البعد الكلامي والمذهبي الكبير للفخر إلا أنه لربما خالف أصوله ولربما نزع إلى مدرسة أهل الحديث حينًا، وإلى مدرسة المعتزلة أحايين أخرى[3]. وكيفما كان فالاختلاف من أبرز ما يلاحظ في كتابات الإمام فخر الدين الرازي -رحمه الله-.

٨- دقة العبارة وإحكامها حتى إن الشراح ليختلفون في تقرير وجه كلامه وبيان معنى قوله مع احتماله لكل ما قالوه. وقد يكون الرازي من أوائل من حوَّلوا كتب الأصول إلى عبارات المتون، يقول ابن تيمية عن علو عبارة الرازي بالنسبة لرأي أصحابه الأشاعرة على أقل تقدير: ويرون» أن الرازي أتى في ذلك منتهى نهاية العقول والمطالب العالية بما يعجز عنه غيره من ذوي

١- الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي، الإكسير في علم التفسير، ت: عبد القادر حسين، دار الأوزاعي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م (ص:٥٥).
٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٥ / ٣٩٤-٣٩٥).
٣- ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى (١٣ / ١٢٨).

الإقدام، حتى كان فهم ما يقوله عندهم هو غاية المرام»[١].

ومن مظاهر دقته في العبارة أنه انتقد الغزاليّ في قوله: إن من شرط الوجوب تحقُّق العقاب على الترك[٢]، وغفل عما قرّره نفسُه في أول بحث الواجب، وأن الصوابَ في تعريف الواجب أنه: الذي يُذمُّ تاركُه، وزيّف قولَ من قال: إنه الذي يُعاقَب على تركه، قال الفخر: «ولا شكّ أن هذه مناقضةٌ ظاهرةٌ»[٣].

ولن نكون مبالغين إذا قلنا: إن الفخر اعتنى في كثير من الأحيان بالتفاصيل الجزئية الصغيرة، واستغرقت جزءًا كبيرًا من كتاباته وجهده وتفكيره، لقد كان ينتمي إلى مدرسة تفكيكية تحليلية متعمقة -إن صح لنا هذا التعبير- في حين كانت نظرته للقضايا الكلية في المجمل منصبة على تثبيت أصول مدرسة متكلمة الصفاتية، وإثبات الدليل الكلي لكن بطريق الظن.

لقد كان الداعي إلى ذلك الإغراق -في ظني- سد ما يراه الإمام من منافذ لنقد الطريقة التي ينتمي لها فروعًا وأصولًا. كما يمكن القول إن من أهم إضافات الفخر الرازي الأصولية إحكام العبارات والسعي ألا يختلف حمل السامع واستعمال المتكلم في مسألة أصولية ذكرها. لقد كان المحصول بمنزلة أنموذج لتلك الكتب الموسوعية المحكمة، في حين كان يقدم خدمة جليلة للقاعدة الأصولية بتقسيمها وفرض صورها.

٩- جاء بآراء مبتدعة وأقوال اختارها لنفسه يخالف فيها في الأصلين، وتظهر بهذا شخصيته وعقليته واستقلاليته؛ فمما اشتهرت نسبته إليه قوله في شروط قبول الأخبار[٤]. وربما خالف الجماهير واختار قولًا لا يوافقه فيه إلا القليل

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بيان تلبيس الجهمية (١ / ١١).
٢- ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، المستصفى، ت: محمد عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م (ص: ٥٣).
٣- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٢ / ١٥٩).
٤- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٣٩٠).

كما قال في المعالم: «قال الأكثرون: تخصيص عموم القرآن جائز. والمختار عندنا أنه لا يجوز»[1]. والرجل كان قد ملأ الدنيا فضلًا ومكانة وعلمًا لا سيما في الأصلين حتى إذا أطلق الإمام في كتب الأصلين لم يُرد به غيره غالبًا.

١٠- سلامة القلب وعفة اللسان، والتقيُّد بآداب البحث والمناظرة وذلك بالبعد عن استعمال الكلمات الجارحة، والعبارات اللاذعة في نقد المخالف، ولا سيما إذا لم يكنْ خلافُه في أصول الدين أو فيما عُلم من الدين بالضرورة، ومن مظاهره ذلك الترضّي والترحُّم على الأئمة المخالفين له في المذهب، وهذا ما قد يستنكف عنه كثير من المتعصّبين للمذاهب فلا يكادون يترضّون إلاّ عن إمام مذهبهم أو عن علمائهم[2].

المبحث الرابع: معالم منهج الإمام الرازي في بحث المسائل الأصولية بخصوصها من خلال كتبه الأصولية

لأبي عبد الله الرازي منهج حسن في مجمله في بحث القضايا الأصولية، يُعرف بتتبع نهجه في كتبه الأصولية الثلاثة التي وصلت إلينا لا سيما المحصول، ويمكن تعداد أبرز معالم منهجه في التالي:

١- للفخر عناية واضحة جدًا بالتعريفات، ويمكن رسم معالم موقف الرازي مع التعريفات في ستة مواقف.

أ- عني جدًا بشروط المناطقة في الحدود، والتفريق بين الحد والرسم، وشروط الحد المعروفة لديهم، وهذا في كل تعريفاته، وهذا أشهر من أن يضرب له مثال.

١- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المعالم في أصول الفقه (ص:١٥٦).

٢- ينظر: آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية (ص:١٢٢٨)-رسالة للدكتوراه-.

ب- مع عنايته فإنه لربما رأى أن بعض المصطلحات ليس له تعريف أو ينبغي ألا تُعرَّف أو أنها أوضح من أن تعرف كما صنع في تعريف العلم والخبر وغيرهما.

قال في تعريف (العلم): «منها القسم المسمى بالعلم لأنَّ كل أحد يُدرك بالضرورة ألمه ولذته ويدرك بالضرورة كونه عالمًا بهذه الأمور ولولا أن العلم بحقيقة العلم ضروري وإلا لامتنع أن يكون علمه بكونه عالمًا بهذه الأمور ضروريًا»[١]. وكذلك قال عن (الخبر) إنه لا يُحدّ لغناه عن تعريف[٢]، وخالف أبا الحسين في هاته القضية؛ فإن أبا الحسين البصري قال هو: «كَلام يُفِيد بِنفسِهِ إضافَة أمرٍ مِن الأمور إِلى أمرٍ مِن الأمور نَفْيًا أَو إِثْبَاتًا»[٣]، وتبع الأسمندي أبا الحسين عليه وقال: بأنَّه «الصحيح»[٤].

ج- ربما اخترع الفخر تعريفًا لم يُسبق إليه كما صنع في تعريف المرتجل إذ عرفه بأنه: اللفظ الموضوع لمعنى ثم نُقِلَ إلى غيره لا لمناسبةٍ بينهما[٥].

وهذا الابتداع والإبداع في آنٍ استنكره جماعة من الأصوليين كالقرافي والعجلي الأصفهاني في شرح المحصول[٦]، وابن السبكي في الإبهاج[٧] والإسنوي في نهاية السول[٨]، وغيرهم[٩].

١- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٨٥)
٢- قال في المحصول (٤ / ٢٢١): «الحق عندنا أنَّ تَصوّر مَاهية الخبر غَنيٌّ عَن الحد والرسم».
٣- البصري، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب، المعتمد فِي أصول الفقه (٢ / ٧٥).
٤- ينظر: الأسمندي، محمد بن عبد الحميد، بذل النظر، ت: محمد زكي عبد البر، مكتبة دار التراث، القاهرة ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م (ص:٣٧٠).
٥- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٢٢٨)، الأرموي، تاج الدين محمد بن الحسين، الحاصل من المحصول، ت: عبدالسلام أبو ناجي، دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٦م، بيروت (٢ / ٩٤)، الأرموي، سراج الدين محمود بن أبي بكر، التحصيل من المحصول، ت: عبدالحميد أبو زنيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م (١ / ٢٠٢).
٦- ينظر: الأصفهاني العجلي، شمس الدين محمد بن محمود، الكاشف عن المحصول (٢ / ٤٣).
٧- ينظر: السبكي، تقي الدين وولده تاج الدين، الإبهاج في شرح المنهاج، ت: شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م (١ / ٢١٣).
٨- ينظر: الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول (ص:٩٠).
٩- ينظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه، (٢ / ٢٩٨).

قال القرافي في شرح التنقيح: «وقال الإمام فخر الدين: هو المنقول عن مُسمَّاه لغير علاقة. ولم أر أحدًا غيره قاله؛ فيكون باطلًا؛ لأنه مُفسِّر لاصطلاح الناس؛ فإذا لم يُوْجد لغيره لم يكن اصطلاحًا لغيره»[1].

وقال في تعريف المطلق: «اللفظة الدالة على الحقيقة من حيث إنها هي هي من غير أن تكون فيها دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة سلبًا كان ذلك القيد أو إيجابًا»[2].

قال القرافي: «وهو في غاية التلخيص والتحقيق بالنسبة إلى غيره»[3]. وقال الشوكاني: «فجعل في كلامه هذا معنى (المطلق) هو المطلق عن التقييد، فلا يصدق إلا على الحقيقة من حيث هي هي، وهو غير ما عليه الاصطلاح عند أهل هذا الفن وغيرهم»[4].

د- قد تجد عند الفخر تفسيرًا لمصطلحاتٍ تدور على الألسنة، وقد يعز وجود تفسير لها عند من سبقه، فمن لطيفٍ ما ذكره أنه بيَّن معنى قولهم (خلاف الظاهر)، فقال: «(مخالفة الظاهر) هي إثبات ما ينفيه اللفظ، أو نفي ما يثبته اللفظ. فأما إثبات ما لا يتعرض اللفظ له لا بنفي ولا إثبات فليس مخالفة للظاهر»[5].

هـ- لربما تشدد الفخر في بعض التعريفات إلى حد التمحّل؛ فأورد عليها ما لا يَرِد؛ من ذلك أنه مع إعجابه الشديد بأبي الحسين البصري وتعويله على كتبه

١- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، القرافي (ص:٣٢)، وينظر: القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (٢/٦٠٦).

٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٣١٤)

٣- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، العقد المنظوم في الخصوص والعموم، ت: أحمد الختم عبد الله، دار الكتبي، والمكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م (١ / ١٧٨).

٤- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول (١ / ٥١٧).

٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٢ / ١٩١). وينظر: الإسنوي، جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول، الإسنوي (ص: ٤٧).

في الأصلين-كما مرَّ- ربما أورد عليه ما لا يرد، ومن ذلك أنَّ أبا الحسين عرَّف (الحَسَن) بأنَّه: «ما للقادر عليهِ المتمكن من العلم بِحَالهِ أَن يَفْعَله، وإذا فعله لم يكن له تأثير في استحقاق الذم»[١].

والقبيح: «ما ليس للقادر عليهِ المتمكن من العلم بِحَالهِ أَن يَفْعَله، وإذا فَعله كان فِعْله له مُؤثرًا في استحقاق الذم»[٢]. فأورد أبو عبد الله الرازي على هذين التعريفين إيرادات، وقال بأن هذه الحدود المذكورة غير وافية بالكشف عن المقصود[٣].

ومع أن جماعة من أتباع الرازي وافقوه على نقل إيراداته على التعريفين[٤]؛ فإن منهم من نازعه في صحة تلك الإيرادات بل رأوها تكلفات. قال التاج الأرموي -تلميذ الفخر-: «واعلم أن هذه التعريفات كلها لأبي الحسين البصري، وهي جيدة، والتزييفات تكلفات»[٥]. وقال العجلي الأصفهاني: «واعلم أن هذه الإشكالات متكلفة»[٦]. (يعني تلك التي ذكرها الفخر).

١- البصري، أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب، المعتمد في أصول الفقه (١ / ٣٣٧).
٢- المرجع نفسه (١ / ٣٣٥).
٣- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ١٠٦).
٤- ينظر: قاضي العسكر، محمد بن الحسين الأرموي، نهاية الوصول في شرح المحصول (ص:١٥٣) -رسالة محمد تمبكتي للدكتوراه- النقشواني، نجم الدين أحمد بن أبي بكر، تلخيص المحصول (ص:١٠٠-١٠٤) -رسالة صالح الغنام للدكتوراه-، الأرموي، تاج الدين محمد بن الحسين، الحاصل من المحصول (٢ / ٣١)، الأرموي، سراج الدين محمود بن أبي بكر، التحصيل من المحصول (١ / ١٧٦)، القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (١ / ٢٨٢)، الأصفهاني العجلي، شمس الدين محمد بن محمود، الكاشف عن المحصول (١ / ٢٥٦)، الأرموي الهندي، صفي الدين محمد بن عبدالرحيم، نهاية الوصول، ت: صالح بن سلمان اليوسف وسعد بن سالم السويح، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م (٢ / ٧٠٠)، الجاربردي، فخر الدين محمد بن حسن، السراج الوهاج، ت: أكرم أوزيقان، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م (١ / ١١٠)، السبكي تاج الدين عبدالوهاب بن علي، الإبهاج في شرح المنهاج (١ / ٦٣)، البدخشي، محمد بن الحسن، مناهج العقول، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، بدون ط وت (١ / ٥١).
٥- الأرموي، تاج الدين محمد بن الحسين، الحاصل من المحصول (٢ / ٣٢).
٦- الأصفهاني العجلي، شمس الدين محمد بن محمود، الكاشف عن المحصول (١ / ٢٦٠).

ز- يعتني الفخر بالحدود وسلامتها -في الجملة- إلى درجة أنه ربما يخالف مذهبه الكلامي في سبيل صحة التعريف كما فعل في تعريف للشرط[1].

ك- امتاز الفخر بنقد التعريفات والمصلحات، وإعمال النظر فيها، مع دقّة بالغة ونظر ثاقب، وكثيرًا ما تعقّب تعريفات من سبقوه من العلماء في تساهلهم في إطلاق بعض المصطلحات وهذا كثير.

٢- فيما يتعلق بتحرير محل النزاع، فلم يكن الرازي مبرزًا فيه بخلاف صنيع صنوه الآمدي الذي يُعد من خيرة من اعتنى بتحرير محل النزاع، وعليه اتكال كثير ممن جاء بعده، وإذا رجعنا للمحصول وجدناه في مسألة تكليف ما لا يطاق قد أطال وفصّل وذكر الخلاف[2] لكن القرافي تعقبه بأنه لم اختار جواز ورود الأمر بما لا يقدر عليه المكلف مطلقًا ولم يفرِّق بين أنواع المحال؟ فقال: «هذه العبارة لم تحرر محل النزاع؛ لأن بما لا يقدر المكلف عليه قد يكون معجوزًا عنه متعذرًا عادةً لا عقلًا، كالطيران في الهواء؛ فإنه متعذر عادة ممكن عقلًا، وقد يكون متعذرًا عقلًا، ممكنًا عادة، كمن علم الله تعالى عدم إيمانه؛ فإنه يستحيل وقوع الإيمان منه عقلًا لاستحالة خلاف المعلوم، وإذا سئل أهل العادة عنه قالوا: يمكنه الإيمان، وكذلك جميع الطاعات المقدر عدمها، وقد يكون متعذرًا عقلًا وعادةً، كالجمع بين السواد والبياض. فمحل النزاع إنما هو من حيث يتعذر الفعل عادة كان معه التعذر العقلي أم لا؟ وهو قسمان: المتعذر عادة فقط، والمتعذر عادة وعقلًا، أما المتعذر عقلًا فقط، فلا خلاف فيه... وإنما ينازعوننا [المعتزلة] في المتعذر عادة، كيف كان

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٣/ ٥٧). إذ عرفه بأنه "الذي يقف عليه المؤثّر في تأثيره، لا في ذاته". قال العجلي الأصفهاني في الكاشف (٤/ ٤٨٠): "اعلم أن ما ذكره المصنّف من التعريف لا يستقيم إلاّ على رأي المعتزلة والغزالي. فلا يستقيم على رأيه؛ لأنه يرى أن العللَ أماراتٌ وعلاماتٌ معرفات، فلا تأثيرَ ولا مؤثّر على رأيه".

٢- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٢/ ٢١٥).

متعذرًا عقلًا أم لا؟ هذا تلخيص محل النزاع، وبه يظهر لك بطلان أكثر ما وقع في المسألة من الأدلة»[١].

في المقابل نافح العجلي الأصفهاني عن أبي عبد الله بأنَّ محل النزاع ليس ما ذكر القرافي من أصله، وبين أن: «عبار المصنف -يقصد الرازي- شملت صورة النزاع التي نقلها وفصلها إمام الحرمين؛ فإنه قال: (ورود الأمر بما لا يقدر المكلف عليه)»[٢].

وكيفما كان فلو حرر الفخر محل النزاع بعبارة صريحة لما ورد هذا الاختلاف حول عبارته من أصله.

والتمس بعض الباحثين العذر للفخر في عدد تحريره لمحلات النزاع بأن «مردَّ ذلك لكونه يُورد المسألةَ في الأصلِ مقيّدةً بأوصافٍ هي في الواقع تمييزٌ للمسألة المبحوثة عما قد يلتبس بها، ومعَ ذلك فقد صرحّ به وأجاد في بعض المسائل»[٣].

ثُمَّ إنَّ كثيرًا ما يتبع المعاصرون تصنيف ابن خلدون: «ابن الخطيب أميل إلى الاستكثار من الأدلّة والاحتجاج والآمديّ مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل»[٤] وهذا نظر جيد في الجملة لكنه ليس على إطلاقه، على أنه ينبغي أن ينبه إلى أن الآمدي تأثر جدًا بالمحصول حتى إنك تخاله في بعض المواضع شرحا له. ثم إنَّ الأمر الذي تميز به الآمدي بحق من بين من كتب ممن تقدمه وكثير جدًا مما تأخر عنه عنايته الواضحة بتحرير محل النزاع حتى إن كثيرًا ممن تأخر عنه عالة عليه. فيقول -مثلًا- في مسألة التعليل بالوصف الخفي «اتفق الكل على جوازِ

١- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (٤ / ١٥٤٨).
٢- الأصفهاني العجلي، شمس الدين محمد بن محمود، الكاشف عن المحصول (٤ / ٢٧).
٣- آل علي، مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية (ص:١١٩٠) -رسالة للدكتوراه-.
٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون (١ / ٥٧٦).

تعليل حُكْم الأصل بالأوصاف الظاهرة الجلية العرية عن الاضطراب»[1]. وعليه فقد اختلفوا في اشتراط أن تكون العلَّة ظاهرة جلية، أو يجوز التعليل بالوصف الجلي والخفي على حد سواء على قولين.

وقال في الإحكام -أيضًا- في مسألة التعليل بالعلة القاصرة «اتفق الكلُّ على أنَّ تعديةَ العلَّة شرطٌ في صحة القياس، وعلى صحة العلة القاصرة [كانت][2] منصوصةً أو مُجْمعًا عليها، وإنَّما اختلَفوا في صِحةِ العلةِ القاصرةِ إذا لم تكن منصوصةً ولا مُجْمعًا عليها»[3].

٣- في جانب ذكر الأقوال يعد المحصول من أجلِّ كتب الأصول عناية بالأقوال، ووجدت في المحصول نسبة أقوال لا توجد إلا فيه -وإن لم تكن عنايته بالأقوال كعنايته بالاستدلالات والمناقشات-، نعم قد يقتصر في بعض المسائل على ذكر أقوى الأقوال أو أشهرها ولا يستقصي لكنه لا يترك قولاً ذا قيمة. وعلى أي حال فقد اعتنى الفخر بذكر أقوال الفرق والمذاهب بل حتى فرق غير إسلامية وديانات منحرفة[4].

وقد انتقد بعض العلماء على الأصوليين إيراد أقوال الكفار وأصحاب الملل في أصول الفقه؛ فقال الشوكاني قولته المعروفة في حكاية قول اليهود في مسألة عدم اقتضاء النسخ للبداء: «لم يُحك الخلافُ فيه إلا عَن اليهود، وليس بِنا إلى نَصْب الخلاف بَيْننا وبَيْنهم حاجةٌ، ولا هذه بأوَّل مَسْألة خالفوا فيها أحكامَ الإسلام؛ حتى يُذْكرَ خِلافُهم في هذهِ المسألةِ، ولكن هذه مِنْ غَرائب أهل الأصول»[5].

١- الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ٢٠١).
٢- كذا في الطبعة المحال عليها -طبعة المكتب الإسلامي-، وهي كذلك في طبعة دار الكتاب العربي (٣/ ٢٣٨)، وطبعة جامعة الإمام بتحقيق عثمان آل نازح (٤/ ٢٢٦٦). ومعنى العبارة ([إذا] كانت) وهو مثبت في منتهى السول (ص:١٩٩) -طبعة دار الكتب العلمية-.
٣- الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ٢١٦)
٤- ينظر -مثلا-: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١/ ١٢٨)، (٣/ ٢٩٤)، (٤/ ٢٢٨).
٥- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، ت: سامي العربي، دار الفضيلة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م (٢/ ٧٨٨).

ويظهر -والله أعلم- أن صنيع الأصوليين ليس اعتباطيًا؛ فإن القضايا التي حكوا فيها أقوال أتباع الملل والديانات الخارجة عن الإسلام يؤول غالبها إلى قضايا عقلية لا فرق في حكاية الخلاف فيها بين مسلم وغيره.

ثُمَّ نرجع للكلام عن منهج الفخر فنلقاه قد ذكر آراء جماهير الأصوليين على اختلاف عقائدهم ومذاهبهم بعدل وإنصاف وتوخٍ لصحة النقل. وكان يرى أن نقل الكلام مرسلًا غير سديد، وأن ذكر كلام ليسَ للمرء ثُمَّ يَنْسِبه لنفسه غير مرضي[١]، ولذا فإنه كثيرًا ما يُعبّر عن القول الضعيف بصيغة التمريض والتضعيف (زعم) (رُويَ) (حُكيَ) (قيل).

وهو دقيق في حكاية الأقوال في الجملة، ومن ملامح دقته حكايته لتعريف الصحة والإجزاء عند الفقهاء فإنَّ الإمامَ ممَنْ نقل قول الفقهاء في المحصول؛ فقال: «الفقهاء يريدون بها [أي الصحة في العبادات] ما أسقط القضاء»[٢]. ثُمَّ نَقَلَ عن بعضهم تعريف الإجزاءِ أنَّه «سُقوط القضاء»[٣].

وعند التأمل في تعرف (الصحة) المحكي عن الفقهاء نجد بين ما حكاه الفخر الرازي وغيره من الأصوليين فرقًا دقيقًا مؤثرًا؛ فكثير من الأصوليين يقولون الصحة -عند الفقهاء-: «إسقاط أو سقوط القضاء»[٤]. وبعضهم يقول: «وقوع

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، الرياض المونقة (ص:٢٩٧).
٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ١١٢).
٣- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ١١٣).
٤- ينظر: الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٣٠)، الأرموي، سراج الدين محمود بن أبي بكر، التحصيل من المحصول (١ / ١٧٨)، البيضاوي، عبد الله بن عمر، منهاج الوصول، ت: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م (ص:١٩)، ابن الساعاتي، أحمد بن علي، بديع النظام الجامع بين البزدوي والإحكام، ت: مصطفى محمود ومحمد الدمياطي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م (١ / ٣٧٥)، المقدسي، محمد بن مفلح، أصول الفقه (١ / ٢٥٣)، ابن السبكي، عبد الوهاب بن علي، جمع الجوامع، ت: عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م (ص:١٤)، ابن السبكي، عبد الوهاب بن علي، الإبهاج في شرح المنهاج (١ / ٦٨)، المرداوي، علاء الدين علي بن سليمان، تحرير المنقول (ص: ١٢٣)، الفتوحي، أبو البقاء محمد بن النجار، شرح الكوكب المنير، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م (١ / ٤٦٥).

الفعل كافيًا في سقوط القضاء»[1]. والفخر يقول: الصحة: «ما أسقط القضاء»[2].

وليست هذه التعريفات بمعنى واحد -فيما يظهر-؛ فإن الجنس في تعريفٍ ليس هو إياه في التعريف الآخر؛ فليس (الإسقاط أو السقوط) هو (الوقوع) ولا (ما أسقط). وإن كنا لا ندري أيها تعريف الفقهاء على الحقيقة، إلا أن يُقال: إنهم قالوا بكلٍ، وكيفما كان فتعريف الفخر دقيق.

واستصعب القرافي الفرق بين الصحة والإجزاء؛ فقال: «أما الفرق بين إجزاء العبادة وصحتها؛ فصعب؛ لأنَّ كل عبادة صحيحة -عند الفقهاء- مجزئة، وكل عبادة مجزئة صحيحة؛ فيعسر الفرق»[3]. وقال الزركشي: «عسر على بعضهم الفرق بين الإجزاء والصحة»[4]. وهذا بناءٌ على عدم الدقة في التعريف. لكنا إذا تأملنا ما حكاه الفخر عن الفقهاء وجدناه في غاية الدقة، فإنها إنْ عُرِّفت الصحة -كما في المحصول-:»ما أسقط القضاء»[5]. والإجزاء: «سقوط القضاء»[6]. فالفرق بين الأمرين أنَّ (الصحة) على هذا التعريف هي الفعل أو الحكم أو الشيء[7] الذي يُسْقط به القضاء، وأمَّا (الإجزاء) فالسقوط ذاته. وإنْ قِيْل الصحة عندهم -أعني الفقهاء-: «إسقاط القضاء بالفعل» أو: «سقوط

١- ينظر: الطوفي، نجم الدين سليمان بن عبد القوي، شرح مختصر الروضة (١ / ٤٤١)، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه (٢ / ١٦)، ابن اللحام، علاء الدين علي بن محمد، المختصر في أصول الفقه، ت: محمد مظهر بقا، مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م (ص: ٦٧)، المبْرَد، يوسف بن حسن، غاية السول، ت: بدر بن ناصر السبيعي، غراس للنشر والتوزيع والإعلان، الكَويت، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م (ص: ٥٩).

٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ١١٢).

٣- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول (١ / ٣١٤).

٤- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البحر المحيط في أصول الفقه، (٢ / ٢٣).

٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ١١٢).

٦- المرجع نفسه.

٧- بحسب ما يعود عليه الاسم الموصول.

القضاء»[١]؛ فالصحة هي الإجزاء، ولا فرق.

نعم هذه الدقة كثيرة غالبة لكن الإمام قد يقع منه شيء من التصرف في النقل يؤثر في النتيجة فمثلًا نجد الفخر قد ذكر في المحصول تعريفًا للواجب نقله عن القاضي الباقلاني؛ فقال: «الذي اختاره القاضي أبو بكر: أَنَّه مَا يُذمُّ تَاركه شرْعًا على بعضِ الوجوه»[٢].

ويظهر أنَّ نقل الفخر الرازي لا يطابق ما في التقريب والإرشاد الصغير تمامًا، ولا ما في التلخيص للجويني، فربما كان للباقلاني تعريف آخر غير الذي في التقريب (الصغير) وما نقله عنه في التلخيص، وربما تجوّز الفخر الرازي في النقل، وأمَّا نَص تعريفه في التقريب؛ فقال: «ما وجب اللوم والذم بتركه من حيث هو ترك له»[٣]. وفي التلخيص: «ما ورد الشرع بالذم بتركه من حيث هو ترك له»[٤].

أخذ القرافي هذا التعريف في شرح التنقيح فغيَّر فيه قليلًا؛ فجعل الواجب: (ما ذُمَّ تاركه شرعًا). والمُحرّم: (ما ذُمَّ فاعله شرعًا). ثُمَّ قال: «قوله: (ما ذم فاعله)؛ عليه إشكال؛ من جهة أَنَّه قد لا يَفْعل؛ فلا يُوْجد فاعله، ولا الذم المترتب عليه. وكذلك قوله (تاركه) قد لا يُوْجد تاركه؛ بأن يفعل الواجب -وهو كثير-؛

١- ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، المستصفى (ص:٧٥)، الآمدي، سيف الدين علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام (١ / ١٣٠) القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول (ص:٧٦)، البخاري، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار، (١ / ٢٥٨)، ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، ت: محمد حسين إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م (ص:١٧٢)، المقدسي محمد بن مفلح، أصول الفقه (١ / ٢٥٣)، ابن أمير حاج، شمس الدين محمد بن محمد، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (٢ / ٧٨)، الفتوحي، محمد بن النجار، شرح الكوكب المنير (١ / ٤٦٥).

٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١ / ٩٥).

٣- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التقريب والارشاد (الصغير) (١ / ٢٩٣).

٤- الجويني، أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله، التلخيص في أصول الفقه (١ / ١٦٣) فقرة (٧٦).

فتخرج هذه الصور كلُّها من الحد؛ فلا يكون جامعًا»[1].

والحقيقة أنَّ تعريف الباقلاني في أصله لا يرد عليه هذا الإشكال فإنه يقول في التقريب؛ الواجب «ما وجب اللوم والذم بتركه من حيث هو ترك له»[2]، ونقله عنه في التلخيص بأنه: «ما ورد الشرع بالذم بتركه من حيث هو ترك له»[3]. فنظر الباقلاني إلى حيثية الترك التقييدية لا مطلق الترك؛ فمن هذا الوجه لا يرد عليه اعتراض القرافي -في ظني والله أعلم-. وعلى هذا نجد التعريف قد تُصرِّف فيه مرتين فتغير عن وجهه.

٤- في جانب الاستدلال وترتيب المسألة عمومًا نجد إمامنا الرازي لا يفارق الأصوليين في كبير من حيث البداءة بالمنقول من الأدلة قبل معقولها، والبدء بآي الكتاب العزيز قبل الأخبار المروية، لكنَّا نلحظ في جانب المعقول محبته لطريقة التقسيم التي تُعدُّ علامة فارقة في كتبه، وفي هذه المزية يقول ياقوت الحموي: «وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه، وأتى فيها بما لم يُسْبق إليه؛ لأنه يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدلّ بأدلّة السبر والتقسيم؛ فلا يشذّ منه عن تلك المسألة فرع لها به علاقة؛ فانضبطت له القواعد وانحصرت معه المسائل»[4]. ومن تتبع المحصول والمعالم وجد الفخر قد تفرَّد عمن سبقه بكثير من الأدلة والمناقشات والتقسيمات، حتى إن من الأدلة أو النقاشات ما يُنسب إليه فيقال هذا دليل الرازي أو نحو ذلك[5]. وهو صاحب نفس طويل في التقرير والرد، فمثلًا يقول صاحب المسودة: «لا يجوز على الجماعة العظيمة كتمان ما يحتاج إلى

١- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول (ص:٧١).
٢- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التقريب والارشاد (الصغير) (١ / ٢٩٣).
٣- الجويني، عبدالملك بن عبدالله، التلخيص في أصول الفقه (١ / ١٦٣) فقرة (٧٦).
٤- الحموي، أبو عبد الله ياقوت الرومي، معجم الأدباء (٦ / ٢٥٨٦).
٥- ينظر: الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول (١ / ٣٠٥).

نقله ومعرفته. وهو قول جماعة من العلماء وزعمت الإمامية أنه جائز وعلى ذلك بنوا كلامهم في ترك نقل النص في على. قال والد شيخنا وبسط القول معهم في ذلك الرازي في المحصول»[١]. إلى جانب ذلك فهو من أجود من يورد شبه الخصوم ويقررها حتى ربما قد يُقصّر في الجواب عنها، وقد لا يُجيب عنها بالكلّية[٢]، وقد يؤخّر الجوابَ عنها[٣]، وهذا منهجه في سائر كتبه.

وهو مع ذلك في المناقشات قد يستعمل أسلوب الخطاب المباشر في أثناء المناقشة كأنه يُخاطب حاضرًا[٤].

ويستعمل كثيرًا أسلوب المناقشة الجَدَليّ المعروف بـ(الفنقلة)[٥] وأسلوب التنزُّل مع المخالف، فيقول: سلمنا بكذا لكن يرد عليه كذا. ومع كل هذا الشغف الكبير بالنقاش والتحليل والأخذ والرد فإن أبا عبد الله الرازي لا يشغل نفسه بمجادلة ومناقشة المعاندين[٦].

٥- العناية بالتحقيقات والفروق الأصولية الدقيقة بين المسائل، فالمحصول كله تحقيقات بديعة في الآراء الأصولية وتنقيح لها من الأخطاء والغلطات العلمية -بحسب ما يراه الفخر-؛ ففي مسألة الفرق بين المطلق والعام يحقق الإمام النظر في من اختلط عليه الأمر بين دلالتي العام والمطلق ويقول: إذا عرفت ذلك فنقول اللفظة الدالة على الحقيقة من حيث إنها هي هي من غير أن تكون

١- ابن تيمية، مجد الدين عبدالسلام، وابنه شهاب الدين عبد الحليم وحفيده تقي الدين أحمد، المسودة في أصول الفقه، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، القاهرة، ط بدون، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م (ص:٢٣٥). وينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٤/ ٢٩٢).
٢- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (١/ ٢٥٠).
٣- ينظر: المرجع نفسه (١/ ٩٦).
٤- المرجع نفسه (٤/ ٢٣٤، ٢٥٨).
٥- مصطلح منحوت من التركيب اللغوي (فإن قلتَ... قلتُ)؛ كالحمدلة والبسملة وغيرهما
٦- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٤/ ٢٣٠، ٢٥٨)، (٥/ ١٢).

فيها دلالة على شيء من قيود تلك الحقيقة سلبًا كان ذلك القيد أو إيجابًا فهو (المطلق) وأمَّا اللفظ الدال على تلك الحقيقة مع قيدِ الكثرة؛ فإن كانت الكثرة كثرة معيَّنة بحيث لا يتناول ما يزيد عليها فهو اسم العدد وإن لم تكن الكثرة كثرة معينة فهو العام[١].

ثُمَّ يقول «وبهذا التحقيق ظهر خطأ من قال: (المطلق هو الدال على واحد لا بعينه) فإن كونه واحدًا وغير معين قيدان زائدان على الماهية»[٢].

وقد أعجب القرافي بهذا الفرق الدقيق وقال: «هذا هو كلام الإمام فخر الدين- رحمه الله- وهو في غاية التلخيص والتحقيق بالنسبة إلى غيره»[٣]. لكن كعادة القرافي لا يقنع بشيء؛ فأعقب إعجابه بقوله «ومع ذلك فعليه أسئلة»[٤].

٦- لم يعتنِ بالفروع الفقهية والأمثلة التوضيحية، وهو لا يرى معرفة الفقه شرطًا في الاجتهاد فضلًا عن معرفة علم الكلام، ويرى أنَّ أصول الفقه هو العلم الأهم للمجتهد، ويقول في هذا: «وقد ظهر مما ذكرنا أن أهم العلوم للمجتهد علم أصول الفقه وأما سائر العلوم فغير مهمة في ذلك، أما الكلام فغير معتبر؛ لأنا لو فرضنا إنسانًا جازمًا بالإسلام تقليدًا لأمكنه الاستدلال بالدلائل الشرعية على الأحكام، وأمَّا تفاريع الفقه فلا حاجة إليها؛ لأنَّ هذه التفاريع ولَّدها المجتهدون بعد أن فازوا بمنصب الاجتهاد فكيف تكون شرطًا فيه»[٥].

بقي أن يقال هل لم يذكر الرازي تفاريع الفقه ولم يعتد بها في شروط الاجتهاد لقصوره عنها، يقول تقي الدين ابن تيمية: بعد أن بين منزلتَه في الكلام والأصول،

١- ينظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٢ / ٣١٣-٣١٤).
٢- المرجع نفسه (٢ / ٣١٤).
٣- القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، العقد المنظوم في الخصوص والعموم (١ / ١٧٨).
٤- المرجع نفسه.
٥- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٦ / ٢٥).

«وأما التصوُّف فكان فيه ضعيفًا، كما كان ضعيفًا في الفقه»[١]. والحقيقة أن ابن تيمية وإن كان كثير الاطلاع على أحوال مخالفيه لكن هذه الدعوى عويصة؛ فإنَّ صاحب كتاب (الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته) عدَّ للرازي ستة عشر مؤلفًا منسوبة له في التصوف[٢]، وأربعة مؤلفات في الفقه استبعد صحة نسبة كتابين منها فبقي لنا كتابان[٣]، أحدهما شرح لكتاب الوجيز للإمام الغزالي، والآخر البراهين البهائية، وكيفما كان فلا نقدر على الجزم بتضلع أبي عبد الله الرازي في الفقه من عدمه من غير مطالعة كتبه أو شهادة من أتباع مذهبه، وإن كان التقي ابن تيمية جيد النظر متحريًا مع الخصوم. ونحن نظن الفخر قد استجمع آلة النظر، وحصَّل الملكة اللازمة.

٧- أورد موضوعات للحاجة إليها، ومن ذلك قوله وراعى في إيرادها حاجةَ فقهاء زمانه إليها؛ فقال في آخر المحصول في آخر مبحث الترجيح: «واعلم أنا إنما جمعنا هذه الوجوه؛ لأن أكثرَ مناظرات أهل الزمان في الفقه دائرةٌ على أمثال هذه الكلمات»[٤].

١- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، بغية المرتاد (ص: ٤٥١).
٢- ينظر: العلواني، طه جابر، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته (ص:٢٠٤).
٣- ينظر: المرجع نفسه (ص:١٩٥).
٤- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، المحصول (٦ / ٢٤٨).

الخاتمة

يمكن أنْ نَخْلص إلى أمورٍ كثيرة جدًا ننتقي منها الإطار المعرفي للفخر الرازي الذي كان واضحًا تمام الوضوح بسماته ومحدداته العلمية والأسلوبية كما مرَّ. فضلًا عن أنَّ النَفَسَ الأصولي للفخر قد ملأ الدنيا بعده وتأثر به الفن في كل نواحيه. فيما يمكن أن نقيم تجربة الفخر الأصولية من ناحية موضوعية بأنها تجربة ثرية جدًا من حيث الصياغة والأسلوب والترتيب، والأهم من حيث التناول العلمي والمعلوماتي إنْ صَحَّ التعبيرُ.

والباحثُ يوصي بالعناية بالمناهج الأصولية للأصوليين الكبار الذين كان لهم أثر واضح في العلم كما أن من الموضوعات التي تستحق الدرس الأصولي عند الفخر ما ابتكره الفخر الرازي ولم يسبق إليه كما قلنا في تعريف المرتجل وفي إيراده المشهور على الأدلة.

فهذا ما أحببتُ عرضه في هذا البحث، ونسأل الله التوفيق والإعانة والسداد وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي أصيبعة أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ت: نزار رضا، بدون طبعة وتاريخ دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ابن أمير حاج أبو عبدالله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد، التقرير والتحبير علي تحرير الكمال بن الهمام، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن برهان أحمد بن علي البغدادي، الوصول إلى الأصول، ت: عبد الحميد بن علي أبو زنيد، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مكتبة المعارف، الرياض.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، ت: موسى الدويش، ط٣، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ت: مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني شرح حديث النزول، ط٥، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، النبوات، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، أضواء السلف، الرياض.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل، ت: محمد رشاد سالم، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض.
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م، بدون دار نشر.
- ابن تيمية: مجد الدين عبدالسلام بن تيمية، وابنه شهاب الدين عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية وابنه تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيمية، المسودة في أصول الفقه، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط بدون، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، مطبعة المدني، القاهرة.

- ابن جزي أبو القاسم محمد بن أحمد، تقريب الوصول إلى علم الأصول، ت: محمد حسين إسماعيل، ط١، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، لسان الميزان، ت: دائرة المعرف النظامية في الهند، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.
- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، ت: خليل شحادة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار الفكر، دمشق.
- ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، الضروري في أصول الفقه أو (مختصر المستصفى)، ت: جمال الدين العلوي، ط١، ١٩٩٤م، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- ابن قاضى شهبة، أبو بكر تقي الدين بن أحمد بن محمد، طبقات الشافعية، ت: الحافظ عبد العليم خان، ط١، ١٤٠٧ه، عالم الكتب، بيروت.
- ابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ت: محمد عزير شمس، ط١، ١٤٣٢هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.
- الإربلي أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، ط١، ١٩٩٤م، دار صادر، بيروت.
- الأرموي الهندي صفي الدين محمد بن عبدالرحيم، نهاية الوصول في دراية الأصول، ت: صالح بن سلمان اليوسف وسعد بن سالم السويح، ط٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة.
- الأرموي تاج الدين محمد بن الحسين، الحاصل من المحصول، ت: عبدالسلام أبو ناجي، ط٢، ٢٠٠٦م، دار المدار الإسلامي، بيروت.
- الأرموي سراج الدين محمود بن أبي بكر، التحصيل من المحصول، ت: عبدالحميد أبو زنيد، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- الأسمندي محمد بن عبد الحميد، بذل النظر في الأصول، ت: محمد زكي عبد البر، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- الإسنوي جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول شرح منهاج الوصول، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإسنوي جمال الدين عبدالرحيم بن الحسن، نهاية السول ومعه حواشيه المفيدة المسماة سلم الوصول لشرح نهاية السول، والحاشية لمحمد بن بخيت المطيعي، ط بدون، ١٣٤٥هـ، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، مصورة في المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- الأصفهاني شمس الدين محمد بن محمود بن عباد العجلي، الكاشف عن المحصول، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأصفهاني شمس الدين محمود بن عبدالرحمن، شرح المنهاج، ت: عبدالكريم النملة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض.
- آل علي مشعل بن ممدوح، علم أصول الفقه في القرن السادس الهجري دراسة استقرائية، تاريخية، تحليلية، -رسالة للدكتوراه-، نوقشت عام، ١٤٢٥هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- الآمدي أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد، أبكار الأفكار في أصول الدين، ت: أحمد محمد المهدي، ط٢، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- الآمدي سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي، الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبدالرزاق عفيفي، ط١، ١٣٨٧هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق.
- الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد، إحكام الفصول في أحكام الأصول، ت: عبد المجيد تركي، ط ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥، سحب جديد ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، التقريب والارشاد (الصغير)، ت: عبدالحميد أبو زنيد، ط٢، ١٤١٨ / ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البخاري عبدالعزيز، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، بدون طبعة وتاريخ، دار الكتاب الإسلامي، بيروت.

- البصري أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب، تصفح الأدلة، ت: ويلفرد مادلنغ، ٢٠٠٦م، Wiesbaden: Harrassowitz.
- البصري أبو الحسين محمد بن علي، المعتمد في أصول الفقه، ت: خليل الميس، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، تاريخ بغداد، ت: بشار عواد معروف، ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار الغرب الإسلامي، تونس وبيروت.
- البيضاوي ناصر الدين عبدالله بن عمر، منهاج الوصول إلى علم الأصول، القاضي ت: مصطفى شيخ مصطفى، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت.
- التبريزي أمين الدين مظفر بن أبي الخير، تنقيح محصول ابن الخطيب في أصول الفقه، ت: حمزة زهير حافظ -رسالة دكتوراه-، نوقشت عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- التلمساني شرف الدين عبد الله بن محمد، شرح المعالم في أصول الفقه، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، عالم الكتب، بيروت.
- التلمساني شرف الدين عبد الله بن محمد، شرح المعالم في أصول الفقه، -رسالة أحمد محمد صديق للدكتوراه- نوقشت عام ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، جامعة أم القرى مكة المكرمة.
- الجاربردي فخر الدين محمد بن حسن، السراج الوهاج في شرح المنهاج، ت: أكرم أوزيقان، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض.
- الجصاص أبو بكر أحمد بن علي، الفصول في الأصول، ت: عجيل جاسم النشمي، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، وزارة الأوقاف الكويتية، الكويت.
- الجويني الشهير بإمام الحرمين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد، التلخيص في أصول الفقه، ت: عبدالله جولم النيبالي وشبير أحمد العمري، ط٢، ١٤٢٨ ٢٠٠٨م، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت

- الحنطور محمود محمد محمد، النسخ عند الفخر الرازي، ط١، ٢٠٠٢م، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، الفقيه والمتفقه، ت: عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
- الخوانساري الميرزا محمد باقر الموسوي، روضات الجنات، في أحوال العلماء والسادات، ط بدون، ١٣٩٠هـ ق، المطبعة الحيدرية، طهران.
- الذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، ت: بشار عوّاد معروف، ط١، ٢٠٠٣م، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ت: علي بن سامي النشار، ط١، ١٣٥٦، ١٩٣٨م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الرازي فخر الدين محمد بن عمر، الرياض المونقة في آراء أهل العلم، ت: أسعد جمعة، ط بدون، ٢٠٠٤م، مركز النشر الجامعي، القيروان.
- الرازي فخر الدين محمد بن عمر، المعالم في أصول الفقه، ت: علي معوض وعادل عبد الموجود، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- الرازي فخر الدين محمد بن عمر، المنتخب من المحصول في أصول الفقه، ت: عدنان العبيات، ط١، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، أسفار لنشر نفيس الكتب والرسائل، الكويت
- الرازي فخر الدين محمد بن عمر، ذم لذات الدنيا (أقسام اللذات)، ت: أيمن شهيده، ط١، ٢٠٠٦.
- الرازي، أبو عبدالله فخر الدين محمد بن عمر التيمي، المحصول في علم أصول الفقه، ت: طه جابر فياض العلواني، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الزركان محمد صالح، فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية، ط١ ١٩٦٣م، دار الفكر، بيروت.
- الزركشي أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، دار الكتبي للنشر، بيروت.

- ابن الساعاتي أبو العباس مظفر الدين، بديع النظام الجامع بين البزدوي والإحكام، ت: مصطفى محمود ومحمد الدمياطي، ط١، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الرياض، ودار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة.
- السبكي أبو نصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي، جمع الجوامع في أصول الفقه، ت: عبدالمنعم خليل إبراهيم، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السبكي أبو نصر تاج الدين عبدالوهاب بن علي، طبقات الشافعية الكبرى، ت: محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- السبكي تقي الدين أبو الحسن علي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، الإبهاج في شرح المنهاج، ت: شعبان محمد إسماعيل، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥ م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السعيد هشام محمد، ترتيب الموضوعات الأصولية ومناسباته دراسة استقرائية تحليلية، -بحث محكم- مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد (٢٤)، ١٤٣٦هـ
- السمرقندي أبو بكر علاء الدين محمد بن أحمد، ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، ت: محمد زكي عبد البر، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤، مطابع الدوحة الحديثة، قطر.
- السهروردي شهاب الدين يحيى بن حبس، التنقيحات في أصول الفقه، ت: عياض بن نامي السلمي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مكتبة الرشد، الرياض.
- الشاطبي إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، ت: مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن عفان، القاهرة.
- شهيد الحسان، نظرية النقد الأصولي دراسة في منهج النقد عند الإمام الشاطبي، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا.
- الشوكاني محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى إحقاق الحق من علم الأصول، ت: أحمد عزو عناية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار الكتاب العربي، بيروت.

- الصعيدي عبد المتعال، المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله، الوافي بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث، بيروت.
- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوان النصر، ت: علي أبو زيد وآخرون، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- طاش كبرى زاده أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الطوفي نجم الدين سليمان بن عبد القوي، الإكسير في علم التفسير، ت: عبد القادر حسين، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، دار الأوزاعي، بيروت.
- الطوفي نجم الدين سليمان بن عبد القوي، شرح مختصر الروضة، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العبري برهان الدين عبيد الله وقيل: عبدالله بن محمد بن الشريف الحسيني الفرغاني، شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول، ت: حمد حمادي الصاعدي، -رسالة دكتوراه- القسم الأول من الكتاب، نوقشت عام ١٤٠٦هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية.
- العريبي محمد، المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي، ط١، ١٩٩٢م، دار الفكر اللبناني، بيروت
- العلواني طه جابر، الإمام فخر الدين الرازي ومصنفاته، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م، دار السلام، القاهرة.
- العمري نادية بنت شريف، النسخ في دراسات الأصوليين دراسة مقارنة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، المستصفى من علم الأصول، ت: محمد عبدالسلام عبدالشافي، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الفتوحي أبو البقاء تقي الدين محمد بن أحمد بن النجار، شرح الكوكب المنير، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مكتبة العبيكان، الرياض.

- فلوسي مسعود موسى، مدرسة المتكلمين ومنهجها في دراسة أصول الفقه، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، مكتبة الرشد، الرياض.
- قاضي العسكر أبو عبد الله محمد بن الحسين الأرموي، نهاية الوصول في شرح المحصول، ت: محمد بن عبد الله بن الحاج تمبكتي -رسالة دكتوراه- من بداية الكتاب إلى نهاية القسم الأول في مباحث اللفظ من الكلام في الأوامر والنواهي، نوقشت عام ١٤٣٥هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية.
- القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، (القسم الأول)- رسالة ناصر بن علي الغامدي للماجستير-، نوقشت عام ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، شرح تنقيح الفصول، ت: طه عبدالرؤوف سعد، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، دار الفكر للطباعة والنشر.
- القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الباز، مكة المكرمة.
- القرافي أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، نفائس الأصول في شرح المحصول، تحقيق القسم الأول، رسالة عياض السلمي للدكتوراه، نوقشت عام ١٤٠٢هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس، العقد المنظوم في الخصوص والعموم، ت: أحمد الختم عبد الله، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار الكتبي، والمكتبة المكية، مكة المكرمة.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، طبقات الشافعيين، ت: أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم عزب، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- الكلوذاني أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن، التمهيد في أصول الفقه، ت: مفيد محمد أبو عمشة ومحمد علي إبراهيم، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- ابن اللحام، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد، المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ت: محمد مظهر بقا، ط٢، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مركز إحياء التراث الإسلامي في جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- المِبْرَد جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي، غاية السول إلى علم الأصول، ت: بدر بن ناصر السبيعي، ط١، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، غراس للنشر والتوزيع والإعلان، الكويت.
- مدكور عبد الحميد عبد المنعم، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير، نوقشت عام ١٤٣٠هـ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
- ابن المرتضى، أحمد بن يحيى المهدي لدين اللّه، طبقات المعتزلة، ت: سُوسَنّة دِيفَلْد - فِلْزَر، دار مكتبة الحياة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، بيروت، ط بدون.
- المرداوي أبو الحسن علاء الدين علي بن سليمان الدمشقي الصالحي الحنبلي، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ت: عبد الرحمن الجبرين وآخرين، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض.
- المرداوي علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان، تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول، ت: عبد الله هاشم، وهشام العربي، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
- المقدسي شمس الدين محمد بن مفلح، أصول الفقه، ت: فهد السدحان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، مكتبة العبيكان، الرياض.
- البدخشي، محمد بن الحسن، مناهج العقول شرح منهاج الوصول، بدون بيانات الطبعة وسنة الطبع، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- المهدي لدين اللّه أحمد بن يحيى بن المرتضى، طبقات المعتزلة، ت: سُوسَنّة دِيفَلْد - فِلْزَر، ط بدون، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- النخجواني (النقشواني) نجم الدين أحمد بن أبي بكر بن محمد، تلخيص المحصول لتهذيب الأصول، ت: صالح بن عبد الله الغنام، -رسالة دكتوراه-، نوقشت عام ١٤١٢هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية.

- النسفي حافظ الدين، كشف الأسرار عن أصول المنار، مع ملا جيون أحمد بن أبي سعيد بن عبيد الله، شرح نور الأنوار على المنار، بدون رقم طبعة وتاريخ طبع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والمغرب (في فقه النوازل)، ط١، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- يونس معالم سالم، الرازي وموقفه من العقل والنقل دراسة في بعض كتبه، -بحث محكم-، (مجلة جامعة تكريت للعلوم الاسلامية) مجلة العلوم الإسلامية، العدد (١٩) ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

List of Sources and References:

- Ibn Abi Ossaib'ah Abu al-Abbas Mowafak al-Din Ahmad bin al-Qasim, The Correct News in the Classes of Doctors, edited by Nizar Reda, n.d., Dar Maktabit Alhayah, Beirut.
- Ibn al-Saati Abu al-Abbas Muzaffar al-Din, The Comprehensive System that combines al-Bazdawi and al-Ihkam Books, edited by Mustafa Mahmoud and Muhammad al-Damiyati, 1st Edition, 1435 AH/2014 AD, Ibn al-Qayyim House for Publishing and Distribution, Riyadh, and Ibn Affan House for Publishing and Distribution, Cairo.
- Ibn al-Lahham, Abu al-Hasan Alaa al-Din Ali bin Muhammad, The Compendium of Principles of Islamic Jurisprudence on the Doctrine of Imam Ahmad bin Hanbal, edited by Muhammad Mazhar Baqa, 2nd Edition, 1422 AH/2001 AD, Center for the Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.
- Ibn Al-Murtada, Ahmad bin Yahya Al-Mahdi Ledeenellah, Mu'tazilite Classes, edited by Susannah Diffield - Velzer, Dar Maktabit Alhayah, 1380 AH/1961AD, Beirut.
- Ibn Amir Hajj Abu Abdullah, Shams al-Din Muhammad bin Muhammad bin Muhammad, The Reporting and Inking for Editing Al-Kamal Ibn Al-Hamam, 2nd Edition, 1403 AH/1983 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyah, Beirut.
- Ibn Burhan Ahmad bin Ali Al-Baghdadi, Access to the Ancestry, edited by Abd al-Hamid bin Ali Abu Zunaid, 1st Edition, 1403 AH/1983 AD, Al Maaref Library, Riyadh.
- Ibn Taymiyyah Abu al-Abbas Taqi al-Din Ahmad ibn Abd al-Halim al-Harrani, The aim of the Searcher in responding to the Philosophers, Qarmatis and al-Batiniyya, edited by Musa al-Duwaish, 3rd Edition, 1415 AH/1995 AD, Oloom and Hikam Library, Medina.
- Ibn Taymiyyah Abu al-Abbas Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam al-Harrani, A Statement of the Fraud of the Jahmiyya in Establishing their Verbal Heresy, edited by a group of investigators, 1st ed., 1426 AH, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Medina.
- Ibn Taymiyyah Abu al-Abbas Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam al-Harrani, Explanation of Hadith of Revelation, 5th Edition, 1397 AH/1977 AD, the Islamic Office, Beirut.
- Ibn Taymiyyah Abu al-Abbas Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam, The Prophecies, edited by Abd al-Aziz bin Salih al-Tuwayan, 1st ed., 1420 AH/2000 AD, Adwaa al-Salaf, Riyadh.

- Ibn Taymiyyah Abu al-Abbas Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim, Refuting the Conflict of Mind and Revelation, edited by Muhammad Rashad Salem, 2nd Edition, 1411 AH/1991 AD, Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University, Riyadh.
- Ibn Taymiyyah Ahmad ibn Abd al-Haleem, the Collection of Fatwas of Sheikh al-Islam Ibn Taymiyyah, compiled and arranged by: Abd al-Rahman bin Muhammad bin Qasim, 1st edition, 1422 AH/2003 AD, without a publishing house.
- Ibn Taymiyyah: Majd al-Din Abd al-Salam ibn Taymiyyah, and his son Shihab al-Din Abd al-Halim bin Abd al-Salam bin Taymiyyah and his son Taqi al-Din Ahmad bin Abd al-Halim bin Abd al-Salam bin Taymiyyah, The Draft in the Principles of Islamic Jurisprudence, edited by Muhammad Muhi al-Din Abdul Hamid, 1384 AH/1964 AD, Al-Madani printing house, Cairo.
- Ibn Jazi Abu al-Qasim Muhammad bin Ahmad, Approaching Access to the Science of Origins, edited by Muhammad Husayn Ismail, 1st Edition, 1424 AH/2003 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut.
- Ibn Hajar Abu al-Fadl Ahmad bin Ali bin Muhammad bin Ahmad al-Asqalani, Lisan al-Meezan, edited by Dairatul Ma'arif in India, 2nd Edition, 1390 AH/1971 AD, Al-Alamy Foundation for Publications Beirut - Lebanon.
- Ibn Khaldun Abu Zayd Abd al-Rahman bin Muhammad, The Divan of Beginning and News in the History of the Arabs and Berbers and their Contemporaries of the Most Concerned (History of Ibn Khaldun), edited by Khalil Shehadeh, 2nd Edition, 1408 AH/1988AD, Dar Al-Fikr, Damascus.
- Ibn Rushd, the grandson of Abu Al-Walid Muhammad bin Ahmed bin Muhammad bin Ahmed bin Rushd al-Qurtubi, The Essential in the Principles of Islamic Jurisprudence or (the Compendium of al-Mustasfi), edited by Jamal al-Din al-Alawi, 1st Edition, 1994 AD, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunisia.
- Ibn Qadi Shahaba Abu Bakr Taqi al-Din bin Ahmed bin Muhammad, The Classes of Shafi'is, edited by Al-Hafiz Abdul-Alim Khan, 1st Edition, 1407 AH, Alam AlKotob, Beirut.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah Abu Abdullah Muhammad ibn Abi Bakr, Ighat al-Allahfan fe Masayed el-Shaitan, edited by Muhammad Uzayr Shams, 1st Edition, 1432 AH, Dar Alam al-Fawaid, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Arbli Abu Al-Abbas Shams Al-Din Ahmed bin Muhammad bin Khallakan, Deaths of the Nobles and the Stories of Years, edited by Ihsan Abbas, 1st Edition, 1994 AD, Dar Sader, Beirut.

- A-Armawi Al-Hendi, Safi al-Din Muhammad bin Abdul Rahim, Nehayat el-Wosol fi Derayat Al-Usul, edited by Salih bin Salman Al-Youssef and Saad bin Salem Al-Swaih, 2nd ed., 1433 AH/2012 AD, Nizar Mustafa Al-Baz Library, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Armawi Taj al-Din Muhammad Ibn al-Husayn, Al Hasel min el-Mahsoul, edited by Abd al-Salam Abu Naji, 2nd Edition, 2006 AD, Dar al-Madar al-Islami, Beirut.
- Al-Armowi Serageldin Mahmoud bin Abi Bakr, Al Tahasel min el-Mahsoul, edited by Abdul Hamid Abu Zneid, 1st Edition, 1408 AH/1988 AD, Al-Risala Foundation, Beirut.
- Al-Asmandi Muhammad Ibn Abd al-Hamid, Bathl el-Nazir fi Al-Usul, edited by Muhammad Zaki Abd al-Bar, 1st Edition, 1412 AH/1992 AD, Dar Al Turath Library, Cairo.
- Al-Asnawi, Jamal Al-Din Abdul Rahim bin Al-Hassan, Nehayat Al Wesul fi Sharh Manaheg el-Wesul, 1st Edition, 1420 AH/1999 AD, Dar Al-Kotob Al-Ilamiya, Beirut
- Al-Asnawi, Jamal al-Din Abd al-Rahim ibn al-Hasan, Nehayat Al Wesul fi Sharh Manaheg el-Wesul, with the useful footnotes called, Sharh Sulam el-Wesul le Sharh Nehayat el-Sol, and the Footnote by Muhammad bin Bakhit Al-Mutai'i, Dawn, 1345 AH, Al-Salafi printing house and its Library, Cairo, copied in Al-Faisaliah Library, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Isfahani, Shams Al-Din Muhammad bin Mahmoud bin Abbad Al-Ajli, Al-Kashef A'nel Mahsul, edited by Ali Moawad and Adel Abdul-Mawgoud, 1st Edition, 1998 AD, Dar Al-Kotob Al-Ilalamya, Beirut.
- Al-Asfahani, Shams Al-Din Mahmoud bin Abdul-Rahman, Sharh Al-Minhaj, edited by Abdul-Karim Al-Namlah, 1st Edition, 1420 AH/1999 AD, Al-Rashed Library Publishers, Riyadh.
- Al Ali Mishaal bin Mamdouh, The Science of Principles of Islamic Jurisprudence in the Sixth Century Hijri: An Inductive, Historical, Analytical Study - Doctoral Thesis - discussed in 1425 AH, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh.
- Al-Amidi Abu Al-Hassan Saif Al-Din Ali bin Muhammad, the First Ideas about the Principels of Islamic Jurisprudence, edited by Ahmad Muhammad Al-Mahdi, 2nd Edition, 1424 AH/2004 AD, House of National Books and Archives, Cairo.

- Al-Amidi Saif Al-Din Abu Al-Hasan Ali bin Abi Ali, Al-Ahkam fi Usul Al-Ahkam, edited by Abd Al-Razzaq Afifi, 1st Edition, 1387 AH, Islamic Office, Beirut, Damascus.
- Al-Baji Abu Al-Walid Suleiman Bin Khalaf Bin Saad, Eh-kam Al-Fusul fi Ahkam Al-Usul, edited by Abd Al-Majid Turki, ed. of 1415 AH/1995, a new withdrawal 1429 AH/2008 AD, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunisia.
- Al-Baqlani Abu Bakr Muhammad Ibn Al-Tayyib, Al-Taqreeb wa Al-Ershad (Al-Sagheer), edited by Abdul Hamid Abu Zneid, 2nd Edition, 1418/1998 AD, Al-Risalah Foundation, Beirut.
- Al-Bukhari Abdulaziz, Kashf Al-Asrar Explanation of Al-Bazdawi's Origins, without edition and history, Dar Al-Kitab Al-Islami, Beirut.
- Al-Basri Abu Al-Hussein Muhammad Bin Ali Bin Al-Tayyib, Review the Evidence, edited by Wilfred Madling, 2006 AD, Wiesbaden: Harrassowitz.
- Al-Basri Abu Al-Hussein Muhammad Bin Ali, approved in the fundamentals of jurisprudence, edited by Khalil Al-Mays, 1st edition, 1403 AH/1984, Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyya, Beirut.
- Al-Baghdadi, Abu Bakr Ahmed bin Ali Al-Khatib, History of Baghdad, edited by Bashar Awad Maarouf, 1st Edition 1422 AH/2002 AD, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunis and Beirut.
- Ibn Katheer, Abu al-Fida Ismail bin Omar, Tabaqat al-Shafi'in, edited by Ahmed Omar Hashem and Muhammad Zainhum Azab, 1st Edition, 1413 AH/1993 AD, Religious Culture Library, Cairo.
- Al-Baidawi, Nasir Al-Din Abdullah bin Omar, Methodology for Access to the Science of Fundamentals, Judge edited by Mustafa Sheikh Mustafa, 1st Edition, 1427 AH/2006 AD, Al-Risala Foundation, Publishers, Beirut.
- Al-Tabrizi, Amin al-Din Muzaffar ibn Abi al-Khair, Revision of Ibn al-Khatib's harvest in Usul al-Fiqh, edited by Hamzah Zuhair Hafez - PhD thesis, discussed in 1402 AH/1982 AD, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Tlemceni, Sharaf Al-Din Abdullah bin Muhammad, Explanation of the Milestones in the Fundamentals of Jurisprudence, edited by Adel Ahmed Abdel-Moawad and Ali Muhammad Moawad, 1st Edition, 1419 AH/1999 AD, The World of Books, Beirut.
- Al-Tlemceni, Sharaf Al-Din Abdullah bin Muhammad, Explanation of Milestones in the Fundamentals of Jurisprudence, - Ahmed Muhammad Siddiq's PhD thesis - discussed in 1407 AH/1987AD, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.

- Al-Jarberdi Fakhr Al-Din Muhammad Bin Hassan, Al-Sarraj Al-Wahaj fi Sharh Al-Minhaj, edited by Akram Ozigan, 2nd Edition, 1418 AH/1998 AD, Al-Maraj International Publishing House, Riyadh.
- Al-Jassas Abu Bakr Ahmad bin Ali, Al-Fusul fi Al-Usul, edited by Ajil Jassim Al-Nashmi, 2nd Edition, 1414 AH/1994 AD, Kuwaiti Ministry of Endowments, Kuwait.
- Al-Juwaini, the famous Imam of the Two Holy Mosques, Abu al-Maali Abd al-Malik bin Abdullah bin Yusuf bin Muhammad, Summarizing the Fundamentals of Fiqh, edited by Abdullah Jawlum al-Nibali and Shabir Ahmad al-Omari, 2nd Edition, 1428 2008 AD, Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah, Beirut.
- Al-Hamwi Abu Abdullah Shihab al-Din Yaqut bin Abdullah al-Rumi, Dictionary of the Writers (Guidance of the Arib to Know the Writer), 1st Edition, 1414 AH/1993 AD, edited by Ihsan Abbas, Dar Al-Gharb Al-Islami, Beirut
- Al-Hantoor Mahmoud Mohamed Mohamed, copying by Al-Fakhr Al-Razi, 1st Edition, 2002 AD, Literature Library, Cairo.
- Al-Khatib Al-Baghdadi Abu Bakr Ahmed Bin Ali, Al-Faqih and Al-Mutaqifa'a, edited by Adel Bin Yusef Al-Grazi, 2nd Edition, 1421 AH, Ibn Al-Jawzi House, Dammam.
- Al-Khwansari Mirza Muhammad Baqir al-Musawi, Kindergartens of Gardens, In the Status of Scholars and Sadat, Dawn, 1390 AH, Al-Haidarya Press, Tehran.
- Al-Dhahabi Shams al-Din Abu Muhammad bin Ahmad bin Othman bin Qaymaz, History of Islam and the Loyalties of Celebrities and Celebrities, edited by Bashar Awad Maarouf, 1st Edition, 2003 AD, Dar Al-Gharb Al-Islami, Tunisia.
- Al-Razi Fakhr al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin al-Hasan bin al-Husayn al-Taymi, The beliefs of the Muslim and polytheists groups, edited by Ali bin Sami al-Nashar, 1st Edition, 1356, 1938 AD, the Egyptian Renaissance Library, Cairo.
- Al-Razi Fakhr Al-Din Muhammad Bin Omar, Al-Riyadh Al-Munnaqah in the Views of the Scholars, edited by Asaad Jumaa, Dawn, 2004 AD, University Publishing Center, Kairouan.
- Al-Razi Fakhr Al-Din Muhammad Bin Omar, Milestones in Usul Al-Fiqh, edited by Ali Moawad and Adel Abd Al-Mawjid, 1st Edition, 1440 AH/2019 AD, Al-Azhar Library of Heritage, Cairo.

- Al-Razi Fakhr Al-Din Muhammad Bin Omar, Elected from Al-Mahsal fi Usool Al-Fiqh, edited by Adnan Al-Abayat, 1st Edition, 1440 AH/2019 AD, Travels to publish valuable books and letters, Kuwait
- Al-Razi Fakhr Al-Din Muhammad Bin Omar, defamed the same world (categories of pleasures), edited by Ayman his martyr, Edition 1, 2006.
- Al-Razi, Abu Abdullah Fakhr al-Din Muhammad bin Omar al-Taymi, The Abstract in the Science of Fundamentals of Jurisprudence, edited by Taha Jaber Fayyad al-Alwani, 3rd Edition, 1418 AH/1997AD, The Resala Foundation, Beirut.
- Al-Zarkan Muhammad Salih, Fakhr al-Din al-Razi and his theological and philosophical views, 1st Edition 1963 AD, Dar Al-Fikr, Beirut.
- Al-Zarkashi Abu Abdullah Badr al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur, Al-Bahr Al-Muheet in Usul Al-Fiqh, 1st Edition, 1414 AH/1994 AD, Al-Ketbi Publishing House, Beirut.
- Al-Sobki Abu Nasr Taj al-Din Abd al-Wahhab bin Ali, Collected Mosque in the Fundamentals of Jurisprudence, edited by Abd al-Moneim Khalil Ibrahim, 2nd Edition, 1422 AH/2003 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut
- Al-Sobky Abu Nasr Taj al-Din Abd al-Wahhab bin Ali, the major Shafi'i classes, edited by Mahmoud Muhammad al-Tanahi and Abd al-Fattah Muhammad al-Helou, 2nd Edition, 1413 AH, Hajar for printing, publishing and distribution, Cairo.
- Al-Sobky Taqi Al-Din Abu Al-Hassan Ali and his son Taj Al-Din Abu Nasr Abdel-Wahhab, Al-Ibhaj fi Sharh Al-Minhaj, T. Shaaban Muhammad Ismail, 1st Edition, 1416 AH/1995 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Saeed Hisham Muhammad, The Arrangement of Fundamental Issues and Its Occasions, An Analytical Inductive Study, - Refereed Research - Journal of the Saudi Jurisprudence Society, Issue (24), 1436 AH
- Al-Samarqandi Abu Bakr Alaa al-Din Muhammad bin Ahmed, The Balance of Fundamentals in the Results of Minds in Usul al-Fiqh, edited by Muhammad Zaki Abd al-Bar, 1st Edition, 1404 AH/1984, Doha Modern Press, Qatar.
- Al-Suhrawardi Shihab Al-Din Yahya Bin Habes, Revisions in Usul Al-Fiqh, edited by Iyad Bin Nami Al-Salami, 1st Edition, 1427 AH/2006 AD, Al-Rashed Library, Riyadh.
- Al-Shatibi Ibrahim bin Musa bin Muhammad Al-Lakhmi Al-Gharnati, approvals, edited by Mashhour bin Hassan Al Salman, 1st Edition, 1417 AH/1997 AD, Ibn Affan House, Cairo.

- Shahid Al-Hassan, The Theory of Fundamental Criticism, a study in the methodology of criticism by Imam Al-Shatibi, 1st Edition, 1433 AH/2012 AD, International Institute of Islamic Thought, Hernand, Virginia.
- Al-Shawkani Muhammad bin Ali, Guiding the Stallions to Realizing the Truth from the Science of Usul, edited by Ahmad Ezzo Anaya, 1st Edition, 1419 AH/1999 AD, Arab Book House, Beirut.
- Al-Saidi Abdel-Mutaal, The Mujaddidat in Islam from the 1st to the Fourteenth Century, 1st Edition, 1416 AH/1996 AD, Literature Library, Cairo.
- Al-Safadi Salah Al-Din Khalil bin Aybak bin Abdullah, Al-Wafi Al-Wafaat, edited by Ahmed Al-Arnaout and Turki Mustafa, 1st Edition, 1420 AH/2000 AD, House of Revival of Heritage, Beirut.
- Al-Safadi Salah al-Din Khalil bin Aybak, notables of the era and assistants of victory, edited by Ali Abu Zaid and others, 1st Edition, 1418 AH/1998 AD, House of Contemporary Thought, Beirut.
- Tash Kobra Zadeh Ahmed bin Mustafa, The Key to Happiness and the Lamp of Sovereignty in the Subjects of Science, 1st Edition, 1405 AH/1985 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Toufi Najm al-Din Suleiman bin Abd al-Qawi, The Elixir in the Science of Tafsir, edited by Abd al-Qadir Husayn, 2nd Edition, 1409 AH/1989 AD, Dar Al-Ouzai, Beirut.
- Al-Toufi Najm al-Din Suleiman bin Abd al-Qawi, a brief explanation of al-Rawda, edited by Abdullah bin Abdul-Mohsen al-Turki, 1st Edition, 1407 AH/1987AD, Al-Risala Foundation, Beirut.
- Al-Abri Burhan Al-Din Ubayd Allah and it was said: Abdullah bin Muhammad bin Al-Sharif Al-Hussaini Al-Farghani, Explanation of the Methodology for Access to the Science of Fundamentals, edited by Hamad Hammadi Al-Saadi, - PhD thesis - the first section of the book, discussed in 1406 AH, the Islamic University, Medina.
- Al-Araibi Muhammad, The Intellectual Principles of Imam Al-Fakhr Al-Razi, 1st Edition, 1992 AD, Lebanese Thought House, Beirut
- Al-Alwani Taha Jaber, Imam Fakhr Al-Din Al-Razi and his works, 1st Edition, 1431 AH/2011 AD, Dar Al-Salam, Cairo.
- Al-Omari, Nadia Bint Sharif, Transcription in the Studies of the Fundamentalists, a Comparative Study, 1st Edition, 1405 AH/1985 AD, The Resala Foundation, Beirut.

- Al-Ghazali Abu Hamid Muhammad bin Muhammad Al-Tusi, Al-Mustasfi from the science of origins, edited by Muhammad Abd al-Salam Abd al-Shafi, 1st Edition, 1413 AH/1993 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.
- Al-Fotouhi Abu Al-stay Taqi Al-Din Muhammad bin Ahmed bin Al-Najjar, Explanation of Al-Kawkab Al-Munir, edited by Muhammad Al-Zuhaili and Nazih Hammad, 2nd Edition, 1418 AH/1997AD, Al-Obeikan Library, Riyadh.
- Felousi Masoud Musa, Al-Mutakallekin School and its Approach in the Study of Fundamentals of Jurisprudence, 1st Edition, 1425 AH/2005 AD, Al-Rashed Library, Riyadh.
- Military Judge Abu Abdullah Muhammad Ibn Al-Hussein Al-Armawi, End of Arrival in Explanation of the Crop, edited by Muhammad bin Abdullah bin Hajj Tambekti - PhD thesis - from the beginning of the book to the end of the first section in the examination of pronouncements of speech in orders and prohibitions, discussed in 1435 AH , Islamic University, the Prophet's city.
- Al-Qarafi Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris, Explanation of Revision of Chapters, (First Section) - Nasir bin Ali Al-Ghamdi's Master's Thesis- discussed in 1421 AH - 2000 CE, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Qarafi Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris, Explanation of Revision of the Chaos, Taha Abdul-Raouf Saad, 1st Edition, 1393 AH/1973AD, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.
- Al-Qarafi Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris, Nafais Al-Usool fi Sharh Al-Maqsul, edited by Adel Ahmad Abdul-Muawjid and Ali Muhammad Muawad, 1st Edition, 1416 AH/1995 AD, Al-Baz Library, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Qarafi Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris, The Precious Fundamentals in Explaining the Crop, Verification of the First Section, Ayyad Al-Salami's Doctoral Thesis, discussed in 1402 AH, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, Riyadh.
- Al-Qarafi, Abu Al-Abbas Shihab Al-Din Ahmed bin Idris, the contracted contract in particular and general, edited by Ahmad Al-Khatim Abdullah, 1st Edition, 1420 AH/1999 AD, Dar Al-Kutbi, and the Meccan Library, Makkah Al-Mukarramah.
- Al-Kaludhani Abu Al-Khattab Mahfouz bin Ahmed bin Al-Hassan, Introduction to Usul Al-Fiqh, edited by Mufid Muhammad Abu Amsha and Muhammad Ali Ibrahim, 1st Edition, 1406 AH/1985 AD, Center for the Revival of Islamic Heritage at Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah.

- Almobrred Jamal al-Din Yusuf bin Hassan bin Ahmed bin Hassan bin Abdul Hadi al-Hanbali, The purpose of the soul to the science of origins, edited by Badr bin Nasser al-Subaie, 1st Edition, 1433 AH/2012 AD, Gheras Publishing, Distribution and Advertising, Kuwait.
- Madkour Abdel Hamid Abdel Moneim, Curricula for Classification in Islamic Philosophy, Master Thesis, discussed in 1430 AH, Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University.
- Al-Mardawi Abu Al-Hasan Ala Al-Din Ali bin Sulaiman Al-Dimashqi Al-Salhi Al-Hanbali, Al-Atbeer Sharh Al-Tahrir fi Usool Al-Fiqh, edited by Abdul-Rahman Al-Jibreen and others, 1st Edition, 1421 AH/2000 AD, Al-Rashed Library Publishers, Riyadh.
- Al-Mardawi Alaa Al-Din Abu Al-Hassan Ali Bin Suleiman, edited by Al-Maqoul and Tahdheeb Al-Usul, edited by Abdullah Hashem and Hisham Al-Arabi, 1st Edition, 1434 AH/2013 AD, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, Qatar.
- Al-Maqdisi Shams al-Din Muhammad bin Muflih, Usul al-Fiqh, edited by Fahd al-Sadhan, 1st edition, 1420 AH/1999 AD, Obeikan Library, Riyadh.
- Al-Badakhshi, Muhammad Ibn al-Hasan, Manhaj al-'aql, Explanation of the Methodology of Access, without the edition data and the year of printing, Muhammad Ali Subaih and Sons Press, Egypt.
- Al-Murtada, Ahmad bin Yahya Al-Mahdi Ledeenellah, Mu'tazilite Classes, edited by Susannah Diffield - Velzer, Dar Maktabit Alhayah, 1380 AH/1961AD, Beirut.
- Al-Nakhjwani (Al-Nakhjwani) Najm al-Din Ahmad bin Abi Bakr bin Muhammad, Summarizing the Crop to Refine the Origins, edited by Salih bin Abdullah Al-Ghannam, - PhD thesis -, discussed in 1412 AH, Islamic University, Madinah.
- Al-Nasfi Hafez al-Din, revealed the secrets about the origins of al-Manar, with Mulla Jeon Ahmad bin Abi Saeed bin Ubaid Allah, Explanation of Noor al-Anwar al-Manar, without the edition number and date printed, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut.
- Al-Wancharisi Abu al-Abbas Ahmad bin Yahya, The Arab Standard and the Whole Maghrib on the Fatwas of the People of Ifriqiya and the Maghreb (On the Jurisprudence of the Descent), 1st Edition, 2011 AD, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut.

- Yunus, Salem's milestones, Al-Razi and his position on the mind and transport, a study in some of his books, - Arbitrary Research - (Tikrit University Journal of Islamic Sciences), Journal of Islamic Sciences, Issue (19) 1434 AH/2013 AD.

منهجُ ابن دقيق العيد في مختلفِ الحديثِ في كتابِهِ «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»

كتاب الصلاة نموذجًا

Ibn Daqiq's Approach in clarifying different Hadiths,

The Chapter of Prayer Model

د. محمد راغب جيطان

جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

د. حسين عبد الحميد حسين النقيب

جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين

Dr. Mohamad R R Jetan

An-Najah National University, Nablus, Palestine

Dr. Hussein. A. H. Naqeeb

An-Najah National University, Nablus, Palestine

https: //doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.08

تاريخ تسلم البحث 2021/01/20 - وصدر خطاب القبول 2021/06/14

ملخص البحث

يعد علمُ مختلفِ الحديثِ من العلوم التي قلّ مَنْ صنَّفَ فيها من العلماءِ، وقد كان أبو الفتح محمد بن علي المعروف بـ(ابن دقيق العيد) (ت٧٠٢هـ)، ممَنْ برز في هذا الفن، لتمكنه من غالبِ علوم الشريعة ولا سيَّما علم الفقه والحديث، فظهرتْ براعته من خلال كتابه: «إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام»، وقد جاءت الدراسة لبيان طريقته في حل الاختلاف الواقع بين الأحاديث وتحديدًا في (كتاب الصلاة)، وتمثلتْ في استخدام ابن دقيق مسلك الجمع في حلّ الاختلافِ في تسع عشرة مسألة، ومسلك الترجيح في أربع مسائل، وأنَّ مجموعَ القرائن التي استخدمها للمسلكين ثلاث عشرة قرينة؛ منها: «الجمع ببيان اختلاف السائل، وبيان حال مرتبة الحديث، وأما قرائن مسلك الترجيح؛ فمنها: قوة الإسناد، وسياق الحديث وارتباطه بأحاديث الموضوع الواحد».

الكلمات المفتاحية: (ابن دقيق، الجمع، الترجيح، مختلف الحديث، اختلاف الحال).

Abstract

Different Hadith science is considered to be one of the sciences that is classified by few numbers of scientists. Abu Al-Fath Muhammad Ibn Ali, who is known as Ibn Daqiq Al-Eid, died in (702 H), is considered one of the pioneers of this science, due to his competence of most of Al-Shari'ah sciences, in particular, Al-Fiqh and Hadith. His skills are appeared in his book "Ih-kam Al-Ahkam Sharh Umdat Al-Ahkam". Thus, thus study aims at revealing his methodology by which he was able to remove the confusion that appears among the prohet's sayings on prayer.

This study reveals that Ibn Daqiq followed the combination approach by which he was able to solve nineteen controversial questions. He also followed a preference approach in solving other four questions. The total number of evi-dences he used was thirteen such as: combining questions which seem to be different; showing the level of the prophet saying: the evidence of how authentic the prophet's saying's narrators are, the vocabulary used in such context and how it's related to other sayings on the same topic.

Keywords: Ibn Daqiq, combination, prefernces, different sayings, different contects.

مشكلة الدراسة:

١- ما مفهومُ مختلف الحديث عند ابن دقيق العيد في كتابه الإحكام؟

٢- ما المسالكُ التي اتبعها ابنُ دقيق في حل الاختلاف الواقع بين الأحاديث في كتاب الصلاة؟

٣- ما القرائنُ التي اعتمدَ عليها ابن دقيق في حل الاختلاف وفق مسلكي الجمع والترجيح؟

أهداف الدراسة:

١- بيان مفهوم مختلف الحديث عند ابن دقيق العيد من خلال كتابه الإحكام.

٢- كشف المسالك التي اتبعها ابن دقيق في حل الاختلاف بين الأحاديث، ولا سيما الجمع.

٣- الوقوف على القرائن التي اعتمد عليها ابن دقيق في حل الاختلاف الواقع بين الأحاديث.

منهج الدراسة:

١- **المنهج الاستقرائيّ**: وذلك بتتبع المسائل الواردة في كتاب الصلاة ووقع الاختلاف بين أحاديثها، وبيان ما فعله ابن دقيق لدفع الإختلاف وفق مسلك الجمع أو النسخ أو الترجيح أو التوقف.

٢- **المنهج التحليليّ**: وذلك بالنظر في المسالك التي اتبعها ابنُ دقيق العيد، والقرائن التي اعتمد عليها في حلّ الاختلاف الواقع بين الأحاديث، وترتيبها حسب كل قرينة.

محددات الدراسة:

تتبّعت الدراسةُ المسائلَ التي وقعَ الاختلافُ بين أحاديثها في (كتاب الصلاة) في مصنف ابن دقيق العيد الموسوم بـ(إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام).

الدراسات السابقة:

لم نجد دراسة تطبيقية مستقلة قامَتْ بتتبع منهج ابن دقيق العيد في حلّ الاختلافِ الواقع بين الأحاديث النبوية على وجه الخصوص، من خلال كتابه إحكام الأحكام، وفق طريقة المحدثين، لكننا وجدنا رسالة ماجستير تتبّعتْ منهجَ ابن دقيق العيد في حل التعارض بين النصوص الشرعية من القرآن والسنة، وفق منهج الأصوليين، وعنوانها: التعارض بين الأدلة الشرعية وكيفية الجمع أو الترجيح بينها من خلال كتاب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد- كتاب العبادات-[1]، وعند النظر في ملخص الرسالة نجد أنّ منطلقَ الباحثةِ في حل التعارض بين النصوص الشرعية من القرآن والسنة جاء وفق قواعد تفسير النصوص عند الأصوليين، وهذا ظاهر في قول الباحثة صاحبة الرسالة: «من طرق الترجيح أيضًا عند ابن دقيق العيد - والذي يظهر من خلال عرض مسلكه في مسائل البحث - ترجيح النص على الظاهر، وترجيح المفسر على النص، وترجيح المحكم على ما سواه من ظاهر أو نص أو مفسر، وترجيح الحكم الثابت بعبارة النص على الحكم الثابت بإشارته، وترجيح الثابت بإشارة النص على الثابت بدلالته، وترجيح دلالة المنطوق على دلالة المفهوم»[2]. وهذه الدراسة تختلفُ عن هذا البحثِ الذي هدفه دراسة الإختلاف الواقع بين

١- الحربي، لينا حمدي، التعارض بين الأدلة الشرعية وكيفية الجمع أو الترجيح بينها من خلال كتاب إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد- كتاب العبادات، جامعة الكويت (رسالة ماجستير غير منشورة)، ٢٠١٨م. لم أستطع الحصول على نسخة من الرسالة مع حرصي على ذلك، وتواصلي مع المجلة، ووقفت على ملخصها فقط.

٢- المرجع السابق، الملخص.

الأحاديث وحلّه وفق القرائن المتعلقة بعلمَي الإسناد والمتن، أو باعتبارات أخرى كعمل الفقهاء مثلًا.

لذا فإنَّ دراسة «التعارض بين الأدلة» يتعلق بموضوع التعارض والترجيح بين النصوص الشرعية، وحلّه وفق طريقة الأصوليين، بناءً على قواعد تفسير النصوص، وبحثنا متخصصٌ بدراسة الاختلاف الواقع بين الأحاديث فقط، وحلّه وفق القرائن المتعلقة بعلمي الإسناد والمتن، أو باعتبارات أخرى كعمل الفقهاء مثلًا.

خطة البحث:

المبحث الأول: مفهوم مختلف الحديث، والتعريف بابن دقيق العيد وبكتابه الإحكام.

المبحث الثاني: طريقة ابن دقيق في عرض الاختلاف الواقع بين الأحاديث في كتاب الصلاة.

المبحث الثالث: طريقة ابن دقيق في حل الاختلاف بين الأحاديث الواردة في كتاب الصلاة.

المبحث الأول: مفهوم مختلف الحديث، والتعريف بابن دقيق العيد، وبكتابه الإحكام

المطلب الأول: مفهوم مختلف الحديث ومشكله عند العلماء وابن دقيق العيد

أولًا: معنى مختلف لغة:

«الخاء، واللام، والفاء أصول ثلاثة: أحدها أنْ يجيء شيء بعد شيءٌ يقوم مقامه، والثَّاني خلاف قدام، والثَّالث التَّغَيُّر...، وأمّا قولهم: اختلف الناس في كذا، والناسَ خِلْفَةٌ، أي مختلفون، فمن الباب الأوَّل؛ لأنَّ كلَّ واحد منهم يُنَحِّي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نَحَّاه»[١]، «والاختلاف ضد الاتفاق»[٢].

ثانيًا: معنى مختلف الحديث عند العلماء:

إنّ الناظرَ في مصنفاتِ المتقدمين في علم مختلف الحديث كالإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، وابن قتيبة (٢٧٦هـ)، والطحاوي (٣٢١هـ)؛ يجد التطبيق العملي في حل الاختلاف الواقع بين الحديثين بارزًا عند الإمام الشافعي، وقد سَمَّى كتابه اختلاف الحديث، ويجد التطبيق العملي في حل التعارض بين الأحاديث والقرآن والعقل والحس بارزًا عند ابن قتيبة والطحاوي، وأمّا المتأخرون فقد اصطلحوا على تعريف علم مختلف الحديث بأَنَّهُ التعارضُ الواقعُ بين حديثين، كالحاكم (٤٠٥هـ)، وابن الصلاح (٦٧٦هـ)، وابن حجر (٨٥٢هـ)، وهو مثبوت في

١- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريّا، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥ه)، معجم مقاييس اللُّغَة، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، ٦ مج، دار الفكر: بيروت، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). ج: ٢، ص: ٢١٠-٢١٢، مادة (خلف).

٢- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم (ت: ٧١١): لسان العرب. مج١٥، ط٣. بيروت: دار صادر. (١٤١٤ه)، ج ٩، ص٩١.

مصنفاتهم[1].

وأمَّا الدارسون المعاصرون فقد اختلفوا في مفهوم علم مختلف الحديث، وفي العلاقة بينه وبين المشكل؛ فمنهم مَنْ جعلَ المختلف والمشكل بمعنى واحد، ومن ذلك قول الدكتور شرف القضاة في تعريف مختلف الحديث: «الحديث الذي يخالف دليلًا شرعيًا أو عقليًا أو حسّيًا»[2]، ومنهم من فرّق بينهما فجعل التعارض بين الحديثين هو معنى علم مختلف الحديث، وجعل الإشكال الواقع في ذات النص، أو الحديث الذي يخالفه دليل آخر سواء من القرآن أو العقل أو الحِسّ؛ هو علم مشكل الحديث، فالمشكل عندهم أعم من المختلف، ومن ذلك قول الخياط: «إنَّ مُشْكِل الحديث هو في الواقع أعم من مختلف الحديث، حيث إن المُشْكِل يشمل المُخْتَلِف، كما يشمل غيره، والمُخْتَلِف نوع من أنواع مُشْكِل الحديث، فالعلاقة بينهما-إذن-علاقة عموم وخصوص، لأنَّ كلَ مختلف حديث مُشْكِل، وليس كل مُشْكِل مختلف حديث»[3]، ومنهم مَنْ قَصَرَ المفهومين على الاختلاف، أي أنّ مختلف الحديث هو أن يخالف الحديث حديثٌ آخر، وأما مشكل الحديث فهو أن يخالف الحديثَ دليلٌ آخر غير الحديث، ومن ذلك تعريفهم للمختلف بأنه: «هو الحديث الذي يخالف حديثا آخر أو أكثر»[4]،

١- انظر: السّيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١ه)، تدريب الرَّاوي في شرح تقريب النواوي، ٢مج. تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض، (٢ / ٦٥١). الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، أبو عبد الله، (ت: ٤٠٥هـ)، معرفة علوم الحديث، ١مج، ط٢، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، (ص: ١٨٦). ابن الصَّلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، (ت: ٦٤٣ه)، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث (معرفة أنواع علوم الحديث)، ١مج، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر: سوريا، دار الفكر المعاصر: بيروت، (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، (ص: ٢٨٤).

٢- القضاة، شرف، علم مختلف الحديث اصوله وقواعده، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، ع٢. مج٢٨، ص: ٧.

٣- خيَّاط، أسامه بن عبد الله(٢٠٠١م)، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء، ط١. دار الفضيلة، الرياض، ص: ٣٨-٣٣.

٤- الهادي روشو، مختلف الحديث وجهود المحدثين فيه دراسة نقدية، دار ابن حزم. (٢٠٠٩)، ص: ٣٨-٣٩.

وتعريفهم للمُشْكِل بأنه: «ما خالفه دليل آخر غير الحديث، كالقرآن وما تقرر في الدين، والعقل، وغيرها»[١].

والذي يراه الباحثان أنّ المعنى الأقرب إلى الواقع التطبيقي لمختلف الحديث هو: أن يخالف الحديثَ حديثٌ آخر أو أكثر، وأما مشكل الحديث فهو أن يُشكِل الحديثُ في ذاته، أو يخالف دليلًا شرعيًا غير الحديث، أو عقليًا، أو حسيًا.

ثالثا: معنى مختلف الحديث عند ابن دقيق:

بعد النظر والتحليل للأحاديث التي تمَّ استقراؤها من كتاب الإحكام لابن دقيق وخاصة من كتاب الصلاة، والإكثار من استخدامه لفظ الاختلاف أو التعارض أو المعارضة؛ يرى الباحثان أنّ مفهوم مختلف الحديث عنده هو: الحديث الذي يخالفه حديث آخر أو أكثر.

المطلب الثاني: التعريف بابن دقيق العيد وكتابه إحكام الأحكام

أولًا: التعريف بابن دقيق العيد

اسمه ونسبه ومولده: هو الإمام الفقيه الحافظ المحدث العلامة المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المنفلوطيّ، صاحب التصانيف، وُلِدَ في شعبان سنة ٦٢٥هـ[٢]، أصل أبيه من منفلوط بمصر، انتقل إلى قوص، وَوُلِد ابن دقيق العيد في ينبع على ساحل البحر الأحمر، نشأ بقوص وتعلم في دمشق والإسكندرية ثم القاهرة[٣].

١- المرجع السابق ص: ٣٨-٣٩.
٢- انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١ه)، طبقات الحفاظ، ١مج. ط١. دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤٠٣ه)، ص ٥١٦.
٣- انظر: الزِّرَكْلي، خير الدين بن محمود (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، (٢٠٠٢م)، ص ٩١١

أسرته: نشأ ابن دقيق العيد في قوص في أسرة كريمة حسبًا ونسبًا، واشتهرت علمًا وأدبًا، فأبوه أبو الحسن علي بن وهب عالم جليل، مشهود له بالتقدم في الحديث والفقه والأصول، وعُرف جده لأبيه بالعلم والتقى والورع، وجده لأمه هو الإمام تقي الدين بن المفرج الذي قصده طلاب العلم. وسبب شهرته بابن دقيق العيد: أن جده كان يلبس في يوم عيد طيلسانًا ناصع البياض، فقيل كأنه دقيق العيد، فسُمّي به، وعُرف حفيده بابن دقيق العيد، واشتهر به ابنه تقي الدين أيضًا، فأصبح لا يُعرف إلا به[1]. ومن صفاته: أنه كان أصوليًا أديبًا نحويًا شاعرًا ناثرًا غوّاصًا على المعاني، عرف بورعه وتدينه وسهره وانكبابه على المطالعة، كان مالكيًا ثم صار شافعيًا، وكان شفوقًا على المشتغلين بالعلم[2]، وكان «إمام أهل زمانه، حافظًا متقنًا، ولي قضاء الديار المصرية. توفي في الحادي عشر من صفر سنة ٧٠٢هـ»[3].

وفي طلبه للعلم: تفقه ابن دقيق على والده، ثم على الشيخ عز الدين بن عبد السلام[4]. وسمع الحديث من جماعة، وحدث عن ابن الجميزي وسبط السلفي، وعدة[5].

ومن أهم مؤلفاته: كتاب الإلمام في أحاديث الأحكام: كتاب مختصر في علم الحديث، اكتفى فيه بذكر الصحابي بعد تأكده من صحة الحديث، وقد بلغت أحاديثه (١٤٧١) حديثًا، وقّسمه إلى كتب وأبواب[6]. وكتاب الإمام في معرفة

١- دلي، حمية صالح. الشيخ ابن دقيق العيد (٦٢٥-٧٠٢) دراسة في أحواله الشخصية والعلمية والمهنية. جامعة القادسية، كلية التربية. ٢٠١١، ص: ٦. والطيلسان هو: كساء غليظ مربع. ابن منظور، لسان العرب، ج: ٢، ص: ٦
٢- انظر: الصفدي، صلاح الدين خليل. كتاب الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ص ١٣٨.
٣- السيوطي، طبقات الحفاظ، ص: ٥١٦.
٤- انظر: الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، ص: ١٣٨.
٥- انظر: السيوطي، طبقات الحفاظ، ص: ٥١٦.
٦- انظر: الغريزي، محمد رامز. ابن دقيق العيد عصره حياته علومه وأثره في الفقه. الأردن، دار البشير، الطبعة الأولى. ١٩٩٠. ص: ١٤٣.

الأحكام: وهو الكتاب الذي استخرج منه كتابه الإلمام، ووضع فيه فوائد جمة، والموجود منه أربعة أجزاء فقط[١]. وكتاب شرح الأربعين حديثًا النووية[٢].

وأمّا ثناء العلماء عليه؛ فقد قال فيه الذهبيّ: «كان إمامًا متفننًا مدققًا أصوليًا مدركًا، أديبًا نحويًا ذكيًا، غواصًا على المعاني، وافر العقل، كثير السكينة، تامّ الورع، مُدِيم السنن، مكبًّا على المطالعة والجمع، سمحًا جوادًا ذكي النفس، له اليد الطولى في الفروع والأصول، بصيرًا بعلم المنقول والمعقول»[٣]. وقال ابن الزملكاني: «إمام الأئمة في فنّه، وعلامة العلماء في عصره، بل ولم يكن مِنْ قَبْلِه سنين مثله في العلم والدين والزهد والورع، تفرَّد في علوم كثيرة، وكان يعرف التفسير والحديث، ويحقق المذهبين تحقيقًا عظيمًا، ويعرف الأصلين والنحو واللغة»[٤].

ثانيًا: التعريف بكتابه إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام[٥]

شَرَحَ ابنُ دقيق العيد كتاب «عمدة الأحكام عن سيد الأنام «للإمام تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسيّ الدمشقيّ (٦٠٠هـ) الذي أورد فيه ما اتفق عليه الشيخان في صحيحيهما، وقد أملى ابن دقيق العيد كتابه على تلميذه الوزير عماد الدين بن الأثير إسماعيل بن الصدر تاج الدين أحمد بن سعيد ابن الأثير الحلبي، ولم يذكر مقدمة للكتاب؛ لأنه كان على طريقة الإملاء[٦].

١- انظر: الغريزي، ابن دقيق العيد عصره حياته علومه وأثره في الفقه، ص: ١٤٤.
٢- المرجع السابق، ص: ١٤٧.
٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، ١٢٥٠هـ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (د.ط) ج: ٢، ص: ٢٢١
٤- الشوكاني، البدر الطالع ج: ٢، ص: ٢٢٢.
٥- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد (٦٢٥ه)، اعتنى به: مصطفى شلبي، ومدثر سندس، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط٢، ٢٠١٨م، كتاب الصلاة ص: ١٠٥- ٢٨٠.
٦- انظر: مقدمة الكتاب، مصطفى شلبي، مدثر سندس، ص: ٥- ٦.

كتاب فقه وأصول: يعدّ هذا الكتاب من أفضل ما يدل على أثر ابن دقيق العيد في الفقه من حيث قوة استنباطه للأحكام الفقهية، واشتمل على المصطلحات الأصولية والمباحث المنطقية، وأورد آراء الأئمة الأربعة وغيرهم، فكان عرضه لآرائهم بأسلوب علمي من غير تعصب لأحد، وراعى فيه التوجيه والتعليل، فما كان دليله قويًا؛ وضَّحه ودلَّل من عنده على صحته، وما كان دليله ضعيفًا؛ اكتفى بذكر أدلة صاحب المذهب[1]. ويُعدّ الكتاب من كتب الفقه المقارن التي تمنح طالب العلم المنهجية السليمة في اتِّباع الدليل، ومناقشته أخذا وردًا.

طريقته في شرح الأحاديث: من خلال النظر في كتاب الصلاة وغيره؛ نجد أن ابن دقيق سار في شرح الأحاديث على ترتيب مؤلف الأصل، يبدأ بذكر الحديث النبوي، ثم يترجم للصحابي راوي الحديث، ثم يتبعه شرح الحديث وفق مسائل يرتِّبها على الأرقام، فيقول: الكلام عليه من وجوه: الأول، الثاني، الثالث...، مستعينًا على شرحه بالكثير من العلوم الشرعية، كعلم اللغة، والمصطلح، والأصول، والفقه، وقواعد الفقه، وما يُستنبط من الحديث، ذاكرًا آراء المذاهب الأربعة، مهتمًّا بشكل واضح بمذهب الإمامين مالك والشافعي، فيشرحهما بعنايةٍ تامةٍ.

طريقته في حل الاختلاف: نصَّ على وظائف ثلاث يجب على الباحث أن يتبعها: أحدها: جمع طرق الحديث وإحصاء ما ذكر فيه مع الزوائد؛ لأن الأخذ بالزائد واجب، والثاني: إذا قام عنده الدليل على الوجوب أو عدمه يعمل به ما لم يعارضه ما هو أقوى منه، فعند التعارض يعمل بأقوى الدليلين، والثالث: أن يدوم على طريقة واحدة ولا يضطرب منهجه[2]، وهو ينبِّه إلى أن الأخذ بالجمع هو الأولى، ولا يصار إلى الترجيح إلّا عند تعذر الجمع. وهذا ما برز في تطبيقاته،

١- انظر: الغريزي، ابن دقيق العيد عصره حياته علومه وأثره في الفقه، ص: ١٧٧-١٧٨.
٢- انظر: ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٦٦.

فهو في أغلب المسائل يجمع بين الأحاديث المتعارضة بوجه من أوجه الجمع ، وإلا فالترجيح بينها وفق قرائن معتبرة علميًا، ولم يجد الباحثُ أنَّ ابنَ دقيق العيد قد استخدم مسلك النسخ أو التوقف في مسألة من مسائل كتاب الصلاة.

المبحث الثاني: طريقة ابن دقيق في عرض الاختلاف الواقع بين الأحاديث في كتاب الصلاة

يعد هذا المبحث خلاصة النظر في أحاديث المسائل الواردة في كتاب الصلاة والتي وقع بينها اختلاف، فبعد استقرائها وتحليلها توصل الباحثان إلى استنباط طريقة ابن دقيق العيد في عرض مختلف الحديث وشرطه في الروايات بهدف حل الاختلاف، وسنقصر الحديث في هذا المبحث على بيان طريقة ابن دقيق في عرض الاختلاف ومسالك حلّه، وأما الدراسة التطبيقية فستكون في المبحث الثالث، إنْ شاء الله، حتى لا يغزو التكرار بحثنا.

أولًا: الألفاظ التي استخدمها في بيان المختلف:

استخدمَ ابن دقيق العيد في كتاب الصلاة لفظ الاختلاف أو المخالفة أو الخلاف؛ أكثر من عشر مرات، واستخدم لفظ التعارض أو المعارضة أو المعارض أو التعارُض؛ أكثر من عشر مرات، بينما استخدام لفظ المشكل مرتين. وهذا يدل على أنّ التعارض بين الأحاديث؛ إنما هو من باب المختلف عنده كما تقدم في مفهوم المختلف.

ثانيًا: إيراده الأحاديث المعارضة لحديث المسألة:

غلبَ على ابن دقيق العيد إيراد الحديث المعارض، فأحيانًا يذكر جزءًا من نص الحديث الذي هو موضع الشاهد، وأحيانًا يشير إلى الحديث المعارض من غير ذكر جزء منه، كقوله مثلا: الحديث الذي فيه كذا، وفي مرات قليلة يذكر

موضوع الحديث المعارض، وفي موضع ذكر راوي كل حديث فيما يتعلق بكيفية صلاة الخوف فقال حديث فلان، وفي موضع ذكر الحديثين المتعارضين، وفي موضع آخر بيّن أن الحديث المعارض هو الآتي في الباب.

ثالثا: تعليقه على الروايات من حيث الصحة والضعف:

من عادة ابن دقيق تعليقه على بعض الروايات خاصة في جانب ترجيح وجه على آخر من أوجه الجمع، أو في جانب ترجيح حديث على آخر معارض له، فبعد أن يورد رواية الفريق المخالف؛ يبيّن موطن الضعف، وأنّ هناك ما هو أقوى منها، وأحيانا لا يعلّق على درجة الحديث، بل يحيلُ القارئ إلى البحثِ عن حكم الروايات المعارضة من حيث الصحةِ والضعفِ.

رابعًا: بيان وجه الاختلاف الوارد بين حديث المسألة والأحاديث الأخرى

قلَّما يتعرض ابن دقيق العيد صراحة لبيان وجه الإشكال بهذه الجملة «وجه الإشكال»أو «وجه الاختلاف» أو «وجه التعارض»، وإنما يفهم ذلك من خلال سياق شرح حديث المسألة.

خامسًا: إجابته عن الاختلاف من خلال علوم الشريعة كافة

يوظفُ ابن دقيق العيد ما استطاع من علوم الشريعة لإزالة الاختلاف الواقع بين أحاديث المسألة والأحاديث الأخرى، فبعد أن يعرِض الاختلاف؛ ينساب يراعه بكل براعة في تذليل الاختلاف وفق علوم الشريعة؛ من علوم الحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلم اللغة.

سادسًا: إيراده آراء أصحاب المذاهب الأربعة

من عادة ابن دقيق العيد عرض آراء المذاهب الأربعة، مع مزيد عناية

بالمذهبين المالكي والشافعي، ولا يقتصر الأمر على العرض، بل يناقش ما ذهب إليه كل مذهب وفق الدليل ووجه الاستدلال، مرجحًا الرأي الراجح حسب الدليل الصحيح، أو وجه الدلالة الذي يراه صوابًا.

سابعًا: ترتيب المسالك التي حل الاختلاف بها في باب الصلاة:

أكثرَ ابن دقيق العيد من حل الاختلاف بمسلك الجمع ، وفق قرائن متعددة، منها ما هو متعلق بعلم الإسناد، ومنها ما هو متعلق بعلم المتن، ومنها ما هو متعلق بأمر خارجي، ثم يأتي مسلكُ الترجيح وهو الأقل، ولم يستخدم مسلك النسخ في أي مسألة من مسائل الصلاة، وكذلك لم يتطرق إلى مسلك التوقُّف أبدًا.

المبحث الثالث: طريقة ابن دقيق في حل الاختلاف بين الأحاديث الواردة في كتاب الصلاة

المطلب الأول: حل الاختلاف بين الأحاديث الواردة في كتاب الصلاة بمسلك الجمع

أولًا: مفهوم الجمع: بيان التوافق والائتلاف بين الحديثين المتعارضين الصالحين للاحتجاج، والمتحدين زمنا، والأخذ بهما، وذلك بحمل كل منهما على محمل صحيح يزيل تعارضهما واختلافهما، كالعام والخاص، والمطلق والمقيد، ونحو ذلك، وإظهار أن الاختلاف غير موجود بينهما حقيقة[1]. ويُعَدُّ الجمع من أكثر المسالك المعمول بها في رفع التعارض بين الأدلة، وهو ما برز عند ابن دقيق في الإحكام.

ثانيًا: قرائن مسلك الجمع عند ابن دقيق العيد.

١- انظر: ابن امير حاج، محمد الحلبي(٨٧٩هـ)، التقرير والتحبير ٣/ ٢. السوسوة، عبد المجيد محمد(١٩٩٧م)، منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي. ط١. دار النفائس، الأردن، ص: ١٤٢.

القرينة الأولى: الجمع ببيان اختلاف الحال:

المسألة الأولى: «باب المواقيت»[1]، ونص حديثه ما رواه أبو عَمْرو الشَّيْبَانيِّ وَاسْمُهُ سَعْدُ بْنُ إيَاسٍ - قَالَ: حَدَّثَنِي صَاحِبُ هَذِهِ الدَّارِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم): أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا. قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...» الحديث[2].

وجه الاختلاف: تعدد الأحاديث الواردة في بيان أيّ الأعمال أفضل، مما أدى إلى الاختلاف فيها.

إجابته عن الاختلاف: ذهب ابن دقيق في حل الإشكال إلى «أنها أجوبة مخصوصة لسائل مخصوص أو من هو في مثل حاله، أو أنها مخصوصة ببعض الأحوال التي ترشد إليها القرائن إلى أنها المراد...، بأن تكون أفضلها بالنسبة للمخاطبين أو من هو في مثل حالهم، فالشجاع يقال له الجهاد أفضلها، والغني أفضلها له الصدقة وهكذا...، قد يكون الأفضل في حق هذا مخالفا للأفضل في حق ذاك، بحسب ترجيح المصلحة التي تليق به»[3].

المسألة الثانية: «باب الإمامة»[4]، ونص حديثه ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ. فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ. فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا. وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ..»[5].

١- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٠٥.
٢- البخاري، محمد بن إسماعيل(٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر. ط٣. تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير بيروت، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، ١ / ١٩٦. ح. ر: ٥٠٤.
٣- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٠٦.
٤- المرجع السابق، ص ١٥٩.
٥- البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب إيجاب التكبير وافتتاح الصلاة، ١ / ٢٥٧. ح. ر: ٧٠١.

وجه الاختلاف: ورد في الحديث المرفوع لفظان متعلقان بما يقوله المصلي بعد الرفع من الركوع، «ربنا ولك الحمد»، و «ربنا لك الحمد»، بإثبات الواو قبل لك وإسقاطها، وفي ذلك اختلاف المعنى فيهما.

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بينهما بأنه «اختلاف في الاختيار لا في الجواز، ويرجع إثباتها بأنه يدل على زيادة معنى؛ لأنه يكون التقدير: ربنا استجب لنا - أو ما قارب ذلك- ولك الحمد، فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعاء، ومعنى الخبر إذا قيل بإسقاط الواو دل على أحد هذين»[(١)]، بمعنى أنّ ابن دقيق جمع بين الروايتين بأن للمصلي أن يختار أحد اللفظين، ولا تعارض في ذلك، فكلاهما متعبد بهما.

المسألة الثالثة: «باب صفة صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)»[(٢)]، ونص حديثه ما روته عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْقِرَاءَةَ بِـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]...»الحديث[(٣)].

وجه الاختلاف: دلّ حديث عائشة رضي الله عنها على أنه كان من عادة النبي (صلى الله عليه وسلم) استفتاح الصلاة بالتكبير وقراءة الفاتحة، وذلك خلاف حديث أبي هريرة المرفوع ونصه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلَاةِ سَكَتَ هُنَيْةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ: مَا تَقُولُ؟ قَالَ: أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ

١- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٦١.
٢- المرجع السابق، ص: ١٦٦.
٣- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، أبو الحسين، (ت: ٢٦١ه)، صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم به، ١ / ٣٥٦. ح.ر: ٤٦.

خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ..» الحديث[1].

إجابته عن الاختلاف: قال: «فإن كانت لفظة «كان» لا تدل إلا على الكثرة فلا تعارض؛ إذْ قد يكثران جميعًا»[2]. أي: ضمّن ابن دقيق معنى «كان» إكثار النبي (صلى الله عليه وسلم) من الفعلين، مما يدل على أن الفعلين من الأفعال التي قد يتخيّر المصلي بينها، حسب حاله أو الصلاة التي يصليها.

المسألة الرابعة: «باب صلاة الخوف»[3]، ونص حديثه ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) صَلَاةَ الْخَوْفِ فِي بَعْضِ أَيَّامِه، فَقَامَتْ طَائِفَةٌ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ بِإِزَاءِ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ذَهَبُوا، وَجَاءَ الْآخَرُونَ، فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً، وَقَضَتْ الطَّائِفَتَانِ رَكْعَةً، رَكْعَةً»[4].

وجه الاختلاف: ورود كيفية أداء صلاة الخوف عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بوُجُوه مُخْتَلِفَة تَزِيدُ عَلَى الْعَشَرَةِ.

إجابته عن الاختلاف: ذكر ابن دقيق أنّ الجمع بين الأحاديث الواردة في كيفية صلاة الخوف محتمل في حال أعدَّتْ هيئات مختلفة في أحوال متغايرة، مع إيراده لطرق الفقهاء في اختيار وجه دون آخر وفق القرائن، قال ابن دقيق: «فإذا ثبت جوازها بعد الرسول على الوجه الذي فعله؛ فقد وردت عنه (صلى الله عليه وسلم) فيها وجوه مختلفة في كيفية أدائها تزيد عن العشرة، فمن الناس من أجاز الكل واعتقد أنه عمل بالكل، وذلك إذا ثبت أنها وقائع مختلفة قول

١- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ١ / ٤١٩. ح.ر: ٥٩٨.
٢- ابن دقيق، الإحكام ص: ١٦٧.
٣- المرجع السابق، ص: ٢٧٧.
٤- مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، ١ / ٥٧٤. ح.ر: ٨٣٩.

محتمل»[١].

المسألة الخامسة: «باب صفة صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)»[٢]، ونص حديثه ما رواه الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «رَمَقْتُ الصَّلَاةَ مَعَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) فَوَجَدْتُ قِيَامَهُ، فَرَكْعَتَهُ فَاعْتِدَالَهُ بَعْدَ رُكُوعِهِ، فَسَجْدَتَهُ، فَجِلْسَتَهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، فَسَجْدَتَهُ فَجِلْسَتَهُ مَا بَيْنَ التَّسْلِيمِ وَالانْصِرَافِ: قَرِيبًا مِنْ السَّوَاءِ» أخرجه مسلم[٣]، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ «مَا خَلَا الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيبًا مِنْ السَّوَاءِ»[٤].

وجه الاختلاف: دلَّ حديثُ الباب على الإطالة في أركان الصلاة كلها، بخلاف رواية أخرى قصر فيها الإطالة على الأركان دون القيام والقعود.

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بينهما بأن يكون فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك مختلفا، فتارة يستوي الجميع، وتارة يستوي ما عدا القيام والقعود وليس في هذا إلا أحد أمرين، إما الترجيح بينهمًا، وإما الجمع بأن يكون لفظ (كان) يدل على الأكثرية لا على المداومة، والجمع أولى من الترجيح، لاتحاد المخرج[٥].

قالَ ابنُ دقيق: «فيكون النفي والإثبات إذا انحصرا في محل واحد تعارضا إلا أنْ يقال باختلاف هذه الأحوال بالنسبة إلى صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، فلا يبقى فيها انحصار في محل واحد بالنسبة إلى الصلاة، ولا يعترض على هذا إلا بما قدمناه من مقتضى لفظة كان إن وجدت في حديث، أو كون

١- ابن دقيق، الإحكام ص: ٢٧٧.
٢- المرجع السابق، ص: ١٧٨.
٣- مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام، ١ / ٣٤٣. ح.ر: ٤٧١.
٤- البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب باب حد إتمام الركوع والاعتدال فيه، ١ / ٢٧٣. ح.ر: ٧٥٩.
٥- انظر: ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٥٧.

الحديث واحدًا عن مخرج واحد اختُلف فيه، فلينظر ذلك في الروايات، ويحقق الاتحاد أو الاختلاف في مخرج الحديث. والله أعلم»[1].

القرينة الثانية: الجمع ببيان المعنى اللغوي:

المسألة الأولى: «باب المواقيت»[2]، ونص حديثه ما رواه جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ[3]، وَالْعَصْرَ وَالشَّمْسُ نَقِيَّةٌ، وَالْمَغْرِبَ إِذَا وَجَبَتْ، وَالْعِشَاءَ أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا؛ إِذَا رَآهُمْ اجْتَمَعُوا عَجَّلَ، وَإِذَا رَآهُمْ أَبْطَئُوا أَخَّرَ، وَالصُّبْحُ كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُصَلِّيهَا بِغَلَسٍ[4]»[5].

وجه الاختلاف: صَلَّى النبي (صلى الله عليه وسلم) الظهر وقت الهاجرة، وفي حديث آخر حث على تأخير صلاة الظهر وهو الإبراد، كما في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «إذا اشتدَّ الحرُ فأبردوا»[6].

إجابته عن الاختلاف: ذكر ابن دقيق العيد عدة أوجه للجمع بين الحديثين، مرجِّحًا الوجه الثاني:

الوجه الأول: ذهبَ إلى الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا بِأَن يَكُون مراد النبي (صلى الله عليه وسلم) بلفظ الهاجرة هو «الْوَقْت الَّذِي بَعْدَ الزَّوَالِ مُطْلَقًا، وَإِنْ لَمْ تقع الصَّلَاة في الحر. وقال معلقا عليه: وفيه بُعد[7]. وأما الوجه الثاني: أَنَّ الْهَجِيرَ وَالْهَاجِرَةَ نِصْفُ

١- المرجع السابق، ص: ١٨٠.
٢- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٠٤.
٣- الهاجرة: هي شدة الحر بعد الزوال. ابن حجر، فتح الباري ٢ / ٢١
٤- الغلس: بفتح الغين واللام وهو ظلمة آخر الليل، القاري، عمدة القاري ٦ / ٢٢٩
٥- البخاري، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت الغروب، ١ / ٢٠٥. ح.ر: ٥٣٥.
٦- البخاري «٥٣٣» ومسلم «٦١٥» «١٨٠» عن ابن عمر وتمامه «..، بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم.
٧- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٠٩.

النَّهَارِ، وهو قول الفراهيدي[١]، قال ابن دقيق بناء على قول الفراهيدي: «فَإِذَا أُخِذَ بِظَاهِرِ هَذَا الْكَلَامِ، كَانَ مُطْلَقًا عَلَى الْوَقْتِ»[٢]. والوجه الثالث: أنّ الاختلاف بين الفقهاء حول الإيراد هل هو رُخْصَةٌ أَوْ سُنَّةٌ؟ فيكون الجمع ببيان الاختلاف في الأمر والنهي، وعلى القول إنه رخصة؛ فقوله عليه الصلاة والسلام: «أبردوا» هو أمر إباحة، وَيَكُونُ تَعْجِيلُهُ لَهَا فِي الْهَاجِرَةِ أَخْذًا بِالْأَشَقِّ وَالْأَوْلَى، أو أن الإبراد سنة، فالتهجير لبيان الجواز، ويستبعد ابن دقيق هذا القول معللا أنّ لفظ «كَانَ «فيه كثرة وملازمة عرفية[٣].

القرينة الثالثة: الجمع باختلاف مدلولي اللفظ

المسألة الأولى: «باب فضل الجماعة «[٤]، ونص حديثه ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[٥].

وجه الاختلاف: ورود عدة أحاديث في درجة فضل صلاة الجماعة، ففي حديث ابن عمر «بسبع وعشرين درجة»، وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا: «بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا»[٦]، وهذا اختلاف.

إجابته عن الاختلاف: نقل ابن دقيق العيد أوجهًا عدة في حل التعارض بين الأحاديث الواردة في فضل صلاة الجماعة، قال: «فقيل في طريق الجمع: إنّ الدرجة أقل من الجزء، فتكون الخمس والعشرون جزءًا، سبعًا وعشرين درجة.

١- انظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو، (ت: ١٧٠ه): العين. ٨مج. تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج: ٣، ص: ٣٨٧.
٢- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٠٩.
٣- انظر: المرجع السابق، ص: ١٠٩.
٤- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٢٧.
٥- البخاري، الصحيح، كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة، ١ / ٢٣٦، ح.ر: ٦١٩.
٦- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة...، ١ / ٤٤٩، ح.ر: ٦٥٠.

وقيل: بل هي تختلف باختلاف الجماعات وأوصاف الصلوات، فما عَظُم فضله منها عَظُم أجره، وما نقص عن غيره نقص أجره. ثم قيل بعد ذلك: الزيادة للصبح والعصر. وقيل: للصبح والعشاء. وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الأماكن كالمسجد مع غيره»[1]. وفي هذه المسألة اكتفى ابن دقيق نقل أوجه عدة للجمع دون أن يرجح بينها.

القرينة الرابعة: الجمع ببيان عموم وخصوص وجهي:

المسألة الأولى: «باب المواقيت»[2]، ونص حديثه ما رواه أبو سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعا: «لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ، وَلَا صَلَاةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ»[3].

وجه الاختلاف: ورود النهي عن الصلاة في أوقات محددة، مع ورود أحاديث أخرى تأمر بقضاء الصلاة حال تذكّرها، ومن ذلك ما رواه أنس رضي الله عنه مرفوعا: «مَنْ نسي صلاة أو نَامَ عَنْها فكفارتها أن يُصَلّيهَا إذَا ذَكَرَهَا»[4].

إجابته عن الاختلاف: بعد أن ذكر مسالك الفقهاء في حل التعارض؛ قال: «وخصه الشافعي ومالك بالنوافل، ولم يقولا به في الفرائض الفوائت، وأباحاها في سائر الأوقات، وأبو حنيفة يقول: بالامتناع»[5]، قال: «إلا أن بين الحديثين عمومًا وخصوصًا من وجه، فحديث النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر خاص في الوقت عام في الصلاة، وحديث النوم والنسيان خاص في الصلاة الفائتة

١- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٢٨.
٢- المرجع السابق، ص١٢٢.
٣- البخاري، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب لا يتحرى الصلاة قبل غروب الشمس، ١ / ٢١٢، ح.ر: ٥٦١.
٤- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ١ / ٤٧٧، ح.ر: ٦٨٤.
٥- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٢٤.

عامّ في الوقت، فكل واحد منهما بالنسبة إلى الآخر عام من وجه وخاص من وجه، فيكون كل واحد منهما بالنسبة للآخر عَامًّا مِنْ وَجْهٍ، وَخَاصًّا مِنْ وَجْهٍ»[١].

المسألة الثانية: «باب الجمعة»[٢]، ونص حديثه ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ وَالنَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَخْطُبُ النَّاسَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. فَقَالَ: صَلَّيْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ. وَفِي رِوَايَةٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ»[٣].

وجه الاختلاف: دلّ حديثُ الباب على صلاة ركعتين تحية للمسجد عند الدخول والإمام يخطب، خلافًا للحديث الذي يمنع فعل أي شيء سوى الاستماع للخطبة.

إجابته عن الاختلاف: رجح القول بجواز صلاة الركعتين، لعموم الخطاب في قوله (صلى الله عليه وسلم): «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»[٤]، مبينًا ضعف رأي مَن قال: بعدم مشروعية الصلاة، وعدم الانشغال بأي شيء سوى الإستماع للخطبة، حتى بقول: «أنصت». فقرينة العموم والخصوص من كل وجه بادية في الجمع بين الحديثين[٥].

المسألة الثالثة: «باب التشهد»[٦]، ونص حديثه ما روته عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ،

١- المرجع السابق، ص: ١٢٤.
٢- المرجع السابق، ص: ٢٥٢.
٣- البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، باب إذا رأى الإمام رجلا جاء وهو يخطب أمره أن يصلي ركعتين، ١ / ٣١٥، ح.ر: ٨٨٨.
٤- مسلم، الصحيح، كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، ٤ / ٣٧٤، ح.ر: ١٤٤٩.
٥- انظر: ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٥٥.
٦- المرجع السابق، ص: ٢٣٨.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[1]، وَفِي لَفْظ: «كَانَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»[2].

وجه الاختلاف: دلّ حديث الباب على جواز الدعاء في الركوع، ومنه: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، بخلاف حديث ابن عباس المرفوع: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ»[3]، والذي دلّ على تخصيص الركوع بتعظيم الرب، والسجود بالدعاء.

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بين الحديثين بأنه ورد في حديث الباب لفظان يدلان على جواز الدعاء في الركوع والسجود، وأما حديث ابن عباس ففيه بيان الأولوية بأن يكون التعظيم في الركوع، والإكثار من الدعاء في السجود، فهما عامان في التعظيم والدعاء في الركوع والسجود، وخاصان من وجه بأن يكون الركوع موطن التعظيم، والسجود موطن الدعاء[4].

المسألة الرابعة: «باب جامع»[5]، ونص حديثه ما رواه أبو قَتَادَةَ بْنُ رِبْعِيٍّ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه (صلى الله عليه وسلم): «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»[6].

وجه الاختلاف: دلّ حديث الباب على الأمر بصلاة ركعتين عند دخول المسجد، بخلاف أحاديث أخرى نهت عن الصلاة في أوقات معينة، فلو دخل المسجد في الأوقات المنهي عنها أيركع أم لا؟ ومن الأحاديث المعارضة، قوله

١- البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، سورة النصر، ج: ٤، ص: ١٩٠٠، ح.ر: ٤٦٨٣.
٢- البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، سورة النصر، ج: ٤، ص: ١٩٠٠، ح.ر: ٤٦٨٤.
٣- مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، ١ / ٣٤٨، ح.ر: ٤٩٧.
٤- انظر: ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٣٩.
٥- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢١٥.
٦- البخاري، الصحيح، أبواب التطوع، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، ١ / ٣٨٩، ح.ر: ١١١٠.

(صلى الله عليه وسلم): «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا»[١].

إجابته عن الاختلاف: بعد أن ذكر ابن دقيق رأي الإمام مالك في ترجيح عدم الصلاة، وذكر موقف الإمام الشافعي في التفريق بين ما إن كانت الصلاة لها سبب فيصلي، أو لم يكن لها سبب فلا صلاة؛ جمع ابن دقيق بين الأحاديث على أنها من قبيل العام من وجه والخاص من وجه، فقال: «وهذا الْخِلَافُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَنْبَنِي عَلَى مَسْأَلَةٍ أُصُولِيَّةٍ مُشْكِلَةٍ: وَهُوَ مَا إذَا تَعَارَضَ نَصَّانِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالنِّسْبَةِ إلَى الْآخَرِ عَامٌّ مِنْ وَجْهٍ، خَاصٌّ مِنْ وَجْهٍ»[٢]، فيكون قوله عليه الصلاة والسلام: «إذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ» مَعَ قَوْلِهِ «لَا صَلَاةَ بَعْدَ الصُّبْحِ» من قبيل عَامٌّ مِنْ وَجْهٍ خَاصٌّ مِنْ وَجْهٍ.

القرينة الخامسة: الجمع ببيان مطلق ومقيد وجهي

المسألة الأولى: «باب فضل الجماعة ووجوبها»[٣]، ونص حديثه ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا..، » الحديث[٤].

وجه الاختلاف: قيّد الحديث مضاعفة أجر صلاة الجماعة بإحسان الوضوء في البيت، والمشي إلى الصلاة، بخلاف الحديث الآخر الذي أطلق مضاعفة الأجر على مجرد الصلاة في جماعة، وإن كانت في البيت.

إجابته عن الاختلاف: جمع بين الحديثين بأنّ مطلق الفضيلة متحقق في صلاة الجماعة، سواء كانت في المسجد أم في البيت أم في السوق، وأنه يضاعف

١- البخاري، الصحيح، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة بعد الفجر حتى ترتفع الشمس، ١ / ٢١١، ح.ر: ٥٥٨.
٢- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢١٦.
٣- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٢٩.
٤- البخاري، الصحيح، كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة، ١ / ٢٣٠، ح.ر: ٦٢٠.

أجرها على صلاة الفرد، لكن أجر صلاة الجماعة في المسجد مضاعف عنه في البيت وغيره بسبب الأعمال التي أضيفت إلى الصلاة ولا تتحقق إلا بها، قال ابن دقيق: «وهل يحصل للمصلي في البيوت جماعة هذا المقدار من المضاعفة أم لا؟ والذي يظهر من إطلاقهم حصوله، ولست أعني أنه لا تفضل صلاة الجماعة في البيت على الانفراد فيه، فإن ذلك لا شك فيه، إنما النظر في أنه هل يتفاضل بهذا القدر المخصوص أم لا؟ ولا يلزم من عدم هذا القدر المخصوص من الفضيلة عدم حصول مطلق الفضيلة»[1].

القرينة السادسة: الجمع ببيان مرتبة الحديث

المسألة الأولى: «باب فضل صلاة الجماعة ووجوبها»[2]، ونص حديثه ما رواه عَبدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ»، وَفِي لَفْظٍ: «فَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ وَالْجُمُعَةُ؛ فَفِي بَيْتِهِ»، وَفِي لَفْظٍ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: «حَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ: أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يُصَلِّي سَجْدَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَعْدَمَا يَطْلُعُ الْفَجْرُ، وَكَانَتْ سَاعَةً لَا أَدْخُلُ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِيهَا»[3].

وجه الاختلاف: تعدَّدَت الأحاديث الواردة في بيان عدد ركعات الرواتب قبل الفريضة وبعدها، مما ترتب على ذلك اختلاف الفقهاء في تحديد عدد ركعات الرواتب لكل فريضة.

١- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٣٠.
٢- المرجع السابق، ص: ١٣٨.
٣- البخاري، الصحيح، أبواب التطوع، باب التطوع بعد المكتوبة، ١/ ٣٩٣، ح.ر: ١١١٩، دون لفظة: «والجمعة».

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بين الأحاديث بأنه يعمل بالنوافل استحبابًا إذا وردت من طرق مقبولة، ثم تختلف مراتب الاستحباب، كلما كان الدليل دالًّا على تأكده، كملازمة النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله، أو كثرة فعله، أو يعضده حديث آخر، والذي يقصر عنه يكون بعده في المرتبة، والذي لا يبلغ الصحة يعمل به إذا لم يعارضه صحيح أقوى منه، أما الضعيف فيمنع إن أَحدَث في الدين وينظر فيه إن لم يُحدِث[١]، لذا فابن دقيق يعتبر ركعات النوافل من حيث العدد والأفضلية وفق ما ينضمّ إلى الحديث من قرائن تعلي مرتبته، ووفق درجة الحديث الوارد فيها.

القرينة السابعة: حمل اللفظين على فعل واحد

المسألة الأولى: «باب صفة صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)»[٢]، ونص حديثه ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلَاةَ..»[٣].

وجه الاختلاف: بيّن حديث الباب أنّ النبي (صلى الله عليه وسلم) رفع يديه حذو منكبيه، بخلاف حديث وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ ومَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، ونصه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ إِذَا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا أُذُنَيْهِ..».[٤]

إجابته عن الاختلاف: قال ابن دقيق بالترجيح بين الحديثين كما فعل الشافعية، فقد رجّح حديث ابن عمر رضي الله عنه، لقوة إسناده، ولكثرة عدد الصحابة الذين رووا الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال ابن

١- انظر: ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٣٩.
٢- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٧١.
٣- البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب رفع اليدين في الصلاة، ١ / ٢٥٧، ح.ر: ٧٠٢.
٤- مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، باب استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام، ٢ / ٣٤١، ح.ر: ٥٨٩.

دقيق: «ورَجَحَ مذهبُ الشافعي بقوة السند لحديث ابن عمر، وبكثرة الرواة لهذا المعنى، فروي عن الشافعي أنه قال: وروى هذا الخبر بضعة عشر نفسًا من الصحابة»[1].

أما الوجه الثاني وهو الجمع وهو مقصودنا، فقد قال فيه ابن دقيق[2]: «وربما سلك طريق الجمع، فحمل خبر ابن عمر على أن يرفع يديه حتى حاذى كفاه منكبيه، والخبر الآخر على أنه رفع يديه حتى حاذت أطراف أصابعه أذنيه، وقيل: إنه رويت رواية من حديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه: «كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ويحاذي بإبهاميه أذنيه»[3].

المسألة الثانية: «باب جامع»[4]، ونص حديثه ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِك قَالَ: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدُنَا أَنْ يُمَكِّنَ جَبْهَتَهُ مِنْ الْأَرْضِ...»[5].

وجه الاختلاف: دلّ حديث أنس على تقديم صلاة الظهر في أول الوقت، بدليل حاجة المصلي لأن يسجد على ثوبه، بخلاف حديث أبي هريرة الذي دلَّ على تأخير صلاة الظهر إلى أن تميل الشمس. ونصه: قوله (صلى الله عليه وسلم): «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»[6].

١- المرجع السابق، ص: ١٧٢.
٢- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٧٢.
٣- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، سُنَن أبي داود. ط١٦. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. دار الرسالة العلْمِيَّة. أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب رفع اليدين في الصلاة، ١/ ٢٥٠، ح.ر: ٧٢٤.
قال الألباني: ضعيف. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (١٤٢٠ه)، أصل صفة صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)، ٣مج. ط١. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض(١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ١/ ٢٠٣.
٤- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٢٦.
٥- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب استحباب تقديم الظهر في أول الوقت ١/ ٤٣٣. ح.ر: ١٩١.
٦- المرجع السابق، ١/ ٤٣٠. ح.ر: ١٨٠.

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بين الحديثين بأنّه مع تأخير صلاة الظهر إلى حين يكون ظلّ يمشي فيه الذاهب إلى المسجد للصلاة؛ لا يَبْعُد أن يبقى حرُّ الشمس، فهو بحاجة إلى بسط ثوبه حتى يسجد عليه، حيث قال: «ويحتمل عندي ألا يكونَ ثمَّة تعارض؛ لأنا إن جعلنا الإبراد إلى حيث يبقى ظل يمشي فيه إلى المسجد، أو إلى ما زاد على الذراع، فلا يبعُدُ أن يبقى مع ذلك حرٌّ يحتاج معه إلى بسط الثوب، فلا تعارض»[١]، وذكر مسالك الفقهاء في حَلِّ الإشكال.

القرينة الثامنة: الأخذ بالزائد إذا جمعت متون الحديث

المسألة الأولى: «باب وجوب الطمأنينة في الركوع والسجود»[٢]، ونص حديثه ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّك لَمْ تُصَلِّ...، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ...، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»[٣].

وجه الاختلاف: ورود عدة أحاديث توجب على التعيين قراءة سورة الفاتحة[٤]، خلافًا لحديث الباب الذي رواه أبو هريرة، وفيه قراءة ما تيسر من القرآن دون تعيين سورة الفاتحة.

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بين الأحاديث التي ظاهرها وجوب قراءة الفاتحة على التعيين، وقراءة ما تيسر من القرآن، بطريقيتن: الأولى أنّ معنى «ما» بمعنى الذي، وأريد بها ما هو معيّن وهو الفاتحة لكثرة حفظ المسلمين لها فهي

١- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٢٦.
٢- المرجع السابق، ص: ١٨٨.
٣- البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، ١ / ٢٦٣. ح.ر: ٧٢٤.
٤- كحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعا: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، ١ / ٢٦٣، ح.ر: ٧٢٣.

المتيسرة، وأما الثانية فأن يُحمَل قوله: «ما تيسير» على ما زاد على الفاتحة، ويدل على ذلك بوجهين: أولهما الجمع بينه وبين دلائل إيجاب الفاتحة، وثانيهما ما ورد في رواية أبي داوود: «ثُمَّ اقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَمَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَقْرَأَ»[1] وهي إن صحت زال الإشكال بالكلية، لأن القاعدة الأخذ بالزائد إذا جمعت طرق الحديث[2].

القرينة التاسعة: الجمع باختلاف علة الحكم

المسألة الأولى: «باب سجود السهو»[3]، ونص حديثه ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) إِحْدَى صَلَاتَيْ الْعَشِيِّ - قَالَ ابْنُ سيرينَ: وَسَمَّاهَا أَبُو هُرَيْرَةَ. وَلَكِنْ نَسيتُ أَنَا - قَالَ: فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ. فَقَامَ إِلَى خَشَبَةٍ مَعْرُوضَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهَا كَأَنَّهُ غَضْبَانُ وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَخَرَجَتْ السَّرَعَانُ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَقَالُوا: قَصُرَتْ الصَّلَاةُ - وَفِي الْقَوْمِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ - فَهَابَا أَنْ يُكَلِّمَاهُ. وَفِي الْقَوْمِ رَجُلٌ فِي يَدَيْهِ طُولٌ، يُقَالُ لَهُ: ذُو الْيَدَيْنِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَسيت، أَمْ قَصُرَتْ الصَّلَاةُ؟ قَالَ: لَمْ أَنْسَ وَلَمْ تُقْصَرْ. فَقَالَ: أَكَمَا يَقُولُ ذُو الْيَدَيْنِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى مَا تَرَكَ ثُمَّ سَلَّمَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَكَبَّرَ، ثُمَّ كَبَّرَ وَسَجَدَ مِثْلَ سُجُودِهِ أَوْ أَطْوَلَ. ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَكَبَّرَ. فَرُبَّمَا سَأَلُوهُ: ثُمَّ سَلَّمَ؟ قَالَ: فَنُبِّئْتُ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ قَالَ: ثُمَّ سَلَّمَ»[4].

وجه الاختلاف الأول: اختلاف الروايات في موضع سجود السهو، أهو قبل السلام أم بعده؟

١- أبو داود، السنن، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع، ١ / ٢٨٩، ح.ر: ٨٥٩.
قال الألباني: حديث حسن. ينظر: صحيح سنن أبي داود، ٤ / ٩، ح.ر: ٥٠٨.
٢- ينظر: ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٩٣.
٣- المرجع السابق، ص: ٢٠١.
٤- البخاري، الصحيح، أبواب المساجد، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، ج: ١، ص: ١٨٢، ح.ر: ٤٦٨.

إجابته عن الاختلاف: بعد أن ذكر ابن دقيق رأي الشافعية في ترجيحهم للسجود قبل السلام، ورأي الحنفية في ترجيحهم له بعد السلام، وذكر رأي المالكية في جمعهم بين الحديثين، رجّح رأي المالكية، بقوله: «وَيَتَرَجَّحُ قَوْلُ مَالك بِأَنَّ تَذَكُّرَ الْمُنَاسَبَة في كَوْن سُجُود السَّهْو قَبْلَ السَّلَام عِنْدَ النَّقْص، وَبَعْدَهُ عِنْدَ الزِّيَادَة، وَإِذَا ظَهَرَتْ الْمُنَاسَبَةُ - وَكَانَ الْحُكْمُ عَلَى وَفْقِهَا - كَانَتْ عِلَّةً، وَإِذْ كَانَتْ عِلَّةً عَمَّ الْحُكْمُ، فَلَا يُتَخَصَّصُ ذَلِكَ بِمَوْرِدِ النَّصِّ»[١].

وجه الاختلاف الثاني: لما سلّم النبي (صلى الله عليه وسلم) وراجعه الصحابة، كانت المراجعة بالكلام كما في حديث الباب، بخلاف حديث حماد بن زيد أنها كانت بالإيماء - «فَأَوْمَؤوا إِلَيْهِ»[٢].

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بين الراويتين، بأنّ الكلام وقع من بعض من الصحابة، ووقع الإيماء من آخرين، فاجْتَمَعَ الْأَمْرَانِ فِي حَقِّ بَعْضِهِمْ، وفي ذلك تعدد وقوع الفعل لهدف واحد، وهو الإفصاح عمّا حَصل[٣].

القرينة العاشرة: الجمع ببيان اختلاف الأمر والنهي، ودلالة الفعل تدل على الجواز ما لم تخصص بدليل.

المسألة الأولى: «باب الوتر»[٤]، ونص حديثه ما رواه ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) - وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ - مَا تَرَى فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ؟ قَالَ: مَثْنَى، مَثْنَى. فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى وَاحِدَةً.

١- انظر: ابن دقيق، الإحكام ٢٠٩.
٢- أبو داود، السنن، تفريع أبواب التشهد، باب السهو في السجدتين، ١ / ٣٣٠، ح.ر: ١٠٠٨.
٣- انظر: ابن دقيق، الإحكام ٢٠٥.
٤- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٤١.

فَأَوْتَرَتْ لَهُ مَا صَلَّى»[1]. وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا»[2].

وجه الاختلاف: دلّ حديث ابن عمر على أنّ صلاة الليل مثنى مثنى ثم يوتر بواحدة، بخلاف حديث عائشة رضي الله عنها الذي زاد على ركعتين، ونصه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً يُوتِرُ مِنْ ذَلِكَ بِخَمْسٍ، لَا يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي آخِرِهَا»[3].

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بينهما بإنّ دلالة فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) على الخصوص في حديث ابن عمر تحمل على الجواز؛ لعدم ورود الدليل على التخصيص، وحديث عائشة يدل على الجواز كذلك، فلا تعارض، قال ابن دقيق: «إِنَّ مَحَطَّ النَّظَرِ هُوَ الْمُوَازَنَةُ بَيْنَ الظَّاهِرِ مِنْ قَوْلِه عَلَيْهِ السَّلَامُ «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى»فِي دَلَالَتِه عَلَى الْحَصْرِ، وَبَيْنَ دَلَالَةِ هَذَا الْفِعْلِ عَلَى الْجَوَازِ، وَالْفِعْلُ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْخُصُوصُ، إِلَّا أَنَّهُ بَعِيدٌ لَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَتَبْقَى دَلَالَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْجَوَازِ مُعَارَضَةً بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْحَصْرِ، وَدَلَالَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْجَوَازِ عِنْدَنَا أَقْوَى»[4].

المسألة الثانية: «باب الجمع بين الصلاتين في السفر»[5] ونص حديثه ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَجْمَعُ فِي السَّفَرِ بَيْنَ صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؛ إِذَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ سَيْرٍ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ»[6].

١- أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو عبد الله، (٢٠٠١م)، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: الشيخ شعيب وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٠ / ٦٢، ح.ر: ٥٧٩٣.

٢- البخاري، الصحيح، كتاب الوتر، باب اجعلوا آخر صلاتكم وترا، ١ / ٣٣٩، ح.ر: ٩٥٣.

٣- مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم) في الليل، ١ / ٥٠٩، ح.ر: ١٢٦.

٤- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٤٣.

٥- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٥٠.

٦- البخاري، الصحيح، أبواب تقصير الصلاة، باب الجمع في الصلاة بين المغرب والعشاء، ١ / ٣٧٣، ح.ر: ١٠٥٦.

وجه الاختلاف: دلّ حديث الباب على جواز الجمع بعلة السفر، خلافًا لَمَنْ قصر الجمع بعلة النسك في الحج، علما بورود أحاديث أخرى بينت جواز الجمع في النزول في السفر وفق حالات معينة[١].

إجابته عن الاختلاف: جمع ابن دقيق بين الروايات الواردة في الجمع بين الصلوات سواء بعلة أن يكون على ظهر سفر أم الجمع في النزول في السفر، بصحة الأدلة الدالة على ذلك؛ فهي قضية تعبدية قائمة على ثبوت الدليل، وهو قول الجمهور، رادًّا على تأويل الحنفية حديث الباب بالجمع الصوري، فالأصل حمل الحديث على الحقيقة؛ إلا إذا تعذر فإنه يلجأ إلى التأويل، وردّ على قصرهم الجمع بين الصلوات بعلة النسك فقط؛ بورود أحاديث صحيحة نصت على الجمع بعلة السفر، والجمع بالنزول في حالات معينة، قال ابن دقيق: «لكن إذا صح الجمع في حالة النزول فالعمل به أولى لقيام دليل آخر على الجواز في غير هذه الصورة، أعني: السير، وقيام ذلك الدليل يدل على إلغاء اعتبار هذا الوصف، ولا يمكن أن يعارض ذلك الدليل بالمفهوم من هذا الحديث؛ لأن دلالة ذلك المنطوق على الجواز في تلك الصورة بخصوصها أرجح»[٢].

المطلب الثاني: حل الاختلاف بين الأحاديث الواردة في كتاب الصلاة بمسلك الترجيح

أولًا: مفهوم الترجيح: «هو اقتران أحد الصالحين للدلالة على المطلوب مع تعارضهما، بما يوجب العمل به وأهمال الآخر»[٣]، وله شروط وأحكام لا بد من

١- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٥١.
٢- ابن دقيق، الإحكام ص: ٢٥١.
٣- الآمدي، علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام. تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت. ط ١، (١٤٠٤ه) ٤/ ٤٦٠، انظر: البخاري، عبد العزيز بن أحمد(٧٣٠ه)، كشف الأسرار. تحقيق: عبد الله عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (٤١٨ه) ٤/ ٧٨. السوسوة، منهج التوفيق والترجيح، ص ٥٧٨.

تحققها، وله وجوه متعددة تعود إلى السند أو المتن أو أمر خارجي[1].

ثانيًا: قرائن حل الاختلاف بين الأحاديث وفق مسلك الترجيح:

أ. قرائن حل الاختلاف وفق مسلك الترجيح، باعتبار علم الإسناد:

القرينة الأولى: قوة الإسناد، ومن زاد من الثقات حجة على من لم يزد من الثقات.

المسألة الأولى: «باب صفة صلاة النبي (صلى الله عليه وسلم)»[2]، ونص حديثه ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يرفع يديه حذو منكبيه إذا افتتح الصلاة، وإذا كبر للركوع وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك، وقال: «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد». وكان لا يفعل ذلك في السجود»[3].

وجه الاختلاف: رفعَ النبي (صلى الله عليه وسلم) يديه عند الافتتاح وعند الركوع وعند الرفع من الركوع، كما في حديث الباب، بخلاف ما رواه البراء أنّ الرفع عند الافتتاح فقط، ونص حديثه: «أَنَّه كَانَ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ أُذُنَيْهِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُ»[4].

حل الاختلاف: رجّح ابن دقيق حديث ابن عمر على حديث البراء بقرينة قوة الإسناد، إضافة إلى قرينة مَن حفِظ حجة على من لم يحفظ، قال ابن دقيق:

١- انظر: حماد، نافذ حسين، مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين، المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص: ٢٢٢-٢٢٤.
٢- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٧١.
٣- البخاري، الصحيح، كتاب صفة الصلاة، باب رفع اليدين في التكبيرة، ١ / ٢٥٧، ح.ر: ٧٠٢.
٤- أبو داود، السنن، أبواب تفريع استفتاح الصلاة، باب من لم يذكر الرفع عند الركوع، ١ / ٢٥٨، ح.ر: ٧٥٠. قال أبو داود: وروى هذا الحديث هشيم وخالد وابن إدريس عن يزيد لم يذكروا: «ثم لا يعود». قال الباحث: فهو بذلك يعتبر جملة «ثم لا يعود غير محفوظة». وقال الشيخ الألباني: ضعيف. ينظر: الألباني: ضعيف أبي داود، ١ / ٢٨٥، ح.ر: ١٢٥

«وقد ثبت الرفع عند القيام من الركعتين وقياس نظره: أن يسن الرفع في ذلك المكان أيضًا؛ لأنه لما قال بإثبات الرفع في الركوع والرفع منه- لكونه زائدا على من روى الرفع عند التكبير فقط- وجب أيضًا أن يثبت الرفع عند القيام من الركعتين، فإنه زائد على من أثبت الرفع في هذه الأماكن الثلاث فقط، والحجة واحدة في الموضعين»[١].

المسألة الثانية: «باب الجمعة»[٢]، ونص حديثه ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»[٣].

وجه الاختلاف: دلّ حديث ابن عمر على أنّ الغسل واجب يوم الجمعة، بخلاف حديث سمرة بن جندب مرفوعًا: «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل»[٤].

حل الاختلاف: رجح ابن دقيق رواية ابن عمر على رواية سمرة لما فيها من قوة إسناد، حيث قال: «وَأَقْوَى مَا عَارَضُوا بِهِ حَدِيثُ «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ. وَمَنْ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ «وَلَا يُقَاوِمُ سَنَدُهُ سَنَدَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، وَإِنْ كَانَ الْمَشْهُورُ مِنْ سَنَدِهِ صَحِيحًا عَلَى مَذْهَبِ بَعْضِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ»[٥]. ورَجَّح أيضًا بدلالة الوجوب في الحديث وأنها أقوى، فقال: «وَأَمَّا غَيْرُ هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ الْمُعَارَضَاتِ الْمَذْكُورَةِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ دَلَائِلِ الْوُجُوبِ؛ فَلَا تَقْوَى دَلَالَتُهُ عَلَى عَدَمِ

١- ابن دقيق، الإحكام، ص ١٧١.
٢- المرجع السابق: ص ١٧١.
٣- البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء..، ١ / ٣٠٥، ح.ر: ٨٥٤.
٤- الترمذي، الجامع، كتاب الجمعة، باب في الوضوء يوم الجمعة، ١ / ٦٢٦، ح.ر: ٤٩٧. وقال: حديث حسن.
٥- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢٥٣-٢٥٤.

الْوُجُوبِ، لِقُوَّةِ دَلَائِلِ الْوُجُوبِ عَلَيْهِ»[1].

ب. قرائن حل الاختلاف وفق مسلك الترجيح، باعتبار علم المتن:

قرينة سياق الحديث وارتباطه بأحاديث الموضوع الواحد:

المسألة الأولى: «باب فضل الجماعة ووجوبها»[2]، ونص حديثه ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعا: «أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ: صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامُ، ثُمَّ آمُرُ رَجُلًا فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»[3].

وجه الاختلاف: اختُلف في تعيين الصلاة التي همّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يحرّق تاركيها، أهي صلاة الفجر أم العشاء أم الجمعة؟

إجابته عن الاختلاف: من جملة كلام ابن دقيق نجد استبعاده للجمع بين الأحاديث الواردة في تعيين الصلاة - العشاء والجمعة والفجر-، وذهابه إلى القول بالترجيح بينها، فإن كانت الصلاة التي همّ النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يحرّق تاركيها هي صلاة الجمعة فإن الجماعة شرط أصيل فيها فلا يقوم الدليل، وإن كانت صلاة العشاء تم الدليل، وإلا فالدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، قال ابن دقيق: «إن النبي (صلى الله عليه وسلم) أراد إحدى الصلاتين أعني الجمعة أو العشاء - مثلا -، فعلى تقدير أن تكون هي الجمعة؛ لا يتم الدليل، وعلى تقدير أن تكون هي العشاء: يتم، وإذا تردد الحال وقف الاستدلال»[4].

١- المرجع السابق، ص: ٢٥٤.
٢- المرجع السابق، ص: ١٣٢.
٣- مسلم، الصحيح، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها، ٣/ ٣٨٠، ح.ر: ١٠٤١.
٤- ابن دقيق، الإحكام، ص: ١٣٥.

ج. قرائن حل الاختلاف وفق مسلك الترجيح، باعتبارات أخرى:

قرينة ما عليه الأكثرون من الفقهاء – جمهور العلماء

المسألة: «باب المرور بين يدي المصلي»[١]، ونص حديثه ما رواه ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «أَقْبَلْتُ رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَتَانٍ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ قَدْ نَاهَزْتُ الاِحْتِلاَمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ - (صلى الله عليه وسلم) - يُصَلِّي بِالنَّاسِ بِمِنًى إِلَى غَيْرِ جِدَارٍ، فَمَرَرْتُ بَيْنَ يَدَيْ بَعْضِ الصَّفِّ فَنَزَلْتُ، فَأَرْسَلْتُ الأَتَانَ تَرْتَعُ، وَدَخَلْتُ فِي الصَّفِّ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيَّ أَحَدٌ»[٢].

وجه الاختلاف: ورود الأحاديث الدالة على أنّ مرور الكلب والحمار والمرأة بين يدي المصلي يقطع الصلاة[٣]، وهي تخالف حديث الباب الذي فيه أنّ ابن عباس مَرّ بين يدي بعض الصف وهو على أتان، فلم يقطع الصلاة، فوقع التعارض.

إجابته عن الاختلاف: رجح ابن دقيق في الجملة قول الجمهور فقال: «وعلى الجملة: فالأكثرون من الفقهاء على أنه لا تفسد الصلاة بمرور شيء بين يدي المصلي ووردت أحاديث معارضة لذلك»[٤]، وقد فصل ما ذهب إليه الإمام أحمد من أنّ الكلب الأسود يقطع الصلاة، أما الحمار والمرأة فلا يقطعانها لحديث ابن عباس وهو حديث الباب، وحديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ «كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) - وَرِجْلاَيَ فِي قِبْلَتِهِ - فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلَيَّ. فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا. وَالْبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ»[٥].

١- المرجع السابق، ص: ٢١٢.
٢- البخاري، الصحيح، أبواب المساجد، باب سترة الإمام سترة من خلفه ١ / ١٨٧، ح.ر: ٤٧١.
٣- البخاري، الصحيح، سترة المصلي، باب استقبال الرجل صاحبه أو غيره في صلاته وهو يصلي ١ / ١٩٢، ح.ر: ٤٨٩.
٤- ابن دقيق، الإحكام، ص: ٢١٣.
٥- البخاري، الصحيح، الصلاة في الثياب، باب الصلاة على الفراش، ١ / ١٥٠، ح.ر: ٣٧٥.

المطلب الثالث: حل الاختلاف بين الأحاديث الواردة في كتاب الصلاة بمسلك النسخ

أولاً: مفهوم النسخ: «هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر»[1]، وقد وضع العلماء شروطًا حتى يتحقق القول بالنسخ، فمتى تحقق وجوده بين الحديثين المتعارضين علم أن كلا منهما له زمان غير زمان الآخر، فهناك الناسخ وهو المقدّم، وهناك المنسوخ وهو المتقدم الذي انتهى العمل به.

ثانيًا: المسائل التي حلّ التعارض بينها بطريق النسخ

بعد تتبع جميع المسائل في كتاب الصلاة؛ لم يلجأ ابن دقيق العيد إلى مسلك النسخ، رفعًا للتعارض بين الأحاديث.

١- عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس(٦٤٦هـ)، ابن الحاجب، المنتهى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٥ه) ٢ / ١٨٥.

نتائج البحث

بعد النظرِ في المسائل التي وقعَ الاختلافُ بين أحاديثها في كتاب الصلاة، جاءت النتائجُ على النحو الآتي:

١- مختلف الحديث عند ابن دقيق العيد هو التعارضُ الحاصلُ بين الأحاديثِ النبويةِ، وعبَّرَ عنه كثيرًا بلفظ (الاختلاف أو المُختلف).

٢- كلما زادتْ رتبة الأحاديث في الصحة قلَّ التعارضُ الواقعُ بينها في الموضوع الواحد، وهذا ما يفسِّرُ لنا قلة المسائل التي تعرّض لها ابن دقيق في الإحكام شرح كتاب الصلاة.

٣- استخدمَ ابنُ دقيق مسلَكَي الجمع والترجيح، ولم يلجأ إلى مسلَكَي النسخ والتوقف لحل التعارض الواقع بين الأحاديث الواردة في كتاب الصلاة.

٤- سواء في الجمع أو الترجيح، غلبَ على ابن دقيق العيد تتبع الدليل الصحيح، إضافة إلى بيانه الدلالة الدقيقة، وتحققه منها، وفق علم الأصول وعلم الفقه وعلم اللغة.

٥- من عادةِ ابن دقيق العيد ذكر آراء الفقهاء في المسائل المختلف فيها، ومناقشتها، وبيان الراجح وفق القواعد العلمية، بعيدًا عن التعصب والمذهبية.

٦- القرائن التي حلَّ ابنُ دقيق بها الاختلافَ الواقعَ بين الأحاديث وفق مسلك الجمع، عشر قرائن، وهي:

أ. الجمع ببيان اختلاف الحال. ب. الجمع ببيان المعنى اللغوي. ج. الجمع باختلاف مدلولي اللفظ. د. الجمع ببيان عموم وخصوص وجهي. هـ. الجمع ببيان مطلق ومقيد وجهي. و. الجمع ببيان حال مرتبة الحديث. ز. الجمع بحمل اللفظين

على فعل واحد. ح. الأخذ بالزائد إذا جمعت المتون. ط. الجمع باحتلاف علة الحكم. ي. الجمع ببيان اختلاف الأمر والنهي.

٧- القرائن التي حل ابن دقيق بها الاختلاف الواقع بين الأحاديث وفق مسلك الترجيح، قرينة الترجيح بقرينة قوة الإسناد، وقرينة سياق الحديث وارتباطه بأحاديث الموضوع الواحد، وما عليه الأكثرون من الفقهاء.

قائمة المصادر والمراجع

- الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (٧٧٢هـ)، نهاية السول شرح منهاج الأصول للبيضاوي. ط١. دار الكتب العلمية- بيروت.
- الآمدي، علي بن أبي علي (٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام. ط١، دار الآفاق- بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، (١٩٨٧م)، الجامع الصحيح المختصر. ط٣. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير: اليمامة- بيروت.
- حماد، نافذ حسين (١٩٩٣م)، مختلف الحديث بين الفقهاء والمحدثين.ط١. دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة.
- حنبل، أحمد بن محمد، أبو عبد الله، (٢٠٠١م)، مسند أحمد بن حنبل. تحقيق: الشيخ شعيب وآخرون، مؤسسة الرسالة.
- خيَّاط، أسامه بن عبد الله (٢٠٠١م)، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء، ط١. دار الفضيلة، الرياض.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، (٢٠٠٩م)، سُنَن أبي داود. ط١٦. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قرة بللي، دار الرسالة العلْمِيَّة.
- ابن دقيق، تقي الدين (١٩٩٧م)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. تحقيق أحمد محمد شاكر.ط١. مكتبة السنة، مصر.
- دليّ، حمية صالح (٢٠١١م)، الشيخ ابن دقيق العيد(٦٢٥-٧٠٢هـ) دراسة في أحواله الشخصية والعلمية والمهنية. كلية القادسية، العراق.
- الزركلي، خير الدين (١٩٨٠م). الأعلام. دار العلم للملايين، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٣م)، طبقات الحفاظ. ط١. دار الكتب العلمية، بيروت.
- السوسوة، عبد المجيد محمد (١٩٩٧م)، منهج التوفيق والترجيح بين مختلف الحديث وأثره في الفقه الإسلامي. ط١. دار النفائس، الأردن.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٩٨٠م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع . دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

- الصفدي، صلاح الدين خليل (٢٠٠٠م). كتاب الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى. ط١. دار إحياء التراث، بيروت.
- عتر، نور الدين (١٩٩٢م)، منهج النقد في علوم الحديث. ط ١. دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.
- الغريزي، محمد رامز (١٩٩٠م)، ابن دقيق العيد عصره حياته علومه وأثره في الفقه. ط١. دار البشير، الأردن.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط ١، دار الفكر للنشر والتوزيع، سوريا.
- الفرماوي، عمر محمد (٢٠١٤م)، من مسالك المحدثين والأصوليين في التعامل مع مختلف الحديث - رد الحديث المنسوخ - الترجيح - التوقف. مجلة دار الإفتاء المصرية، مصر، عدد١٩.
- القرني، عبد الكريم مستور (٢٠١٠م)، الفرق بين مختلف الحديث ومشكله وجهود العلماء فيهما. مجلة الدراسات العربية، جامعة المنيا، كلية دار العلوم.، مجلد٢، عدد٢٢.
- القسطلاني، ابن حجر أحمد بن علي. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- القضاة، شرف (٢٠٠١م). علم مختلف الحديث أصوله وقواعده، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية. المجلد: ٢٨، العدد٢.
- القنوجي، صديق بن حسن البخاري (٢٠٠٧م)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول. ط١. وزارة الأوقاف، قطر.
- مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري، أبو الحسين، (ت: ٢٦١هـ): صحيح مسلم، ٥مج. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي (١٩٩٠م)، لسان العرب. ط١. دار صادر، بيروت.
- الهادي روشو (٢٠٠٩م)، مختلف الحديث وجهود المحدثين فيه دراسة نقدية، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت.

Reference and Source:

- Asnaw, Jamaluddin: Nihayat al-Sool fi Sharh Minhaj al-Wusool ila Ilm al-Usool, Dar al kotob al ilmiyah, Beirut, the second edition, 772 AH.
- Al-Amidi, Ali Ibn Abi Ali: Al-ihkam fi usul al-ahkam, Dar Al-Afaq, Beirut, the first edition, 631AH.
- Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail: Al-Jami al-Sahih al-Muqtasar, verified by Mustafa Deeb Al-Bagha, Ibn Kathir House, Beirut, the third edition, / 1987.
- Hammad, Nafez Hussein: Various Hadiths between Jurists and Modernists, Dar Alwafa for printing and publication, Al-mansoura, the first edition, 1993.
- Hanbal, Ahmad Bin Mohammad: Al-Musnad lil-imām Ahmad bin Hanbal, verified by Alsheikh Shuaib, et al, Al-Resala Foundation, 2002.
- Khayyat, Osama Bin Abdulla: Various Hadiths between modernists and Jurists, Dar Elfadileh, Riyadh, the first edition, 2001.
- Abu Dawood, Suleiman: Sunan Abi Dawood, verified by Shuaib Arna'out & Mohammad Kamel, Dar Al-Resala Elelmiyeh, the 16th edition, 2009.
- Ibn Dakik, Taqyyiddin: Ehkam Al Ahkam, Sharh Umdat El Ahkam, verified by Ahmad Mohammad Shaker, Al-Sunna Bookshop, Egypt, 1997.
- Delli, Hamdiyeh Saleh: El-Sheikh El-Eid (625-702), A study in his personal, scientific, and professional life, Al- Qadisiyyeh College. Iraq.
- Al-Zirikli, Khairuddin: Al-A'lam, Dar El Ilm Lilmalayin, Beirut, 1980.
- Al-Suyuti, Jalaluddin: Tabaqat al-huffaz, Dar Al-Kuttub Elelmiyeh, Beirut, 1983.
- Al-Sousawah, Mohammad Abdul Majid: The approach of equivalence and outweighing between various Hadith and its effect in Islamic jurisprudence, Dar Al-Nafa'es, Jordan, the first edition, 1997.
- Al-Shoukani, Mohammad Bin Ali: Al-Badr at-tali, Dar El Ma'rifah for printing and publication, Beirut, 1980.
- Al-Safadi, Salah al-Din: Kitab al-Wafi bi'l-Wafayat, verified by Ahmad Arnaout & Turki Mustafa, Dar Ihya' Al-Turath, Beirut, the first edition, 2000.
- Atar, Noureddin: The approach of critics in Hadith sciences, Dar El-Fikrfor distribution and publication, Damascus, the first edition, 1992.

- Al-Gharizi, Mohammad Ramez: Ibn Dakik El-Eid: His time, life, books and knowledge in Fiqh.Al-Basheer, Jordan, the first edition, 1990.
- Abu Faris, Ahmad: Dictionary of Language scales, verified by Abd El Salam Haroon, Dar El Fikr for distribution & publication, Syria, the first edition, 1979.
- Al-Farmawi, Omar Mohammad: The approaches of the modernists and jurists in dealing with various Hadith: Rejecting, outweighing, or stopping judging the abrogated Hadith, Journal of the Egyptian Dar Ifta'a, Egypt, Volume 19, 2014.
- Al-Qarni, Abed El-Kareem Mastoor: The difference between various Hadith and the problem and the efforts of scholars, Arab Studies Journal, Al-Minya University, Volume 2, No. 22, 2010.
- Al-Asqalani, Ibn Hijr: Al-Durar al-Kamina, Dar Ihya'a Turath Al Arabi, Beirut.
- Al-Qudah, Sharaf: Science of various Hadith: Principles and rules, Derasat Journal, The University of Joran, Volume 28, No. 2, 2001.
- Al-Qanwaji, Siddiq Hasan Khan: Taj El Mukalal, Ministry of Awqaf, Qatar, the first edition, 2007.
- Muslim, Ibn Al Hajjaj: Sahih Muslim volume 5, verified by Mohammad Fuad Abd El Baki, Dar Ihya'a Turath Al Arabi, Beirut, 261 AH.
- Ibn Manzur, Mohammad: Lisan al-'Arab, Dar Sadder, Beirut, the first edition, 1990,
- Al-Hadi, Roshou: Various Hadith and the efforts of the modernists: a critical study,
- Dar Ibn Hazm for printing & publication, Beirut, 2009.

المِيثوُلوجيا المصرية في الأعمال الرئيسة للروائية (جورج إِليّوت)

Egyptian Mythology in the Major Works of George Eliot

د. محمد مصطفى محمد عبد الرحمن
جامعة الأزهر – مصر

Dr. Muhammad Moustafa Muhammad Abd-ur-Rahman
Al-Azhar University - Egypt

https://doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.09

تاريخ تسلم البحث 2021/07/18 - وصدر خطاب القبول 2021/11/14

ملخص البحث

تَهدِفُ الدراسَةُ إلى تَتَبُّع استخدام (جورج إليّوت) للأساطير المصرية في أعمالها الرئيسة، موضحًة كيف أنَّها استُخْدِمَتْ لتلعبَ دورًا هامًا في كتابة الخيال الواقعي، ليس فقط على النقيض من الأساطير اليونانية واليهودية والنصرانية، ولكن من خلال رَبْطْ (إليّوت) لفن صناعة التماثيل المصرية بالرمز أيضًا. فَضْلًا عَنْ أنّ الدراسة تعالج إشكالية تجسيد (إليّوت) لمصادر الأَساطير المصرية تلك في تطوير أنواعٍ جديدةٍ من أبطال رواياتها الواقعية، ذلك العنصرِ الهام من عناصر تنمية الشخصية في القراءات الأسطورية لأعمالها، وهو مالم يتطرق إليه الباحثون من قبل في دراساتهم النقدية لأعمالها.

وبفحص أعمالها الرئيسة: آدم بيد (١٨٥٩)، وطاحونة على نهر الفْلوسّ (١٨٦٠)، وروموِلا (١٨٦٣)، والغجري الإسباني (١٨٦٨)، وميدلمارتش (١٨٧١)، ودانيال ديروندا (١٨٧٨)، ومن أجل استنطاق النصوص موضوع الدراسة، أكّد الباحِثُ، من خلال اتباع المنهج التحليلي في هذه المقاربات النقدية لرصد وإبراز أبنيتها السردية والحكائية، على أنَّ الإِشَارَة إلى الأساطير المِصْرِيَّة تُعَزّز من فهمنا للسُبُل المُعَقَّدة التي تُنسِجُ الأَساطيرُ المتنوعة من خلالها السَّرَدَ والقَصَصَ الخياليّ.

الكلماتُ المفتاحِيَّةَ: الأسطورة؛ العصر الفيكتوري؛ الخيال الواقعي؛ الرمزية؛ الأبنية السردية؛ جورج إليوت.

Abstract

The study aims at tracing George Eliot's use of Egyptian mythology in her major works. It shows how myth serves as an important role in writing a lifelike fiction, not only in contrast to Greek, Jewish and Christian myths, but also, through the symbolism of ancient Egyptian statue-making. In addition, it tackles Eliot's embodiment of Egyptian mythological sources to develop new types of heroes in her novels, an important element of character development in the mythological readings of her works, which the researchers neglected before in their critical studies of Eliot's works.

Examining the texts of her major works: Adam Bede (1859), A Mill on the Floss (1860), Romola (1863), the Spanish Gypsy (1868), Middlemarch (1871), and Daniel Deronda (1878), the study follows the analytical approach to elaborate on these critical approaches to observe and highlight their narrative structures to confirm that reference to Egyptian myths enhances our understanding of the complex ways through which various myths weave narration and fictional stories.

Keywords: Mythology; Victorian age; realistic fiction; symbolism; narrative structures; George Eliot.

المقدمة

عُرِفت ماري آن (ماريان) إيفانز باسمها القلمي (جورج إِليّوت)، روائيّة، وشاعرة، وصحفية، ومترجمة، وتعد واحدة من أبرز الكاتبات الإناث في العصر الفيكتوري البريطاني، إن لم تكن الأولى؛ حتى أطلق عليها لقب (شكسبير زمانها)، وكشاعرة عِصاميّة استطاعت أن تنَال هذ المكانة الأدبيّة العالميّة. ولدت في الثاني والعشرين من نوفمبر(١٨١٩)، ووافتها المنيّة في الثاني والعشرين من ديسمبر(١٨٨٠).

يُلاحظ الناقد (ويليام جون هارفي) أنَّه على الرغم من أنَّ روايات (إِليُّوت) تجسد استجابة وتفاعلاً كاملين، فإنَّ هناك جزءًا صغيرًا فقط من نطاقها الفكري تم تمثيله في عمل واحد، قائلاً: «لدي شعور ينتابني في كثير من الأحيّان بأنها تعمل جيدًا داخل حدودها الفكريّة والذهنية، وأنَّ ما تركته في الهامش، لم يُدوّن، يمكن أن تجد آثاره في الصفحات المطبوعة.»[١] وتذكرنا (بَربَارا هاردي)، وهي تحلل رؤياها المأساوية، بكلام الناقد (ماريو براتز) في كتابه الموسوم: (كسوف البطل في الخيال الفيكتوري) عن (إِليُّوت)، قائلاً: «إنَّ شخصيات إِليُّوت المأساويّة لا تختلف بشكل لافتٍ للنظر عن شخصيات شكسبير»[٢]. ففي رواياتها تؤكد (إِليُّوت) قدرتها على الوصول إلى مستوى استثنائي من التعاطف البشري من خلال اهتمامها الدائم بالتفاعل بين الحقيقة الداخلية لشخصياتها الرئيسة والظروف التي تحيط بهم، وأنَّ الدراما الرئيسة تنبثق من التوتر بين الفرد والمجتمع. فالإحساس بالتمزق داخل الشخصية هو ما شعرت به (إِليُّوت) بقوة تضاهي ما شعر به (وردزورث)، و(كوليردج) من قبلها؛ فتَحوُّل (إِليُّوت)، كما

١- ويليام جون هارفي: «الخلفية الفكرية للرواية: كازوبون و ليدجيت»، في: الرواية الفيكتورية: مقالات حديثة في النقد، تحرير: إيان واتس، ط١، نيويورك، ١٩٧١، ص ص٣١١-٣٢٣.

٢- بربارا هاردي: روايات جورج إِليّوت: دراسة في الشكل، لندن، ١٩٥٩، ص١٥.

وصفته (إليّوت) نفسها، كان بالفعل مثل تَحوّل (ويليام وردزورث) بأكثر من طريقة، وكلاهما كان ينتابه ويستحوذ عليه إحساس مزدوج بالتفكك والانكسار: بين الماضي والحاضر، وبين القلب والعقل[١].

يمكننا القول أيضًا بأنَّ (إليّوت) قد استحدثت نوعًا أدبيًا جديدًا يمكن أن نطلق عليه (الرواية الفلسفية)، والتي جمعت فيه بين التعليم والأخلاق؛ بالإضافة إلى أنَّ الواقعية في أعمالها يمكن تقسيمها إلى ثلاث مراحل: مرحلة تلحظ فيها الكاتبة الفرق بين السمات الاجتماعية والنفسية لشخصياتها، والخطوة التالية تتضمن إبراز أقوى السمات الإيجابية، مما يؤدي في النهاية إلى خلق أنماط من الشخصيات بعيدة الاحتمال بصورة خيالية، لكنها واقعية.

بيد أنّ الحقيقة أنَّ روايات (إليُّوت) تحتمل الكثير من التفاسير لثراء نسيجها الذي يتألف من تلاحم الجانب الأخلاقي بالعاطفي، والاجتماعي بالنفسي؛ لذا يمكن القول بأنَّ اهتماماتها الإجتماعية والنفسية تضعها في مَصَافّ الجيل الثاني من الرومانسيين الذين يمكن أن نسميهم بالواقعيين. ويتضمن هذا مما لا شك فيه، احتمالات تأثير الرومانسية على إحساسها الفنيّ. ولا يستطيع المرء أن يضيف كثيرًا إلى ماقاله (براتز) أيضاً في اختباره العلاقة بين (إليُّوت) وبين الشاعر (وردزورث)، لكن هذه العلاقة لا تبدو محدودة فقط باهتمام الاثنين بالناس المتواضعين المغمورين، ولا تقتصر على ائتلاف تصورهما فيما يجب أن يصل الفن به بالبشرية إلى حالة انسجام مع الكون. فلعله يكمن أيضًا في الحدس الصوفي الثاقب الذي يتبينه (و. جراهام روبرتسون)[٢] في أبيات الشاعر الإنجليزي (ويليام بليك: ١٧٥٧-١٨٢٧) الافتتاحية في قصيدته المشهورة: (نُذرٌ البراءة Auguries of Innocence):

١- السابق: ص١٩٦.

٢- أليكسندر جيلكرايست: حياة ويليام بليك، نيويورك، ١٩٩٨، مقدمة و تحرير، و. جراهام روبرتسون، ص ص ٥-١٠.

أن ترى العالم في حبة رمل

والسماء في زهرة بريَّة

أن تمسك باللانهائية في راحة يدك

والأبدية في ساعة واحدة.

وحريّ بنا القول بأنَّ (إليّوت) في بحثها عن موضوعات لسردها القصصي، قد قرأت كتبًا أساسيَّة عن مصر، منها كتاب (إداوارد لين: سرد الآداب والعادات للمصريين المعاصرين١٨٣٧)، الذي يُعَدُ بمثابة نواة مادة روايتها الأولى آدم بيد[١]، وكتاب (جون جاردنر ويلكنسون: آداب وعادات المصريين القدماء١٨٣٧م)، الذي استقت منه معلومات عن وضع المرأة المصرية القديمة تَضَمّنَتها في إحدى كتبها الرائجة[٢]، وكتاب (إميليا إدواردز: على بُعد ألف ميلٍ مِن النيلْ ١٨٦٧م)، الذي نقلت عنه معلومات عن الآلهة والمعبودات المصريَّة في مذكراتها عن روايتها دانيال ديروندا[٣]. وقد رَوَّجَت هذه المصادر وجهات نظر عَرَّضَت روايات (إليّوت) للنقد بسبب خصائصها العامّة التي تدل على تواطؤها في الإمبريّاليّة[٤]، بالإضافة إلى أنَّها ألقت الضَوء أيضًا على معلومات دقيقة حول

١- جوزيف فيزنفارث: مقدمة لـ جورج إليّوت: مُذَكِّرَة أَلأَدِيبَة، ١٨٥٤-١٩٧٨. (مطابع جامعة فرجينيا)، ١٩٨١، ص٢٣.

٢- إليّوت: مُذَكِّرَة أَلأَدِيبَة، تحرير: جوزيف فيزينفارث، ١٩٨١، ص١٤١-١٤٢.

٣- إليّوت: مذكرة روايَة دانيال ديروندا لـ جورَج إليّوت. ص٤٨٦-٤٨٩.

٤- يُنظر: نانسي هنري: جورج إليّوت والإمبراطَورية البريطانية، كمبريدج، ٢٠٠٢، ص١٠. ففي نقد الواقعية في أواخر القرن العشرَين، يُعتقد أنَّ الرواية الواقعية قد أعطت شكلاً لأيديولوجيات الفردانية البرجوازية، والرأسمالية، والإمبريالية، ويُعتقد أنَّ الراوي الذي ينظر إلى العالم من منظور جامع كمراقب اجتماعي يعكس ويشجع السيطرة التي تمارسها إنجلترا على إمبراطوريتها. ويلخص نقاد ما بعد البنيوية هذه الفرضيّة من خلال شرح أن الرواية هي نوع إمبريالي، ليس فقط في الموضوع، وليس فقط بسبب اللحظة التاريخية لميلادها، ولكن في هيكلها الرسمي— في بناء ذلك الصوت السردي الذي يربط بنية السرد معًا، ويُنظر أيضًا كتاب: مولي يونغكين: الكاتبات البريطانيات وحفاوة مصر القديمة، ١٨٤٠-١٩١٠: تصورات إمبريالية للمرأة المصريّة.

الحضارة المصرية التي جَسّدَتْ رؤية شموليّة أكثر للأَساطير[١] في أعمالها؛ إضافة إلى أنَّ (إليُّوت) قد قرأت كُتبًا تربطُ الغجَر الأوروبيين بمصر؛ بَيْد أنَّ هذا الارتباط لم يكُن دقيقًا[٢]. وتُعَد مقالة (هنريك جريلمان المطوَّلة عن الغَجرِ ١٧٨٧م)، مصدر مادة قصيدتها الطويلة المعنونة: (الغجري الإسباني)، التي تحكي أسطورة الغجر الذين تم نفيّهُم؛ لأنهم لم يعيروا مريم العذراء، ويوسُف النجار، والمسيح اهتمامًا بمصر. كما تجدرُ الإشارة أيضًا إلى كتاب (جورج بورو: الزنكالي، أو وصف الغجر في أسبانيا١٨٤١م)، والذي يناقش اللغات الأوروبية التي تُسَمّي الغجر وفقًا لتراثهم المصري المَزْعُوم[٣].

وعلى الرغم من كتابة (إليُّوت) عن مصر من منظور إمبريالي، إلا أنَّها أدرَكَت جيدًا العلاقة بين الأساطير المصرية ومدى تأثيرها على الأساطير الغربية[٤]؛ ففي بداية عام ١٨٥٢م، كتبت (إليُّوت) إلى صديقتها (سارة هينيل) عن الصِّلات بين النصرانية، واليَهوديَّة، والديانات المصرية القديمة، والديانات الهندية[٥]. علاوة على أنَّ مقالات (إليُّوت الأولى: أنتيجوني وأخلاقه ١٨٥٦م)، و(فنّ القدماء ١٨٥٥م)، تُفَسّرَ وتوَضَّحَ فهمها للعلاقات بين أساطير الغرب والشرق؛ حيث إنَّ مقالها الأول يربط الأساطير اليونانية والبريطانية بالأساطير المصرية[٦]. وختامًا، ترى (إليُّوت) أنَّ مصر مُفيدة عمليًا للغرب؛ فبعد سفرها و (جورج هنري لويس) إلى المدن الإنجليزية الصناعية بحثًا عن العلاج بسبب تدهور صحة (لويس)، اقترحت (إليُّوت) أن لدى مصر ما يمكن أن تقدمه مما عجزت عنه إنجلترا

١- مولّي يونغكين: الكاتبات البريطانيات وحفاوة مصر القديمة، ١٨٤٠-١٩١٠: تصورات إمبريالية للمرأة المصريّة، (نيويورك: ماكميلان)، ٢٠١٦، ص ص٦٥-٦٧

٢- ديبورا نورد: الغجر والخيال البريطاني، ١٨٠٧-١٩٣٠. (نيويورك، ٢٠٠٦)، ص ٨.

٣- إليّوت: «الغجري الإسباني»، ت: أنطوان جيرارد فان دِن، (لندن، ٢٠٠٨)، ص ص٢٨٠-٢٨٨.

٤- يَونغكين: ص٦٩-٧١.

٥- جوردون شيرمان هايت: رسائل جورج إليّوت. تحرير: جوردون هايت، المجلدات التسع ، (نيوهافن، ١٨٥٤-١٨٧٨)، ١٩٧٨، ط٢، ص ٥.

٦- يونغكين: ص ص٧٠-٧١.

قائلةً: «ليس من السهل الحفاظ على مذهب الفرد ومعتقده في ألفيَّةٍ على مرأى من هذه الحضارة الحديثة التي تكمن في (تطور الصناعات). فمصر وآلهتها الهادئة القويّة تبدوان الأفضل في مدى تأثيرهما ومفعولهما».[1]

الدراسات السابقة:

جدير بالذكر أنَّ جُلَّ الدراسات النقدية - حديثًا وقديمًا (كما قمت بترتيبها من الأحدث إلى الأقْدَم) - لأعمال (إليُّوت) لم تُعنَ بمناقشة السيرة الذاتية للكاتبة، وحياتها الفكريةَ فحسب، بل إنَّ ثمة إشارات إلى الأساطير وتأثيرها في تشكيل وصياغة حياة (إليُّوت) الفكرية أيضًا. ففي كتابها (حياة جورج إليّوت: سيرة نقدية) في طبعته الأولى ٢٠١٢م عن دار (ويلي بلاك ويل) للنشر، تناولت (نانسي هنري)[2] تاريخ الكاتبة، وسيرتها منذ نعومة أظفارها حتى وفاتها؛ وكيف أنَّ (إليُّوت) لم تُرِد أن تؤثر تفاصيل حياتها الشخصية على تقييم القرّاء لكتاباتها، أو أن تلقي بظلالها على سمعتها، وسمعة عشيقها (لويس) بعد وفاتها، وأنَّ عناية (إليُّوت) بسمعتها كانت ذات أهمية بالغة لها بطريقة تتفق مع التساؤلات التي تطرحها رواياتها حول تاريخ وحياة الفرد. واعتمدت (نانسي) في ذلك على دراسة آراء (إليُّوت) الخاصة في مقالاتها، وأشعارها، ورسائلها التي تقدم رؤى حول إمكانيات بناء سرديات أعمالها، ووعيها الذاتي المرتبط بافتراضات ما بعد الحداثة - فيما بعد - وحول الحدود المتغيّرة بين الحقيقة والخيال. واعتبرت (نانسي) أنَّ أفكار (إليُّوت) ذات صلة بشكل خاص بتناول سيرتها الذاتية التي تسعى من خلالها إلى استكشاف الوشائج بين حياتها وكتاباتها.

١- هايت: : رسائل جورج إليّوت. ط٤، ص١٦٢. فَكَّرَ كلٌّ من لويس وإليّوت عدة مرات في السفر لـمصر بين عامي ١٨٦٤، ١٨٧٥، إلا أنهما لم يتمكنا من السفر نتيجة لمرض لَويس وصعوبة السفر لهذه المسافة. (راجع ط٦، ص ص. ٣١٨: ٣١٩، ط٨، ص٣٦٦، ط٩، ص ١٤٤.

٢- نانسي هنري: حياة جورج إليّوت: سيرة نقدية، (إنجلترا، ويلي بلاك ويل)، ط١، ٢٠١٢.

ويُسَلّطُ (إفروم فليشمان) في كتابه (حياة جورج إليّوت الفكريّة)، في طبعته الأولى عام (٢٠١٠م) عن مطابع جامعة (كمبريد ج) الضوءَ على سيرة (إليُّوت) الفكرية، وكيف أنَّ قصة حياتها - إلى حدٍ كبير- كانت مُكرَّسَةً لصياغة الأفكار وإخراجها؛ أي بمثابة سيرة المفكر المثقف، الذي هو الفنان المبدع أيضًا. ويحاول (فليشمان) التمييز ليس فقط بين سرد الحياة ووصف الأعمال، بل المواقف التي اتخذتها (إليُّوت) الفنانة المثقفة تجاه جوانب من تجربتها، واستجاباتها للعالم من أجل إلهام تجارب الحياة أيضًا. كما يُشيرُ (فليشمان) إلى أنَّ المُكوِّن الأَسَاسِيُّ في حياة (إليُّوت) الفكريّة هو فهمها للأسطورة؛ حيث إنَّ أقوى قضاياها كانت تتمثل في قدرتها على الجمع بين المثالية والواقعية، لِتُظهِرَ النزوع البشري نحو تفسير وتأويل الأسطورة.[١]

ويستعرضُ (هاو لي)[٢] في كتابه (الذاكرة والتاريخ عند جورج إليّوت: تغيير شكل الماضي)، الصادر عن مطبعة (ماكميلان) في طبعته الأولى، عام (٢٠٠٠م)، الذاكرةَ في أعمال (إليُّوت) كذاكرة جماعية أساسية، ويعني بهذه الذاكرة الأشكال الخيالية والحقيقية للعقلية الجماعية والوعي الأخلاقي، والمشاعر المشتركة، والأخلاق، والطقوس، والأساطير، والعادات، كذلك التعبيرات اللفظية، والتي تطورت عبر الأجيال، وتشكل استمرارية عميقة في الحياة البشرية بالنسبة لأفراد المجتمع الفردي، ولا يمكن اختزالها في مجرد مجموع الذكريات الشخصية. ويؤكد (هاو لي) أنَّ الذاكرة الجماعية، أساسية لفهم (إليُّوت) من نواحٍ عديدة، وذلك لمدى قابلية الماضي للتحور والتغيير، وكيف تعتبر الذاكرة المجتمعية بالنسبة لها شكلاً من أشكال التقاليد المليئة بالتوترات والنزاعات، أكثر من كونها إرثًا موحدًا وامتيازًا أخلاقيًا، وأنَّ التَّناقُضُ الوِجْدانيّ وارتيابها يشكلان

١- إفروم فليشمان: حياة جورج إليّوت الفكرية، (كمبريد ج، ٢٠١٠) ص١١١.
٢- هاو لي: الذاكرة والتاريخ عند جورج إليّوت: تغيير شكل الماضي، لندن: ماكميلان، ط١، ٢٠٠٠.

أساس جميع قصصها ورواياتها بدرجات متفاوتة.

أمَّا (بَربَارا هاردي) في كتابها بعنوان: (روايات جورج إليّوت: دراسة في الشكل)، والذي تَمَّ طَبْعُهُ بِمَطْبَعَة (أثلون) بلندن، الطبعة الأولى عام (١٩٥٩م)، فقد ركزَّت فيه على دراسة البنية السردية عند (إليُّوت)، وهو أحد الجوانب التي أغْفَلَها النقاد نسبيًا في عملها الروائي؛ وكيف أنَّها تستخدم الرواية نموذجًا مأساويًا تتحدث من خلاله عن محاولة تجسيد المأساة بالمعنى الدقيق للكلمة؛ بالإضافة إلى أنها تَحُثُّ المقدسات البشرية، والأسطورة من خلال المأساة - أي، الشفقة والرعب، وكذلك من خلال الإعجاب والبهجة. وعلى النقيض، فقد أشار (جورج ويليس كوك) في كتابه (جورج إليّوت: دراسة نقدية) عام (١٨٨٨م)، إلى أنَّ هناك إدانة شبه عالمية لاستخدام (إليُّوت) للحبكات الروائية نتيجة للحاجة إلى الوحدة الفنية وترتيب الأحداث.

وتجدر الإشارة - هنا - إلى أنَّ مِنْ بين الدراسَات الصريحة التي تناولَت استخدام (إليُّوت) للأَساطير كتاب (جورج فيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأسطورة ٢٠١٠م)، والذي يطرح فيه - من بين ما طرح - كيف أَدْرَجَت (إليُّوت) الأَساطير اليونانية، واليهودية، والنصرانية في رواياتها لتقدم (أسطورة المشاعر الوجدانية) لقارئيها في القرن التاسع عشر[١]، وكتاب (فيليسيا بونابرت: الثلاثية والصليب)، الذي تفصح فيه كيف وجدت (إليُّوت) صوتها الشعري عندما كتبت روايتها رومولا (١٨٦٣م)، تلك الرواية التي تعكس قراءة (إليُّوت) الفائقة للأساطير القديمة[٢]، وكذلك مقالات وفصول كُتُب كُلٍّ مِنْ (كَيرسْتِنْ

١- جوزيف فيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأسطورة، (هايدلبرغ: ١٩٧٧)، ص٩.
٢- فيليسيا بونابَرت: الثلاثية والصليب: الأساطير الرئيسة والخيال الشعري عند إليّوت، (نيويورك، ١٩٧٩)، ص ٥.

هُولْ)[١]، و(لَيلَى مَارزْ هَاربَرْ)[٢]، و(أليسَّاندروجريجو)[٣] تَلفتُ جميعها الانتباه إلى أسطورة كيوبيد والأميرة سايكي، وأسطورة ميْدوزَا، وموضوع نهاية العالم تعاقبًا.

إشكالية البحث، ومنهجه، وخطة الدراسة:

يتضح مما تجمع من مادة أنَّ استخدامَ الروائيّة الإنجليزيّة (جورج إليّوت) للإشاراتِ الأُسطوُريّة المُعقَدّة في تطوير رواياتها الواقعيّة تمت مناقشته بشكل جيد، لكنَ تجسيدها للمصادر المصرية يستحق مزيدًا من الاهتمام – لم يَتَطَرَّقْ إليهِ الباحثون من قبل في دراساتهم النقدية لأعمالها – لأنها تخدم أغراضًا فنية، وتزوّدُ القُرّاءَ بطُرقٍ جديدة للإفصاح عن تعاطُفهم ومَدى فهمهم للمجتمع. وقد قصد هؤلاء النقاد جانبًا، وقصدت جانبًا آخر، فلكل وجهة هو موليها، إلا أنَّ (جورج فيزنفارث) رام ما قصدناه، وسعى إلى ما أردناه، فاجتمعنا في الهدف والغاية، وافترقنا في المنهج والقضايا؛ حيث اتخذَتُ منهجًا تحليلياً لدراسة وإبراز معرفة (إليُّوت) بالأساطيرِ المصرية، وكيفية توظيف هذه الأساطير في البناء السردي فيَ جُلَّ أعمالها الرئيسة. هذا وقد قسمتُ الدراسة إلى مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع باللغة الإنجليزية قمت بترجمته للغة العربية،

١- يُنظر: كْيرسْتنْ هُولْ: كله متشابه: هيتّي سوريل وأسطورة كيوبيد والأميرة سايكي (مجلة رينسانس: القيّم في الأَدب، العدد ٦٧، المجلدَ الرابع) ٢٠١٥، ص ٢٧٩-٢٩٤، وفيه تطرح هول بأن مناقشة حتّي سوريل «للتطور الأخلاقي» في رواية آدم بيد يتطابق مع أسطورة كيوبيد والأميرة سايكي، ص٢٧٩.

٢- يُنظر: ليلَى مَارزْ هَاربَرْ: «ذاك الوجه العجيب لـ ميدوزا: رحلة جوتة الإيطالية، جورج إليّوت، ج.هـ. لويس»، في: السفر، الاستكشاف، التحول، تحرير: جابرييل آر. ريتشي، (نيوبرونزوَيك، ٢٠١٤)، ص ص١٣٥-١٥٤. توضح هَاربَرْ كيف أنَّ معرفة إليّوت بـ «التاريخ الطبيعي» و «الأساطير الكلاسيكية» عبر رحلة جوتة الإيطالية شكلت تصويرها للمرأة بـ «ميدوزا المطوَّرَة» ذات التضحيات المثمرة، ص ص١٣٥، ١٤٥، ١٤٨.

٣- يُنظر: أليسَّاندروُ جريجو: «إليّوت واستخدام ثلاثية الكتاب المقدَّس: تجسيد الأفكار» مجلة أساطير أوروبا، والتي حررها كلاً من ريتشارد ليتل جونز و سارة سونسيني (أمستردام: رودوبي، ٢٠٠٧) ص ص١٢٣-١٣١. يطرح لنا جريجو أنَّ «التطور الرُوحيّ للإنسان في التاريخ» من خلال الثلاثية اليهودية-النصرانية تظهر في رواية دانيال ديروندا، والتي بمثَابَة «إعادة صياغة تاريخية لموضوع نهاية العالم» ص ص١٢٦-١٢٨.

على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها تمهيد للدراسة، والإطار النظري للدراسات السابقة، ومنهجية البحث، ودواعي الكتابة في الموضوع.

المبحث الأول: الساحر المصري: (موسى) بوصفه بطلاً، ونموذجًا للرُؤْيَة في رواية آدم بيد من خلال دمج الأسطورة بالواقع.

المبحث الثاني: الملكات العذارى، الأشخاص الغجرية الخفيّة: (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، وقصيدة (الغجري الإسباني) من خلال تفوق الاسطورة على الواقع، والوجود الرمزي للأنثى كـشخصية محورية في بناء العمل الواقعي.

المبحث الثالث: قِدِّيسَات أَحْيَاءٌ ومومياواتٌ إِنْدَرَسَتْ: (رومولا وميدلمارتش).

المبحث الرابع: المصريّ البارِعُ الحاذِقُ: عودة (موسى) بوصفه بطلاً في رواية (دانيال ديروندا).

الخـاتمة: وفيها نتائج البحث، وتلاها فهرس المراجع والموضوعات.

المبحث الأول

الساحر المصري:

(موسى) بوصفه بطلاً، ونموذج للرُؤْيَة في رواية آدم بيد

يُشير (فيزِنْفارث) في كتابه (جورج إليّوت: مُذَكِّرَة أَلأَدِيبَة) إلى أنَّ كتاب (لين): (سرد الآداب والعادات عند المصريين المعاصرين) كانت مصدر (إليُّوت) في كتابة الأسطر الأولى الإفْتِتَاحِيَّة في روايتها آدم بيد؛ حيث كتبت (إليُّوت) قائلةً: «مع قطرة واحدة من الحبر للمرآة، يَتَعَهَّد العَرَّاف المصري بأن يكشف لأيّ وافد يسعى وراء اغتنام فرصة عن رؤى بعيدة المدى من الماضي السحيق، وهذا ما أَتَعَهَدُ القيام به من أجلك، أيُّها القارئ»[١]. إنَّ قطرة الحبر التي يستخدمها العَرَّاف كـمرآة، في هذه الأسطر، تربط بما لا يَدَعْ مجالاً للشك، جملة (إليُّوت) مع (لين)، الذي يكتب قائلاً: «سألت العَرَّافَ عَمَّا إذْا كانت الأشياء تظهر في الحبر كما لو كانت بالفعل أمام العينين، أو كما لو كانت في كوب، مما يجعل اليمين يبدو يسارًا، فأجاب بأنها تظهر كما في المرآة.»[٢] وعلى الرغم من إظْهَار الراوي لذاته بـالعَرَّاف المصري قد يكون من منطلق فهم ضَحْل للأساطير المصرية، إلاَّ أنَّه يُشَكِّلُ بصورة ملحوظة فكرة أنَّ للرَمزيّ مكانةً في القِصَص الواقعيَّة، وأنَّ بطل الرواية (آدم) يمكن أن يُقرَنَ ليس فقط بالأساطير المتعددة، بما في ذلك الأساطير اليهودية- النصرانية، ولكن أيضًا بـموسى المصري. فوصف (لين) للعَرَّاف المصري المعاصر يوَجِّه الناسَ إلى رؤية ما وراء العالم الماديّ والعالم غير الماديّ، وهو موضوع سائد في رواية آدم بيد، ودراسة وتتبع هذا الموضوع في سياق وصف (لين) يُعزِزُ فهمنا لشخصية (آدم)، وكذلك فهمنا لدورنا بوصفنا قُرَّاء مطالعين للأحداث. فـالفِرَاسَة أو بُعد النظر الذي يتأتى عندما يرى القارِئُ ما وراء

١- إليّوت: آدم بيد. تحرير ستيفن جل. (نيويورك: بنغوين، ١٩٨٥) ص ٧.
٢- فَيزِنفارث: مقدمة لـ جورج إليّوت: مُذَكِرَة ألأدِيبَة، ص٢٣.

المادة، كما يفعل آدم، مُكَوَّنٌ أساسيًا في مُعْتَقَد (إلِيُّوت) بأنَّ الأُسْطُورَةَ أو الرمز يلعبان دورًا في الرواية الواقعية. ويعتبر الفصل السابع عشر الجزء الأكثر شهرة في الرواية؛ حيث يُطلَبُ من القُرَّاء التعرف على الآثار الماديَّة على حياة الشخص المسكين والتعاطف مع هذه المِحنَة. ومع ذلك، تطلب (إلِيُّوت) من جمهور القرَّاء في مستهل الرواية بأن يطوروا شكلاً من أشكال الفِرَاسَة أو بُعد النَظَر يُمكِّنُ من فهم للجوانب الأكثر غُموضًا في العالم، تلك التي لا يمكن أن تُفَسِّرُها الملاحظة الواضحة للعالم الماديّ.

ويوحي وصف (لين) بأنَّ أولئك الذين فتنَهُم وسحرَهُم العَرَّاف المصري لديهم هذه الفراسة أو بُعد النظر؛ حيث إنَّ الهدف من تجربة العرَّاف عندما يسألُ الصبي أن ينظر في قطرة الحبر كأنها المرآة هو «أن يفتح عيون الصبي بطريقة خارقة للطبيعة، وأن يجعل بصيرته تنفذ إلى العالم الخفيّ بالنسبة لنا»[1]. وهذا ما يفعله (آدم بيد) أيضًا، لأن عقله بسيط في مجال الألغاز والأحجيات، لكنه شغوف وحريص في مجال المعرفة»[2]؛ علاوة على أنَّ (آدم) لديه مزيج مناسب من التوقير، والفطرة السليمة الثابتة ليرفض الدين العقائدي[3]، لكنه يدرك ويميّز سر الحب في علاقاته مع (هيتّي سوريل) و(دينا موريس)[4]، لاسيما على النقيض من شخصيات أخرى، فإنَّ قدرة (آدم) على أن يرى تجعله يكشف معرفته بكل ما هو ماديّ وغير ماديّ- إلى حد ما -، مما يساعد (إلِيُّوت) في توضيح ما يجب على القُرَّاء فعله. فـنحن على الأرجح أكثر تعاطفًا مع البَشَرِيَّةِ، كـآدم، إذا كان لدينا هذه البصيرة.

١- إدوارد لين: سرد الآداب والعادات عند المصريين المعاصرين. مج: ١، لندن، ١٨٣٧، ص٣٦٩.
٢- إليّوت: آدم بيد. ص٥١.
٣- السابق: ص٥١.
٤- السابق: ص ص ٣٥٤، ٤٨٩.

تقدم (إليُّوت) أيضًا شخصية (آدم) نَموذجًا للقرَّاء من خلال وصفه بالنسبة للشخصيات الأسطورية المختلفة. ويشير (فيزنفارث) إلى أنَّ (آدم) يُقارن بالرجال اليهود والنصارى (آدم التوراتي، وأيوب، والمسيح)، وكذلك بالشخصيات اليونانية القديمة (أوريستس وبروميثيوس)، ومِنْ خِلالْ هذه المقارنات فإنَّ (إليُّوت) «تقدم نسيجاً أسطوريًا يسهم في مُكَوَّنٍ مُتماسكٍ موحد»[١] بالنسبة إلى ما يُعَد رواية واقعية عمومًا، حَيثُ إنَّ «الأسطورةَ تُدمَجُ معَ نظريتها الواقعية بَلْ لا تنفصم عنها.»[٢] وعلى وجه أكثر تَحْديدًا فإنَّ (آدم بيد) «يتحوَّل من آدم التوراتي وبروميثيوس إلى المسيح»؛ لأنه لا يثأر من (آرثر دونيثورن) الذي يقوم بإغواء (هِيتّي) قبل أن يُصَرَّحَ (آدم) بحبه لها»[٣]. وهكذا، في قراءة (فيزنفارث)، فبدلاً من أن يصبح (آدم) متعهدًا للمأسَاة، كآرثر، فإنه يسعى ليس فقط لافتداء نفسه وخلاصها، بل لمنع وقوع مزيدٍ من الكوارثْ مُساهمًا في التعبير عن آداب وأَخلاق اجتماعية أكثر عمقًا في أعمالٍ (إليُّوت) أكثر من أعمال معاصريها الإصلاحيين[٤].

وعلى الرغم من وَعيّ وإطِّلاع (فيزنفارث) بأهمية الأُسطورة في رواية (آدم بيد)، إلا أنّهَ يُغفَلُ الأسطر الافتتاحيَّة التي تتحدث عن العرَّاف المصري، ولا يناقش الإشارَات والتَنْويه إلى (آدم بيد) على غِرار تناول العهد القديم لشخصيات مثل (يوسُف) و(موسى)، وكلاهما تربطهما صلات بـمصر. تُشَبِهُ إليّوت (آدم) بيوسف (ابن يعقوب وراشيل) في بداية الرواية، عندما تشير (دينا) إلى (آدم) بأنه «مثل البَطْرِيَرْك (يوسُف)، لمهارته ومعرفته العظيمة، والرفق الذي أظهره لأخيه ووالديه»[٥]، وهو الخط الذي يُبرزُ قُدرَة (يوسُف) على العفو عن أسرته على

١- فيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأسطورة. ص٧٧.
٢- السَابق: ص٢٠.
٣- السابق: ص٨٥.
٤- السابق: ص ص٨٤-٨٥.
٥- إليّوت: آدم بيد. ص٩٣.

الرغم من موافقتهم على استعباده في مصر، ثم فوزه بعطف وتأييد الفرعون[1]. وتردّد (دينا) هذا الوصف في خطاب تقوم بإرساله لأخ (آدم)[2]، لكن (آدم) يتشابه تماماً مع (موسى)، قائلةً: «أُحِبُ أنَّ أقرأ أفضل عَن (موسى)، في العهد القديم، فقد ظل يحمل عِبء العمل الشاق طيّلة الحياة، ووافتهُ المنيَّة عندما كان الآخرون على وَشْكِ جني الثمار: يجب أن يكون لدى الرجل الشجاعة ليفكر في نتيجة ما يحدث، بعد موته ورحيله، ومن ثَمَّ يستمرُ عمل قاس مثمر إذا كان الأمر فقط هدفه التأسيس والتمهيد، وربما يكون شخصٌ ما الأفضل للقيام به بشكل جيد؛ علاوة على ما يقوم به الرجال»[3]. وتقبَلُ (دينا) وصف (آدم) لنفسه وهو يَمزحُ قائلاً: «حتى (موسى) الرجل، أكثر الرجال حلمًا ووداعةً، كان غاضبًا في بعض الأحيان، عندما تعتقد خطأً أن (آدم) يغضب[4] منها، وهذا القبول يشجع القرَّاء على رؤية (آدم) على أنه (موسى).

إنَّ رؤية (آدم) على أنه (موسى) مُهم في فهم (إلِيُّوت) للأساطير المصرية لبَثِّ وإدخال مَعان رمزية للرواية الواقعية فيما يتعلق بمسؤولية الفرد نحو الارتقاء بمجتمعه. يُفتَرَضُ أن يكون أميرًا مصريًا، تم إنقاذه من الموت عندما قَتَّل فِرعونُ أطفال بني إسرائيل، ومِنْ ثَمَّ هبَّ (موسى) للارتقاء بقومه من خلال قيادته لبني إسرائيل للخروج من مصر، بعدما أصاب الله قومَ فرعون بعشرات الأوبئة والأمراض. وتشير السيدة (بويزر)، عمّة (هِيتّي)، إلى الأوبئة لتُظهِرَ كيف أن مجتمع هيسلوب يحتاج إلى شخصية كشخصية (موسى). وعندما يتوعد السيد (دونيثورن)، جَدَّ (آرثر)، بأنه سيستخدم مُزارِعًا آخر - (ثيرل) - في أرض (بويزر)، تقول السيدة (بويزر): «فلتنظر عمّا إذا كان (ثيرل) يَوّدُ العيش في

١- السابق: ص٥٥٤.
٢- السابق: ص٣٢٩.
٣- السابق: ص٤٨٦.
٤- السابق: ص٤٩٢.

منزل يَعُجُّ بجميع الأوبئة المصرية، فالقبو يملؤه الماء، وأرضيته نتنة رديئة، تقرض فيه الجرزان والفئران كل قطعة من الجبن... لنرى إذا كان يمكنك الحصول على شخص غريب يمكنه أن يحيا هذه الحياة هنا على هذا النحو: أظنُّ أن اليرقةَ يجب أن تُولَد في الجُبْنِ الفاسد كي تستسيغه وتستطيبه»[١]، وعلى الرغم من غياب (آدم) عن هذا الحديث، إلاّ أنَّ ثَمَّة توقعًا أنَّ (آدم) هو موسى المملوك لبويزر، لا سيَّما بعد طلبه الزواج من (هِيتّي)[٢]. ولا يتزوج (آدم) من (هِيتّي)؛ حيث إنَّ (آرثر) قد أغواها وتم القبض عليه بعد أن قتل طفلهُما، لكنَّ دور (آدم) بمثابة دور (موسى) يؤتي ثماره في مجتمعه، بعد أن يوافق على إدارة الغابة لـ (آرثر)، الذي يشار إليه نفسه في السياق المصري في الرواية، حيث يبدو (آرثر) الشخص البريطاني حَسَنُ المظه» في المَرَايا القديمة الذي تُحَدّق وتُمْعِنُ النظر إليه إبنة الفرعون ووصيفاتها من خلال قطعة نسيج خَضْراء داكنة بَالِيَة، واللواتي يجب عليهن الاهتمام بالرضيع موسى ورعايته[٣]. يُدركُ (آرثر) كيف أنّه لا يُمكنهُ الاستمرار بوصفه مالكًا وصاحبًا لملكية في المجتمع بعد أن افتضحَ أمرُ علاقته بـ (هِيتّي)، ويُخبرُ (آدم)، بعد أن طلب منه إدارة الغابة، قائلاً: «إنكَ تعلمُ أنّ هذا عمل جيد للقيام به من أجل الآخرين، بجانب المالك»[٤]، وهذا التصريح يستبِقُ اللغة التي يستخدمها (آدم) لوصف ما فعله (موسى) مع قومه، «عمل قاس مُثمر يعود بالنفع على شخص ما... علاوة على ما يقوم به الرجال»[٥]. وسيقوم (آدم) «بالعمل الجيد... من أجل أشخاص آخرين، بجوار المالك.»[٦] إنَّ قراءة (آدم) بعيون موسى لا يَنفي قِراءَة فيزنفارث أنَّ (آدم) تحوّل من شخصيات العهد القديم إلى شخصيات العهد الجديد، لكنه يمكن أن يُعززَ هذه القراءة من خلال مساعدة

١- السابق: ص ص٣٤٧-٣٤٨.
٢- السابق: ص٣٥٩.
٣- السابق: ص١٢٣.
٤- السابق: ص٤٦٩.
٥- السابق: ص٤٨٦.
٦- السابق: ص٤٦٩.

القُرَّاء على إدراك أنَّ إلِيّوت تستخدم أساطير جَمَّة مُتَعَدِّدَة لتوضيح أنَّ القُرَّاء يُشرِكُونَ المجتمعات ويطورون مشاركتهم الوجدانية.

المبحث الثاني

الملكات العذارى، الأشخاص الغجرية الخفيّة:

طاحونة على نهر الفْلوسّ وقصيدة (الغجري الإسباني)

طاحونة على نهر الفْلوسّ، وقصيدة (الغجري الإسباني)، تصنفان معًا نتيجة لعنايتهما بالدور البطولي الأنثوي في سياق غجري، الذي يُستَقَى بشكل جيد من الأساس الذي وضعت (إلِيُّوت) لبناته في رواية (آدم بيد). ويُبرهِنُ (فيزِنفارث) أنَّ كلاً من طاحونة على نهر الفْلوسّ و(الغجري الإسباني) تَضُمان مَعًا شخصيّات واقعية وعناصر رمزية لـ تَخلقَ نَوعًا مُختَلفًا من الواقعية[1]. فالشخصيات «تَسري في أوصالها الحياة»[2] في أسطورة (القِدِّيس أُغّ) إحدى الأساطير الأساسية التي أقامت عليها (إلِيُّوت) رواية (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، رغم أنَّ النقاد وجدوا أنَّ فيها مثالب ومآخذ لانحرافها عن الأسلوب الواقعي[3]. بالإضافة إلى أنَّ (فيزِنفارث) ونقاد آخرون قد أبرزوا حقيقة أنه بينما تعتبر قصيدة (الغجري الإسباني) من أكثر الأعمال رَكَاكَةً بالنسبة لـ (إلِيُّوت)؛ بسبب تفوق الأسطورة على الواقع، إلاّ أنها تستحق التقدير لارتباطها بأعمال أخرى، لا سيَّما (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، و(دانيال ديروندا)[4]. وقد كتبت (إلِيُّوت) أنَّ رمز الشخصية الرئيسة كان تراث (فيدالما) الغجري الذي أتاح لها تسليط الضوء على

١- فيزِنفارث: جورج إلِيّوت وصناعة الأسطورة. ص١٠٢.
٢- السَابق: ص١٠٢.
٣- السابق: ص ص٩٦-٩٧.
٤- يُنظر: فيزِنفارث: جورج إلِيّوت وصناعة الأسطورة. ص٢١٢، ويُنظر: ويليام بيكر: « مقدمة للغجري الإسباني» (تصدير)، تحريرَ: أنطوان جيرارد فان دن بروك (لندن، ٢٠٠٨)، ص٢٤، وكذلك: فان دِن بروك: «الغجري الإسباني» (مقدمة)، (لندن، ٢٠٠٨)، ص ص٢٧-٥٤.

الإحساس والشعور بالواجب الذي بمثابة جزءٍ من الحظ والنصيب الإنساني العام مضفيًا إلى القصيدة استعمالاً أوسع [١]. إضافة إلى أنَّ (إليُّوت) قد أشارت إلى أن عزوف (فيدالما) عن الزواج بمثابة فعل اتخَذَتهُ (ماجي) في رواية (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، وهذا ما جعل (فيدالما) بطلاً كما توضح (إليُّوت) هذا المصطلح في مقالها القصير: «شططٌ رقيقٌ. الوجْدَان همَّة وطاقة.»[٢] وعلى االرغم من أنَّ (ماجي) و(فيدالما) لا يمكن أن يكونا أكثر اختلافاً من حيث العُمُر والعرقْ، إلّا أنَّه يمكن ربطهما بدراسة استخدام (إليُّوت) للأساطير المصرية. ومن خلال هذه الاساطير تَعرِضُ (إليُّوت) كلاً من ملكات الغَجَر الخفيَّة وتدمِجُ هذا الوصف مع الآخرين الذين يعتمدون على الأساطير النصرانية، وخاصة مريم العذراء، لخلق نساء يتمتعن بالبسالة والبطولة من خلال استعدادتهن للتضحية من أجل الآخرين.

وفي روايتها (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، كانت (إليُّوت) - إلى حدٍ ما - تتفاعل مع تصوير الكاتب (تشارلز كينجزلي) لأبطاله في روايته (هلموا! نحو الغرب -ويستوارد هو)، أو (رحلات ومغامرات السير إمياس لي) عام (١٨٥٥م)، والتي قامت (إليُّوت) بمراجعتها ونقدها. وفي كتابتها عن (رؤية كينجزلي للتاريخ) تُبيّن (إليُّوت) أن رؤيته لم تكن تختلف عن رؤية طفلٍ عندما اعتقدنا بإخلاص أنَّ أبطالنا المفضلين (والاس)، و(بروس)، وكل من قاتل إلى جانبهم، كانوا جيدين، بينما كان (إدوارد) وجنوده جميعهم شريرين»[٣]. وفي (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، تنسِبُ (إليُّوت) وجهةَ النظرِ هذه لتوم أخ (ماجي)، الذي يرفضُ بطولة واستبسال السلطان المصري الأول صلاح الدين الأيوبي، ويفضل بطولة (بروس) الأسكتلندية[٤]. حتى عندما يشّبُ (توم)

١- فان دن بروك: «الغجري الإسباني» (مقدمة)، ص ١٧- ٣٢.
٢- السابَق: ص ص٣٢-٣٣.
٣- إليّوت: مقالات جورج إليّوت. تحرير: توماس بيني، (لندن، ١٩٦٣)، ص ١٣١.
٤- إليّوت: طاحونة على نهر الفْلوسّ، ص ١٦٦.

ويكبُر، إلاّ أنّه لا يزال لديه عقل صِبْيانيّ، وعدم قدرته على النضج يؤثر بشكل مباشر على (ماجي)؛ حيث إنَّ وجهة نظره تقودها لنكران ذاتها، تلك الصفة الأساسية في تعريف (إليّوت) للبطولة والإستبسال. تصبح (ماجي) مريم العذراء في أسطورة القديس (أُغّ)؛ حيث ترافق السيدة العذراء القديس (أُغّ)، الذي يشبه (كريستوفر) وهو ينقل بأمان الأشخاص المكروبين فوق أسطح المياه؛ كما أنَّ موت (ماجي) في الفيضان صنيعٌ من نكران الذات، بالإضافة إلى أنه يساعد (تو م) ليدرك ماهيّة أخطائه[1]. غيّر أنَّ (إليُّوت) لا تقتصر على الأساطير النصرانية في بناء شخصية (ماجي).

وقد ناقش (فيزنفارث) استخدام (إليُّوت) للأساطير اليونانية من خلال التركيز على شبه (ماجي) بـ (أنتيجوني)[2]. إلاّ أنَّ الاكتراث كان قليلاً لرغبة (ماجي) أن تصبح ملكة الغجر ممّا يوضح استخدام (إليُّوت) للأساطير المصرية. وعادة ما تُناقش رغبة (ماجي) بصورة رمزية نمطية من حيث تحديد هويتها وتطابقها على نحو أوسع بتصور الآخر الغريب[3]. وهذا التفسير له مَيزته الخاصة به، لكن قراءةَ لقاء (ماجي) مع الغَجر في ضَوء معرفة (إليُّوت) بالأساطير المصرية يمكن أن يُعزّز من فهمنا لكيفية بناء (إليُّوت) لشخصيات بطولية أنثوية. ومثل (تو م) تُفتَتَنُ (ماجي) بالأبطال، ويومها الذي تقضيه مع الغجر يأخذها إلى عالم خيالي من الأبطال والأشرار، يوصف مرتان بأنه عالم خفيّ[4] وهي فكرة

١- فيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأساطير. ص١١٩-١٢١.

٢- السَابق: ص ص٩٦، ١٠٨. وأيضاً ينظر: كاثرين بريجر كروجر التي تبرهن أنَّ إليّوت تطور قراءةً عكس قراءة هيجل لـ أنتيجوني في روايتها: طاحونة على نهر الفْلوسّ («أنتيجوني وأخَلاقه»: اعتبارات جورج إليّوت الأنتيجونية»، مقالة نقدية لـ جورج إليّوت، عدد٤٤، ١٩٧٠، ص ٧٠)، وينظر: ديفيد مولدستاد الذي يتتبع «الصراع بين تقاليد المجتمع والحكم الفردي» في سوفوكليس وإليّوت («طاحونة على نهر الفْلوسّ و أنتيجوني») مجلة منشورات رابطة اللغة المعاصرة بأمريكا، عدد٥٨، مج: ٣، (١٩٧٠)، ص ٥٢٧.

٣- كيفن أليكسندر موريسون: «اللغة الأم لخيالنا: جورج إليّوت، ذاتية المشهدالطبيعي، وإمكانية الدمج الإجتماعي»، مجلة المقالة الفيكتورية، ط٣٤، العدد: ١، (٢٠٠٨)، ص ٨٩.

٤- إليّوت: طاحونة على نهر الفْلوسّ، ص ص ١٠٨، ١١٠.

قد تكون (إليُّوت) استقتها من قراءتها لرواية (أوستن هنري): (نينوى وأطلالها) عام (١٨٤٩م) أثناء دراستها عن(طاحونة على نهر الفْلوسّ)[١]؛ ففي البداية، يجعل الغجر(ماجي) تشعر بالراحة والهناء، مما يدفعها للاعتقاد بقدرتها على أن تلقنهم تعليمات وتصير مليكتهم[٢]، لكنهم في وقت لاحق، يُثيرون الرعب من خلال تقديمهم طعام غير مألوف لـ (ماجي) وإحداثهم ضوضاء غريبة، فتتمنى (ماجي) بطلاً، جاكً، جاينت كيللر أو السيد جريت هارت، أو القديس جورج الذي ذبح التنين»[٣] كي ينقذها. ورغم أنَّ نظرَة (ماجي) إلى الآخرين ليست صارمة مثل (توم)، إلاّ أنَّ موقفها تجاه الغَجَر، لا سيَّما افتراضها أن تستطيع أن تصبح مليكتهم، يعكس الموقف الإمبريّاليّ المتأصِّل في منظور (توم) بأنَّ بعض الأبطال أفضل من الآخرين.

لا تُشيرُ (إليُّوت) مباشرةً إلى التراث المصري المُفترَض عن الغجر في روايتها (طاحونة على نهر الفْلوسّ)، لكنَّ وصفها إيّاهم ينتهج نزعة القرن التاسع عشر للكتابة عن الغجر أنهم كانوا في مصر، حتى بعد البحث الذي أجراه المؤرخون، واللغويون في القرن التاسع عشر، الذي أثبَتَ خلافَ ذلك[٤]. وفي (الغجري الإسباني)×، تصف (إليُّوت)، مرة أخرى، الغجر بأنهم أشخاص مُتَخَفّون؛ لكنها تشير، بصورة مباشرة إلى أنَّ الغجر قدموا من مصر أيضًا[٥]. ويُخبرُ أحدُ الشخصيات، ويدعى (بلاسكو)، شخصيةً أخرى، يدعى (لوبيز)، أنَّ الربَّ أرسَلَ الغَجرَ إلى إسبانيا لاستخدامهم في الأعمال الشاقة؛ «عقوبة لهم، لأنهم لم يقوموا بإيواء العذراء والقديس يوسُف، بل (دون شَكٍ سرقوا الأتَان الصغير

١- هايت: رسائل جورج إليّوت، ط٣، ص ص١٤٨-١٥٠.
٢- إليّوت: طاحونة على نهَر الفْلوسّ، ص ص١٠٨-١٠٩.
٣- السابق: ص ص١١٠-١١٢.
٤- نورد: الغجر والخيال البريطاني، ص ٨.
٥- إليّوت: «الغجري الإسباني»، السطر ٣. ٥٤.

الذي فروا به راكبين متجهين لمصر).»[1] وهذه النظرة المستهجنة، غير الدقيقة، تقابلها وجهة نظر أكثر تعاطفًا من (فيدالما)، التي تعتقد بأنَّ الغجر يرمزون إلى الحزن الذي تتحمله الأجناس والسلالات المنبوذة[2]. وبينما تعتقد (فيدالما) أنَّ زعيمهم (زاركا) يمكن أن يكون عدوها، فتميّز وجهه بالهيروغليفية المظلمة للمصير الآتي / مكتوبة نصب عينيها، ومع ذلك، تتحالف مع (زاركا) بطلبها للدوق بإطلاق سراح الغجر[3]. وعلى النقيض من (ماجي) التي ترغب فقط أن تصبح ملكة الغجر، فإنَّ (فيدالما) يتم استدعاؤها بالفعل لتصبح مليكتهم، «مليكة قبيلة بلا مأوى... ترشد الغجر إلى أرضهم الجديدة، حيث يزرعون ويبذرون ويجنون ثمارهم»[4]. علاوة على أنَّ (فيدالما) ولدت كيّ تحكم باعتبارها ملكة في أفريقيا[5]، وهي تعتنق هذا الدور، وتقود الغجر للعودة إلى أفريقيا، حيث ينزِل الواحدَ منهم من القارب مثل الإلَهَة المصرية القديمة، إيزيس: «الأم ذات الشعر الأسود، تخطو عبر حافة القارب، وبأذرع مفتوحة، إيزيس الهائمة المنبوذة من الأَلَهَة.»[6] ويشير هذا الخيط إلى إيزيس الهائمة في مصر، بحثًا عن أجزاء جسم أوزوريس، وبمجرد أن تجمع أجزاءه، تستخدم أنفاسها لخلق حورَس[7].

لا تشبه (فيدالما) إيزيس، وهذا أمرٌ منطقيٌ، باعتبار أنَّ (فيدالما)، ليست أمًّا؛ بل (ملكة عذراء) تَزهَدُ في الزواج، من أجل خدمة والدها وشعبها. كانت مريم العذراء الإلهام لفيدالما في لوحة تيتيان[8]: (البِشَارَة) (١٥٥٩-١٥٦٤)، وهو ما شاهدته (إلِيُّوت) في مدينة البندقية، في شهر مايو، عام (١٨٦٤)، ووصفتها

١- السابق: الأسطر: ١: ٩٤٩، ١: ٩٥٣.
٢- السابق: الأسطر: ١: ١٤٦٥، ١: ١٤٦٨.
٣- السابق: الأسطر: ١: ١٤٨٠، ١: ١٤٧٣-١٤٧٤، ١: ٢٣٤٤.
٤- السابق: الأسطر: ١: ٢٨٢١، ٢٨٢٨، ٢٨٢٩.
٥- السابق: الأسطر: ١: ٣٠٠٥، ١:
٦- السابق: الأسطر: ٥: ٢٢-٢٤.
٧- السابق: ملاحظة ٣٣١.
٨- الرسام الإيطالي تيزيانو فيسيليو (١٤٨٨-١٥٧٦)

بأنها «عذراء شابة، تعتقد هي نفسها أنها كانت عشيّة... زواجها... قد تم إبلاغها فجأة بأنها أُختيرَت للوفاء بمصير عظيم.»[١] ومثل (ماجي)، تعتبر (فيدالما) ملكة عذراء، لكنها بمثابة اندماج أكثر اكتمالاً من الأساطير الغربية والشرقية، نتيجة لتراثها الغجري. ومع ذلك، تشير المرأتان إلى الوجود الرمزي للأنثى البطلة في عمل (إلِيُّوت) الواقعي، والذي سيتم تطويره أكثر في روايتي (روموﻻ) و(ميدلمارتش)، قبل أن تعود (إلِيُّوت) إلى البطل الرَجُل الذي يشبه (موسى) في رواية (دانيال ديروندا).

المبحث الثالث

قِدّيسَات أَحْيَاءٌ ومومياواتٌ إِنْدَرَسَتْ:

روموﻻ وميدلمارتش

مع رواية (روموﻻ)، تستخدم (إلِيُّوت) «أسطورة لتفسر وتوضح تفصيلاً الميول المتعارضة في النفس البشرية والتاريخ الإنساني»[٢]. ومن خلال التركيز على الأساطير اليونانية والنصرانية، تُصّورُ (إلِيّوت) شخصية (روموﻻ) كـشخص يرفض دور (أريادن)[٣]، ويقبل طواعية دور (أنتيجوني)[٤]، ويصير قديسًا[٥]، وتُعتبر أسطورة (أريادن) و(أنتيجوني)، جنبًا إلى جنب، مع أسطورة (سانت تيريزا)، التي تقطن أفيلا، أسس رواية (ميدلمارتش)؛ حيث تشير (إلِيُّوت) إلى أنَّه، بالرغم من أنَّ العمل البطولي الفردي يختص بالحضارات القديمة[٦]، إلا أنَّ

١- دن بروك: «الغجري الإسباني» (مقدمة)، ص ص١٦-١٧.
٢- فَيزنفارث: جورج إلِيّوت وصناعة الأسطورة، ص ١٤٦.
٣- السَابق: ص١٦١.
٤- السابق: ص١٦١.
٥- السابق: ص١٥٨.
٦- إلِيّوت: ميدلمارتش، ص١٨٦.

ثمة أبطالاً في القرن التاسع عشر، رجالاً ونساءً، يمكنهم أداء «أفعال غير بطوليّة»[١] تتسم بـ «النزاهة، والتفاهم، والرحمة، والحب.»[٢] ويبدو أنَّ (إليُّوت) في كلتا الروايتين تستخدم الأساطير اليونانية والنصرانية لـ تطوَّر فكرة أَنَّ النساء يمكن أن تكُنَّ بطَلات باسِلات، لأنهن قدّيسَات يتمتَعنَ بالحياة. ومن بين جُلَّ أعمال (إليُّوت) الرئيسة، فإنَّ روايتي: (رومولا وميدلمارتش)، تزخرَان فقط بالقليل من استخدام (إليّوت) لـ الأساطير المصرية.

وعلى الرغم من ذلك، تعرض (إليّوت) شخصيتي (رومولا) و(دوروثيا) نقيضتين لكلٍ من سانت كاترين، والقديسة بربارا، القديسات العذارى اللاتي يمكن ربطهن بمصر[٣]. وإن لم تكن (إليُّوت) قرأت فعليّاً عن الأساطير المصرية أثناء كتابتها لـرواية (رومولا)، فقد قرأت عنها من قبل عند كتابتها لرواية (ميدلمارتش)، فملاحظاتها التي تركزعلى عبادة الشمس، وعلى النيل، كمصدر من مصادر المعرفة، توحي بمادة روايتها (ميدلمارش)؛ حيث يرتبط (كازوبون)، زوج (دوروثيا)، مِرارًا بالمومياوات المُندَرِسَة، ومنذ ذلك الحين ينهمك تمامًا في الماضي. ويستبق (رومولا) هذا التفخيم والتأكيد؛ حيث إنَّ (إليُّوت) تصف الطفل المريض بأنه مومياء عدة مرات في الرواية[٤]. فالتناقض، إذن، بين الشخصيات التي تعد مثل المومياوات المُندَرِسَة، وبين أولئك اللواتي هُنَّ قدّيسَات أَحْيَاءٌ، يرتبط فعليّا مع العالم مثل (رومولا) و(دوروثيا)، وهذا يبين أَنَّ المرأة العادية يمكن أن تصير بطلة في روايات (إليُّوت).

وفي مقدمتهم لـ مذكرات (إليُّوت) عن روايتها (ميدلمارتش)، يروي كلٌ من الكاتبين (جورج كلارك برات)، و(فيكتور أ. نوفيلد) تفصيلاً قراءة (إليُّوت)

١- السابق: ص٢٠٢.
٢- السابق: ص ١٩٨.
٣- يونغكين: ص ٧٦.
٤- إليّوت: رومولا، ص ص١٧٥-١٧٦، ص ص ٣٠٢، ٣٠٧.

عن الأبطال أثناء عملها على كتابة رواية (ميدلمارتش)، ويشيران إلى أنَّ (إِليُّوت) كانت مهتمة بكلٍ من الأبطال التاريخيين والأسطوريين[١]. فقد قرأت (إِليُّوت) عن الأبطال التاريخيين في كتاب (روزرفورد راسّلْ: تاريخ وأبطال فن الطب عام ١٨٦١م)، والذي أثّر في تطويرها لشخصية (ليدجيت)، البطل الذَكَر في الرواية[٢]. كما قرأت (إِليُّوت) عن الأبطال الأسطوريين في كتاب (يعقوب براينت: نظام جديد، أو، تحليلٌ للأساطير القديمة ٧٧٤-١٧٧٦؛ ١٨٠٧م)، وأيضًا في كتاب (جي. س. إيرخ، وغروبر إليغمين: موسوعة العلوم والفنون ١٨١٨-١٨٨٩م)، وفي كتاب (فريدريك كروزر: الرمزية وأساطير الشعوب القديمة خاصة الأغريق ١٨٣٦-١٨٤٢م)؛ حيث أثَّرَت جميعها في تطوير (إِليُّوت) لاهتمامات (كازوبون) في مصر[٣].

ومن كتاب (إيرخ) و(إليغمين)، استقت (إِليُّوت) من معتقد (فيتوس شيفر) قوله: «الشمس هي الإلهة الوحيدة عند الشعراء القدامى»، وهي ملاحظة تفيد في وصف الراوي لـ (كازوبون)؛ حيث يقوم «بالتعبير عن آرائه وأحكامه كتابةً بشكل يثير الحنق عن عقائد ومفاهيم البشر الآخرين عن آلهة الشمس»[٤]. ومن (براينت)، تقتبس (إِليُّوت) مُبَاشَرَةً سرده ووصفه للمهاجرين المتنقلين

١- جون كلارك برات، و فيكتور أ. نوفيلد: مقدمة لـ مذكرات إِليّوت عن روايتها ميدلمارتش، (بيركلي: مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٩)، ص ص ٢٤-٢٥

٢- السابق: ص ٢٤، ٤٤. يُنظر: فيزِنفارث: جورج إِليّوت وصناعة الأسطورة، ص١٨٦.

٣- برات، و نيوفيلد: ص٢٥.

٤- السابق: ص١٣٩.

الأوائل - الكوثيين[١]، الذين «قاموا بعبادة آمون إله الشَمْس»[٢]. وفي الرواية، يشير (لاديْسلو) إلى (برانيت) عندما يعلق على عبث محاولات (كازوبون) لتصحيح أخطاء أُناسٍ مثل (برانيت)[٣]. وفي النهاية، تلخص (إليُّوت) سرد ووصف (كروزر) لمختلف النظريات التي تعتبر (كازوبون) أنَّه جوهر وأساس جميع الأساطير، بما في ذلك (زويجا) الذي يُبرهِنُ على أنَّ دَلالة وعلامة كوكب الزهرة (فينوس) رمز المرأة» هو مفتاح النيل، وكما هو المَغْزَّى في يد إيزيس، الوصي العظيم، أو الحارس (بشليسيرين) حارس الطبيعة[٤].

إنَّ ملخص (إليّوت) عن (كروزر) لا يفيد في فهم (كازوبون) كمُنْغَمِسٍ في عالم المومياوات المُندَرِسَة فحسب؛ بل في فهم (دوروثي) بوصفها قِدِّيسةً على قيد الحياة؛ وكذلك في فهم التناقض بين (كازوبون) و(لاديْسلو)، الذي يتزوج من (دوروثيا)، بعد موت (كازوبون). ويقوم (كازوبون) بإهانة (لاديسلو)؛

١- من نسل كوث بن حام بن نوح عليه السلام. يعتقد برانيت أنه بعد الطوفان، كان هناك تشتت لـ نسل نوح في بداية الأمر في جميع أنحاء الأرض، كل منهم إلى مكان قد حدده الله لهم، وكان الكوثيون بدوًا رعاة، وكانوا يتجولون لفترة من الوقت بحثًا عن مكان ليستوطنوا فيه دائمًا، ووصلوا في خاتمة المطاف إلى سهل شنار، وأقاموا برج بابل. يقال أيضًا أنهم الهكسوس الذين حكموا مصر، وتم طردهم على يد الملك أحمس. وقد تم ذكرهم في العهد القديم حيث شوهدوا وهم يغزون السامرة، إلى جانب القبائل البابلية الأخرى: «وَأَتَى مَلِكُ أَشُّورَ (آسرحدون ابن سنحاريب) بقوم من بَابِلَ وَكُوثَ وَعَوَّا وَحَمَاةَ وَسَفَرْوَايِمَ، وَأَسْكَنَهُمْ فِي مُدُنِ السَّامِرَةِ عِوَضًا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَامْتَلَكُوا السَّامِرَةَ وَسَكَنُوا فِي مُدُنِهَا. فَكَانَتْ كُلُّ أُمَّةٍ تَعْمَلُ آلِهَتَهَا وَوَضَعُوهَا فِي بُيُوتِ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا السَّامِرِيُّونَ، كُلُّ أُمَّةٍ فِي مُدُنِهَا الَّتِي سَكَنَتْ فِيهَا... فَعَمِلَ أَهْلُ بَابِلَ سُكُّوثَ بَنُوثَ (إله العاهرات وخيام البنات المكرسات للزنا في الهياكل الوثنية ورمزه دجاجة مع أفراخها)، وَأَهْلُ كُوثَ عَمِلُوا نَرْجَلَ (إله العالم السفلي والوباء والأمراض)، أَهْلُ حَمَاةَ عَمِلُوا أَشِيمَا، وَالْعُوِّيُّونَ عَمِلُوا نِبْحَزَ وَتَرْتَاقَ، والسَّفَرْوَايِمِيُّونَ كَانُوا يُحْرِقُونَ بَنِيهِمْ بِالنَّارِ لأَدْرَمَّلَكَ (إله الشمس ورمزه البغل) وَعَنَمَّلَكَ (إله القمر ورمزه الحصان) إِلهَيْ سَفَرْوَايِمَ.» (سفر الملوك الثاني، الإصحاح ١٧، الآيات ٢٤-٣١، تعليقي).

٢- برات، ونيوفيلد: ص٤٨.

٣- إليّوت: ميدلمارتش، ص ٢٥٤.

٤- برات، ونيوفيلد، ص٥١.

حيث يخبر السيد (بروك) أنَّ (كازوبون) له طموحات محدودة، بما أنَّ ليس لديه إكْتِراث في «معرفة منابع النيلْ.»[١] وهذه التعليقات؛ بالإضافة إلى تصريح السيد (جيمس شيتام) بأنَّ (كازوبون): ليس أفضل من مومياء! عندما يسمع أنَّ (دوروثيا) ستتزوج من (كازوبون)[٢]، تضع بوضوح (كازوبون) في عالم المومياوات المُندَرِسَة، النقيض من عالم الأحياء - عالم (دوروثيا) و(لاديْسلو). إلاَّ أنَّ ملاحظات (إليّوت) عن (كروزر) - التي تشير بأنَّ (إليُّوت) عرفت أنَّ إيزيس كان يُعتبر شخصية قويَّة قادرة على حراسة النيل، والطبيعة، وكذلك الخَلق - لا تؤثر بصورة مباشرة على وصفها لدوروثيا كشخصية محوريّة كونها أنثى. وحيث إنَّ (إليّوت) لا تُصَوِّرُ (فيدالما) بأنها إيزيس في (الغجري الإسباني)، لذا فهي لا تُصَوِّرُ (دوروثيا) على أنها إيزيس، أو أيَّة إمرأة مصرية قديمة أخرى. وهذا الإغْفَال والإسقاط مَفْهُوم، لأنَّ (دوروثيا) لا تصير أُمًّا إلا في مرحلة متأخرة في أحداث الرواية، وأنها «لن تعرف ما يمكن القيام به تجاه الطفل.»[٣] لكنها، مثل شخصيات (إليّوت) الأنثوية المحورية الأُخرى، تحظى (دوروثيا) ببعض ميزات الأم الرمزية، التي تتطلع لمساعدة الآخرين.

لكن (دوروثيا) لا تصبح أُمًّا رمزية بنفس القدر مثل (ماجي) التي يصفها (فيزنفارث) بأنها: (العذراء تحمل طفلاً بين ذراعيها)، عندما تحمل طِفل (بوب جاكين)[٤]، كما أنها ليست أمًّا كذلك يمكن مقارنتها بـ (رومولا) التي تعكس النماذج النصرانية: (الأم المقدسة)، والنماذج المصرية القديمة: (الإلهة حتحور في صورة البقرة)؛ حيث إنَّ (رومولا) ترعى أطفال (تيسا)، وتطعم أطفال قريّة

١- إليّوت: ميدلمارتش، ص ١٠٦.
٢- السابق: ص ٨١
٣- السابق: ص ٨٩٥
٤- فيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأسطورة، ص٩٦.

أيضًا دمرها الطاعون[١]. وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ نهاية (ميدلمارتش) التي تصف (دوروثيا) بأنها أنثى تحطمت قوتها، مثل قوة نهر (جيندس) الذي حطمه الملك الفارسيّ (سايروس)، يُشير إلى أنَّ (دوروثيا) لديها تأثير البطلة الأنثى، لأنَّ «العالم يرتكز-إلى حدٍ ما - على أعمال غير تاريخية[٢]. ولا تشير (إليّوت) إلى إيزيس أو إلى غيرها من النساء المصريات الأخريات، لكن استخدامها للأساطير المصرية في بناء شخصيات تعيش في الماضي كمومياوات انْدَرَسَتْ تلقى الضوء على مكانة (دوروثيا) باعتبارها قديسة تتمتع بالحياة.

المبحث الرابع

المصريّ البارِعُ الحاذِقُ: عودة (موسى)

بوصفه بطلاً في رواية دانيال ديروندا

يعترف (فيزينفارث) بأنَّه بعد تحقيق أسمى إنجاز للواقعية مع رواية (ميدلمارتش)، استطاعت (إليّوت) أن تتحول إلى البحث عن حقائق ساميّة وشاملة من خلال الرمز في روايتها الأخيرة (دانيال ديروندا)، التي تتخذُ كلاً من أسطورتي: (المنفى، وأرض الميعاد) اليهوديتين نموذجًا، لتبين كيف أنَّ «جميع البشر يتوقون إلى الحرية الروحية وكذلك الحرية السياسية»[٣]؛ بارتكازها إلى عنصر البحث في الأسطورة، الذي تم تفصيله بإيضاح في رواية (ميدلمارتش)[٤]. بينما تعوَّل على الخصائص الرومانسية والملحمية في (الغجري الإسباني)[٥]. كما توضح رواية (دانيال ديروندا) أنَّ أسطورتي المنفى وأرض الميعاد يمكن أن

١- يونغكين: ص ص٧٦-٧٧.
٢- إليّوت: ميدلمارتش، ص ٨٩٦.
٣- فَيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأسطورة، ص٢١٠-٢١١.
٤- السَابق: ص٢١١.
٥- السابق: ص٢١٤.

تكونا خارجية وداخلية [١]. ويُقرُّ (فيزنفارث) باستخدام (إليّوت) للحضارات القديمة مُبرهِنًا على أنَّه بالرغم من أنَّ (إليّوت) تستخدم أسطورة (ميديا) كي تبني شخصية أنثى (دانيال) النظيرة: (جويندولن هارليث)، كجلاوسي، تلك المرأة التي من أجلها تجسد (جاسون) كزوج (جويندولن) - (جراندكورت)، ويتخلى عن (ميديا)[٢]، وينتقل الماس من (ليديا جلاشر) عشيقة (جراندكورت) وأم أبنائه غير الشرعيين إلى (جويندولن)، زوجة (جراندكورت)، ويعكس ذلك عادات الحضارة المصرية القديمة، حيث تحظى العشيقات والأبناء غير الشرعيين بنفس امتيازات الزوجات والأطفال الشرعيين[٣]. كما يُقرُّ (فيزنفارث) أيضًا، في نقاش عن ارتباط (دانيال ديروندا) بالغجري الإسباني، بأنَّه ليس فقط النصرانيّ اليهودي ولكن أيضًا المصري- (موسى) - واحدٌ من شخصيات عِدَّة تُمَثلُ قوى النور التي تصارع قوى الظلام[٤].

وعلى الرغم من ذلك، لا يطوّر (فيزنفارث) تَمَامًا السياق المصري لفهم الشخصيات في رواية (دانيال ديروندا). وأعتقد أنَّ (إليّوت) تعود إلى سرد قصة (موسى) البطل الذي بدأته في رواية (آدم بيد)؛ حيث إنَّ (دانيال) يُقدَّم كشخصية تشبه (موسى) الذي سيقود شعبه إلى حياة جديدة، وهو تمثيل إيجابيّ لمصر، لكن يتم وضعه ضد إشارات سلبية عن مصر، من خلال الشخصيات النسائية المحورية: (جويندولن)، و(ميرا) زوجة دانيال في النهاية، وكلتاهما تشبهان أكثر المومياوات المصريات: (جويندولن)، والسندريلا المصرية (ميرا)، وتختلفان عن النساء البطلات التي تخلقهن (إليّوت) من خلال دمج أساطير متنوعة في أعمال أخرى. وقد ناقشتُ، في موضعٍ آخر، أنَّ (دانيال) قُدِّمَ كـ بطلٍ

١- السابق: ص٢١٠.
٢- فيزنفارث: جورج إليّوت وصناعة الأسطورة، ص٢١٩.
٣- فيزَنفارث: مقدمة لـ جورج إليّوت: مُذَكِّرَة ألأديبَة، ١٩٨١، ملاحظات: ٧، ١٤٢.
٤- فيزينفارث: جورج إليّوت وَصناعة الأسطورة، ص٢١٢.

من خلال وصف (مردخاي) له بأنه مصري بارعٌ حاذقٌ، عندما أخَذَه (مردخاي) إلى نادي الفلاسفة وقدَّمه إلى مَحْفِل من الرجال الذين سيتقلدون مناصب في مستقبل اليهودية[١]. والقول بأنَّ اليهود يمكن أن يصيروا أبطالاً عن طريق القيام بما فعله المصريون القدماء من توجيه مجرى النيل الفائض في محاصيل مستدامة للحياة، يجعل (مردخاي) يتصور دورًا واضحًا لدانيال، دورًا قام النقاد أمثال (برنارد سيميل)[٢]، و(تيرينس كيفز)[٣] بمقارنته بدور (موسى). وهذا التفسير عن (دانيال)، الذي تم مناقشته في الارتباط بالأساطير النصرانية من قبل النقاد المهتمين بالتأكيد على التطابق بين (دانيال) والمسيح[٤]، يُقرُّ باستخدام (إليّوت) للأساطير المصرية لتكمل بها أساطير أخرى. إلاَّ أنَّ مقارنة دانيال بموسى تستحق المزيد من الاهتمام، حيث إنَّ (إليّوت) رسمت شخصية (موسى) كنموذج للأبطال الذكور بدايةً قبل كتابة رواية (آدم بيد).

وناقشتُ أيضًا أنَّ (جويندولن) لا يمكن أن تُصَّنَفَ وتوصَفَ من خلال الأساطير اليهودية - النصرانية، واليونانية، ولكن أيضًا من خلال الأساطير المصرية؛ حيث توصف (جويندولن) في البداية من خلال رموز مثل الأفعى (Serpent) التي تعمل على لفت الإنتباه إليها باعتبارها امرأة رائعة في بداية الرواية)، وكذلك «القلادة الفيروزية (turquoise necklace)، التي تُعد أساسية في مؤامرة الزواج التي تضع (دانيال) و(جراندكورت) في مواجهة بعضهما البعض، ولكل ذلك صلة بالآلهة المصرية القديمة. وعندما يصف الرجال الذين يرون (جويندولن) على طاولات الألعاب في ليوبرون بأنها كـأفعى، فهي في الوقت ذاته (حواء) النصرانية و(ليليث) اليهودية، و(نيريد) اليونانية، و(حتحور)

١- يونغكين: ص٧٩.
٢- برنارد سيميل: جورج إليّوت وطرائق الميراث القومي، أكسفورد، ١٩٩٤، ص ٧٩.
٣- تيرينس كيفز: مقدمة لرواية دانيال ديروندا، لندن: بنجوين، ١٩٩٥، ص٨٠.
٤- السابق: ص٨١.

المصرية[١]. ومع ذلك، فإنَّ إشارة (إليّوت) إلى (حتحور) ضمنية من خلال ما نعرفه عن قراءتها عن الحضارة المصرية القديمة، والتي تضمنت إدراج ما يكافئ الآلهة المصرية واليونانية في مذكراتها عن (دانيال ديروندا)[٢]. وتشتملُ الكثير من الإشارات المباشرة للأساطير المصرية على خيبة أمل وإخفاق (جويندولن) بشأن حقيقة أنَّ كونها إمرأة إنجليزية لا يمكنها السفر إلى النيل والعثور على منبعه كما يفعل الرجال الإنجليز، وكذلك وصف (فاندرنودت) (جويندولن) أنها مومياء مصرية ذات وجه محموم وأصابع قدم ذات هيكل عظمي توشك أن تنسل خِلسَّةً، وأنَّ الرجال المهتمين بالتاريخ يجدونها جذابة[٣]. وقد تَعمَّقَ التفسير الذي يصور (دانيال) على أنه مصري بارعٌ حاذقٌ من خلال إدراك أنَّ (إليّوت) قد وضعت هذا النموذج بدايةً قبل كتابة رواية (آدم بيد)؛ بالإضافة إلى أنَّ فهمنا لشخصية (جويندولن) كمومياء مُندَرِسَة تَعمَّقَ أيضًا من خلال إدراك أنَّ (إليّوت) وضعت هذه الرؤية في (رومولا وميدلمارتش). وفي (دانيال ديروندا)، يحمل هذا الوصف ثِقلاً إضافيًا لأنه يُطَبَّقُ على الشخصية الأنثوية الرئيسة، التي نتوقع أن تصيرَ بطلة مثل (ماجي)، و(فيدالما)، و(رومولا)، أو كما تفعل (دوروثيا). بيد أنَّ (جويندولن) لا يمكن أن تصبح بطلة بسبب القيود المفروضة عليها كامرأة إنجليزية من خلال زواجها من (جراندكورت)، وصداقتها بـ (دانيال)، الذي يفهم قوة (جويندولن) الكامنة، مع أنها لا تزال تفرض المعايير التقليدية الإجتماعية على بني جنسها[٤].

وإذا كنا نبحث عن شخصية محورية أنثى تشبه أولئك اللاتي تزخرُ بِهِنَّ روايات (إليّوت) المبكرة، فإننا قد نُعيد النظر في اختيار(ميرا)، زوجة (دانيال)

١- إليّوت: دانيال ديروندا، ص ص٨٣-٨٤.
٢- إليّوت: مذكرات جورج إليّوت عن دانيال ديروندا، ص ٧١.
٣- يونغكين: ص ص ٦٤، ٦٨، ٨١.
٤- السابق: ص ٨٧.

التي ترافقه في رحلته شرقًا في نهاية الرواية. إلاَّ أنَّ (ميرا)، مثل (جويندولن)، تتمسك بالمعايير التقليدية للنساء الإنجليزيات، رغم خلفيتها الأجنبية[١]؛ وتوصف بأنها ترتدي ثوب سَيّدَة إنجليزية؛ كما تحافظ (ميرا) على غَيْرَة يكتنفها الكتمان[٢]، تشبه غَيْرَة (كليوباترا) بصداقتها مع (دانيال). وفي زفافها، توصف (ميرا) بأنها: «عروس طيبة تُوِّجَ زواجها من (ديروندا) قصة حب رومانسية ستظل دومًا ذكراها حلوة»[٣] في نظر السيدة (ميريك). ومع أنَّ (إليّوت) تعتمد على الأساطير المصرية في صياغة قصة حب (ميرا) الرومانسية (دانيال)، مستخدمة السندريلا المصرية في جغرافيا الفيلسوف اليوناني (سترابو) كمصدر، إلاَّ أنها تعتمد على قصة تعزز الإدوار التقليدية للمرأة. وتلاحظ (بيكر)، قائلةً: إنَّ «قصة الفتاة المصرية التي تسبح في نهر النيل (رودوبيس)، وتفقد خُفّها، وتتزوج الفرعون، تتشابه مع حكاية العذراء اليهودية الشابة (ميرا)، الذي أنقذها شاب غني وسيم يدعى (ديروندا)»[٤]. ويربط هذا المصدر (دانيال) تمامًا بالأساطير المصرية؛ حيث إنَّها توحي بأن (دانيال) ليس فقط (موسى)، بل الفرعون أيضًا. ومع ذلك، ليست ثمة إشارة مباشرة إلى (دانيال) باعتباره الفرعون في رواية (إليّوت)، ومنذ انتهاء الرواية بمشهد (دانيال) وهو يقود شعبه شرقًا، يهيمن عليه وصفه بـ (موسى).

١- إليّوت: دانيال ديروندا، ص ص٨٨-٨٩.
٢- السابق: ص ص٩٩-٨٩.
٣- السابق: ص ص٦٩٣-٦٩٤.
٤- ويليام بيكر: بعض مذكرات جورج إليّوت، المجلد الأول، (سالزبورج، ١٩٧٦)، ص٦٨.

الخاتمة

إنَّ استخدام (إليّوت) للأساطير المصرية من خلال جلّ أعمالها الرئيسة يدور في دائرة بقدر تطوره، لكن تقديمها للرموز المصرية القديمة يرتبط أيضًا بالأساطير الغربية، مما يشير إلى أنَّه في حين أنَّ (إليّوت) تشارك الشرق بشكل كامل في أعمالها التي تمت مناقشتها، إلّا أنها ظَلَّتْ ممتثلة ومُقَيَّدَة برؤيتها الإنجليزية، مما يوحي بأنها غير قادرة على استخدام النساء المصريّات القدامى بشكل كامل كـ نموذج للمرأة الغربية التي تسعى إلى التحرر. ومع روايتها دانيال ديروندا، تعود بنا (إليّوت) إلى فكرة النصراني- اليهودي؛ وأيضًا (موسى) المصري، كـ بطل في نهاية حياتها المهنية، وفضلاً عن تحولها عن العرّاف المصري إلى المصري (البارِعُ الحاذِقُ)، فإنَّ (دانيال ديروندا)، بطل (إليّوت)، ذلك المصري (البارِعُ الحاذِقُ)، يزور ثانية العَرّاف المصري (آدم بيد) في سياقات أسطورية متنوعة تمامًا للأبطال، الذكور والإناث، جسدًا ولحمًا، على حدٍ سواء. لقد قَرأَت (إليّوت) بوضوح عن مصر طوال حياتها المهنية، وجسدَّت معرفتها بالأساطير المصرية في جُلّ أعمالها. وإعادة قراءة هذه الأعمال في هذا السياق يعزز فهمنا للطرق المعقدة التي أُدرِجَت فيها الأساطير، وكذلك الطرق التي استخدمت فيها الأساطير المتنوعة في تكوين القصص الخيالية. ورغم أنَّ هذه الأعمال كُتِبَت بوضوح من منظور إمبريالي، إلاَّ أنَّ (إليّوت) أدركت أنَّ الأساطير المصرية كانت مرتبطة بأساطير العالم الأخرى، وكان لها دور لا يتجزأ في دمج الرمزية بالخيال الواقعي.

المصادر والمراجع

- ويليام بيكر: مقدمة للغجري الإسباني، تحرير: أنطوان جيرارد فان دِن بروك، لندن، ٢٠٠٨.
- ويليام بيكر: بعض مذكرات جورج إليوت، المجلد الأول، سالزبورج، ١٩٧٦.
- فيليسيا بونابرت: الثلاثية والصليب: الأساطير الرئيسة والخيال الشعري عند إليّوت، نيويورك، ١٩٧٩.
- تيرينس كيفز: مقدمة لـرواية دانيال ديروندا، لندن: بنجوين، ١٩٩٥.
- جورج إليّوت: مقالات جورج إليّوت، تحرير: توماس بيني، لندن: روتليدج وكيجان بول، ١٩٦٣.
- جورج إليّوت: طاحونة على نهر الفلوس، ١٨٦٠، تحرير: جوردون شيرمان هايت، أكسفورد: مطابع الجامعة، ١٩٨١.
- جورج إليّوت: آدم بيد، ١٨٥٩، تحرير: ستيفن جيل، نيويورك: بنجوين، ١٩٨٥.
- جورج إليّوت: ملاحظات جورج إليّوت عن دانيال ديروندا، تحرير: جين إيروين، كمبريدج: مطابع الجامعة، ١٩٩٦.
- جورج إليّوت: ميدلمارتش: دراسة في الحياة الريفية، تحرير: و. ج. هارفي، ١٨٧١، نيويورك: بنجوين، ١٩٨٥، ١٩٩٤، ٢٠٠٠.
- جورج إليّوت: الغجري الإسباني. ١٨٦٨، تحرير: أنطوان جيرار فان دِن، لندن: بيكرينج وشاتو، ٢٠٠٨.
- جورج إليّوت: دانيال ديروندا. ١٨٧٦. تحرير: جرييام هاندلي، أكسفورد: مطابع الجامعة، ٢٠٠٩.
- جورج إليّوت: رومولا. ١٨٦٢-١٨٦٣، تحرير: أندرو براون، أكسفورد: مطابع الجامعة، ٢٠٠٩.
- إفروم فليشمان: حياة جورج إليّوت الفكرية، كمبريدج: مطابع الجامعة، ٢٠١٠.
- أليكسندر جيلكرايست: حياة ويليام بليك، نيويورك: منيولا، ١٩٩٨.

- أليسَّاندروُ جورج: «إليّوت واستخدام ثلاثية الكتاب المقدَّس: تجسيد الأفكار» بـ مجلة أساطير أوروبا، تحرير: ريتشارد ليتل جونز، وسارة سونسيتي، أمستردام: رودوبي، ٢٠٠٧. ص ص ١٢٣-١٣١.
- جوردون شيرمان هايت: رسائل جورج إليّوت، (٩) مج، نيوهافن ولندن: مطبعة جامعة ييل، مج: ١-٣، ١٩٥٤، مج: ٤-٧، ١٩٥٥، مج: ٨-٩، ١٩٧٨.
- بَربَارا هاردي: روايات جورج إليّوت: دراسة في الشكل، لندن، ١٩٥٩.
- ويليام جون هارفي: «الخلفية الفكرية للرواية: كازوبون وليدجيت.» الرواية الفيكتورية: مقالات حديثة في النقد، تحرير: إيان واتس، نيويورك: مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٧١، ص ص: ٣١١-٣٢٣.
- كْيرسْتِنْ هُولْ: «كله متشابه: هِيتّي سوريل وأسطورة كيوبيد والأميرة سايكي» مجلة رينسانس: مقالات عن القيّم في الأدب، العدد ٦٧، مج: ٤، ٢٠١٥، ص ص٢٧٩-٢٩٤.
- لَيلَى مَارزْ هَاربَرْ: «ذاك الوجه العجيب لـ ميدوزا: رحلة جوتة الإيطالية، جورج إليّوت، ج.هـ. لويس» في: السفر، الاستكشاف، التحول، نيويورك، ٢٠١٤، تحرير: جابرييل آر. ريتشي، نيو برونزويك، ٢٠١٤، ص ص١٣٥-١٥٤.
- نانسي هنري: حياة جورج إليّوت: سيرة نقدية، ط١، انجلتر: ويلي-بلاك ويل، ٢٠١٢.
- نانسي هنري: جورج إليّوت والإمبراطورية البريطانية، كمبريد ج: مطابع جامعة كمبريد ج، ٢٠٠٢.
- كاثرين بريجر كروجر: «أنتيجوني وأخلاقه»: اعتبارات أنتيجون لـ جورج إليّوت. مقالة جورج إليّوت النقدية، العدد٤٤، (٢٠١٢)، ص ص٦٩-٨٠.
- إدوارد لين: سرد للعادات والتقاليد عند المصريين المعاصرين. مج: ١، لندن، ١٨٣٧.
- هاو لي: الذاكرة والتاريخ عند جورج إليّوت: تغيير الماضي، لندن: ماكميلان، ط١، ٢٠٠٠.
- ديفيد مولدستاد: «طاحونة على نهر الفلوسْ وأنتيجوني»، مجلة رابطة اللغة المعاصرة الأمريكية، عدد٨٥، ج: ٣، ١٩٧٠، ص ص٥٢٧-٥٣١.

- كيفن أليكسندر موريسون: «اللغة الأم لخيالنا: جورج إليّوت، ذاتية المشهد الطبيعي، وإمكانية الدمج الاجتماعي»، مجلة المقالة الفيكتورية، ط٣٤، العدد: ١، ٢٠٠٨، ص ص٨٣-١٠٠.
- ديبورا نورد: الغجر والخيال البريطاني، ١٨٠٧-١٩٣٠، نيويورك: مطابع جامعة كولومبيا، ٢٠٠٦.
- جون كلارك برات، وفيكتور أ. نوفيلد: مقدمة لـ مذكرات إليوت عن روايتها ميدلمارتش، (بيركلي: مطابع جامعة كاليفورنيا، ١٩٧٩.
- برنارد سيميل: جورج إليّوت وطرائق الميراث القومي، أكسفورد: مطابع جامعة أكسفورد، ١٩٩٤.
- أنطوان جيرارد فان دِن بروك: «مقدمة» في الغجري الإسباني، لندن: بيكرينج وشاتو، ٢٠٠٨.
- جوزيف فيزِنفارث: جورج إليوت وصناعة الأسطورة، هايدلبرج، ١٩٧٧.
- جوزيف فيزِنفارث: مقدمة لـ جورج إليوت: مُذَكِّرَة أَلأَدِيبَة، ١٨٥٤-١٩٧٨، مطابع جامعة فرجينيا، ١٩٨١.
- مولّي يونغكين: الكاتبات البريطانيات وحفاوة مصر القديمة، ١٨٤٠-١٩١٠: تصورات إمبريالية للمرأة المصريّة، نيويورك: ماكميلان، ٢٠١٦.

References and Sources:

- Baker, William. Preface to The Spanish Gypsy, Antoine Gerard van den Broek (Ed.), London: Pickering & Chatto, 2008.
- ——— (Ed.). Some George Eliot Notebooks: An Edition of the Carl H. Pforzheimer Library's George Eliot Notebooks, Mss 707, 708, 709, 710, 711. Vol. 1, Institut fur Englische Sprache und Literatur Universitat Salzburg, 1976.
- Bonaparte, Felicia. The Triptych and the Cross: The Central Myths of George Eliot's Poetic Imagination. New York: UP, 1979.
- Caves, Terence. Introduction to Daniel Deronda, New York: Penguin, 1995.
- Eliot, George. Essays of George Eliot. Thomas Pinney(Ed.), London: Routledge and Kegan Paul, 1963.
- ———. The Mill on the Floss, 1860. Gordon S. Haight (Ed.), Oxford: UP, 1981.
- ———. Adam Bede. 1859. Stephen Gill (Ed.), New York: Penguin, 1985.
- ———. George Eliot's «Daniel Deronda» Notebooks, Jane Irwin (Ed.), Cambridge: UP, 1996.
- ———Middlemarch: A Study in Provincial Life. W. J. Harvey (Ed.), 1871. New York: Penguin, 1985, 1994, 2000.
- ———. The Spanish Gypsy. 1868. Antoine Gerard van den Broek (Ed.), London: Pickering & Chatto, 2008.
- ———. Daniel Deronda. 1876, Graham Handley (Ed.), Oxford: UP, 2009.
- ———. Romola. 1862-1863. Andrew Brown (Ed.), Oxford: UP, 2009.
- Fleishman, Avrom. George Eliot's Intellectual Life. Cambridge: UP, 2010.
- Gilchrist, Alexander. The Life of William Blake. New York: Mineola, 1998.
- Grego, Alessandra. «George Eliot's Use of Scriptural Typology: Incarnation of Ideas.» In Myths of Europe, Richard Littlejohns and Sara Soncini(Eds.), 123-131. Amsterdam: Rodopi, 2007.
- Haight, Gordon Sherman (Ed.). The George Eliot Letters, (9) Vols. New Haven and London: Yale UP, vols. 1-3, 1954; 4-7, 1955; 8-9, 1978.
- Hardy, Barbara. The Novels of George Eliot: A Study in Form. London, 1959.

- Harvey, William John. «The Intellectual Background of the Novel: Casaubon and Lydgate.» The Victorian Novel: Modern Essays in Criticism, by Ian Watts (Ed.), New York: Oxford UP, 1971, pp. 311-323.
- Hall, Kirsten. «'It Is All One': Hetty Sorrel and the Myth of Cupid and Psyche.» Renascence: Essays on Values in Literature 67 no. 4 (2015): 279-294.
- Harper, Lila Marz. «'That Wonderous Medusa Face': Goethe's Italian Journey, George Eliot, and G. H. Lewes.» In Travel, Discovery, Transformation, Gabriel R. Ricci (Ed.), New Brunswick: Transaction Publishers, 2014, Pp.135-154.
- Henry, Nancy. The Life of George Eliot: A critical Biography, 1st edn., UK: Wiley-Blackwell, 2012.
- ———. George Eliot and the British Empire, Oxford: UP, 2002.
- Kruger, Kathryn Brigger. «'The Antigone and Its Moral': George Eliot's Antigonean Considerations.» The George Eliot Review 44 (2012): 69-80.
- Lane, Edward. An Account of the Manners and Customs of the Modern Egyptians. Vol. 1. London: W. Clowes and Sons, 1837.
- Li, Hao. Memory and History in George Eliot: Transfiguring the Past, London: Macmillan, 1st edn., 2000.
- Moldstad, David. «The Mill on the Floss and Antigone.» PMLA 85, no. 3 (1970), PP.527-531.
- Morrison, Kevin A. «'The Mother Tongue of Our Imagination': George Eliot, Landscape-Shaped Subjectivity, and the Possibility of Social Inclusion.» Victorian Review 34, no. 1 (2008): 83-100.
- Nord, Deborah. Gypsies and the British Imagination, 1807-1930. New York: Columbia University Press, 2006.
- Pratt, John Clark, and Victor A. Neufeldt (Eds.). Introduction to George Eliot's Middlemarch Notebooks: A Transcription, Berkeley: UPof California, 1979.
- Semmel, Bernard. George Eliot and the Politics of National Inheritance. Oxford: UP, 1994.
- Van den Broek, Antoine Gerard (Ed.).«Introduction.» In The Spanish Gypsy, London: Pickering & Chatto, 2008.
- Wiesenfarth, Joseph. George Eliot's Mythmaking. Heidelberg: Carl Winter/ Universitatsverlag, 1977.

- ———. Introduction to George Eliot: A Writer's Notebook, 1854-1879, and Uncollected Writings, by Wiesenfarth, xv-xxxix. Charlottesville: Bibliographical Society of the Virginia: UP, 1981.
- Youngkin, Molly. British Women Writers and the Reception of Ancient Egypt, 1840-1910: Imperialist Representations of Egyptian Women. New York: Palgrave Macmillan, 2016.

Reconstructing Educational Curricula In Higher Academic Institutions

إعادة بناء المناهج التعليمية في المؤسسات الأكاد يمية العليا

Khawla Ahmed Bajbouj
University College of Mother and Family Sciences - United Arab Emirates

أ. خوله أحمد فوحان بجبوج
الكلية الجامعية للأم والعلوم الأسرية – الإمارات العربية المتحدة

https://doi.org/10.47798/awuj.2024.i69.10

Received: 15-03-2022 - Accepted: 06-02-2024

Abstract

This paper aims to present preliminary basic issues in education delivery mode in higher education institutes shifting from traditional learning into virtual learning. It addresses some selected modern educational theories: Behaviorism, Cognitivism, Constructivism, and Connectivism pertinent to virtual learning focusing on educational technology tools. It also investigates the level of acceptance of the idea of adopting virtual learning among faculty, administrative members and students.

This study was conducted in UC-MOTHER University College in UAE, in 2022 to clarify how the selected modern educational theories assist in terms of reshaping educational curricula from traditional learning into virtual learning in higher education institutes. A questionnaire was administered targeting 25 male and female members of faculty, staff, and students.

Almost 72% to 44% of the targeted group strongly agreed that there is a need for reshaping educational curricula in higher institutes (from traditional pedagogies to new online pedagogies). This requires adjusting the institute's infrastructure in terms of providing all required technological equipment and modifying curricula and

ملخص البحث

تهدف هذه الورقة البحثية لعرض قضايا أساسية أولية للحاجة الى مناقشة بعض النظريات المتمحورة حوله أدوات تقنيات التعليم في ما يخص طرح اليات و طرق التواصل التعليمية من التعلم التقليدي الى التعلم الافتراضي في مؤسسات التعليم العالي. في هذا الخصوص تم طرح شرح دقيق عن أهمية تطبيق أربعة نظريات مختارة تتمثل في: النظرية السلوكية، النظرية الادراكية / المعرفية، النظرية البنائية، النظرية الترابطية المتعلقة بمفهوم التعلم الافتراضي وفق منظور النظريات الحديثة. بما ان النظريات تمثل البناء الأساسي لتحقيق عمليات تعلمية رصينة و فعالة، فإن هذه الورقة البحثية تهدف أيضا الى تسليط الضوء على أسباب تبني هذه النظريات المرتبطة بتقنيات التعليم في مناهج التعليم العالي لتساهم في إمكانية اظهار التقدم في البيئات التعليمية التعلمية. إضافة الى ذلك، فان هذه الورقة تعرض مدى قبول أعضاء هيئة التدريس و الإداريين و الطلاب فكرة تبني التعلم الافتراضي.

لقد تم اجراء هذا البحث في الكلية الجامعية للام و العلوم الاسرية هى عام 2022 لتوضيح بعض النظريات التربوية الحديثة و التي تساهم في اعادة تشكيل المناهج التربوية في مؤسسات التعليم العالي من التعلم التقليدي الى التعلم الافتراضي. و قد تم بناء استبيان موجها الى 25 فرد من اعضاء الهيئة التدريسية و الادارية و الطلاب.

courses to meet the process of implementing educational technology tools. In addition, spreading the culture of technology integration among faculty, administrative staff, and students is essential to increase interaction between them. Moreover, it is vital to justify rationally the need for meeting students' technological mentality and relating it to the global change in societies, economy, and education.

Keywords: Virtual learning, Behaviorism theory, Cognitivism theory, Constructivism theory, Connectivism theory.

قرابة 72% الى 44% من الفئة المستهدفة وافقوا بشدة على ان الحاجة الى اعادة تشكيل المناهج التربوية في مؤسسات التعليم العالي من استعمال النظريات التربوية القديمة الى نظريات الكترونية حديثة تتطلب متغيرات متعددة من الاستعدادات، و مثال على ذلك، تعديل البنى التحتية للمؤسسات بما يشمل توفير كل الادوات الاكترونية المطلوبة. بالاضافة الى ان نشر ثقافة دمج التكنولوجيا بين اعضاء هيئة التدريس و الاداريين و الطلاب تعتبر ضرورة ملحة لزيادة عمليات التفاعل بينهم. زد على ذلك، فانه من الاهمية ان تبرر بطريقة منطقية، الحاجة الى اشباع الفكر التكنولوجي لدي الطلاب و ربطها بالمتغيرات العالمية في المجالات المجتمعية و الاقتصادية و التربوية.

الكلمات المفتاحية: التعلم الافتراضي، نظرية السلوكية، النظرية الادراكية / المعرفية، النظرية البنائية، نظرية الترابطية.

1.0 Introduction and background:

What will future education look like in the following years after the 2020 epic? Stakeholders in higher education, instructors, parents, and learners are wondering what is going to happen in the educational field. Kilgour et. al (2017) utilize the term "threshold" and associate it with embedding online teaching within learning processes. Technology influences learners' daily activities educationally, economically, and socially. Kilgour et al (2017) noted "When applied to online pedagogy in higher education contexts, academic staff becomes the learners as they extend their on-campus teaching knowledge into the online realm" As a first step for the change in education Kilgour et al (2017) highlighted the necessity for preparing education leaders and stakeholders to meet new technology learners' needs. The second step for the change in education is what Knowledge Works Foundation published in 2018 under the title "Creating the Future of Learning" which explained that to recreate the civic sphere in education we should consider cultures integrating all around the world incorporation with the need for economical exchange between people and countries. This cooperation requires in the first place, a well-technologically equipped generation who is aware of the technology implementation's benefits in terms of information transformation speed and valuable fast communication tools availability anytime anywhere. In addition to that, educational change needs to generate learning concepts and topics and then inject these concepts and topics into university curricula as global goals. The third step is to generate global emphasis on the strong need for education transformation to create individuals with a high level of meta-cognitive mentality. These individuals will be aware of all the global issues and have a highly conscious need for creativity and innovation. Khodaei et al (2022) also stated that online learning is more about metacognitive, reflective, collaborative students who are self-directed learners.

2.0 Literature review:

2.1 Virtual Education Creates Life-long Learners:

Inoue et. al (2007) explained that creating lifelong learners depends on the facilitator's philosophy and the learners' cultural background. Therefore, active learning requires: [1] Learners' engagement through conversational learning by giving them a chance to express themselves by presenting their topics for discussion. [2] Involve learners by asking them to choose content activities. [3] Apply peer collaboration and assessment through collaborative learning to enhance their communication skills based on the conceptual evaluation. [4] Scaffolding content practices allow learners to learn at their own pace through Edu-tech tools. [5] Implementing constructive learning by deliberating a variation of experiences and global cultural topics such as analyzing and synthesizing. [6] Creating problem-based activities as contextual learning to assist learners in acquiring high-level learning skills such as critical thinking skills.

Rossi (2020) described the main purpose of Khan Academy as an example of life-long learning that educates the globe by saying "Khan's low-tech, conversational tutorials suggest an educational transformation that de-emphasizes classrooms, campus, and administrative infrastructures, as well as brand name instructors." He added that this academy builds its concept on evaluating individuals' knowledge directly after receiving it. In other words, individuals can obtain instant feedback on the amount of information they learn straight after the learning process occurs. By combining what Inoue et. al (2007) and Rossi (2020) highlighted regarding how life-long learning occurs. It seems that they present what is called Hybrid Learning nowadays. There are various shapes of hybrid learning situations and MOOC (Massive Open Online Courses) is one of them.

MOOC is divided into xMOOC (Extended Massive Open Online Content) which is based on universities' traditional courses, and it is exposed to university students to enhance their learning within their university learning system. However, cMOOC (Connect Massive Open Online Content) was created by Stephen Downes who explained it as "when a group of people learns together through social media, blogs or even learning communities." Both xMOOC and cMOOC are based on self-learning and knowledge exchanging via implementing Edu-tech tools to guarantee global interaction anywhere

anytime. While the participants in xMOOC are lecturers and learners, the cMOOC participants are learners only.

2.2 Online Pedagogies to Achieve Successful Virtual Learning in Higher Education:

Behaviorism, Cognitivism, Constructivism, and Connectivism are four major theories that describe how learners acquire knowledge during the teaching-learning process and how learners can gain high-order thinking skills via implementing various online activities. In this respect, Akdeniz et. al (2016) pointed out the sequence between the four main learning theories, by saying "behaviorist approach provided a basis passing to the cognitive approach while cognitive approach provided a basis passing to the constructivist approach." In addition to these theories, it is essential to mention 21st-century skills (learning skills, literacy skills, life skills) in which acquiring them requires implementing online tools and they are the practical reflection of the four theories. These skills are aligned within instructional design planning in every educational process nowadays.

2.3 Behaviorism theory:

Cherry (2021) interprets the theory as "All behaviors are acquired through conditioning. Conditioning occurs through interaction with the environment." She stated that learners' learning mechanism is based on conditions or reasons for learning and it has nothing to do with learners' moods or emotions, or even their cognitive abilities. Therefore, any learner can be trained to learn by experiencing knowledge through motivation and behavior observation.

This theory was initiated by John B. Watson in 1913 and from 1920 to the 1950s it became a school of psychology. The conditioning process happens within two types of conditions the first one is the classical condition which has to do with neutral motivation when the learner responds to the stimulus and the second type is the operant conditioning which has to do with reinforcing and punishment as a consequence for the behavior that can be repeated in the future as evidence of learning.

Keramida (2015) said, "In the 1950s and 60s when Computer-Assisted Instruction (CAI) first appeared, the computer seemed to be the ideal tool to

measure learning outcomes". She managed to simplify in a very logical way why facilitators are applying behaviorism theory in the virtual learning process. She clarified several terms in which behaviorism theory is implemented during distance learning by achieving certain outcomes at the end of the learning process. She added that instructional design is a designed process that leads to learners' stimuli via applying various activities that direct learners' behaviors in a way to indicate the newly acquired knowledge.

To conclude, behaviorism theory is part of the virtual learning experience. Since learners in nature are sociable, their behaviors must be considered, directed, and observed during the learning process before and after each online activity to evaluate learners' learning levels and performance progress.

2.4 Cognitivism theory:

The term cognitive is related to the conscious intellectual process through which thinking activities occur via constructing, analyzing, and justifying inputs, then behaviors and verbal expressions indicate the level of outputs. Peggy et. al (2013) explained metacognition as "Metacognition is the awareness of your brain's thoughts and thought processes." He also declared that behaviors and verbal expressions may be stored in three phases of memory. Atkinson and Shiffrin (1968) explained the Dual-Store Model, in three series of memory processing named sensory memory, short-term memory, and long-term memory.

Cognitivism focuses on how the brain processes information with attention to the internal and external factors that influence learning development. Therefore, this theory is divided into two categories. The first one is cognitive thinking which was clarified by Piaget in the field of cognitive psychology when he categorized learning into breakdown ages. The second one is a social cognitive theory that emphasizes society's effect on our thinking, feeling, and behavior. In both theories, Cognitivism is founded on investigating individuals' receiving, organizing, processing, recalling, and utilizing information.

Thus, the main role of learners according to this theory is to transfer knowledge to interact in the learning process and use the new knowledge they stored in various contexts. The conceptualization of new knowledge allows learners to structure and organize received information into blocks.

Consequently, the instructor has to be aware of the following points during the instructional design process to enhance learners' conceptualization of received information. Firstly, instructors should have a clear idea of learners' pre-knowledge and experiences. Secondly, instructors must be very selective when they apply Edu-tech tools to activate the learning process based on learners' learning abilities. Thirdly, instructors must design or utilize continuous feedback methods and tools to measure each phase of the learning process (Stepich & Newby, 1988).

2.5 Constructivism theory:

Piaget (1896-1980) was the first epistemologist who talked about constructivism theory. In the 1970s he described the stages of individuals' intellectual development. In their publication, Piaget and Inhelder, 1958 named the stages "the psychomotor, the intuitive, and the concrete operational and the formal operational stage". Several researchers developed new curricula portent to approaches, activities, and tools based on these stages in an attempt to come up with a more effective teaching-learning process.

Later all curricula were designed with the consideration of the following principles based on Piaget's theory. First, individuals' pre-knowledge. Second, individuals differ in terms of the methods they use to construct knowledge. Third, knowledge is constructed in individuals' brains as concepts. Fourth, individuals need social and physical interaction to gain life-long learning. Fifth, individuals' cultural background strongly influences their learning skills. On the other hand, Vygotsky (1978), the founder of the conceptualization of social constructivism, explained how society and culture influence individuals' learning process. He claimed that the sociable nature of human beings is the main reason for the collaborative learning style's existence in the teaching and learning process. Vygotsky (1978) distinguishes between knowledge and learning. As he explained, learning is an internal mechanism that happens within individuals. Knowledge occurs when individuals collaborate and interact in the environment by exchanging what they learn. Steiner and Mahn (1996) declared that "Internalization of information is regarded then as both an individual and social process".

Talking about nowadays educational era with the adoption of social media and web 2.0 technologies by this new generation of learners, it is essen-

tial to mention that learners who seek knowledge have already collected a huge amount of information due to their continuous daily interaction with technology. These pieces of information are gained from internet websites, social media applications, and even from gaming programs...etc. That's why Al-Huneidi and Schreurs (2012) called the pre-knowledge that is gathered by learners 'experience' "Constructivism theory tends to focus on the student to construct new knowledge based on his/her experience, which increases and improves learning outcomes."

To sum up, constructivism theory is impeded in the online learning experience. Since it assists learners to interpret their experiences and knowledge with new knowledge to form new conceptual understating in the shape of organized connected schemas. These new forms of schemas enhance learners' capabilities to form nodes and links to new information and this is what so-called incessant life-long learning.

2.6 Connectivism theory:

The World Wide Web era and the massive rapid changeable spread of technology all over the world have forced educational researchers and organizations to look for new conducts of teaching at the school and university levels to meet learners' learning needs. So, Siemens (2005) came up with the theory of Connectivism to assist educators and educational institutes in coping with the huge alternation in the habits that learners attain for information in the digital age. Huezo (2017) in an article summarized eight main principles of Connectivism:

[1] Learning and knowledge rest in a diversity of opinions. [2] Learning is a process of connecting. [3] Learning may reside in non-human appliances. [4] The capacity to know more is more critical than what is currently known. [5] Nurturing and maintaining connections is needed for continual learning. [6] The ability to see connections between fields, ideas, and concepts is a core skill. [7] Accurate, up-to-date knowledge is the aim of all connectivist learning. [8] Decision-making is a learning process. What we know today may change tomorrow. The right decision today may be the wrong decision tomorrow.

Siemens (2004) talked about the new generation of learners as oriented individuals who already have a strong base of information due to the wide

web existence by saying "understanding that decisions are based on rapidly altering foundations" he explained that the amount of knowledge that learners gained is not only from the social interaction but also from digital tools and various webs that are available to learners anywhere anytime. Simply, the availability of mobile phones and small tablets made the connection of the internet network easy.

Internet websites are not the only resources for information, in contrast, learners can receive information simply by talking to robots such as Siri and Alexa and asking any question to receive answers in seconds. Moreover, social media and applications such as Facebook, Twitter, Instagram, Snapchat... etc. Offer short pieces of information in the shape of videos. Besides the readiness of Infographics and blogs that offer a huge number of summarized information. As Siemens said the interrelation webs between all these tools facilitate conceptualizing the information and creating abstracts of thinking. When learners create abstracts, they start making networks of information that allow them to make decisions and even justify them based on the knowledge they perceive. McHaney (2011) summarized that "decision-making is itself a learning process."

Nowadays academics and educational institutes create learning communities within their institutions which allows instructors and learners to contribute and share any new knowledge they have. This is exactly what the Connectivism theory stands for. As a result, effective learning will occur by exchanging learners' and instructors' knowledge not only via online tools but also through interchanging knowledge virtually and face-to-face. Muelheck J. et al in NACADA journal (2014) which stands for (The Global Community for Academic Advising) explained "NACADA's core values are found in a hexagon, which shares boundaries and is essentially connected". What Muelheck et. al (2014) say is that the hexagon process of exchanging knowledge connects learners and instructors from various sides.

MOOC (Massive Open Online Content) is an example of the hexagon process. It is a learning web community that allows learners to enroll in a massive amount of knowledge. It may take various shapes such as videos, live lectures, or even uploaded online books and presentations. Some of them are Synchronized training sessions and others are asynchronized. One of the most famous MOOCs is the Microsoft Educator Center. It is a massive open

online learning resource that allows the participant to learn different topics within a community of participants or individually. It is a digitized learning web that permits its participants to exchange achieved knowledge virtually and physically.

3.0 Methodology:

3.1 Purpose:

This paper highlights the necessity of converting faculty and administrative staff's culture of thinking towards implementing virtual strategies and designing online courses based on recent online pedagogies. Also, it shows how virtual pedagogies may assist in terms of creating effective virtual environments in higher education institutes to answer the new generation of learners' needs.

3.2 General question:

What are the main factors that contribute to reshaping higher education institutions' curricula based on online pedagogies that are associated with virtual learning environments?

3.3 Structure of the study:

Section two, Literature review, explains the importance of applying a virtual environment to ensure the creation of Life-long Learners. In addition, it enlightens how and why online pedagogies may achieve successful virtual learning in Higher Education Institutes. Section three, Methodology, labels the purpose, main question, and structure of the study. Section four, Data analysis and discussion, covers data collection and description regarding the research's main question, (What are the main factors that contribute to reshaping higher education institutions' curricula based on online pedagogies that are associated with virtual learning environments?) The results are reflected and related to the literature review. A summary of the data analysis and the discussion is finalizing the paper results. Finally, the conclusion concludes the main factors behind reshaping higher educational institutions' curricula and how these factors are related to the latest online pedagogical theories.

4.0 Discussion and data analysis:

Studying the literature on the topic and reshaping Educational Curricula In Higher Academic Institutions, several research questions were designed and utilized. A questionnaire was created and validated to collect the data. The data was collected by a questionnaire consisting of 13 questioning items based on a Likert scale to answer the research's main question (What are the main factors that contribute to reshaping higher education institutions' curricula based on online pedagogies that are associated with virtual learning environments? To investigate the main factors that contribute to the process of transforming higher education institutes' curricula about online pedagogies. a targeted group composed of 25 male and female, faculty and administrative staff and students in UCMOTHER University College in Ajman 2022 were used in this research.

Question 1

أتقبل فكرة تغيير طرق التدريس التقليدية إلى طرق تدريس حديثة.

Accept the idea of changing traditional teaching methods into modern teaching methods.

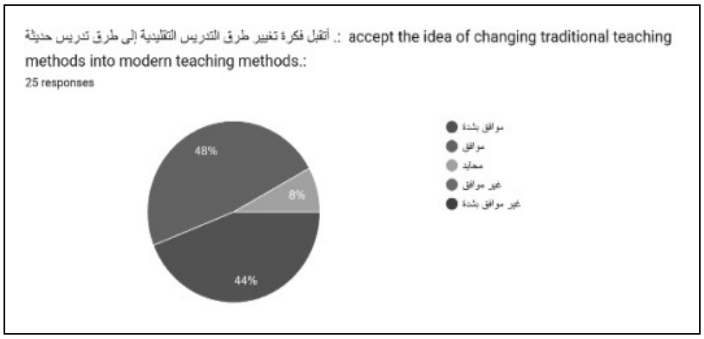

48% of the participants strongly agreed and 44% agreed that the idea of changing traditional teaching methods into modern teaching strategies is acceptable. It was explained that learners nowadays do not accept being recipients, they prefer to interact and engage in the teaching and learning process. It was emphasized that learners would like to share and express their opinions. This is exactly what Vygotsky (1978) explained relating to constructivism theory that individuals prefer to collaborate and interact in the environment by exchanging what they learn.

Question 2

أعتبر دمج التعليم الإلكتروني في الجامعة ضرورة حتمية.

I consider the integration of virtual learning into the university imperative.

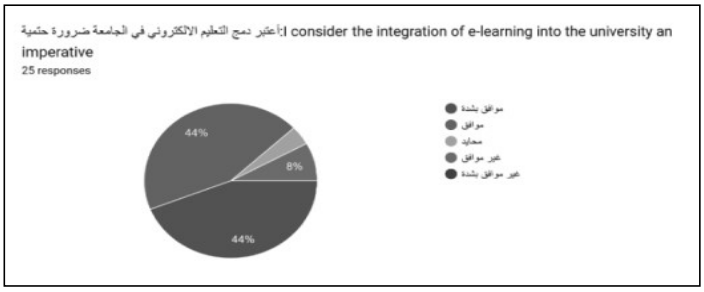

44% of the participants strongly agreed and 44% agreed that integrating online learning into the university is imperative. It was justified that based on faculty experience with learners, using technology attracts their attention and simplifies delivering knowledge and this is what Muelheck et. al (2014) say about the hexagon process of exchanging knowledge to connect learners and instructors from various sides about Connectivism theory.

Question 3

أرى من الضروري تشجيع فكرة دمج التعليم الإلكتروني.

I think it is necessary to encourage the idea of integrating virtual learning.

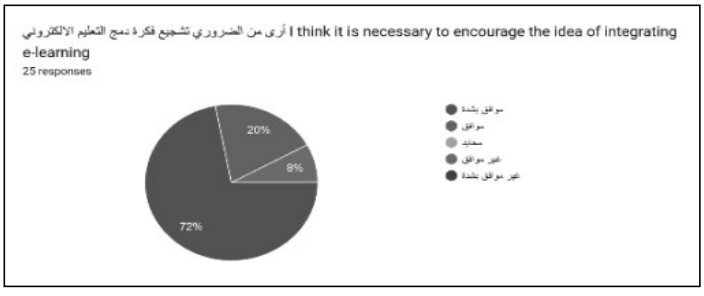

72% of the participants strongly agreed that it is necessary to encourage the idea of integrating virtual learning into the teaching and learning process. It was described that integrating traditional learning methods with new learning strategies can meet various learners' needs in higher education institutes. In addition, 21st-century skills (learning skills, literacy skills, life

skills) that support learners' future working plans can be acquired through implementing communication technological tools.

Question 4

أرى أنه من الضروري تشجيع الأساتذة على الانخراط في برامج التعليم الإلكتروني.

I think it is necessary to encourage teachers to enroll in virtual learning programs.

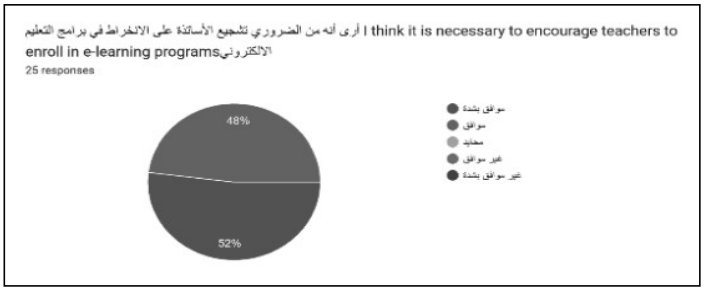

52% of the participants strongly agreed and 48% agreed about the necessity for encouraging faculty members to enroll in virtual learning programs and training sessions. It was enlightened that technology is utilized in every aspect of faculties and students' daily life routines. Therefore, Edu-Tech tools must be operated at the academic level as well. Kilgour et. al (2017) noted "When applied to online pedagogy in higher education contexts, academic staff become the learners as they extend their on-campus teaching knowledge into the online realm."

Question 5

أرى أن التعليم الالكتروني تحد للأساتذة يجب تقبله.

I think virtual learning is a challenge for teachers that must be accepted.

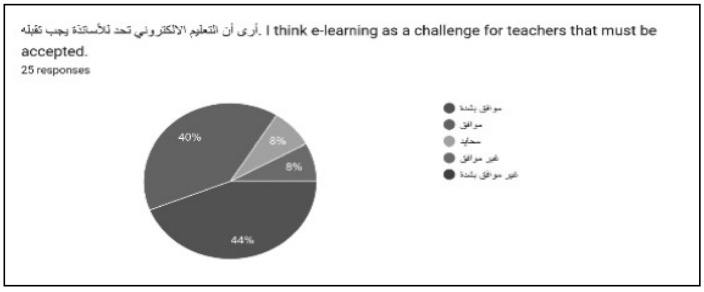

44% of the participants strongly agreed and 40% agreed that applying virtual learning is a challenge for faculty members that must be dealt with to enhance students' cognitive skills. As it was mentioned by Khodaei et. al (2022) that online learning is more about metacognitive, reflective, collaborative students who are self-directed learners.

Question 6

أرى أنه من الضروري الأخذ بالثقافة الإلكترونية في الجامعة كرافد للتعليم التقليدي.

I think it is necessary to introduce electronic culture in the university as a tributary of traditional education.

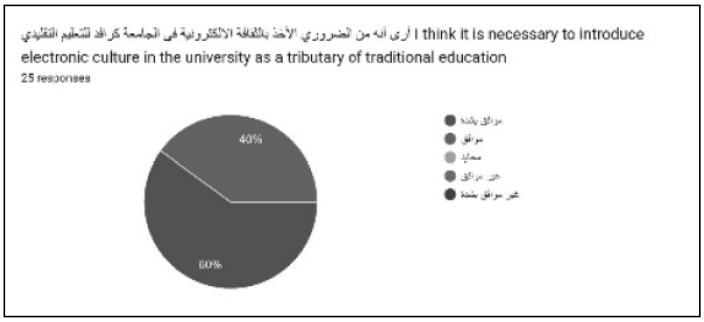

80% of the participants strongly agreed and 40% agreed about the importance of considering the electronic culture in the university. As Vygotsky (1978) mentioned knowledge occurs; when individuals collaborate and interact in the environment by exchanging what they learn. Steiner and Mahn (1996) emphasized that "Internalization of information is regarded then as both an individual and social process".

Question 7

أرى أن استخدام التعليم الإلكتروني يكمل أنماط التعليم التقليدية الراهنة.

I believe that the use of virtual learning complements the current traditional education patterns.

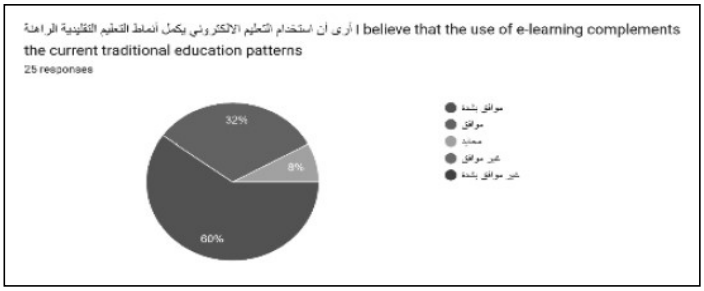

60% of the participants strongly agreed that utilizing virtual learning strategies complements the current traditional education patterns. It was emphasized by Keramida (2015) that behaviorism theory is connected to constructivism and cognitivism theories throughout the process of instructional design. She explained that the instructional design process leads to learners' stimuli via applying various virtual activities that direct learners' behaviors to indicate the newly acquired knowledge.

Question 8

أرى من الضروري إدخال تغييرات على المناهج التقليدية من خلال إدماج تكنولوجيا المعلومات والاتصال ضمنها.

I think it is necessary to introduce changes to the traditional curricula by integrating information and communication technology within it.

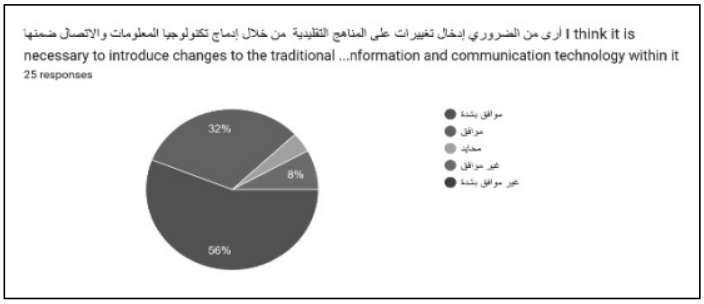

52% of the participants strongly agreed whereas 32% agreed about

the necessity to change the traditional curricula by integrating information and communication technology within the teaching and learning process. It was mentioned by Inoue et. al (2007) "Technology can support course design, implementation, and evaluation in higher education".

Question 9

أرى ضرورة اكتساب مهارات إعداد المقررات إلكترونيا.

I think the need to acquire the skills of preparing courses electronically.

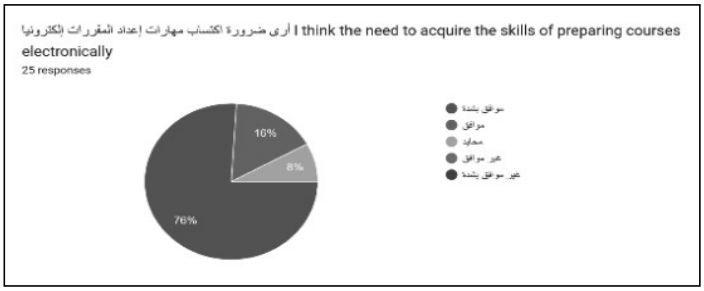

52% of the participants strongly agreed that faculty members must have annual training regarding creating modern instructional design. It was highlighted that embedding technology in the course design requires vast awareness related to pedagogical scheming so as Siemens (2005) summarized that Connectivism theory assists educators and educational institutes to cope with the huge alternation in the habits that learners attain for information in the digital age.

Question 10

أرى ضرورة التحول من الإملاء في المحاضرة التقليدية إلى طرق إلكترونية حديثة في إلقائها.

There is a need to switch from dictation in the traditional lecture to modern electronic methods of delivering it.

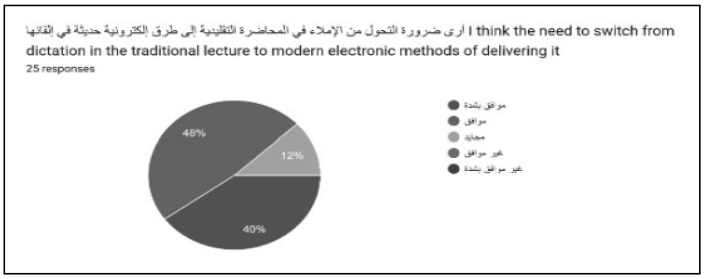

40% of the participants strongly agreed and 48% agreed that a change must occur from delivering dictated lectures to applying modern virtual methods of delivering. It was mentioned by participants that utilizing technological tools in the lecture facilitates connecting learners practically and globally with the outside world. Moreover, technological tools enhance learners' learning performance due to internet availability anytime, anywhere. Kilgour et. al (2017) noted "When applied to online pedagogy in higher education contexts, academic staff become the learners as they extend their on-campus teaching knowledge into the online realm"

Question 11

أرى من الضروري دمج التعليم الإلكتروني بغية تخريج خريجين قادرين على مواجهة تحدي تكنولوجيا المعلومات.

I think it is necessary to integrate virtual learning to produce graduates who can face the IT challenge.

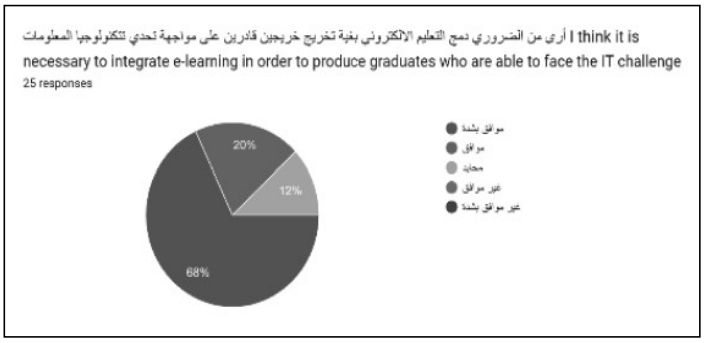

68% of the participants strongly agreed that integrating technological tools in the teaching and learning process enables learners to beat IT challenges. It was emphasized that technology is utilized socially, economically, and educationally therefore, higher educational institutions must prepare a technologically innovative and well-equipped generation of learners. As it was mentioned in the literature review, by Kilgour et. al (2017) Technology influences learners' daily activities educationally, economically, and socially.

Question 12

أرى أن دمج التعليم الإلكتروني بالتعليم التقليدي يدعم لعملية التفاعل بين الطلاب والأساتذة والمحتوى.

I believe that integrating virtual learning with traditional learning supports the process of interaction between students, professors, and content.

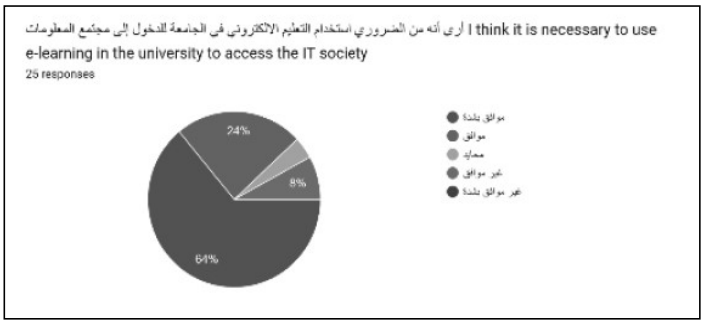

64% of the participants strongly agreed that integrating virtual learning with traditional learning supports the process of interaction between students, professors, and content. In the literature review, Huezo (2017) explained that nurturing and maintaining connections is needed for continual learning. In addition, the ability to see connections between fields, ideas, and concepts is a core skill to ensure progress in learners' performance.

Question 13

أرى أنه من الضروري استخدام التعليم الإلكتروني في الجامعة للدخول إلى مجتمع المعلومات.

I think it is necessary to use virtual learning in the university to access the IT society.

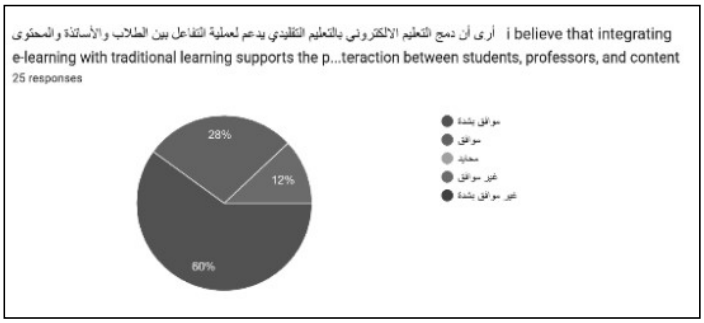

60% of the participants strongly agreed that the implementation of virtual learning with the assistance of technological tools contributes in terms of enhancing learners' technical skill competency to meet global needs and prepare them for the modern workplace. Vygotsky (1978) enlightened based on constructivism theory that metacognitive skills are improved when learners convert knowledge into daily life practices.

To summarize, based on the literature review education leadership attempts to promote the teaching and learning process through investigating behaviorism, cognitivism, constructivism, constructionism, and Connectivism learning theories influence on reshaping higher education curricula. These modern theories require integrating technological tools to facilitate delivering knowledge and improve delivery mode from theoretical to practical approaches.

Although approximately 70% to 40% agreed about integrating technological tools in instruction design, still some of the participants did not agree. Most of the participants perceive technological software and program implementation as tools for innovation. However, as mentioned by faculty and staff members and students there is a vital need to change the culture thinking of towards technology›s influence on education. In addition, it was emphasized that modern theoretical and practical training sessions must be conducted to clarify how learning can be invested and in what ways.

Most of the participants believe that the use of virtual learning complements the current traditional education patterns via designing courses based on modern pedagogical theories. The new form of courses should contribute in terms of avoiding lecture dictating and moving towards practical learning strategies. Finally, it was emphasized that learners' integration and interaction in the learning process play an effective role in directing them to obtain new communicational and technological skills.

Conclusion:

Technology implementation plays a crucial role in education. Computing and networking technology impacts our daily life aspects continuously. However, early technology users believe that technology must be impeded in higher educational systems whereas, late users of technology still argue about the effectiveness of technology usage.

Behaviorism, Cognitivism, Constructivism, and Connectivism are four learning theories that explain how learners receive information, and then how to process the information intellectually. As the second step, learners direct their behavior based on new conceptualized facts. After grasping facts, learners connect them with their pre-knowledge to form new attitudes. When learners form attitudes towards knowledge they start converting thinking into practice both in life experiences and job responsibilities which may be viewed as reinforcement. Reinforcement as psychologists declare is an essential issue to impulse learners' performance progress. On the other hand, controlling the cognitive process is also critical.

The psychologist Lev Vygotsky (1896–1934) in constructivism theory, proposed the concept of "Zone Of Approximate Development" which is related to controlling cognitive development. Vygotsky distinguished between the roles of instructors in the field of instruction design and the role of the learners in the learning process. He clarified that instructors design curricula that mentor and guide learners to achieve a certain amount of knowledge in the learning process whereas learners have to adapt to this process and regulate their learning strategies through technology utilization.

Moreover, Vygotsky's Zone of Approximate Development concept reflects the urgent need to change educational systems to meet the metacognition of this generation of technology. This new generation is oriented towards their needs. They have high self-awareness. They can control their thoughts by regulating their learning process. That is because the worldwide web facilitates accessing any information they desire. Internet availability simplifies gaining knowledge. Therefore, it is vital nowadays to employ these four selected theories and utilize them to meet the new generation of technology and assist them in facing challenges in the future workplace. However, a strategic plan must be designed by educational leadership con-

sidering institutions' infrastructure, technology need awareness, and change willingness.

Recommendations and limitations:

Based on the study results the following recommendations are suggested.

Higher education institutes' curricula reshaping process requires operationally feasible studies that investigate curricula change effectiveness.

A survey must be designed before and after the change process to investigate faculty and administrative staff and students' willingness to contribute to the change process.

It is highly recommended to conduct training sessions and orientation programs to spread the culture of technology implementation.

References:

- Akdeniz, C. et al (2016). Learning and Teaching: Theories, Approaches and Models. Retrieved from Research Gate
- Atkinson, R.C., & Shiffrin, R.M. (1968). Human memory: a proposed system and its control processes. Psychology of Learning and Motivation. Science Direct. Retrieved from https://doi.org/10.1016/s0079-7421(08)60422-3.CrossRefGoogle Scholar.
- Cherry, K. (2021). History and Key Concepts of Behavioral Psychology. very well mind. Retrieved from History and Key Concepts of Behavioral Psychology (verywellmind.com).
- Churcher, K. (2014). Friending" Vygotsky: A Social Constructivist Pedagogy of Knowledge Building Through Classroom Social Media Use. Retrieved from The Journal of (ed.gov).
- Huezo, E. (2017). Connectivism: The Future of Learning?. Insider. Retrieved from Connectivism: The Future of Learning? - FIU Online Insider.
- Inoue, et al. (2007). Online Education for Lifelong Learning. ERIC. Retrieved from ERIC - ED501561 - Online Education for Lifelong Learning, Information Science Publishing, 2007.
- International Education Advisory Board. Learning in the 21st Century: Teaching Today's Students on Their Terms. Retrieved from ieab_whitepaper040808.pdf (certiport.com).
- ISTE (International Society for Technology in Education). (2022). Retrieved from We are ISTE | ISTE.
- Keramida, M. (2015). Behaviorism In Instructional Design For eLearning: When And How To Use It. eLearning Industry. Retrieved from Behaviorism In Instructional Design For eLearning: When And How To Use It - eLearning Industry.
- Khodaei, S. et. al. (2022). The effect of the online flipped classroom on self-directed learning readiness and metacognitive awareness in nursing students during the COVID-19. BMC nursing part of Springer Nature. Retrieved from The effect of the online flipped classroom on self-direct-

ed learning readiness and metacognitive awareness in nursing students during the COVID-19 pandemic | BMC Nursing | Full Text (biomedcentral.com).

- Kilgour, P. et al. (2018). Threshold concepts about online pedagogy for novice online teachers in higher education. Retrieved from Threshold concepts about online pedagogy for novice online teachers in higher education: Higher Education Research & Development: Vol 38, No 7 (tandfonline.com).
- Knowledge Works Foundation and Institute for the Future. (2008). 2020 Forecast: Creating the Future of Learning. Retrieved from IFTF_SR-1165A_RemakingLearningForecast.pdf.
- Knowles, M. (2077). The Adult Learning Theory – Andragogy. eLearning Industry. Retrieved from The_Adult_Learning_Theory_-_Andragogy_-_of_Malcolm_Knowles_-_eLearning_Industry_220191017-125405-14bgke7-with-cover-page-v2.pdf (d1wqtxts1xzle7.cloudfront.net).
- McHaney, R. (2011). The new digital shoreline how Web 2.0 and Millennials are revolutionizing higher education. ERIC. ERIC - ED519747 - The New Digital Shoreline: How Web 2.0 and Millennials Are Revolutionizing Higher Education, Stylus Publishing, LLC, 2011-Apr.
- Mouwen, K. (2000). Strategy, Structure and Culture of the Hybrid University: Towards the University of the 21st Century. Springer Link. Retrieved from Strategy, Structure and Culture of the Hybrid University: Towards the University of the 21st Century | SpringerLink.
- Muelheck, J. et al (2014). Understanding the advising learning process using learning taxonomies. NACADA Journal. Retrieved from untitled.
- Peggy, A. et al (2013) 'Behaviorism, Cognitivism, Constructivism- Comparing Critical Features from an Instructional Design Perspective. PB PRESSBOOKS. Retrieved from Behaviorism, Cognitivism, Constructivism – Foundations of Learning and Instructional Design Technology (pressbooks.com).
- Rossi, L. (2012). Future of Education: Breaking The Connection Between

Learning and Assessment - Epic 2020. EPIC. Retrieved from https://www.masternewmedia.org/future-education-breaking-connection-learning-assessment/#ixzz7HPKk8bMC.

- Siemens, G. (2005). Connectivism, A learning theory for the digital age. International Journal of Instructional Technology & Distance Learning. Retrieved from http://www.itdl.org/journal/jan_05/article01.htm.
- Sims, R. & Trekles A. (2013). Designing Instruction for Speed: Qualitative Insights Into Instructional Design for Accelerated Online Graduate Coursework. Journal of educational leadership and policy studies. Retrieved from Designing Instruction for Speed: Qualitative Insights Into Instructional Design for Accelerated Online Graduate Coursework (westga.edu).
- Steiner J. & Mahn H. (1996). Sociocultural approaches to learning and development: A Vygotskian framework. APA PsycNet. Retrieved from Sociocultural approaches to learning and development: A Vygotskian framework. - PsycNET (apa.org).
- Stepich D. A. & Newby T. J. (1988). Analogical instruction within the information processing paradigm: Effective means to facilitate learning. Instructional Science. JSTOR. Retrieved from Analogical instruction within the information processing paradigm: effective means to facilitate learning on JSTOR.
- What Is Hybrid Learning? (2021). View Sonic. Retrieved from What Is Hybrid Learning? - ViewSonic Library.

المصادر والمراجع

- أكدنيز سي وآخرون (2016). التعلم والتعليم: النظريات و الطرق والنماذج. بوابة الأبحاث. 31.
- صفورة خدائي. وآخرون (2022). تأثير الفصل المقلوب عبر الإنترنت على جاهزية التعليم الموجه ذاتيا وادراك مفهوم ما وراء المعرفة لدى طلاب التمريض أثناء جائحة COVID-19. تمريض BMC.
- شيري ك. (2021). ما هية النظرية السلوكية؟. العقل جيدا. 1.
- هويزو إي. (2017). النظرية الترابطية: مستقبل التعلم؟.
- إينوي، وآخرون. (2007). التعلم عبر الإنترنت للتعلم مدى الحياة.
- المجلس الاستشاري للتعليم الدولي.التعلم في القرن 21. تدريس طلاب اليوم وفق رؤياهم.
- كيراميدا م. (2015). النظرية السلوكية في التصميم التعليمي للتعليم الإلكتروني: متى وكيف يتم استخدامه. صناعة التعلم الإلكتروني.
- كيلجور ب. وآخرون، (2018). مفاهيم محددة حول علم أصول التدريس عبر الإنترنت للمعلمين المبتدئين في التعليم العالي.
- ماكهاني ر. (2011). المعدل الرقمي الجديد كيف يطور Web 2.0 وجيل الألفية ثورة في التعليم العالي.
- مويلهيك ج. وآخرون (2014). فهم عملية التعلم الإرشادي باستخدام هرمية التعلم.
- (2017) المجتمع العالمي من اجل الارشاد الاكايمي.
- بجي ا. (2013) السلوكية، المعرفية، البنائية - مقارنة السمات الجذرية من منظور التصميم التعليمي
- آر سي أتكينسون، آر إم شيفرين (1968). الذاكرة الانسانية: منظومة مقترح. وعملياتها التحكمية.
- روسي ل. (2012). مستقبل التعليم: فصل العلاقة بين التعلم والتقييم.
- سيمنز، ج. (2005). الاتصال، النظرية الترابطية. نظرية تعلمية للعصر الرقمي.
- ستيبيتش د. ونيوباي ت. (1988). التعليم التناظري من خلال نموذج معالجة المعلومات: وسائل فعالة لتسهيل التعلم. العلوم التعليمية.

UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman
Chancellor of the University

EDITOR IN-CHIEF

Prof. Ziad Ali Da'ih Al-Fahdawi

DEPUTY EDITOR IN-CHEIF

Prof. Khaled Al-Taher

EDITORIAL SECRETARY

Dr. Al-Muzamil Al-Sharif Hamed

ISSUE NO. 69
Jumada I, 1446H - December 2024CE

ISSN 2791-2930

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. 157016
e-mail: awuj@alwasl.ac.ae

EDITORIAL BOARD

Prof. Joudah Mabrouk - Egypt

Prof. Hassan Awad Al-Sarahi - Saudi Arabia

Prof. Said Yaqtin - Morocco

Prof. Emad Hamdi - UAE

Prof. Faiza Al-Qasim - France

Prof. Mustafa Al-Hilali - United Kingdom

Dr. Ahmed Basharat - UAE

Dr. Latifa Abdullah Al-Hamadi - UAE

Translation Committee: Dr. Reem Al-Yousef,
Ms. Majdoleen Al-Hamad, Ms. Reem Al-Mashari,
Mr. Sami Al-Huthaifi

SCIENTIFIC ADVISORY BOARD

Prof. Salah Belead
President - Supreme Council of the Arabic Language - Algeria

Prof. Kotb Rissouni
University of Sharjah – UAE

Prof. Benaissa Bettahar
University of Sharjah – UAE

Prof. Saleh M. Al-Fouzan
King Saud University – KSA

Prof. Jamila Hida
Université Mohammed I Ouajda - Morocco

Al Wasl University in Brief

Al Wasl University is one of the academic institutions registered by the Ministry of Education (MOE) in UAE. In accordance with ministerial order No. 107 of 2019, the College of Islamic and Arabic Studies has changed its name to Al Wasl University.

The university's development has encountered two basic stages:

The First Stage:

The primary nucleus of the university was established in 1986-1987 under the name "College of Islamic and Arabic Studies" by Mr. Juma Al Majid and supervised and taken care of by a truehearted group of the people of this country, who appraise the value of knowledge and high rank of education.

- The Government of Dubai took care of this blessed step which was incorporated by the decision of the Board of Trustees issued in 1407 AH corresponding to the academic year 1986-1987 AD.
- On 02/04/1414 AH, corresponding to 18/4/1993 AD, H.H Sheikh Nahyan bin Mubarak Al Nahyan, Minister of Higher Education and Scientific Research of the UAE issued the decision No. (53) of the year 1993 granting the license to the college as a Higher Education institution.

1. Bachelor Program:

- Order No. (77) of the year 1994 was issued as relating to the equivalence of the bachelor's degree in Islamic and Arabic studies issued by the college with the first university degree in Islamic studies.
- Later, order No. (55) of the year 1997 was issued concerning the equivalence of the bachelor's degree in Arabic language granted by the College of Islamic and Arabic Studies in Dubai with the first university degree in this specialization.
- On 24/5/2017, the Board of Trustees, decided to open the doors for enrollment in graduate studies for male students, specializing in Shari'a and Arabic for the academic year 2017-2018.
- The Bachelor of Library Sciences and Information program has been accredited in 2020.
- The college celebrated the first graduating batch on the 23rd Sha'ban 1412 AH, 26th December 1992 AD under the patronage of his Highness Sheikh Maktoum Bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister and Ruler of Dubai (may Allah have mercy on him).
- The College celebrated the graduation of the second batch of male students and its first female batch on 29/10/1413 AH, 21/4/1993 AD.
- Since its establishment in the academic year 1406/1407 AH, 1986/1987 AD till 2023/2024, the number of the graduates reached students a total of 13696: 10975 females and 2721 males.

2. Post Graduate Program:

- The post-graduate program was established in the academic year 1995/1996 AD to award the candidates the master's degree in Islamic Studies/Shari'a and Arabic Language and Literature. This was followed by implementing Doctoral Program in Fiqh/Jurisprudence, which launched in 2004/2005 AD.
- Starting from the year 2007/2008, The university began the doctoral program in Arabic language and literature in the two sub-majors: literature and criticism and and language and grammar.
- On February 24, 2017, the Mohammed Bin Rashid International Center for Endowment Consultation awarded the university Dubai Endowment Mark.

Re-accreditation of master's and doctoral programs; The university granted:

- Master's degree in Literary and Critical Studies.
- Master's degree in Linguistics studies.
- Master's degree in Fiqh and its Fundamentals.
- Doctor of Philosophy in Islamic Jurisprudence and its Foundations.
- Doctor of Philosophy in Arabic Literary and Critical Studies.
- Doctor of Philosophy in Arabic Linguistic Studies.
- The total number of male and female graduates in postgraduate studies up to the date of issue of the issue, (381) students; Among them, (258) graduates with a master's degree and (123) graduates with a doctorate.

The Second Stage:

The name of the (College of Islamic & Arabic Studies) has been changed according to the ministerial decision No. 107 for the year 2019 into (Al Wasl University) which also received several updates in:

Vision:

Al Wasl University aspires to be a leading regional and global institution offering outstanding programs, approaches, and scientific research.

Mission:

Al Wasl University seeks to provide non-profit programs of high quality in bachelor's and postgraduate studies to qualify specialized cadres for the local and regional labor market, strengthen research capabilities, develop creative thought, and develop community partnership in a university environment characterized by originality, modernity, and innovation

Board of Trustees:

The Board of Trustees supervises the general affairs of the university and directs it to achieve its objectives. The board, in addition to its Chairman (the founder of the university), includes a number of distinguished figures who combine knowledge, opinion, and experience, representing scientific, social, economic, and administrative sectors in the United Arab Emirates.

University Colleges:

The university includes the following colleges:

- College of Islamic Studies.
- College of Arts.
- College of Management.

Study Program:

- The duration of the study to gain the bachelor's degree is (four years) for the holders of the secondary school certificate of Shari'a or general secondary school in its branches: scientific and literary or its equivalent.
- Study at the university is based on the semester system with credit hours.
- The student should commit to attend and follow-up the determined courses and researches.
- The study duration of the master's program is two years and the Ph.D. program is of three years, with a preparatory year included in both.

Scientific Research and Community Service:

The scientific research at the university is based on stable factors and fundamentals, including:

1. Conferences: The University holds a number of annual, internationally- refereed conferences such as:

- The International Scientific Symposium in Al-Hadith Al-Sharif. It is held every 2 years. Its eleventh version was in 2023 AD.
- The International Arabic Language Conference. It occurs every two years, the third conference was held in 2024 AD.
- The International Islamic Studies Conference. It occurs every two years. the second conference was held in 2024 AD.
- The International Conference for Post-Studies. It also runs every two years, the Third conference was held in 2023 AD.
- The International Linguistics Conference is held every two years. The second conference is held in June 2023.
- The International Conference on Narratives is held every two years, the second conference was held in 2024.

2. Refereed Journals: Al Wasl University publishes three refereed scientific journals, which are:

- Al-Wasl University Journal, a bi-annual journal.
- Thought and Knowledge Journal, issued by the Faculty of Arts once a year.
- Al-Mawyil Journal, issued by the College of Islamic Studies, once a year.

3. The Scientific Book: The University issues the scientific books, and it has two branches:

- The Scientific Book (as a study reference) published 33 books.
- The Scientific Book (Books were not intended for study purposes).

4. The project of printing outstanding theses and dissertations: The University is keen to offer free printing and distribution services of unique academic publications.
5. Digintal Library open access on the university's website.

Subscription Slip

We would like to subscribe in Al Wasl University Journal, for the period of .....

..... years, starting from .....

- Name in full: .....

- Address: .....

- Telephone: .....

- Email: .....

- Fees: .....

Subscription Fees

Source	Period		Fees		
	Year	Copies	Institutions	Individuals	Students
Inside UAE	One year	2	100 AED	80 AED	50 AED
	Two Years	4	200 AED	150 AED	100 AED
Outside UAE	One Year	2	50 $	40 $	30 $
	Two years	4	100 $	80 $	60 $

Method of Payment:

- Inside the UAE: Cash deposit at the Journals office at the University Campus, or bank transfer.

- Outside the UAE: Bank transfer to:

- Al Wasl University.

Dubai Islamic Bank – Dubai

IBAN No. : AE030240001520816487801

The deposit slip should be sent to this address:
Editor in chief of Al Wasl University Journal,
PO Box: 34414 Dubai – United Arab Emirates – Telephone: 0097144128717
Email: awuj@alwasl.ac.ae

Rules of Publishing

First:

The Journal of the Al Wasl University publishes original or translated scientific research in Arabic, English or French ,. The research presented to the journal must be original, genuine in its theme, objective in nature, comprehensive, of academic novelty and depth, and does not contradict Islamic values and principles. The research papers will be published after being evaluated by referees from outside the editorial board, according to the standard academic rules.

Second:

All research work presented for publication in the journal must comply with the following conditions:

1. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
2. All researches must following the journal publication rules.
3. The research work should not have been previously published by any other institution, and is not derived from any other research study or treatise through which the researcher has acquired an academic degree. The research must provide a written statement of that content upon submitting his paper to the journal.
4. The journal accepts unpublished sections of theses.
5. The researcher does not have the right to publish his research elsewhere or present it for publication unless he receives a written permission from the editor in chief of the journal.
6. Research which embodies Quran quotes or Prophetic sayings (Ahadith) is required to be properly marked and foot-noted.
7. The research must be word-processed using Word 2010, single- spaced, font size 16, with a minimum of 20 pages (about 5000 words) and a maximum of 30 pages (about 7500 words). In case the research paper exceeds 30 pages, an amount of 20 AED is to be charged for every extra page.
8. For international publication, a Soft copy of the research (Word 2010) should be submitted with research's name (both in English and Arabic) and his occupation/title, as per the provided form.
9. An Arabic abstract of 120 words as well as an English one (150) words, should be added. Abstracts should include research objectives, problem, methodology and final conclusion. Five key words, at least, should be included.

10. A list of works cited and Bibliography should be added, as translated into English for international publication.

11. Tables, figures and additional illustrations referred to should be numbered referenced as per their relevance in the body of the research. They are to be indexed properly and included in a separate annex section.

12. The following methodology should be implemented in the documentation process:

- Works cited should be sequenced by order and indicated parenthetically in the text of the research. They are to be foot-noted, as per their occurrence on a page.
- When a reference is cited for the first time, full citation details are to be added as such: Author's name, Book name, editor or translator's name (if any), publishing house, country, edition number (if any), and date (if any). For referencing papers taken from periodicals, Author's name, title, journal/periodical name, issuing body, country, volume number, date and pages in the journal/periodical.
- When the reference is mentioned for the second time, an indication of the author/ reference name is to be included. If same reference is quoted twice in a row, an Ibid mark is to be indicated.
- Explanations and footnotes are to be preceded by an asterisk*.
- List of works cited/bibliography should be included, following typical referencing rules.

13. Researcher is committed to doing all the modification suggested by the committee of reviewers and provide the journal with the revised version along with the modification/ Errata report.

14. The journal only accepts proofread papers. All papers must be proofread.

Third: Other Rules:

1. The texts should be provided in both source language and the new target language.
2. Two abstracts (1 Arabic, the other in English or French) should be added. The abstract should be of no more than 120 words with key words being indicated.
3. The translated material should be audited or published previously in a reputed magazine.
4. The translated material should be of at least 7 pages (A4) and up to 20, of no more than 6000 words.
5. The translated material should be a non-forced one, with no ellipsis or translation loss, unless for translation necessity.
6. Text should be cohesive and coherent.

7. Upon the first mention of the original author, full citation of the author should be indicated.

8. The translation should be preceded by a brief introduction that indicated topic importance, significance and results.

Fourth:

1. Published points of view do represent their owners. They do not, by any means, represent the journal.

2. Submitted papers are to be kept under the possession of the journal, either published or not.

3. Publication is subject to many factors, e.g. Versatility of topics and universities.

4. The journal has all right to make superficial modification on the research, without affecting its content.

5. The journal has the right to publish approved researches in periodicals and other journals.

6. After the publication, the research can have a PDF copy of the volume in which his research has been published.

Fifth: Publication Fees:

- As a contribution from Al Wasl University Journal to enriching the research movement in the United Arab Emirates in particular, and all Arab and Islamic countries in general, the magazine does not bear researchers any fees, except for what was previously mentioned previously.

- All correspondence should be sent to the following address:

Editor in Chief, Journal of the Al Wasl University,
P.O. Box 34414 - Dubai, United Arab Emirates
Tel: 00-971-4-4128717 - Fax: 00-971-4-3964388
Email: awuj@alwasl.ac.ae

Contents

- **PREFACE**
  Editor in Chief 19-20

- **Graduation Research and additional value**
  General Supervisor 21-22

- **Articles** 23

- **The Effect of Sound in Showing the Poetic Image**
  Dr. Mahmoud Hussein Ahmad Alzuheiri 25-64

- **The formal and semantic structure in the lexicographic text: The root (s.r.r) as a model in Tāj al-Ārūs by Al-Zubaidi**
  Prof. Sorour Al-Lahyani 65-94

- **Action in Sibawayh's Book: A Semantic Grammatical Study**
  Dr. Nayyaf Bin Rizqan Bin Hillel Alsalami Alanazi 95-148

- **Reptiles and amphibians in the Holy Qur'an Descriptive analytical study**
  Dr. Ziyad Ali Al-Fahdawi
  Muneera Al-Zohaily 149-188

- **The Role of the Moratorium in Resolving Funding Issues in Public Education - Syria as a Model**
  Mohamed Ayman Zakaria Batheesh
  Prof. Ahmed Mohamed Al-Daghshi 189-250

- **Deviation from the Original Structure in Arabic Morphology between Traditional Morphology and Modern Linguistics A Case Study of the Defective Past Verb**

  Dr. Mansour Aqleh Al-Mansour 251-278

- **The Features of Al Imam Al Fakhr Al Razi Methods/ Approaches in Islamic Jurisprudence Principles (Usul Al Fiqh) Through his Books**

  Dr. Ali Mohammed Ali Alshehri 279-354

- **Ibn Daqiq's Approach in clarifying different Hadiths, The Chapter of Prayer Model**

  Dr. Mohamad R R Jetan

  Dr. Hussein. A. H. Naqeeb 355-400

- **Egyptian Mythology in the Major Works of George Eliot**

  Dr. Muhammad Moustafa Muhammad Abd-ur-Rahman 401-440

- **Reconstructing Educational Curricula In Higher Academic Institutions**

  Khawla Ahmed Bajbouj 17-44

PREFACE

Editor in Chief: Prof. Ziad Ali Da'ih Al-Fahdawi

Praise be to Allah, Lord of all the worlds, and blessings and peace be upon the best of messengers, our Prophet Muhammad, and upon his noble family and companions.

We are pleased to present to researchers and those interested in academic and scientific research the sixty-ninth issue, which includes a collection of distinguished papers in various fields of knowledge, including Arabic language and literature, Islamic studies, and educational sciences.

It is noteworthy that the University of Al-Wasl Journal seeks to become a leading scientific platform in a globally competitive environment. On this occasion, we are pleased to announce to our esteemed colleagues that the journal has entered the Arcif (Arab Citation & Impact Factor) database for Arabic scientific journals, marking a significant milestone in its history. With this transformation, the journal's administration is committed to maintaining high standards of quality and originality in the research it publishes. The continued publication of this peer-reviewed journal is a testament to its success and impact in the academic community, providing valuable scientific contributions in the field of research. It achieves this by publishing scholarly articles that address issues of the nation, especially contemporary ones, to promote knowledge and expand the academic horizon with a fresh perspective and an advanced approach. The journal serves as a vital contributor to the movement of scientific research and academic studies.

This issue includes ten solid research papers in various humanities fields, as follows:

The first paper: The Impact of Sound on the Clarity of the Poetic Image. This paper contributes to the scientific discussion by focusing on the auditory effect in highlighting and clarifying the poetic image. It was observed that sound and the resonance of letters made the image appear vivid.

The second paper: The Structural Definition in the Lexical Entry of the Dictionary: The Root (س.ر.) in Taj al-'Arus by al-Zabidi as a Model. The study demonstrated that the linguistic structure of definitions in general lexicons is a well-organized and systematically arranged structure, with entries being quantitatively close from one to another.

The third paper: The Action in Sibawayh's Book: A Syntactic and Semantic Study. The importance of the research lies in clarifying the concept of "action" according to Sibawayh, as a significant interpretive phenomenon used to explain many linguistic phenomena at different syntactic, lexical, and morphological levels.

The fourth paper: Reptiles and Amphibians Mentioned in the Qur'an: A

Descriptive Analytical Study. The study aims to identify their nature, characteristics, and the main rulings related to them, as well as their impact on environmental balance.

The fifth paper: The Role of Endowments (Waqf) in Addressing Challenges in Public Education Funding (Syria as a Case Study). The study highlighted the obstacles to utilizing waqf for financing public education, areas where waqf can be applied in public education funding, and ways to enhance the role of waqf in supporting public education.

The sixth paper: Deviation from the Norm in the Structures of the Arabic Language: Between Morphology and Modern Linguistics—The Case of the Weak Past Verb. This study addressed the presumed morphological roots of irregular linguistic structures and the mechanisms of their deviation into the forms as spoken, along with the reasons for this deviation, its methods, and the governing rules.

The seventh paper: The Methodology of Imam al-Fakhr al-Razi in Usul al-Fiqh through His Works. The study aimed to answer several questions, such as: Did Imam al-Fakhr al-Razi have a fixed methodological framework? What are the theoretical usulist frameworks that al-Razi relied upon? How did they influence his approach to usul al-fiqh? And did Imam al-Fakhr al-Razi have an independent methodology in the study of usul al-fiqh?

The eighth paper: The Methodology of Ibn Daqiq al-'Id in the Study of Hadith Differences in His Book Ihkam al-Ahkam Sharh Umdat al-Ahkam: The Book of Prayer as a Case Study. The study aimed to show Ibn Daqiq al-'Id's approach to resolving discrepancies between hadiths, specifically in the Book of Prayer. It demonstrated his use of the method of reconciliation in nineteen issues, and the method of preference in four issues.

The ninth paper: Egyptian Mythology in the Major Works of Novelist George Eliot. This study aims to trace the use of Egyptian mythology in the major works of George Eliot, illustrating how it was employed to play a significant role in writing realist fiction.

The tenth paper: Rebuilding Curricula in Higher Academic Institutions. This paper seeks to present fundamental issues regarding the need to discuss certain theories related to educational tools and techniques, particularly focusing on the shift from traditional learning to virtual learning in higher education institutions.

The journal extends its sincerest thanks and appreciation to the esteemed researchers who contributed their papers to this issue, as well as to the distinguished scholars who reviewed and meticulously examined the papers, guiding them in a manner befitting the academic stature of the University of Al-Wasl, one of the oldest centers of learning in the United Arab Emirates.

Supervisor's Word:
Graduation Research and additional value
By the General Supervisor: Prof. Mohammed Ahmed Abdul Rahman

According to Al Wasl University, one of the fundamental tenets of higher education is scientific research. Scientific achievement relies on applying established scientific foundations to identify phenomena, tackle issues and challenges, and try to grasp the facts. This results in the creation of new knowledge and improves development with the goal of advancing national development and benefiting all of humanity.

This scientific accomplishment was frequently and in many locations restricted to postgraduate programs at the master's and doctorate levels, which are in charge of doing scientific research. Nevertheless, we must alter this conventional notion and bring scientific research into undergraduate education as well, through student reports in the first three years and graduation research in the fourth.

Many new educational programs now feature graduation research as a course that aims to provide learning outcomes that align with the national requirements. However, graduation research shouldn't be only a taught course or something that undergraduate students must do in order to graduate. Instead, it ought to be the initial step in scientific research for undergraduate students. By doing this, we ensure that the educational process provides a hitherto unattainable additional value.

There are many advantages to paying attention to graduation research, including, but not limited to, giving students the information and skills they need to stay competitive in the job market on the one hand, and bridging the gap between academic and practical knowledge. Additionally, students learn about new information sources that they were not exposed to during their first three years of study. In addition to strengthening their scientific culture, preparing them for the postgraduate stage, and giving them the knowledge to stay up to date with advancements in their field of specialization, it also gives them opportunities to address research problems and learn from them how to solve problems they encounter in their personal or professional lives. These researches also develop their critical thinking abilities, analytical skills, and contribute to the development of knowledge through their research production.

The supervisor, who is designated by the educational program to oversee a group of students' graduation research, has a primary responsibility in this regard. Instead of just receiving the research at the end of the semester, he needs to get to know the group of students who were referred to him, as well as their research preferences. He should also meet with them on a regular basis, beginning with a review of scientific research conditions, procedures, and methodologies. He then turns these meetings into scientific discussion sessions where he asks the students to share their thoughts, concerns, and potential answers to the problems they are facing. He also teaches the kids about the importance of fully adhere to practical integrity when writing their research.

From a procedural perspective, the administration of the college, university, or program to which the students belong must endeavor to create a system for measuring and evaluating graduation research that makes clear how to document this research, supervision sessions, and the process for handling students with distinguished research. This includes encouraging them to attend specialized scientific conferences, publishing their research publications in university journals or other respectable journals, and holding public discussions. In order to secure the vertical and horizontal integration of educational programs, this system is continuously examined to fit within their entire development processes.

According to this view, graduation research helps the undergraduate develop into a critical thinker and innovator with the requisite abilities, which aids in his scientific and personal development when he enters the workforce. As a result, we have enhanced the educational process with a benefit that directly benefits Arab, Emirati, and human society. Recent data indicates that 85% of students believe their graduation research improves their academic and professional abilities. Another study showed that 70% of students believe that this research helps them get better job opportunities. On the other hand, 60% of students face major challenges in collecting and analyzing data. Despite these challenges, 90% of graduates consider the experience of writing their graduation thesis to be very useful.

UNITED ARAB EMIRATES
AL WASL UNIVERSITY - DUBAI

Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

Issue No. 69

Jumada I / December
1446 H / 2024 CE

awuj@alwasl.ac.ae

www.alwasl.ac.ae